سلسلة الرحلة إلى الثقلين

(٢١)

الشيعةُ هم أهل السُنّة

تأليف

الدكتور محمّد التيجاني السماوي

تحقيق وتعليق

مركز الأبحاث العقائديّة

بسم الله الرحمن الرحيم

دليل الكتاب

مقدّمة المركز ٩
مقدّمة المؤلّف للطبعة المحقّقة ١٣
المقدّمة ١٩
التعريف بالشّيعة ٢٩
التعريف بأهل السنّة ٣٧
أوّل حادث فرّق المسلمين إلى شيعة وسنّة ٤١
الحادث الثاني في مخالفتهم للسنّة النبويّة ٤٣
الحادث الثالث الذي أبرز الشيعة في مقابل « أهل السنّة » ٤٥
أوّلا : عزل المعارضة وشلّها اقتصادياً ٤٦
ثانياً : عزل المعارضة وشلّها اجتماعيّاً ٤٧
ثالثاً : عزل المعارضة سياسياً ٥٠
السنّة النبويّة بين الحقائق والأوهام ٥٣
تعليق : في هذه القصة طرائف لابدَّ من ذكرها ٥٤
أهل السنّة لا يعرفون السنّة النبويّة ٦٣
« أهل السنّة » ومحق السنّة ٧٥
الشيعة في نظر « أهل السنّة » ٩٣
« أهل السنّة والجماعة » في نظر الشيعة ٩٩
التعريف بأئمّة الشيّعة ١٠٣

التعريف بأئمّة « أهل السنّة والجماعة » ١١٣
النبيّ ﷺ هو الذي عيَّن أئمّة الشيعة ١٢٥
حكّام الجور هم الذين نصَّبوا أئمة « أهلّ السنّة » ١٤١
السرّ في انتشار المذاهب السنيّة ١٤٩
لقاء مالك مع أبي جعفر المنصور ١٦٧
تعليق لابدّ منه لفائدة البحث والتحقيق ١٧١
اختبار الحاكم العبّاسي لعلماء عصره ١٧٩
حديث الثقلين عند الشيعة ١٨٩
حديث الثقلين عند « أهل السنّة » ١٩٥
كتاب الله وعترتي ، أو كتاب الله وسنّتي؟ ١٩٧
مصادر التشريع عند الشيعة ٢١٧
مصادر التشريع عند « أهل السنّة والجماعة » ٢٢١
تعليق لابدَّ منه لإكمال البحث ٢٣٣
التقليد والمرجعيّة عند الشيعة ٢٣٩
التقليد والمرجعيّة عند أهل السنّة والجماعة ٢٤٥
الخلفاء الراشدون عند الشيعة ٢٤٩
الخلفاء الراشدون عند أهل السنّة والجماعة ٢٥٣
النبيّ ﷺ لا يقبل تشريع « أهل السنّة والجماعة » ٢٥٧
تنبيه لابدّ منه ٢٦٠
عداوة « أهل السنّة » لأهل البيت تكشف عن هويتهم ٢٦٣
تحريف أهل السنّة والجماعة كيفية الصلاة على محمّد وآله ٢٧١

أكاذيب تكشفها حقائق..... ٢٧٧
أئمة « أهل السنّة والجماعة » وأقطابهم..... ٢٨١
١ ـ أبو بكر (الصديق) ابن أبي قحافة..... ٢٨٢
٢ ـ عمر بن الخطّاب (الفاروق)..... ٢٨٧
٣ ـ عثمان بن عفان (ذو النورين)..... ٢٩٢
٤ ـ طلحة بن عبيد الله..... ٢٩٨
٥ ـ الزبير بن العوّام..... ٣٠٧
٦ ـ سعد بن أبي وقاص..... ٣١٨
٧ ـ عبد الرحمان بن عوف..... ٣٢٩
٨ ـ عائشة بنت أبي بكر (أُمّ المؤمنين)..... ٣٣٥
٩ ـ خالد بن الوليد..... ٣٤٣
١٠ ـ أبو هريرة الدوسي..... ٣٥٥
١١ ـ عبد الله بن عمر..... ٣٦٦
خلاف عبد الله بن عمر للكتاب والسنّة..... ٣٧٩
١٢ ـ عبد الله بن الزبير..... ٣٨٥
السنّة النبويّة لا تخالف القرآن عند الشيعة..... ٣٩١
السنّة والقرآن عند « أهل السنّة والجماعة »..... ٣٩٥
الأحاديث النبويّة عند « أهل السنّة » متناقضة..... ٤١١
كتاب محمّد بن أبي بكر إلى معاوية..... ٤١٩
ردّ معاوية على محمّد بن أبي بكر..... ٤٢٣
الصحابة عند شيعة أهل البيت..... ٤٣٣

الصحابة عند « أهل السنّة والجماعة » ٤٣٩
فصل الخطاب في تقييم الأصحاب ٤٤٥
مخالفة أهل السنّة والجماعة للسنن النبويّة ٤٥٧
١ ـ نظام الحكم في الإسلام..... ٤٥٩
٢ ـ القول بعدالة الصحابة يخالف صريح السنّة..... ٤٦٥
٣ ـ النبيّ يأمر المسلمين بالاقتداء بعترته وأهل السنّة يخالفونه ٤٦٩
٤ ـ « أهل السنّة والجماعة » ومودّة أهل البيت..... ٤٧٣
٥ ـ أهل السنّة والجماعة والصلاة البتراء ٤٨٥
٦ ـ عصمة النبيّ وتأثيرها على « أهل السنّة والجماعة »..... ٤٨٩
مع الدكتور الموسوي و « التصحيح » ٤٩٣
مصادر التحقيق..... ٥١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة المركز

الحمدُ لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين ، حبيب قلوبنا ، أبي القاسم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلى أهل بيته الطيّبين الطاهرين ، واللعنة الدائمة الموبّدة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

نحمدك اللهمّ ونشكرك أن جعلتنا من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، والسائرين على نهجهم القويم ، والمتبرّئين من أعدائهم والناصبين لهم البغض والعداء.

لم يكن من ضمن برنامجنا العلمي في « مركز الأبحاث العقائدية » إعادة طبع الكتب التي تمّ طبعها ونشرها لعدّة مرّات ، خصوصاً كتب الدكتور التيجانى التي تتنافس في طبعها ونشرها مراكز علميّة كثيرة ومؤسسات ثقافية عديدة ، إذ طبعت طبعات متعدّدة وترجمت إلى عدّة لغات عالمية.

والذي جعلنا نُقدم على إعادة طباعتها ، وتصحيح الأخطاء المطبعية التي وجدت في الطبعات السابقة منها ، بل إصلاح بعض الهفوات العلميّة التي وقع فيها المؤلّف ، واستخراج كافة الأقوال الفقهية وغيرها والأحاديث الشريفة وبيان صفاتها التوثيقية . وإن كان هذا العمل بحدّ ذاته يستحقّ التقدير . هو الإجابة على الشبهات والردود التي أثارها بعض علماء السنّة حول كتب الدكتور التيجاني الذي وصفوه بشخصية خيالية اختلقها بعض علماء الشيعة

للتشنيع على المذهب السنّي ، فقد جمعنا كتبهم فكانت خمسة كتب هي :

(١) « كشف الجاني محمّد التيجاني » لعثمان بن محمّد الخميس ، والظاهر أنّه أوّل من تصدّى للردّ على الدكتور التيجاني ، إذ أنّ الطبعة الثانية لهذا الكتاب صدرت عن مؤسسة الفجر في لندن سنة ١٤١١ هـ ، والطبعة الثالثة صدرت عن دار الأمل في القاهرة وكتب عليها « طبعة مزيدة منقّحة ».

وبما أنّ الطبعتين الأُولى والثانية كانت عبارة عن كتيب صغير ، لذلك اضطرّ الخميس في طبعته الثالثة أن ينقل من كتاب « الانتصار » ـ الذي يأتي الحديث عنه برقم ٢ ـ ثلاث وأربعين صفحة ، وذلك من أجل زيادة صفحات كتابه ، علماً بأنّه في كتابه هذا الذي يقع في مائتين صفحة تقريباً يحاول الردّ على كتب الدكتور التيجاني الأربعة وهي : « ثمّ اهتديت » و « فاسألوا أهل الذكر » و « لأكون مع الصادقين » و « الشيعة هم أهل السنّة ».

(٢) « الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماويّ الضالّ » للدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي ، صدرت طبعته الأُولى سنة ١٤١٨ هـ عن مكتبة الغرباء الأثرية في المدينة المنوّرة ، وكان المؤلّف ينوي الردّ على كتب الدكتور التيجاني الأربعة التي ذكرناها سابقاً ، إلاّ أنّ الذي صدر هو القسم الأوّل منه فقط ، وهو ردّ على كتاب « ثمّ اهتديت ».

(٣) « منهج أهل البيت في مفهوم المذاهب الإسلامية ، مع دراسة لبعض الكتب المذهبيّة وسبل التقريب » لأبي الحسن محيي الدين الحسني ، انتهى من تأليفه في الأوّل من رجب سنة ١٤١٧ هـ ، صدر عن مطبعة المدينة في بغداد ، وهو ردّ على كتاب الدكتور التيجاني « لأكون مع الصادقين » فقط.

(٤) « النشاط الشيعي الإمامي أو الاستنساخ العقدي ، التيجاني السماوي نموذجاً » ، للزبير دحان ، صدر سنة ١٤٢٣ هـ ضمن سلسلة نقد المعتقد

برقم ١ ، وهو ردّ على كتاب « المراجعات » للسيد عبد الحسين شرف الدين ، وكتب الدكتور التيجاني.

(٥) « بل ضللتَ » لخالد العسقلاني ، صدر سنة ١٤٢٤ هـ عن دار المحدّثين للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، وهو ردّ على كتاب الدكتور التيجاني « ثمّ اهتديت ».

عملنا في هذا الكتاب

(١) قراءة نصّ الكتاب بشكل دقيق ، ثمّ تقطيع عباراته إلى عدّة فقرات متناسقة ، واستعمال علامات الترقيم حسبما تقتضيه الطرق الفنيّة لتحقيق الكتب.

(٢) استخراج كلّ ما يحتاج إلى استخراج : من آيات قرآنيّة كريمة ، وأقوال فقهيّة وكلاميّة وتأريخيّة وغيرها ، وأحاديث شريفة ، وأشعار وغيرها ، كلّ ذلك من مصادرها الرئيسيّة.

(٣) بيان صفات الأحاديث الشريفة التي استدلّ بها المؤلّف ، وتمييز الصحيح عن غيره ، استناداً إلى آراء كبار علماء المسلمين من الفريقين ؛ ليقف القارئ على صحّة كلام المؤلّف وزيف ادّعاء المخالف له.

(٤) إبقاء تعليقات المؤلّف التي كانت في الطبعة السابقة كما كانت ، وتمييزها عن عملنا بإضافة كلمة « المؤلّف » في آخرها.

(٥) إذا ذكر المؤلّف مصدراً أو مصدرين لكلامه أو للقول أو الحديث الذي يستدلّ به ، فإنّنا نضيف لها مصادر أُخرى معتبرة عند عامّة المسلمين ، ليقف القارئ على حقيقة الأمر.

(٦) قمنا بردّ الشبهات التي أثارها عثمان الخميس في كتابه « كشف

الجاني محمّد التيجاني » على هذا الكتاب الذي بين أيدينا ، وبيّنا زيف ادّعاء الخميس وقلّة اطّلاعه على التاريخ ، وكيفيّة محاولته لإضلال الرأي العامّ بإدّعاءات واهية لا أساس لها ، بل محاولته بتر حديث الدكتور التيجاني ، وهذه مغالطات يلجأ إليها الضعفاء.

كذلك قمنا بردّ الإشكالات التي وجهها أبو الحسن محيي الدين الحسني في كتابه « منهج أهل البيت في مفهوم المذاهب الإسلاميّة » على خصوص هذا الكتاب ، وهي في الواقع إشكالات واهية تنمّ عن تعصبّ أعمى بعيداً عن روح النقاش والتفاهم الحرّ الذي يسعى صاحبه للوصول إلى الحقيقة.

وأشرنا أيضاً إلى المناظرة العقائدية التي جرت سنة ١٤٢٣ هـ في قناة « المستقلة » بين بعض الوهابيّة وبعض أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، والذي كان للدكتور التيجاني دور مهم فيها.

شكر وتقدير

ختاماً فإننا نتقدّم بجزيل الشكر والتقدير لكافة الإخوة الأعزاء في « مركز الأبحاث العقائدية » الذين ساهموا في إحياء هذا الأثر وإخراجه بهذه الحلّة القشيبة ، وأخص بالذكر السيّد هاشم الميلاني الذي ساهم في استخراج بعض المصادر ، والشيخ لؤي المنصوري الذي أخذ على عاتقه عملية الاستخراج كاملةً وردّ الشبهات والإشكالات التي وجّهت لهذا الكتاب ، فجزاهم الله جميعاً خير الجزاء ، وجعله في ميزان أعمالهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم.

محمّد الحسّون

مركز الأبحاث العقائدية

٣ صفر ١٤٢٧ هـ

مقدّمة المؤلّف للطبعة المحقّقة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيّدنا محمّد ، وعلى آله الطيبيّن الطاهرين المعصومين.

أما بعد ، فإنّي أتقدّم لمركز الأبحاث العقائديّة في قم المقدسّة ـ تحت إشراف المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيّد علي السيستاني أطال الله عمره الشريف في صحة وعافية ليستفيد المسلمون من علومه وبركاته ـ بالشكر الجزيل ، كما وأشكر إدارة المركز وعلى رأسها سماحة السيّد جواد الشهرستاني ، وكذلك الشيخ الجليل فارس الحسّون [1] ، والعاملين معهم في مجال البحث والتحقيق ، والذين بذلوا وقتاً ثميناً وجهداً كبيراً في دراسة وتنقية كتبي الأربعة : (ثمّ اهتديت) و (مع الصادقين) كذلك (فاسألوا أهل الذكر) و (الشيعة هم أهل السنّة) ، وقد أوقفوني على بعض الهفوات

---

١ ـ كتبتُ هذه المقدّمة حينما كان الشيخ فارس الحسّون حيّاً ، إلاّ أنّه انتقل إلى رحمة الله تعالى قبل إكمال هذا العمل ، فأخذ أخوه الشيخ محمّد الحسّون على عاتقه إدارة المركز وإكمال أعماله ، فقام بمراجعة هذا الكتاب مراجعة علميّة وتهيئته للطبع ، فله من الله الأجر والثواب ومنّي جزيل الشكر والتقدير « المؤلّف ».

والأغلاط التي لا يخلو منها إلاّ كتاب الله ؛ ليصّح قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً** ﴾ [1] ، وليتبيّن لكلّ كاتب ومؤلّف مهما بلغت عنايته أنّه بشرٌ محدود القدرات وفي حاجة إلى المراجعة ، فإنّي ألفت انتباه القرّاء الكرام إلى تنقيح بعض المصادر التي وقع فيها الاشتباه ، إمّا لسهو أو لإهمال أو لأغلاط مطبعية ، لتكون هذه الكتب الأربعة المذكورة في حُلّة جديدة ومُنقّحة بدون تغيير المتون ولا تبديل الكلمات.

وهذه الخدمات الجليلة التي يعجز عنها الإنسان بمفرده قام بها مركز الأبحاث العقائديّة عبر مجموعة من أعضائه العاملين والمحقّقين ليكون دائماً عمل الجماعة محموداً أو مقدّماً على عمل الأفراد ، فإنّي أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا جميعاً لخدمة دينه العظيم ، ويجعلنا من خَدَمة هذا المذهب الشريف مذهب الحقّ المتمثّل في اتّباع محمّد وأهل بيته الأطهار ، الذين جعلهم الله سبحانه أئمة الهدى ومصابيح الدجى وسفينة النجاة لمن ركبها ، وإنّي باسمي واسم جميع القراء وجميع المسلمين نشكر مرّة أخرى مركز الأبحاث العقائديّة على الجهود التي قام ويقوم بها لإنارة السبيل وهداية الباحثين.

الفقير لرحمة ربّه

الدكتور محمّد التيجاني السّماوي

٢ جمادى الأول / ١٤٢٤

---

١ . النساء : ٨٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، الرحمان الرحيم ، قاهر الجبّارين والمتكبّرين ، ناصر المظلومين والمستضعفين ، المتفضّل على عباده أجمعين من المؤمنين والكافرين والمشركين والملحدين ، المنعم على خلقه كلّهم بالهداية والرعاية والتكريم ، قال جلّ وعلا : ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْناهُمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً** ﴾ [1].

والحمدُ لله الذي أسْجَدَ لنا ملائكته المقرّبين ، ومن أبى أصبح من الملاعين ، الحمدُ لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، والحمدُ لله الذي عبّد لنا الطريق ، ومهّد لنا السبيل لنصل بعنايته وتحت ظلّ عبادته إلى مراتب الكمال العليّة ، وأنار لنا الظلام ، وأوضح لنا الحقيقة بالحجج القويّة والبراهين الجليّة ، وأرسل لنا رُسُلا منّا تتلو علينا آياته ، وتخرجنا من الظلمات إلى النور ، وتنقذنا من الضلالة العميّة ، وجعل لنا العقل إماماً قائماً نهتدي به كلمّا شكّت حواسنا في أمر مُبهم أو قضيّة.

والصلاة والسلام ، والبركات والتحيّات على المبعوث رحمة للإنسانية ، سيّدنا ومولانا وقائدنا محمّد بن عبد الله ، خاتم الرسل وسيّد البشريّة ، صاحب الفضيلة والوسيلة والدرجة الرفيعة ، صاحب المقام المحمود ، واليوم

---

١ ـ الإسراء : ٧٠.

الموعود ، والشفاعة المقبولة ، والخلق العظيم.

وعلى آل بيته الطيّبين الطّاهرين ، الذين أعلى الله مقامهم وجعلهم أمان الأُمّة من الهلكة ، ومنقذي الملّة من الضلالة ، ونجاة المؤمنين من الغرق ، المتمسّك بحبل ولائهم مؤمن طيّب الولادة ، والناكب عن صراطهم منافقٌ رديء الولادة ، محبّهم ينتظر الرحمة ، ومبغضهم ليس له إلاّ النقمة ، لا يصلُ العبدُ إلى ربّه إلاّ من طريقهم ، ولا يدخلُ إلاّ من بابهم.

ثمّ الرضوان على شيعتهم ومحبّيهم من الصحابة الأوّلين الذين بايعوهم على نصرة الدّين ، وثبتوا معهم على العهد وكانوا من الشاكرين ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين.

اللّهمّ إنّا نرغب إليك في دولة كريمة تعزّ بها الإسلام وأهله ، وتذلُّ بها النفاق وأهله ، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك ، والقادة إلى سبيلك ، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة ، برحمتك يا أرحم الراحمين.

ربّ أشرح لي صدري ، ويسِّر لي أمري ، واحلل عقدةً من لساني يفقهوا قولي ، واجعل كلّ مَنْ يقرأ كتابي يميل إلى الحقّ بإذنك ، ويترك التعصّب بمنّك وإحسانك ، فإنّك أنتَ الوحيد القادرُ على ذلك ولا يقدر عليه سواك.

فبعزّتك وجلالك وبقدرتك وكمالك ، وبمحبّتك لعبادك افتح بصائر المؤمنين الموحّدين الذين آمنوا برسالة حبيبك محمّد على الحقّ الذي لا شكّ فيه ، حتّى يهتدوا إليه بفضلك ، ويعرفوا قيمة الأئمة من آل بيت نبيّك ، ويتوحّدوا لإعلاء كلمة الدّين بالحكمة البالغة ، والموعظة الحسنة ، والإخوّة الصادقة ، فلقد عمّ الفساد في البرّ والبحر ، ولولا الصبر الذي خلقته وألهمتنا إيّاهُ ، لدَبَّ اليأسُ إلى قلوبنا ولأصبحنا من الخاسرين ، لأنّه لا ييأسُ من

روح الله إلاّ القوم الكافرون ، فاجعلنا اللّهمّ من الصابرين ولا تجعلنا من اليائسين.

اللّهمّ كن لوليّك الحجّة بن الحسن ، صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كلّ ساعة ، وليّاً وحافظاً وقائداً وناصراً ، ودليلا وعيناً ، حتّى تُسكنَه أرضكَ طوعاً ، وتمتّعه فيها طويلا ، واجعلنا من أنصاره وأعوانه ، والمستشهدين بين يديه في طاعتك وسبيلك ، إنّك أنت السميع العليم.

ربّنا لا تزغ قُلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لَدُنْكَ رحمةً إنّك أنتَ الوهّابُ.

ربّنا إنّك جامعُ الناس ليوم لا ريبَ فيه ، إنّ الله لا يخلف الميعاد.

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربّ العالمين ، اللّهمّ صلّ على محمّد وآله الطيبين الطّاهرين.

المقدّمة

الحمدُ لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيّدنا ومولانا محمّد وعلى آله الطيّبين الطّاهرين.

وبعد ، لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « مِدادُ العلماء أفضلُ عند الله من دماء الشهداء » [1] كان لزاماً على كلّ عالم أو كاتب أن يكتب للناس مَا يراه صالحاً لهدايتهم ، وإصلاح ذات بينهم ، وجمع كلمتهم ، واخراجهم من الظلمات إلى النور ؛ لأنّ الإنسان إذا ما استُشهد في سبيل الله ، وهي دعوة الحقّ من أجل إقامة العدل ، فقد لا يتأثَّر به إلاّ الذي حضره ، ولكنّ العالم الذي يُعلّم الناس ويكتب قد يتأثّر بعلمه كثير من القرّاء من أبناء جيله ، ويبقى كتابه مناراً للأجيال اللاحقة جيلا بعد جيل إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها ، فكلّ شيء تنقصه النفقة إلاّ العلم فإنّه يزكو بالإنفاق.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لَئِن يهدي الله بك رجلا واحداً خيرٌ لك ممّا طلعت عليه الشمس » أو « خير لك من الدنيا وما فيها » [2].

فكم من كاتب تُوفّي منذ قرون عديدة ، وأصبحت عظامه رميماً ، ولكنّ

---

١ . في الأمالي للطوسي : ٥٢١ وغيره من المصادر بلفظ : « إذا كان يوم القيامة ، وُزن مداد العلماء بدماء الشهداء ، فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء ».

٢ . بحار الأنوار ٣٢ : ٤٤٨ ، وفي مسند أحمد ٥ : ٣٣٣ بلفظ : « خير لك من أن يكون لك حمر النعم ».

أفكاره وعلومه بقيت من خلال كتابه الذي قد يُطبَعُ مئات المرّات عبر الأجيال ، فيستلهم الناسُ منه الهداية والتوفيق.

وإذا كان الشهيد حيّاً عند ربّه يُرزق ، فكذلك العالم الذي كان سبباً في هداية الناس ، فهو حيٌّ عند ربّه وعند العباد يذكرونه بأحسن ذكر ، ويدعون له ويستغفرون.

أمّا أنا فلستُ من العلماء ولا أدّعي ذلك لنفسي ، وأعوذ بالله من الأنانيّة ، بل أنا من خدّام العلماء والباحثين في فضلاتهم ، واللاحسين من بقاياهم ، والمتّبعين خُطاهم كما يتبع الخادمُ سيّدَهُ.

ولما ألهمني الله لكتابة « ثمّ أهتديتُ » ولقيتُ تشجيعاً من عديد من القرّاء والباحثين ، ثمّ أردفته بالكتاب الثاني « لأكون مع الصادقين » والذي لقيَ هو الآخر قبولا حسناً ، ممّا شجّعني على مواصلة البحث والتنقيب ، فكتبتُ الكتاب الثالث « فاسألوا أهل الذكر » دفاعاً عن الإسلام وعن نبيّ الإسلام لإزالة الشُّبهات التي أُلصِقت بحضرته المقدّسة ، وكشف المؤامرة التي دُبّرت ضدّه وضدّ أهل بيته الأطهار.

وتلقّيتُ رسائل كثيرة من كلّ أنحاء العالم العربي والإسلامي ، تحملُ في طياتها عبارات الودّ والولاء والمحبّة والإخاء ، كما دُعيتُ لحضور العديد من المؤتمرات الفكريّة في أنحاء العالم والتي تُقيمها المؤسّسات الإسلامية ، فحضرتها في الولايات المتحدة الأمريكية ، وفي الجمهورية الإسلامية ، وفي بريطانيا ، وفي الهند والباكستان ، وفي كينيا وغرب إفريقيا والسويد.

وكلّما التقيت مجموعة من الشباب المثقَّف ومن رجال الفكر ، وجدت لديهم إعجاباً وتعطُّشاً لمزيد من المعرفة ، فيسألون هل من مزيد ، وهل هناك

كتابٌ جديد؟

فحمدتُ الله وشكرته على هذا التوفيق ، وطلبت منه مزيداً من العناية والهداية ، واستعنت به على هذا الكتاب الذي أضعه بين يدي المسلمين الباحثين ، والذي يدور في فلك الكتب الثلاثة السابقة ، عسى أن ينتفع به بعض المثقّفين والباحثين عن الحقّ ، ليعلموا أنّ الفرقة المستهدفة والتي تُسمّى بـ « الشيعة الإماميّة » هي الفرقة الناجية ، وأنّهم ـ أي الشيعة ـ هم أهل السنّة الحقيقيّة ، وأقصد بالسنّة الحقيقية السنّة المحمّديّة التي صدع بها نبيّ الإسلام بوحي من ربّ العالمين.

فهو لا ينطقُ عن الهوى إن هو إلاّ وحيٌ يوحى ، وسأُبيّن للقرّاء الكرام بأنّ الاصطلاح الذي اتّفق عليه مناوئوا الشيعة وخصومهم ، وتسمّوا بـ « أهل السنّة والجماعة » ما هي في الحقيقة إلاّ سنّة مزعومة سمّوها هم وآباؤهم ، ما أنزل الله بها من سلطان ، والنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم منها بريء.

فكم كُذبَ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ! وكم مُنِعَتْ أحاديثُه وأقواله وأفعاله أن تصل إلى المسلمين بحجّة الخوف من اختلاطها بكلام الله ، وهي حجّة واهية كبيتِ العنكبوت!! وكم من أحاديث صحيحة أصبحت في سلّة المهملات ولا يُقام لها وزن ولا يُعبأ بها؟! وكم من أوهام وخزعبلات أصبحت من بعده أحكاماً تنسبُ إليه صلى الله عليه وآله وسلم ؟!

وكم من شخصيّات وضيعة يشهد التاريخ بخسّتها وحقارتها ، أصبحتْ بعده سادة وقادة تقود الأُمّة ، ويُلتمس لأخطائها الأعذار والتأويلات!

وكم من شخصيّات رفيعة يشهد التاريخُ بسُمُوّها وشرف منبتها ، أصبحتْ بعدَه مهملةٌ لا يعبأُ بها ولا يُلتفتُ إليها ، بل تُكفّرُ وتُلعنُ من أجل مواقفها

النبيلة!! وكم من أسماء برّاقة جذّابة تُخفي وراءها الكفر والضلال! وكم من قبور تُزار وأصحابها من أهل النار!!

وقد عبَّر ربّ العزّة والجلالة عن كلّ ذلك بأحسن تعبير ، فقال : ﴿ **وَمِنَ الناسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَياةِ الدُّنْيا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلى ما فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصامِ * وَإِذا تَوَلّى سَعى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لا يُحِبُّ الفَسادَ * وَإِذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ المِهادُ** ﴾ [1].

ولعلّي لستُ مبالغاً إذا عملتُ بالحكمة القائلة : « لو عكستَ لأصبتَ » ، وعلى الباحث المحقّق أن لا يأخذ الأشياء على ما هي عليه بأنّها من المسلّمات ، بل عليه أن يعْكسها ويشكّك فيها في أغلب الأحيان ، ليصل إلى الحقيقة المطموسة التي لعبتْ فيها السياسة كلّ أدوارها.

وعليه أن لا يغترَّ بالمظاهر ولا بكثرة العدد ، فقد قال تعالى في كتابه العزيز : ﴿ **وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاّ يَخْرُصُونَ** ﴾ [2].

فقد يَلبسُ الباطلُ لباس الحقّ للتمويه والتضليل ، وقد ينجحُ في أغلب الأحيان لبساطة عقول الناس أو لحسن ظنّهم به ، وقد ينتصرُ الباطلُ أحياناً لوجود أنصار مؤيّدين لَهُ ، فما على الحقّ إلاّ الصبر وانتظار وعد الله بأن يزهق الباطل ، إنّ الباطل كان زهوقاً.

وأكبر مثل على ذلك ما حكاه القرآن الكريم في قصّة يعقوب وأولاده ، إذ ﴿ **وَجاؤُوا أَباهُمْ عِشاءً يَبْكُونَ * قالُوا يا أَبَانَا إِنّا ذَهَبْنا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنا يُوسُفَ عِنْدَ**

---

١ . البقرة : ٢٠٤ . ٢٠٦.

٢ . الأنعام : ١١٦.

مَتاعِنا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَما أَنْتَ بِمُؤْمِن لَنا وَلَوْ كُنّا صادِقِينَ ﴾ [1].

وكان من المفروض لو كانوا أهل الصدق أن يقولوا : « وما أنتَ بمؤمن لنا لأنّا كاذبون ».

فما كان من سيّدنا يعقوب ، وهو نبيُّ الله يُوحَى إليه ، إلاّ أن استسلم إلى باطلهم واستعان بالله على الصبر الجميل رغم علمه بأنّهم كاذبون ، قال : ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [2].

وماذا عساه أنْ يفعل أكثر من ذلك ، وهو يواجه أحَدَ عشر رجلا اتّفقوا كلّهم على كلمة واحدة ، ومثّلوا مسرحيّة القميص والدّم ، وكلّهم يبكون على أخيهم المفقود.

فهل يكشف يعقوب كذبهم ويدحض باطلهم ، ويُسارع إلى الجبّ ليخرج ابنه الصغير الحبيب لقلبه ، ثمّ يُعاقبهم على فعلتهم الشنيعة؟

كلاّ ، إنّ ذلك فعل الجاهلين الذين لا يهتدون بحكمة الله ، أمّا يعقوب فهو نبيّ يتصرّف تصرُّف الحكماء العلماء ، وقد قال الله في شأنه : ﴿ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْم لِما عَلَّمْناهُ وَلكِنَّ أَكْثَرَ الناسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [3].

فما كان من علمه وحكمته إلاّ أن تولّى عنهم وقال : ﴿ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [4].

ولو تصرّف يعقوبُ مع أبنائه كما قدّمنا بأن أخرج ابنه من الجبّ ،

---

١ . يوسف : ١٦ . ١٧.

٢ . يوسف : ١٨.

٣ . يوسف : ٦٨.

٤ . يوسف : ٨٤.

وعنّفهم على كذبهم ، وعاقبهم على جريمتهم لاشتدّ بُغضهم لأخيهم ، ولوصل بهم الأمر إلى اغتيال أبيهم ، وربّما عبروا عن ذلك بقولهم لأبيهم : ﴿ قَالُواْ تَاللّه تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾ [1].

ومن كلّ هذا نستنتجُ بأنّ السكوت في بعض الأوقات مستحبٌّ إذا كان في معارضة الباطل مفسدة أو هلاك ، أو كان في السكوت عن الحقّ مصلحة عامة ولو آجلة.

ولابدّ أن يُفهم من الحديث النبوي الشريف القائل : « الساكتُ عن الحقّ شيطانٌ أخرس » هذا المدلول الذي يتّفق مع العقل ومع كتاب الله المجيد.

ولو تتبعنا حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لوجدناه يسكتُ في كثير من الأوقات لمصلحة الإسلام والمسلمين ، حسبما يُروى في الصحاح من السيرة النبويّة كصلح الحديبية وغيرها.

ورحم الله أمير المؤمنين عليّاً الذي سكت بعد وفاة ابن عمه ـ بأبي هو وأمّي ـ وقال في ذلك قولته المشهورة : « وطفقتُ أرتأي بين أن أصول بيد جذّاء أو أصبر على طخية عمياء ، يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه ، فرأيتُ أن الصبر على هاتا أحجى ، فصبرتُ وفي العين قذى وفي الحلق شجا ... » [2].

ولو لم يسكت أبو الحسن عن حقّه في الخلافة ، وقدّم في ذلك مصلحة الإسلام والمسلمين ، لما كان للإسلام بعد محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أنْ يعيش أبداً على ما رسمه الله ورسوله.

---

١ ـ يوسف : ٨٥.

٢ ـ نهج البلاغة ١ : ٣١ ، الخطبة : ٣.

وهذه هي الحقيقة التي يجهلها أكثر الناس الذين يحتجّون علينا دائماً بصحّة خلافة أبي بكر وعمر لأنّ عليّاً سكتَ عنهما ، ويضيفون كما يحلو لهم : « لو كان الرسول ﷺ عيَّن عليّاً للخلافة بعده لما جاز له أن يسكتَ عنها لأنّها من حقّه ، والساكت عن الحقّ شيطان أخرس » هذا ما يقولونه ويردّدونه.

وهذا لعمري هو الفهم الخاطئ للذي لا يعرف من الحقّ إلاّ الذي يتماشى مع ميوله وهواه ، ولا يُدركُ الحكمة التي تتمخّضُ عن ذلك السكوت ، والمصالح الآجلة التي لا تُقدّر بقيمة إذا ما قيستْ بالمصلحة العاجلة نتيجة الثورة على الباطل الذي له أنصارٌ ومؤيّدون كثيرون.

وإذا كان سكوت رسول الله ﷺ يوم الحديبية على الحقّ وقبوله بشروط قريش وباطل المشركين ، حتى ثارتْ ثورة عمر بن الخطّاب فقال للرسول : « أولستَ نبيّ الله حقاً؟! أولسنا على الحقّ وهم على الباطل؟ فلماذا نعطي الدنيّة في ديننا؟ » [1].

أقول : إذا كان سكوتُه ﷺ سلبياً بنظر عمر بن الخطّاب وأغلب الصحابة الذين حضروه ، فإنّ الواقع يثبتُ بلا شكّ أنّه إيجابيّ لمصلحة الإسلام والمسلمين وإن لم تكن تلك المصلحة عاجلة ، فقد ظهرت نتائجه الإيجابية بعد عام واحد ، عند ما فتح رسول الله ﷺ مكّة المكرّمة بدون حرب ولا مقاومة ، ودخل الناسُ في دين الله أفواجاً ، عند ذلك استدعى رسول الله ﷺ عمر بن الخطّاب ، وأطلعه على نتائج سكوته على الحقّ والحكمة من وراء ذلك.

---

١ ـ مسند أبي يعلى ١ : ٣٦٥ ، صحيح ابن حبان ١١ : ٢٤٤ ، البداية والنهاية ٤ : ٢٠٠.

ونحن إذ نقدِّمُ هذه الاستدلالات للتعبير عن الواقع الذي لا مفرّ منه ، ألا وهو انتصار الباطل على الحقّ إذا وُجِدَ لَه أنصارٌ ومؤيّدون ، فبالرغم من أنّ علياً مع الحقّ والحقّ معه يدور حيث دار ، إلاّ أنّه لم يجد له أنصاراً ومؤيّدون لمقاومة معاوية وباطله ، ولأنّ هذا الأخير وجدَ أنصاراً كثيرين لمقاومة الحقّ ودحضه ، فالناس عبيد الدنيا والدّين لعقٌ على ألسنتهم ، فهم لا يحبّون الحقّ ويميلون مع الباطل ، فالحقّ مرٌّ وصعبٌ ، والباطل سهل ميسور.

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ [1].

وانتصر باطل يزيد على حقّ الحسين لنفس الأسباب ، كما انتصر باطل الحكّام الأمويين والعبّاسيين على حقّ الأئمّة من أهل البيت الذين استشهدوا كلّهم ساكتين لمصلحة الإسلام والمسلمين.

كما غاب الإمام الثاني عشر واختفى خوفاً من الباطل ، وسكت حتّى يجد لنصرةِ الحقّ أعواناً ومؤيّدين ، عند ذلك يأذن اللهُ له بالخروج لتكون ثورة الحقّ ضدّ الباطل عالمية ، فيملأها عدلا وقسطاً كما مُلِئَتْ ظُلماً وجوراً ، وبتعبير آخر : يملأها حقّاً بعد ما مُلِئَتْ بالباطل.

وبما أنّ أكثر الناس للحقّ كارهون فهم أنصار الباطل ، ويبقى في الناس عدد قليل محبّ للحقّ ، فلا ينتصرون على أهل الباطل إلاّ بإعانة الله لهم عن طريق المعجزات ، وذلك ما سجّله كتاب الله الكريم في كلّ المعارك والحروب التي جمعتْ أهل الحقّ ضدّ أهل الباطل : ﴿ كَم مِّن فِئَة قَلِيلَة غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [2].

---

١ ـ المؤمنون : ٧٠.

٢ ـ البقرة : ٢٤٩.

فالذين يصبرون على الحقّ رغم قلّة أعوانه ينصرهم الله سبحانه بالمعجزات ، فيبعث الملائكة المسوّمين يُقاتلون معهم ، ولولا تدخّل الله مباشرة لما انتصر الحقّ على الباطل أبداً.

وها نحنُ نعيش اليوم هذه الحقيقة المؤلمة ، والمؤمنون الصادقون أنصار الحقّ مغلوبون على أمرهم ، ومقهورون مشرّدون ومنكوبون ، بينما أنصار الباطل الذين يكفرون بالله يحكمون ويلعبون بمصير الشعوب وبأرواحهم ، ولا يمكن للمؤمنين المستضعفين أن ينتصروا في معركتهم ضدّ الكافرين المستكبرين إلاّ بإعانة الله تعالى ، ولذلك وردتْ الروايات بأنّ المعجزات ستظهر بظهور المهدي عليه السلام .

وليستْ هذه دعوةً للركود والانتظار ، كيف يصحّ ذلك وقد قدّمتُ آنفاً بأنّه لا يظهر إلاّ بوجود الأنصار والأعوان ، ويكفي المؤمنين الصادقين أن يحملوا فكر الإسلام الصحيح المتمثِّل في ولاية أهل البيت . أعني بذلك التمسُّك بالثّقلين كتاب الله وعترة النبيّ . ليكونوا من أنصار وأعوان المهدي المنتظر (عليه وعلى آبائه أفضل الصلاة وأزكى السلام).

أقول قولي هذا واستغفر الله إن كنت مُخطئاً على رأي الأكثرية من الناس ، ومُصيباً على رأي الأقليّة منهم ، فلا أُبالي بلوم الأكثرية ، ولا أُباهي بمدح الأقلية ما دمت أبتغي رضى الله ورسوله ، ورضى الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام .

أمّا رضى الناس فهو غاية لا تُدرك ، لأنّ الناس لا يرضون إلاّ عمّا يعجبهم ، ولا يميلون إلاّ مع أهوائهم ، وأهواؤهم شتى ﴿ **وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ**

لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ... ﴾ [1].

وإذا كان أغلب الناس معرضين عن الحقّ ، حتّى وصل بهم الأمر إلى قتل رُسُل الله معاندة للحقّ الذي لا يتماشى مع أهوائهم ، قال تعالى : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ﴾ [2].

فلا غضاضة عليّ إنْ أُهنتُ أو لُعنتُ على لسان البعض منهم ، الذين لم يتحمّلوا الحقّ الذي صدعتُ به في كُتُبي السابقة ، وقد أعيتهم الحيلة في الردّ عليَّ بالحجّة والدليل العلمي ، فلجأوا للسبّ والشتم كما هي عادة الجاهلين.

فلا ولن أخضع للمساومات ولا للترهيب والترغيب ، وسأكون المدافع بلساني وقلمي عن رسول الله وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين) ، عسى أن أحظى لديهم بالقبول فأكون من الفائزين ، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلتُ وإليه أُنيب.

محمّد التيجاني السماوي التونسي

---

١ ـ المؤمنون : ٧١.

٢ ـ البقرة : ٨٧.

التعريف بالشّيعة

إذا أردنا الكلام عن الشيعة [1] بدون تعصّب ولا تكلّف ، قلنا : هي الطائفة الإسلامية التي تُوالي وتقلّد الأئمة الاثني عشر من أهل بيت المصطفى علياً وبنيه ، وترجع إليهم في كلّ المسائل الفقهيّة من العبادات والمعاملات ، ولا يفضّلون عليهم أحداً سوى جدّهم صاحب الرسالة محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

هذا هو التعريف الحقيقي للشيعة بكلّ اختصار ، ودعك من أقوال المرجفين والمتعصّبين من أنّ الشيعة هم أعداء الإسلام ، أو أنّهم يعتقدون بنبوّة علي وأنّه صاحب الرسالة ، أو أنّهم ينتمون إلى عبدالله بن سبأ اليهودي.

وقد قرأت كتُباً ومقالات عديدة يُحاول أصحابها بكلّ جهودهم تكفير الشيعة وإخراجهم من الملّة الإسلامية.

ولكن أقوالهم كلّها محض افتراء وكذبٌ صريح ، لم يأتوا عليه بحجّة ولا بدليل ، سوى أنّهم يُعيدون ما قاله أسلافهم من أعداء أهل البيت ، والنواصب الذين تسلّطوا على الأُمّة وحكموها بالقوّة والقهر ، وتتبّعوا عترة النبيّ ومن

---

١ ـ ونقصد بالشيعة هنا : (الإماميّة الاثني عشرية) والمسمّاة أيضاً بالجعفرية نسبة للإمام جعفر الصادق عليه السلام ، ولا يتعلّق بحثنا بالفرق الأُخرى كالإسماعيلية والزيدية ولا يهمّنا من أمر هؤلاء ما دمنا نعتقد بأنّهم كسائر الفرق الأُخرى التي لم تتمسّك بحديث الثقلين ، ولا ينفع اعتقادهم بإمامة علي عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة (المؤلّف).

تشيّع لهم ، فقتلوهم وشرّدوهم ، ونبزوهم بكلّ الألقاب.

ومن هذه الألقاب التي تتردّد كثيراً في كتب أعداء الشيعة لقب الرافضة ، أو الروافض ، فيخيّل للقارئ لأوّل وهلة أنّ هؤلاء رفضوا قواعد الإسلام ولم يعملوا بها ، أو أنّهم رفضوا رسالة النبيّ محمّد ﷺ ولم يقبلوا بها.

ولكنَّ الواقع على غير هذا ، إنّما لُقِّبوا بالرّوافض ؛ لأنّ الحكّام الأوّلين من بني أُميّة وبني العبّاس ، ومن يتزلّف إليهم من علماء السوء أرادوا تشويههم بهذا اللقب ؛ لأنّ الشيعة والوا عليّاً ورفضوا خلافة أبي بكر وعمر وعثمان أوّلا ، كما رفضوا خلافة كلّ الحكّام من بني أُميّة وبني العبّاس ولم يقبلوا بها ثانياً.

ولعلّ هؤلاء كانوا يُموّهون على الأُمّة بإعانة بعض الوضّاعين من الصحابة بأنّ خلافتهم شرعيّة لأنّها بأمر الله سبحانه ، فكانوا يُروّجون بأنّ قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ** ﴾ [1] تخصّهم ونازلة في حقّهم ، فهم أولو الأمر الواجبة طاعتهم على كلّ المسلمين ، وقد استأجروا من يروي لهم كذباً عن رسول الله ﷺ قول : « ليس أحد خرج من السلطان شبراً فمات عليه إلاّ مات ميتةٌ جاهلية » [2] ، فليس من حقّ أيّ مسلم أن يخرج عن طاعة السلطان.

وبهذا نفهمُ بأنّ الشيعة إنّما استُهدفوا من قبل الحكّام ؛ لأنّهم رفضوا بيعتهم

---

١ ـ النساء : ٥٩.

٢ ـ مسند أحمد ١ : ٣١٠ وصرح محقق الكتاب العلاّمة أحمد محمّد شاكر بصحته ، صحيح البخاري ٨ : ٨٧ (كتاب الفتن ، باب قول النبيّ ﷺ : سترون بعدي أموراً تنكرونها).

ولم يقبلوا بها ، واعتبروها اغتصاباً لحقِّ أهل البيت ، فكان الحكّام وعلى مرّ العصور يوهمونَ العامّة بأنّ الشيعة رافضون للإسلام ، بل يريدون هدمه والقضاء عليه ، كما عبّر عن ذلك بعض الكتّاب والمؤرّخين ممّن يدّعي العلم من السابقين واللاّحقين.

وإذا رجعنا إلى لعبة تلبيس الحقّ بالباطل ، فسندرك بأنّ هناك فرقاً بينَ مَنْ يُريد هدم الإسلام ، وبين مَنْ يريد هدم الحكومة الجائرة الفاسقة التي تعمل ضدّ الإسلام.

فالشيعة لم يخرجوا على الإسلام ، إنّما خرجوا على الحكّام الجائرين ، وهدفهم إرجاع الحقّ إلى أهله لإقامة قواعد الإسلام بالحاكم العادل ، وعلى كلّ حال فالذي عرفناه خلال البحوث السابقة من كتاب « ثمّ اهتديت » ، و « مع الصادقين » ، و « أهل الذكر » ، أنّ الشيعة هم الفرقة الناجية ؛ لأنّهم تمسّكوا بالثّقلين : كتاب الله وعترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وإذا أنصفنا المنصفين ، فإنّ البعض من علماء « أهل السنّة » يعترف بهذه الحقيقة ، فقد قال ابن منظور في كتابه « لسان العرب » في تعريف الشيعة :

« والشيعة هم : قومٌ يهوون هوى عترة النبيّ ويوالونهم » [1].

كما يقول الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور بعد استعراض هذا المقطع من الكتاب المذكور : « وإذا كان الشيعة هم الذين يهوون هوى عترة النبيّ ويوالونهم ، فَمَنْ من المسلمين يرفض أن يكون شيعيّاً؟! ».

هذا وقد ولّى عصر التعصّب والعداوة الوراثيّة ، وأقبل عهد النور والحرية

---

١ ـ لسان العرب ٨ : ١٨٩ ، مادة (شيع).

الفكرية ، فعلى الشباب المثقّف أن يفتح عينيه ، وعليه أن يقرأ كتب الشيعة ويتّصل بهم ، ويتكلّم مع علمائهم كي يعرف الحقّ من بابه ، فكم خُدِعْنا بالكلام المعسول ، وبالأراجيف التي لا تثبتُ أمام الحجّة والدليل.

والعالم اليوم في متناول الجميع ، والشيعة موجودون في كلّ بقاع الدنيا من هذه الأرض ، وليس من الحقّ أن يسأل الباحث عن الشيعة أعداء الشيعة وخصومهم الذين يخالفونهم في العقيدة ، وماذا ينتظر السائل من هؤلاء أن يقولوا في خصومهم منذ بداية التاريخ؟

فليست الشيعة فرقة سرّيّة لا يطلع على عقائدها إلاّ مَنْ ينتمي إليها ، بل كتبها وعقائدها منشورة في العالم ، ومدارسُها وحوزاتها العلمية مفتوحة لكلّ طلاّب العِلم ، وعلماؤهم يُقيمون الندوات والمحاضرات والمناظرات والمؤتمرات ، ويُنادون إلى كلمة سواء وإلى توحيد الأُمّة الإسلامية.

وأنا على يقين بأنّ المنصفين من الأُمّة الإسلامية إذا ما بحثوا في الموضوع بجدّ ، سوف يستبصرون إلى الحقّ الذي ليس بعده إلاّ الضلال ؛ لأنّ مانعهم من الوصول هو فقط وسائل الدعاية المغرضة والإشاعة الكاذبة من أعداء الشيعة ، أو تصرّفٌ خاطئ من بعض عوام الشيعة [1].

ويكفي في أغلب الأحيان أنْ تُزاح شُبهة واحدة ، أو تنمحي خرافة باطلة ، حتى ترى مَن كان عدوّاً للشّيعة يصبحُ منهم.

ويحضرني في هذا الصدد قصة الشامي الذي ضلّلته وسائل الإعلام في

---

١ ـ ستعرف في آخر هذا الكتاب بأنّ أعمال بعض العوام من الشيعة ينفّر الشباب المثقّف من أهل السنّة ولا يشجّعهم على مواصلة البحث للوصول إلى الحقيقة (المؤلّف).

ذلك العهد ، عندما دخل المدينة المنوّرة لزيارة قبر الرسول الأعظم ﷺ وجد رجلا يركب فرسه عليه هيبة ووقار ، وحوله كوكبة من أصحابه يحوطونه من كلّ جانب وهم طوع إشارته.

استغرب الشامي وتعجّب أن يكون في الدّنيا رجلٌ له من الهالة والتعظيم أكثر من معاوية في الشام ، فسأل عن الرجل ، فقيل له : إنّه الحسن بن علي بن أبي طالب ، قال : هذا هو ابن أبي تراب الخارجي؟ ثمّ أولغ سبّاً وشتماً في الحسن وأبيه وأهل بيته.

وشهر أصحاب الحسن سيوفهم كلّ يريد قتله ، ومنعهم الإمام الحسن ونزل عن جواده ، فرحب به ولاطفه قائلا له :

يبدو أنّك غريب عن هذه الديار يا أخا العرب؟ قال الشامي : نعم أنا من الشام من شيعة أمير المؤمنين وسيّد المسلمين معاوية بن أبي سفيان ، فرحّب به الإمام من جديد وقال له : أنت من ضيوفي ، وامتنع الشامي ولكنّ الحسن لم يتركه حتّى قَبِلَ النزول عنده ، وبقي الإمام يخدمه بنفسه طيلة أيام الضيافة ويلاطفه ، فلمّا كان اليوم الرابع بدا على الشامي الندم والتوبة ممّا صدر منه تجاه الحسن بن علي ، وكيف يسبّه ويشتمه فيقابله بالإحسان والعفو وحُسن الضيافة ، فطلب من الحسن ورجاه أن يُسامحه على ما صدر منه ، وكان بينهما الحوار التالي بمحضر من أصحاب الحسن :

الحسن : أقرأتَ القرآن يا أخا العرب؟

الشامي : أنا أحفظ القرآن كلّه.

الحسن : هل تعرف من هم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم؟

الشامي : إنّهم معاوية وآل أبي سفيان.

استغرب الحاضرون وتعجّبوا ، وابتسم له الحسن قائلا : أنا الحسن بن علي ، وأبي هو ابن عمّ رسول الله وأخوه ، وأُمّي فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين ، وجدّي رسول الله سيّد الأنبياء والمرسلين ، وعمّي حمزة سيّد الشهداء ، وجعفر الطيار ، ونحن أهل البيت الذي طهّرنا الله سبحانه ، وافترض مودّتنا على كلّ المسلمين ، ونحن الذين صلّى الله وملائكته علينا وأمر المسلمين بالصلاة علينا ، وأنا وأخي الحسين سيّدا شباب أهل الجنّة.

وعدّد له الإمام الحسن بعض فضائل أهل البيت ، وعرّفه حقيقة الأمر ، فاستبصر الشامي وبكى ، وأخذ يقبّل أنامل الحسن ويلثم وجهه معتذراً عمّا صدر منه في حقّه قائلا :

والله الذي لا إله إلاّ هو إنّي دخلتُ المدينة وليس لي على وجه الأرض أبغض منكم ، وها أنا أخرج منها وليس على وجه الأرض أحبّ إليَّ منكم ، وإنّي أتقرَّب إلى الله سبحانه بحبّكم ومودّتكم وموالاتكم ، والبراءة من أعدائكم.

التفتَ الإمام الحسن إلى أصحابه قائلا : لقد أردتم قتله وهو بريء ؛ لأنّه لو عرف الحقّ ما كان ليعانده ، وإنّ أكثر المسلمين في الشام مثله لو عرفوا الحقّ لاتّبعوه.

ثمّ قرأ قول الله تعالى : ﴿ **وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾ [1] [2].

---

١ . فصلت : ٣٤.

٢ . راجع بحار الأنوار ٤٣ : ٣٤٤.

نعم ، هذا هو الواقع الذي يجهله أكثر الناس مع الأسف ، فكم من إنسان يُعادي الحقّ ويُعانده ردحاً من عمره ، حتّى يكتشف في يوم من الأيام أنّه على خطأ فيُسارع بالتوبة والاستغفار ، وهذا هو واجب كلّ إنسان فقد قيل : « الرجوع للحقّ فضيلة ».

وإنّما المصيبة في الذين يرون الحقّ عياناً ويلمسونه بأيديهم ، ثمّ يقفون ضدّه ويحاربونه من أجل أغراض خسيسة ، ودنيا دنيئة ، وأحقاد دفينة.

وهذا النمط من الناس قال في حقّهم ربّ العزّة والجلالة : ﴿ **وَسَوَاء عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [1].

فلا فائدة في تضييع الوقت معهم ، وحرق الأعصاب من أجلهم ، وإنّما الواجب علينا أن نضحّي بكلّ شيء مع أُولئك المُنصفين الذين يبحثون عن الحقّ ، ويبذلون جهدهم للوصول إليه ، والذين قال في حقهم ربّ العزّة والجلالة : ﴿ **إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَة وَأَجْر كَرِيم** ﴾ [2].

فعلى المستبصرين من الشيعة في كلّ مكان أن ينفقوا من أوقاتهم ومن أموالهم في سبيل التعريف بالحقّ لكلّ أبناء الأُمّة الإسلامية ، فلم يكن أئمّة أهل البيت حكرة على الشيعة وحدهم ، إنّما هم أئمّة الهدى ومصابيح الدّجى لكلّ المسلمين.

وإذا بقي الأئمّة من أهل البيت مجهولين لدى عامّة المسلمين ، وخصوصاً

---

١ . يس : ١٠.

٢ . يس : ١١.

منهم المثقّفين من أبناء « أهل السنّة والجماعة » فإنّ الشيعة يتحمّلون مسؤولية ذلك عند الله.

كما إذا بقي الناس كفّاراً وملحدين ، لا يعرفون دين الله القويم الذي جاء به محمّد ﷺ سيّد المرسلين ، فالمسؤولية تقع على كلّ المسلمين.

التعريف بأهل السنّة

هم الطائفة الإسلامية الكبرى التي تمثِّل ثلاثة أرباع المسلمين في العالم ، وهم الذين يرجعون في الفتوى والتقليد إلى أئمّة المذاهب الأربعة : أبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل.

وقد تفرّع عنها فيما بعد ما يسمَّى بالسّلفية ، التي جدّد معالمها ابن تيميّة الذي يسمّونه مجدّد السنّة ، ثمّ الوهّابية التي ابتدعها محمّد بن عبد الوهّاب ، وهو مذهب السعودية.

وكلّ هؤلاء يُسمّون أنفسهم « بأهل السنّة » ، وفي بعض الأحيان يضيفون كلمة الجماعة ، فيُقال : « أهل السُنّة والجماعة ».

ويتبيّنُ لنا من خلال البحث التاريخي أنّ كلّ مَن انتمى إلى ما يُسمّى عندهم بالخلافة الراشدة ، أو الخلفاء الراشدين وهم : « أبو بكر وعمر وعثمان وعلي » [1] واعترف بإمامتهم ، سواء في عهدهم أو في عصرنا ، فهو سنّي من « أهل السنّة والجماعة ».

وكلّ من رفض تلك الخلافة واعتبرها غير شرعية ، وقال بثبوت النصّ على علي بن أبي طالب ، فهو شيعي من أهل الرفض.

ويتبيّن لنا أيضاً أن كلّ الحكّام ، من أبي بكر وإلى آخر خلفاء بني

---

١ . سيتبيّن لنا في أبحاث لاحقة بأنّ « أهل السنّة والجماعة » لم يُلحِقوا عليَّ بن أبي طالب بالخلفاء الراشدين الثلاثة إلاّ في زمن متأخّر جدّاً (المؤلّف).

العبّاس ، هم راضون على أهل السنّة ومتّفقون تماماً معهم ، وغاضبون ومُنتقمون من الذين تشيّعوا لعلي بن أبي طالب وبايعوه بالخلافة ، كما بايعوا أولاده من بعده.

وعلى هذا الأساس فإنّ علي بن أبي طالب وشيعته لم يكونوا معدودين عندهم من « أهل السنّة والجماعة » ، وكأنّ هذا الاصطلاح ـ يعني « أهل السنّة والجماعة » قد وُضِعَ في مقابل علي وشيعته ، وهو حسب أعتقادي السَّبب الرئيسي في تقسيم الأُمّة الإسلامية بعد وفاة الرسول إلى سنّة وشيعة.

وإذا رجعنا لتحليل الأسباب ، وكشف الأستار حسب المصادر التاريخية الموثوقة ، لوجدنا أنّ هذا التقسيم ظهر عقيب وفاة الرسول ﷺ مباشرة وبدون فصل ، إذ أنّ الأمر استتبّ لأبي بكر باعتلائه منصّة الخلافة ، وأيّدتْه الأغلبيّة الساحقة من الصحابة ، وعارضه علي بن أبي طالب وبنو هاشم ، وقلّة قليلة من الصحابة الذين كانوا في أغلبهم من الموالي.

وبديهي أنّ السلطة الحاكمة أقصت هؤلاء وأبعدتهم واعتبرتهم خارجين من الصفّ الإسلامي ، وعملت كلّ جهودها على شلّ معارضتهم بكلّ الأساليب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

ومن المعلوم أنّ « أهل السنّة والجماعة » اليوم لا يُدركون الأبعاد السياسيّة التي لعبتْ في تلك العصور ، ومدى العداوة والبغضاء التي أولدتها تلك الأدوار الخبيثة في عزل وإبعاد أعظم شخصية عرفها تاريخ البشرية بعد الرسول محمّد ﷺ .

و « أهل السنّة والجماعة » في هذا العصر يظنّون أو يعتقدون بأنّ الأُمور كانت على أحسن ما يُرام ، وأنّها تدور وفقَ الكتاب والسنّة في زمن الخلفاء

الراشدين ، وأنّ هؤلاء كانوا يتشبّهون بالملائكة ، فكانوا يحترمون بعضهم ، ولم تكن بينهم أحقاد ، ولا مطامع ولا نوايا سيّئة.

ولكلّ ذلك تراهم يرفضون كلّ ما يقوله الشيعة في الصحابة عامّة ، وفي الخلفاء الراشدين منهم خاصّة.

وكأنّ « أهل السنّة والجماعة » لم يقرأوا كتب التاريخ التي سجّلها علماؤهم ، واكتفوا فقط بما يسمعونه من أسلافهم من مديح وإطراء وإعجاب بعامّة الصحابة وخصوصاً منهم الخلفاء الراشدين ، ولو فتحوا قلوبهم وأبصارهم ، وتصفّحوا تاريخهم وكتب الحديث عندهم ، طلباً للحقّ ومعرفة الصواب ، لغيروا عقيدتهم ليس في الصحابة فحسب ، ولكن في كثير من الأحكام التي يعتبرونها صحيحة وما هي كذلك.

وإنّي أحاول بهذا المجهود المتواضع أن أُبيّن لإخواني من « أهل السنّة والجماعة » بعض الحقائق التي طفحتْ بها كتب التاريخ ، وأخرج لهم باختصار وجيز النصوص الجليّة التي تدحض الباطل وتظهر الحقّ ، عسى أن يكون في ذلك الدّواء الناجع لتشتّت المسلمين واختلافهم ، ويعمل على توحيدهم وجمع كلمتهم.

وإنّ « أهل السنّة والجماعة » كما أعرفهم اليوم ليسوا متعصّبين ، وليسوا ضدّ الإمام علي وأهل البيت ، بل إنّهم يحبّونهم ويحترمونهم ، ولكنّهم في نفس الوقت يحبّون ويحترمون أعداء أهل البيت ، ويقتدون بهم باعتبار « كلّهم من رسول الله ملتمسٌ ».

و « أهل السنّة والجماعة » لا يعملون بقاعدة الولاء لأولياء الله والبراءة من أعداء الله ، بل يُلْقُون بالمودّة للجميع ، ويترضّون على معاوية بن أبي سفيان كما يترضّون على علي بن أبي طالب.

وقد بهرتهم هذه التسمية البرّاقة (أهل السنّة والجماعة) ولم يعرفوا خفاياها ودسائسها التي وضعها دُهاة العرب ، ولو علموا يوماً بأنّ علي بن أبي طالب هو محض السنّة المحمّدية ، وهو بابها الذي يؤتى منه للدخول إليها ، قد خالفوه في كلّ شيء وخالفهم ، لتراجعوا عن موقفهم ولبحثوا الموضوع بجدّ ، ولما وجدتَ « أهل السنّة » إلاّ شيعةً لعلي وللرسول ﷺ .

ولكلّ ذلك لابدّ من كشف حقيقي لتلك المؤامرة الكبرى التي لعبتْ أخطر الأدوار في إقصاء السنّة المحمّدية ، وإبدالها ببدع جاهلية سبّبتْ نكسة المسلمين وارتدادهم عن الصراط المستقيم ، وتفرّقهم واختلافهم ، ثمّ تكفير ومقاتلة بعضهم البعض ، الشيء الذي سبّب تخلّفهم العلمي والتقني ممّا أدّى إلى احتلالهم وغزوهم ، ثمّ إذلالهم وتحقيرهم وتذويبهم.

وبعد هذا الاستعراض الوجيز للتعريف بالشّيعة وبالسنّة ، لابدّ من الملاحظة بأنّ اسم الشيعة لا يعني معارضة السنّة ، كما يتوهّم عامّة الناس عندما يتباهون بقولهم : نحن أهل السنّة ؛ ويقصدون بأنّ غيرهم ضدّ السنّة ، فهذا لا يوافق عليه الشيعة أبداً ، بل إنّ الشيعة يعتقدون بأنّهم وحدهم المتمسكّين بسنّة النبيّ الصحيحة ؛ لأنّهم أتوها من بابها وهو علي بن أبي طالب ولا بابَ سِواه ، وعلى رأيهم لا يمكن الوصول إلى الرسول إلاّ عن طريقه.

ونحن كالعادة في توخّي الحياد للوصول إلى الحقّ ، لابدّ أن نتدرّج بالقارئ العزيز ، ونستعرض معه بعض الأحداث التاريخية ، ونقدّم إليه الدّليل والبرهان على أنّ الشيعة هم أهل السنّة ، كما جاء عنوان الكتاب.

ونترك له بعد ذلك حريّة الاختيار والتعليق.

أوّل حادث

فرّق المسلمين إلى شيعة وسنّة

ذلك هو الموقف الرهيب والخطير الذي وقفهُ عمر بن الخطّاب ، وأكثر الصحابة تجاه أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما أراد أن يكتب لهم ذلك الكتاب الذي يعصم المسلمين من الضلالة [1].

وعارضوه بشدّة وقساوة ، وعدم احترام لمقامه السامي ، حتى اتّهموه بالهجر والهذيان ، مُدّعين بأنّ كتاب الله يكفيهم فلا حاجة لكتابة الرسول!!

ومن خلال هذه الحادثة التي سمّاها ابن عباس رزيّة المسلمين ، يتبيّن لنا بأنّ الأكثرية من الصحابة يرفضون السنّة النبويّة ويقولون : « حسبنا كتاب الله ».

أمّا علي وأتباعه من الصحابة وهم الأقليّة ، والذين سماهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشيعة علي ، فكانوا يمتثلون أوامر الرسول بدون اعتراض ولا نقاش ، ويعتبرون كلّ أقواله وأفعاله سنّة واجبة الاتّباع تماماً ككتاب الله ، ألم يقل كتاب الله :

---

١ ـ رزية يوم الخميس مذكورة في صحيح البخاري ٥ : ١٣٨ (كتاب المغازي ، باب مرض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ووفاته) ، وصحيح مسلم ٥ : ٧٦ (كتاب الوصية ، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ [1].

وسيرة عمر بن الخطّاب معروفة عند كلّ المسلمين ، ومواقفه المعارضة للنّبي في كلّ أدوار حياته مشهورة [2].

وبطبيعة الحال فإنّ عمر بن الخطّاب كان يرى عدم التقيّد بالسنّة النبويّة ، ويظهر ذلك جليّاً من خلال أحكامه عندما أصبح أميراً للمؤمنين ، فكان يجتهد برأيه مقابل النصوص النبويّة ، بل كان يجتهد برأيه مقابل النصوص الإلهية الجليّة ، فيحرّم ما أحلّ الله ويحلّلُ ما حرّم الله [3].

وبطبيعة الحال إنّ أنصاره ومؤيّديه من الصحابة كانوا على شاكلته ، وإنّ محبّيه والمعجبين به من السلف والخلف يقتدون به وببدعه الحسنة كما يُسمّونها.

وسيأتي خلال الأبحاث القادمة بأنّهم يتركون سنّة النبيّ ﷺ ، ويتّبعون سنّة عمر بن الخطّاب.

---

١ ـ النساء : ٥٩.

٢ ـ لقد وافينا البحث لمعارضة عمر للنبي ﷺ في كتابنا « فاسألوا أهل الذكر » (المؤلّف).

٣ ـ كتحريمه سهم المؤلّفة قلوبهم ، ومتعة الحجّ ، ومتعة النساء التي حلّلها الله ، وتحليله طلاق الثلاث بطلقة واحدة وقد حرّم الله ذلك (المؤلّف).

الحادث الثاني

في مخالفتهم للسنّة النبويّة

ذلك هو رفضهم الالتحاق بجيش أُسامة الذي عبّأه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه ، وأمرهم بالسّير تحت قيادته ، يومين قبل وفاته صلى الله عليه وآله وسلم .

ووصل الأمر بهم إلى الطعن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانتقاده ، إذ ولّى عليهم شاباً صغيراً لا نبات بعارضيه ، عمره سبعة عشر عاماً.

وتخلّف عن السير أبو بكر وعمر وبعض الصحابة ، ولم يلتحقوا بالجيش بدعوى إدارة أمر الخلافة ، رغم لعن الرسول لمن تخلّف عن أُسامة [1].

أمّا علي وأتباعه فلم يعيّنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الجيش وذلك لحسم الخلاف ، وليصفُّوا الجوّ ويخلو من أُولئك المعاندين والمعارضين لأمر الله ، فلا يرجعوا من مؤتة إلاّ والأمر قد استتبّ لعلي كما يريده الله ورسوله في خلافة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم .

لكنّ دهاة العرب من القريشيين عرفوا ذلك منه ، فرفضوا الخروج من المدينة ، وتباطأوا حتى لحقَ الرسول بربّه ، فأبرموا أمرهم كما خطّطوا له من قبل ، وأبعدوا ما أراده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أو بعبارة أُخرى رفضوا السنّة النبويّة.

وبهذا يتبيّن لنا ولكلّ باحث أنّ أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعبد الرحمان

---

١ ـ الملل والنحل للشهرستاني ١ : ٢٣ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ : ٥٢.

ابن عوف ، وأبا عبيدة عامر بن الجرّاح كانوا يرفضون السنّة النبويّة ، ويجتهدون بآرائهم جرياً وراء المصالح الدنيوية ومن أجل الخلافة ، ولو كلّفهم ذلك معصية الله ورسوله.

أمّا علي والصحابة الذين اتّبعوه ، فكانوا يتقيّدون بالسنّة النبويّة ، ويعملون على تنفيذها حرفياً ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، وقد رأينا عليّاً عليه السلام في تلك المحنة كيف أنّه تقيّد بوصيّة النبيّ له على أن يقوم بتغسيله وتكفينه والصلاة عليه ومواراته في قبره.

فنفّذ عليٌّ كلّ أوامره ولم يشغله عن ذلك شاغل ، ورغم علمه المسبق بأنّ الجماعة تسابقوا إلى السقيفة لاختيار أحدهم للخلافة ، وكان بإمكانه أن يُسارع إليها هو الآخر ويفسِد عليهم تخطيطهم ، ولكنّ احترامه للسنّة النبويّة والعمل على تطبيقها يحتّم عليه البقاء بجانب ابن عمّه ، ولو كلّفه ذلك ضياع الخلافة.

ولابدّ لنا هنا من وقفة ولو قصيرة ، لنلاحظ الخلق العظيم الذي ورثه علي من المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم .

ففي حين يزهدُ علي في الخلافة من أجل تنفيذ السنّة ، نرى الآخرين يرفضون السنّة من أجل الخلافة.

الحادث الثالث

الذي أبرز الشيعة في مقابل « أهل السنّة »

ذلك هو الموقف الخطير الذي وقفه أغلب الصحابة في السقيفة ، ليخالفوا صراحة النصوص النبويّة التي نصّبتْ علياً للخلافة ، وقد حضروها كلّهم يوم الغدير بعد حجة الوداع.

ورغم اختلاف المهاجرين والأنصار في أمر الخلافة إلاّ أنّهم تصافقوا في الأخير على ترك النصوص النبويّة ، وتقديم أبي بكر للخلافة ولو كلّفهم ذلك زهق النفوس ، وثمّروا على سواعدهم لقتل كلّ من تحدّثه نفسه بمخالفتهم ، ولو كان من أقرب الناس للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم [1].

وهذا الحادث أبرز ـ أيضاً ـ أن الأغلبيّة الساحقة من الصحابة عاضدوا أبا بكر وعمر في رفض سنّة نبيّهم وإبدالها باجتهاداتهم ، فهم أنصار الاجتهاد.

كما أبرز في المقابل الأقلية من المسلمين الذين تمسّكوا بالنصوص النبويّة ، وتخلّفوا عن البيعة لأبي بكر وهم علي وشيعته.

نعم ، لقد ظهر في المجتمع الإسلامي بعد الأحداث الثلاثة المذكورة هويّة

---

١ ـ وأكبر دليل على ذلك تهديد عمر بن الخطّاب بحرق بيت فاطمة الزهراء بمن فيه ، والقصّة مشهورة في كتب التاريخ (المؤلّف).

بل نقل ذلك المحدّثون أيضاً وبأسانيد صحيحة ، كالمصنّف لابن أبي شيبة ٨ : ٥٧٢ وبسند حسن.

الفريقين أو الحزبين المتعارضين ؛ يعمل أحدهما على احترام السنّة النبويّة وتنفيذها ، ويعملُ الثاني على دحض السنّة النبويّة وطمسها ، وابدالها بالاجتهاد الذي يُطمّع الأكثرية ويُمنّيهم بالوصول إلى الحكم أو المشاركة فيه.

برز على رأس الحزب الأول السنّي علي بن أبي طالب وشيعته ، وبرز على رأس الحزب الثاني الاجتهادي أبو بكر وعمر وأغلب الصحابة.

وعمل الحزب الثاني بقيادة أبي بكر وعمر على تحطيم وكسر شوكة الحزب الأوّل ، ودبّروا لذلك عدّة تدابير للقضاء على الحزب المعارض ، من ذلك :

أوّلا : عزل المعارضة وشلّها اقتصادياً :

أوّل مبادرة بادر بها الحزبُ الحاكم هو إقصاء المعارضين عن كلّ موارد الرزق والمال ، وقد عمد أبو بكر وعمر على طرد فلاّحي فاطمة من فدك [1] واعتبرا تلك الأرض ملكاً للمسلمين ، وليستْ خالصة لفاطمة كما أقرّ بذلك أبوها ﷺ .

كما حرماها من ميراث أبيها بدعوى أنّ الأنبياء لا يُورّثون ، وقطعا عنها سهم الخمس الذي كان رسول الله يخص به نفسه وأهل بيته ؛ لأنّ الصدقات محرّمة عليهم.

وبذلك أصبح علي مشلولا اقتصادياً ، فقد اغتُصبتْ منه أرض فدك التي

---

١ ـ قصّة فدك معروفة في كتب التاريخ ، وخصام الزهراء لأبي بكر حتى ماتتْ وهي غاضبةٌ عليه مشهورة ، ذكرها البخاري ومسلم (المؤلّف).

كانت تدرّ عليه أرباحاً هائلة ، وكذلك حُرم من ميراث ابن عمّه والذي هو حقّ من حقوق زوجته ، وقُطع عنه سهم الخمس ، فأصبح علي وزوجته وأولاده في حاجة لمن يسدّ رمقهم ويكسو أجسامهم ، وهو بالضبط ما عبّر عنه أبو بكر عندما قال للزهراء : « نعم ، أنتِ لك الحقّ في الخمس ، ولكنّي سوف أعمل فيه عمل رسول الله ، فلا أتركك تجوعين ولا تعرين ».

وكما قدّمنا فإنّ الصحابة الذين تشيّعوا لعلي أغلبهم من الموالي الذين لا ثراء لهم ، فلا يخشى الحزب الحاكم منهم ولا من تأثيرهم ، فالنّاس يميلون للغني ويحتقرون الفقير.

ثانياً : عزل المعارضة وشلّها اجتماعيّاً :

ولأجل إسقاط الصفّ المعارض الذي يتزعّمه علي بن أبي طالب ، فقد عمل الحزبُ الحاكم أيضاً على عزله اجتماعيّاً.

وأوّل شيء فعله أبو بكر وعمر هو تحطيم الحاجز النفسي والعاطفي الذي يحمل المسلمين كافّة على احترام وتقدير قرابة الرسول الأعظم ﷺ.

وإذا كان علي هو ابن عمّ النبيّ وسيّد العترة الطّاهرة ، قد وُجدَ له مُبغضُون ضمن الصحابة الذين كانوا يحسدونه على ما آتاه الله من فضله ، فضلا عن المنافقين الذين كانوا يتربّصون به ؛ فإنّ فاطمة هي وحيدة النبيّ التي بقيتْ بعده في أُمّته ، وهي أمّ أبيها كما كان يسمّيها الرسول ﷺ وسيّدة نساء العالمين ، فكلّ المسلمين يحترمونها ويعظّمونها للمكانة التي حظيتْ بها عند أبيها ، وللأحاديث التي قالها في فضائلها وشرفها وطهارتها.

ولكنّ أبا بكر وعمر عمدا إلى إسقاط هذا الاحترام والتقدير من نفوس الناس ، فجاء عمر بن الخطّاب إلى بيت الزهراء وفي يده قبس من نار ،

وطوّق بيتها بالحطب ، وأقسم أن يحرقها بمن فيها إن لم يخرجوا لبيعة صاحبه.

يقول ابن عبد ربّه في العقد الفريد :

« وأمّا علي والعباس والزبير ، فقعدوا في بيت فاطمة حتّى بعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطّاب ليُخرجهم من بيت فاطمة ، وقال له : إنْ أبَوا فقاتلهم ، فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدّار ، فلقيتْهُ فاطمة فقالتْ : يابن الخطّاب أجئتَ لتحرق دارنَا؟

قال : نعم ، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأُمّة » [1].

فإذا كانت فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين ، كما جاء في صحاح « أهل السنّة والجماعة » [2] ، وإذا كان ولداها الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة وريحانة النبيّ في هذه الأُمّة ، يُستهانُ بهم ، ويُستصغرُ شأنهم حتّى يُقسم عمر أمام الملأ أن يحرق عليهم دارهم إن رفضوا البيعة لأبي بكر ؛ فهل يبقى بعد هذا في نفوس الآخرين شيء من الاحترام أو التقدير لعلي بن أبي طالب الذي يبغضه أكثرهم ويحسدونه ، وقد أصبح بعد وفاة النبيّ زعيم الصف المعارض ، وليس عنده من حُطام الدّنيا ما يُرغّبُ الناس فيه؟

فهذا البخاري يحدّث في صحيحه بأنّ فاطمة طالبتْ أبا بكر بميراثها من

---

١ ـ العقد الفريد لابن عبد ربّه ٥ : ١٣ ، الذين تخلّفوا عن بيعة أبي بكر.

٢ ـ المستدرك للحاكم ٣ : ١٥٦ وصحّحه ، السنن الكبرى للنسائي ٤ : ٢٥٢ ، صحيح البخاري ٤ : ١٨٣ وفيه : « سيّدة نساء المؤمنين » ، صحيح مسلم ٧ : ١٤٣ وفيه : « سيّدة نساء هذه الأُمّة » ، سنن ابن ماجة ١ : ٥١٨.

رسول الله ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر ، فأبَى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً ، فوجدتْ فاطمة على أبي بكر ، فهجرته ، فلم تكلّمه حتى توفّيتْ ، وعاشتْ بعد النبيّ ستّة أشهر ، فلما تُوفّيتْ دفنها زوجها علي ليلا ولم يؤذن بها أبا بكر وصلّى عليها ، وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة ، فلمّا توفّيتْ استنكَر علي وجوه الناس ، فالتمسَ مُصالحة أبي بكر ومُبايعته ، ولم يكن يُبايع تلك الأشهر [1].

فقد نجح الحزب الحاكم نجاحاً كبيراً في عزل علي بن أبي طالب اقتصادياً واجتماعياً ، وأسقطه من أعين الناس ، فلم يبقَ له بينهم احترام ولا تقدير ، وخصوصاً بعد وفاة الزهراء ، ولذلك استنكر علي وجوه الناس ، فاضطرّ لمصالحة أبي بكر ومبايعته ، حسب ما يرويه البخاري ومسلم.

وتعبير البخاري بكلمة : « استنكر عليّ وجوه الناس » يَدلّنا دلالة واضحة على مدى الحقد والبغض الذي كان يواجهه أبو الحسن (سلام الله عليه) بعد وفاة ابن عمّه وزوجته ، ولعلّ بعض الصحابة كان إذا مشى بينهم يسبّونه ويشتمونه ويستهزئون به ، ولذلك استنكر وجوههم للمنكر الذي رآه.

ولا نقصد من هذا الفصل سرد التاريخ ومظلومية علي بقدر ما نُريد إظهار الحقيقة المرّة والمؤلمة ، ألا وهي أنّ حامل لواء السنّة النبويّة ، وباب علم الرسول أصبح متروكاً ، وفي المقابل أصبح أنصار الاجتهاد بالرّأي الذين يرفضون السنّة النبويّة هم الحاكمون ، والمؤيّدون أغلب الصحابة.

---

١ . صحيح البخاري ٥ : ٨٢ باب غزوة خيبر ، صحيح مسلم ٥ : ١٥٤ ، كتاب الجهاد والسير ، باب قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم « لا نورث .. ».

ثالثاً : عزل المعارضة سياسياً :

رغم الحصار الشديد ، ومصادرة الحقوق المالية ، وعزلهم عن المجتمع الإسلامي حتى تحوّلت وجوه الناس عن علي بن أبي طالب كما مرّ علينا ، فإنّ الحزب الحاكم لم يكتف بكلّ ذلك حتّى عمد إلى عزله سياسيّاً ، وابعاده عن كلّ أجهزة الدّولة ، وعدم إشراكه في أيّ منصب حكومي أو إسناده أيّ مسؤولية.

وبالرغم من تعيينهم الولاة من الطُّلقاء ، ومن فسّاق بني أُميّة الذين حاربوا الإسلام طوال حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد بقي الإمام علي بعيداً عن مسرح الحياة السياسيّة طيلة ربع قرن حياة أبي بكر وعمر وعثمان ، وفي حين كان بعض الصحابة الولاة يجمع الأموال ، ويكنزُ الذهب والفضة على حساب المسلمين ، كان علي بن أبي طالب يسقي نخيل اليهود كي يحصلَ على قوته بكدّ يمينه وعرق جبينه!

وهكذا بقي باب العلم ، حبر الأُمّة وحامل السنّة حبيس داره ، ولا يعرف قدره إلاّ بعض المستضعفين الذين كانُوا يُعَدّون بالأصابع ، فكانوا يتشيّعون له ، ويهتدون بهديه ، ويتمسّكون بحبْله.

وقد حاول الإمام علي زمن خلافته إرجاع الناس إلى القرآن والسنّة النبويّة ولكن دون جدوى ، إذ إنّهم تعصّبوا لاجتهاد عمر بن الخطّاب ، وصاح أكثرهم في المسجد : وا سنّة عُمراه [1].

ونَسْتنتجُ من كلّ هذا بأنّ عليّاً وشيعته تمسّكوا بالسنّة النبويّة ، وعملوا

---

١ ـ الشافي ٤ : ٢١٩ ، تلخيص الشافي ٤ : ٥٢ ، الكافي ٨ : ٦٣ وفيه : إنّهم قالوا : « يا أهل الاسلام غيّرت سنّة عمر ... ». شرح نهج البلاغة ١٢ : ٢٨٣.

على إحيائها ، ولم يحيدوا عنها أبداً ، بينما اتّبعتْ بقية الأُمّة بدع أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة ، وسمّوها بـ « البدع الحسنة » [1].

وهذا ليس من الادّعاء ، بل هي الحقيقة التي أجمع عليها المسلمون وسجّلوها في صحاحهم ، وعرفها كلّ باحث ومنصف.

فقد كان الإمام علي يحفظ القرآن ويعرف كلّ أحكامه ، وهو أوّل من جمعه بشهادة البخاري نفسه.

في حين لم يكن أبو بكر ولا عمر ولا عثمان يحفظونه ولا يعرفون أحكامه [2]. وقد أحصى المؤرّخون على عمر قوله سبعين مرّة : « لولا علي لهلك عمر » [3] ، وقول أبي بكر : « لاَ عشت في زمن لستَ فيه يا أبا الحسن » [4]. أمّا عثمان فحدّث ولا حرج.

---

١ ـ صحيح البخاري ٢ : ٢٥٢ ، باب صلاة التراويح.

٢ ـ جهل عمر بحكم الكلالة مشهور في كتب السنّة ، وكذلك جهله بأحكام التيمّم معلوم لدى الجميع ، ذكره البخاري في صحيحه ١ : ٩٠ ، (كتاب التيمّم ، باب المتيمّم هل ينفخ فيهما).

٣ ـ تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة : ١٥٢ ، ذخائر العقبى : ٨٢ ، نظم درر السمطين : ١٣٠ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ١٤١ ، المناقب للخوارزمي : ٨١ ح٦٥ ، فيض القدير ٤ : ٤٧٠.

٤ ـ قريب من هذا النصّ يوجد عن عمر بكثرة ، أُنظر مثلا تاريخ دمشق ٤٢ : ٤٠٧ ، ذخائر العقبى : ٨٢.

إذا كان عمر بن الخطّاب المعدود عند « أهل السنّة والجماعة » من الملهمين ومن أعلم الصحابة ، إذا لم يكن أعلمهم على الإطلاق للرّواية التي أخرجوها في صحاحهم أنّ النبيّ أعطاه فضل شرابه وتأوّل ذلك بالعلم ، يشهد على نفسه بأنّه يجهل الكثير من السنّة النبويّة ، وقد شُغل عنها بالتّجارة في الأسواق.

فهذا البخاري يروي في صحيحه في باب الحجّة على من قال : إنّ أحكام النبيّ كانت ظاهرة ، وما كان بعضهم يغيبُ عن مشاهدة النبيّ وأُمور الإسلام ، قال :

استأذن أبو موسى على عمر ، فكأنّه وجده مشغولا فرجع ، فقال عمر : ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس ائذنوا له ، فدُعي له فقال : ما حملك على ما صنعتَ؟

فقال : إنّا كنّا نُؤمر بهذا ، فقال عمر : فائتني على هذا ببيّنة أو لأفعلنّ بك ، فانطلق إلى مجلس الأنصار فقالوا : لا يشهد إلاّ أصاغرنا ، فقام أبو سعيد الخدري فقال : قد كنّا نؤمر بهذا ، فقال عمر : خفيَ عليَّ هذا من أمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، ألهاني الصفق بالأسواق [1].

---

١ . صحيح البخاري ٨ : ١٥٧ (من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة). صحيح مسلم ٦ : ١٧٩ (في باب الاستئذان من كتاب الآداب).

تعليق : في هذه القصة طرائف لابدَّ من ذكرها :

أوّلا : إنّ قضية الاستئذان معروفة في الإسلام ، وهي سنّة نبوية يعرفها الخاصّ والعام ، وقد كان الناس يستأذنون للدخول على رسول الله ﷺ ، وهذه من آداب الإسلام ومفاخره.

وتفيد هذه الرواية بأنّ عمر بن الخطّاب كان له حرّاس وشرطة تمنع الناس من الدخول عليه إلاّ بالاستئذان ، فقد استأذن عليه أبو موسى ثلاث مرّات ولم يأذن له فرجع ، ولكنّ أنصاره وأتباعه من بني أُميّة وكأنّهم أرادوا تفضيله وتقديمه على النبيّ ﷺ ، فقالوا بأنّه كان ينام على حافّة الطريق بدون حرس ، حتى قيل فيه : عدلتَ فنمتَ.

وكأنّهم يقولون بأنّه أعدل من النبيّ ﷺ لأنّ النبيّ كان عنده حراسة ، وإلاّ لماذا يقال : ماتَ العدلُ مع عمر؟!

ثانياً : تفيدنا هذه الرواية على مدى الغلظة والشدّة التي كان يعرفُ بها عمر بن الخطّاب ، وكيف كان يعامل المسلمين بدون مبرّر لذلك.

فهذا أبو موسى الأشعري ، وهو من أكابر الصحابة ، يستدلّ بحديث النبيّ ﷺ بخصوص الاستئذان ، فيقول له عمر : « والله لأوجعنّ ظهرك وبطنك أو لتأتينّ بمن يشهد لك على هذا » [1].

فهل هناك مبرر لإهانة أبي موسى وتكذيبه أمام الناس ، وتهديده بالضرب الموجع لمجرّد رواية رواها عن رسول الله ﷺ ، حتّى قال أُبي بن كعب ـ بعدما شهد بصحّة الحديث ـ : « يابن الخطّاب لا تكوننّ عذاباً على

---

١ ـ صحيح مسلم ٦ : ١٧٨ ، (كتاب الآداب ، باب الاستئذان).

أصحاب رسول الله » [1].

أمّا أنا فلا أرى من مبرّر غير استبداد عمر برأيه في أكثر الأُمور ، وإذا ما عارضوه بكتاب الله أو بسنّة النبيّ فتراه يغضب ويهدّد ، الشيء الذي جعل كثيراً من الصحابة يكتمون الحقّ وهم يعلمون ، كما وقع ذلك لعمّار بن ياسر عندما جابه عمر بالسنّة النبويّة في قضية التيمّم ، ولما هدّده عمر قال عمّار : إنْ شئت لم أُحدّث به [2].

والشواهد كثيرة على منع عمر الصحابة من نقل الأحاديث النبويّة ، وذلك من عهد أبي بكر ، وبالأخصّ في أيام خلافته التي امتدّتْ أكثر من عشر سنوات ، أحرق خلالها كلّ ما جُمع من الأحاديث النبويّة ، ومنع الصحابة من نقلها ، وحبسَ بعضهم من أجلها [3].

وقد فعل ذلك من قبله أبو بكر ، كما فعل ذلك عثمان من بعده.

فكيف يقالُ لنا بأنّ الخلفاء كانوا يعملون كلّهم بالسنّة النبويّة ، في حين أنّ السنّة النبويّة لم تلقَ منهم إلاّ الحرق والمنع والتعتيم؟!

ثالثاً : تفيدنا هذه الرواية بأنّ عمر بن الخطّاب كان كثيراً ما يتغيّب عن مجالسة النبيّ ﷺ والاستماع لأحاديثه ، ويشتغلُ عنه بالتجارة في الأسواق ، ولذلك غابتْ عنه أكثر الأحاديث النبويّة التي عرفها الخاصّ والعامّ من الصحابة حتى صبيانُهم ، يشهدُ على ذلك قول الأنصار عندما فزع إليهم أبو موسى من تهديد عمر ، قالوا : فوالله لا يقوم معك إلاّ أحدثنا سنّاً ، فقام أبو

---

١ ـ المصدر نفسه ٦ : ١٨٠.

٢ ـ صحيح مسلم ١ : ١٩٣ (كتاب الحيض ، باب التيمّم).

٣ ـ قد ذكرتُ ذلك بشيء من التفصيل في كتاب « فاسألوا أهل الذكر » مع ذكر المصادر فليرجع إليه الباحثون (المؤلّف).

سعيد الخدري ، وكان أصغر القوم ، فشهد أنّه سمع النبيّ ﷺ يحدّثُ بذلك.

وهذا في حدّ ذاته توهين لشأن عمر الذي اعْتلى منصّة الخلافة ، وهو لا يعرف من السنّة النبويّة أبسط الأُمور التي عرفها أصغر القوم سنّاً ، وأين هو من حديث الرسول ﷺ الذي يقول : « إذا تولّى وال أمر رعية وهو يعلمُ أنّ فيهم من هو أعلم منه ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » [1]؟!

وأنّى لعمر بن الخطّاب أن يُصغي قلبه لمثل هذه الأحاديث النبويّة التي رفضها في حياة النبيّ ﷺ ولم يقنع بها ، وجعل لنفسه حقّ الاجتهاد في مقابلها!!

بقيَ أن نعترف لأبي حفص باعترافه بالجهل عندما يواجه من قبل بعض الصحابة بالحجّة والدّليل ، فيقول مرّة : « كلّ الناس أفقهُ منك يا عمر حتّى ربّاتُ الحجال » [2] ، ومرّة يقول : « لولا عليٌّ لهلك عمر » [3] ، وأُخرى يقول : « لقد ألهاني عن أحاديث النبيّ الصفق بالأسواق » [4].

وإذا كان عمر يتلهّى عن السنّة النبويّة بالصفق في الأسواق ، فإنّه عن القرآن أكثر لهواً ، فقد اختلف مرّة مع أُبي بن كعب ، وهو من أشهر الحفّاظ ، وأنكر عليه قراءتَه ، وقال بأنّه لم يسمع بها من قبلُ ، فقال له أُبي : يا عمر إنّه

---

١ ـ نحوه مجمع الزوائد ٥ : ٢١١ ، المعجم الكبير ١١ : ٩٤ ، السنن الكبرى للبيهقي ١٠ : ١١٨ ، نصب الراية للزيلعي ٥ : ٣٩.

٢ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ١٨٢.

٣ ـ تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة : ١٥٢ ، ذخائر العقبى : ٨٢ ، المناقب للخوارزمي : ٨١ ح٦٥ ، فيض القدير ٤ : ٤٧٠.

٤ ـ صحيح البخاري ٣ : ٧ ، ١٩ (كتاب البيوع ، باب الخروج في التجارة) ، صحيح مسلم ٦ : ١٧٩ (كتاب الآداب ، باب الاستئذان).

كان يُلهيني القرآنُ ، ويُلهيكَ الصفقُ بالأسواقِ [1].

فشغله بالتجارة ولهوه بالصفق في الأسواق يعرفه الخاص والعام ، وليس هو بالأمر الخفي عن الصحابة ، وخصوصاً منهم العارفين بكتاب الله وسنّة رسوله.

لذلك أعتقدُ بأنّه كان يعيش عُقدةً نفسية كبيرة ، وهي عقدة الجهل المركّب ، إذ يرى أصغر المسلمين يعرف ما لاَ يعرفُ هو ، ويحفظ ما لاَ يحفظ هو ، ويرى إلى جانبه عليّاً وهو شابٌّ لم يبلغ الثلاثين يصوّب رأيه بما حفظه من الكتاب والسنّة وبمحضر من الصحابة ، حتّى يضطر للقول : « لولا علي لهلك عمر ».

ويرى امرأة تقوم في آخر المسجد فتعترض عليه وهو فوق المنبر ، وتحاججُه بكتاب الله في قضيّة مهور النساء على مشهد ومسمع من كلّ المصلّين ، فيقول عند ذلك : « كلّ الناس أفقه منك يا عمر حتّى ربّات الحجال! ».

وفي الحقيقة لم يكن ذلك قناعة منه بقدر ما هو تغطية على جهله وكسب الموقِف لصالحه ؛ ليقول الناس عنه بأنّه متواضع ، كما نسمع اليوم الكثير من الناس يردّدون ذلك.

ومن أجل هذه العُقدة عمل عمر على محق السنّة النبويّة ما استطاع لذلك سبيلا ، واجتهد برأيه معارضاً للكتاب والسنّة ، والشواهد على ذلك كثيرة جدّاً [2].

---

١ . السنن الكبرى للبيهقي ٧ : ٦٩ ، الدر المنثور للسيوطي ٥ : ١٨٣ ، تاريخ دمشق ٧ : ٣٣٩ ، سير أعلام النبلاء ١ : ٣٩٧.

٢ . ذكرت بعضها في كتاب « مع الصادقين » وكتاب « فاسألوا أهل الذكر ».

والمتتبّع لسيرة عمر يكتشف بأنّه لم يعش مع النبيّ ﷺ بعد إسلامه إلاّ نصف عمر الرسالة أو أقلّ من ذلك بكثير.

فها هو يحدّث عن نفسه في هذا الصدد فيقول :

« كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أُميّة بن زيد ، وهي من عوالي المدينة ، وكنّا نتناوبُ النزولَ على رسول الله ﷺ ينزل يوماً وأنزلُ يوماً ، فإذا نزلتُ جئتُه بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك » [1].

فقوله : كنّا نتناوبُ النزول على رسول الله ينزل يوماً وأنزلُ يوماً ، فيه دلالة واضحة على أنّه كان بعيد المسكن عن مسجد رسول الله ﷺ ، ولذلك قسّم عمر حياته إلى يومين يوم ينزل لرؤية النبيّ ، ويومٌ لاَ ينزل ، ولا يكلّف نفسه عناء النزول لبعد المسافة.

أو أنّ المسافة لم تكن بعيدة ، ولكنّه ينزل إلى الأسواق ويشتغل فيها بالصّفق والتجارة.

وإذا أضفنا هذا إلى قوله : « ألهاني الصفق بالأسواق عن أحاديث النبيّ » في قضية أبي موسى الأشعري المتقدّم ذكرها ، ثمّ أردفنا بقول أُبي بن كعب له : « يا عمر إنّه كان يُلهيني القرآن ، ويُلهيكَ الصفق بالأسواق » كما مرّ علينا ، تأكّدنَا بأنّه لم يقضِ وقتاً طويلا مع صاحب الرسالة ﷺ.

ولعلّه كان يغيبُ عن رسول الله ﷺ حتّى في المناسبات الكبرى التي يجتمع فيها المسلمون كافة ، كيوم عيد الفطر وعيد الأضحى ، ولذلك نراه يسأل بعض الصحابة الذين لم تُشغلهم تجارة ولا بيعٌ عن ذكر الله وإقام

---

١ ـ صحيح البخاري ١ : ٣١ من (كتاب العلم ، باب التناوب في العلم).

الصلاة ، يسألهم عمّا كان يقرأ به رسول الله ﷺ في عيد الفطر وعيد الأضحى.

فقد أخرج مسلم في صحيحه في كتاب صلاة العيدين ، عن عبيد الله بن عبد الله ، أن عمر بن الخطّاب سألَ أبا واقد اللّيثي ما كان يقرأ به رسول الله ﷺ في الأضحى والفطر ، فقال : كان يقرأ فيهما بـ ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ و ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [1].

وعن أبي واقد اللّيثي أنّه قال : سألني عمر بن الخطّاب عمّا قرأ به رسول الله ﷺ في يوم العيد فقلتُ : بـ ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾ و ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ [2].

فشهادة عبيد الله وأبو واقد الليثي على عمر بأنّه لم يكن يعرف قراءة النبيّ ﷺ في العيدين ، إذا أضفنا إليها شهادة أُبي بن كعب ، وشهادته هو على نفسه بأنّه كان يشغله عن القرآن والسنّة الصفقُ بالأسواق ؛ عرفنا الأسرار والألغاز التي بقيت حتّى الآن محيّرة للعلماء ، كفتواه بترك الصلاة للمجنب الذي لا يجد الماء ، وجهله بأحكام التيمّم التي جاء بها القرآن والسنّة ، وكحكمِهِ في الكلالة التي قضى فيها بعدّة أحكام متناقضة ، رغم نزولها في كتاب الله ، ورغم ما جاء فيها من التفصيل والبيان في السنّة النبويّة ، فإنّ عمر لم يفهمها إلى أن فارق الحياة [3].

ولو وقف عمر عند حدّه ، وحاول التعلّمَ للقضاء على جهله ، لكان خيراً له

---

١ ـ صحيح مسلم ٣ : ٢١ ، (كتاب الصلاة ، باب ما يقرأ به في صلاة العيدين).

٢ ـ صحيح مسلم ٣ : ٢١ ، (كتاب الصلاة ، باب ما يقرأ في صلاة العيدين).

٣ ـ أخرج البيهقي في سننه أنّ عمر سأل النبيّ عن ميراث الجدّ مع الإخوة ، فقال له النبيّ : ما سؤالك عن هذا يا عمر؟ إنّي أظنّك تموت قبل أن تعلمه ، قال سعيد بن المسيّب : فمات عمر قبل أن يعلمه.

وللمسلمين ، ولكنّه أخذته العزّة بالإثمّ ، فراحَ يحرّم ما أحلّ الله ورسوله كمتعة الحجّ ، ومتعة النساء ، وسهم المؤلّفة قلوبهم ، ويحلّلُ ما حرّم الله ورسولهُ كإمضائه الطّلاق الثلاث ، والتجسّس على المسلمين ، وغير ذلك [1].

ومن أجل ذلك عمل هو وصاحبه أبو بكر من أوّل يوم على منع أحاديث الرسول ﷺ ، ومنع تدوينها وكتابتها حتى وصل الأمر بهما إلى حرق كلّ ما جمعه الصحابة من الأحاديث والسنن النبويّة ، أولا : لطمس حقائق علي وأهل البيت التي نَطق بها الرسول ﷺ ، وثانياً : لكي لا يجدوا في النصوص النبويّة معارضة للسياسة التي تبنوّها ، والأحكام التي اجتهدوا بها بآرائهم ، وثالثاً : لأنّ عمر بن الخطّاب ما كان يعرف من سنّة النبيّ إلاّ القليل.

فقد أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن ابن عباس أنّ عمر بن الخطّاب تحيّر في حكم الشكّ في الصلاة ، فقال له : يا غلام هل سمعتَ من رسول الله أو من أحد أصحابه : إذا شكّ الرجل في صلاته ماذا يصنع [2]؟

عجيبٌ والله أمر عمر بن الخطّاب خليفة المسلمين لا يعرف كيف يرقّع صلاته ، فيسأل عن ذلك صبيانَ الصحابة ، وهو أمرٌ يعرفه عامّة المسلمين والأميّون منهم حتى في يومنا الحاضر! والأعجب من ذلك قول « أهل السنّة والجماعة » بأنّ عمر كان أعلم الصحابة ، فإذا كان أعلمهم على هذا النمط فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبرِ!!

---

١ ـ إقرأ كتاب النصّ والاجتهاد لشرف الدين الموسوي (المؤلّف).

٢ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ١ : ١٩٠ ، وصرّح بصحته محقق الكتاب العلاّمة أحمد محمود شاكر.

نعم ، تبقى فقط بعض المعارضة الطّفيفة التي لاَ تُغيّر من أحكامهم واجتهاداتهم شيئاً ولا تهدد مصالح الخلافة ، كقضية استئذان أبي موسى أو استدلال أُبي بن كعب بقراءة لا يعرفها عمر ، عند ذلك يفتخر عمر بالرجوع إلى الاعتراف وهو فضيلة فيقول : لقد ألهاني عن ذلك الصفق بالأسواق.

فأين هذا من قول علي بن أبي طالب الذي يقول :

« كان لي مدخلٌ خاصٌ على رسول الله ﷺ في كلّ يوم مرّتينِ مرّة في الصباح وأُخرى في المساء » [1]؟

فهذه المجالس كانت خاصّة بعلي في كلّ صباح ومساء ، أضف إلى ذلك حضوره دائماً مع النبيّ ﷺ في مجالسه العامّة.

فكان علي أقرب الناس للنّبي ، وأشدّهم لصوقاً به ، وأخصهم لديه من يوم ولادته ، فقد تربّى في حجره حتى شبّ ، فكان يتبعه اتّباع الفصيل إثر أُمّه في كلّ مكان ، وفي غار حراء عند نزول الوحي عليه ، وقد رضع حليب الرسالة ، وترعرع على معارف السنّة النبويّة من أوّل مهدها.

فمن أولى بالسنّة منه ، وهل لأحد غيره أن يدّعيها لو أنصف المنصفون ، ورجع إلى الحقّ المعاندون؟

وهذا أكبر دليل على أنّه (سلام الله عليه) وشيعته الذين اتّبعوه هم رمز السنّة المحمّدية وأعلامها ، أمّا غيرهم ممّن لم يهتدوا بهديه ويسيروا على دربه ، فهم أبعد ما يكونون عن السنّة النبويّة ، ولو أنّهم سمّوا أنفسهم « بأهل

---

١ . سنن ابن ماجة ٢ : ١٢٢٢ ح٣٧٠٨ ، سنن النسائي ٣ : ١٢ ، المصنّف لابن أبي شيبة ٦ : ١٣٢ ، المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٦٦ ، ونحوه في خصاص الإمام علي للنسائي : ص٩٠ وبعضها إسناده صحيح.

السنّة » غفلةً وتقليداً.

وسنبيّن ذلك بنحو أكثر وضوحاً فيما يأتي من أبحاث في مضمون هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [1].

---

١ . الأحزاب : ٧٠ . ٧١.

أهل السنّة لا يعرفون السنّة النبويّة

أيّها القارئ العزيز ، لا يستفزّك هذا العنوان ، فأنت بحمد الله تمشي على طريق الحقّ لتصل في النهاية إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى ، فلا تدع وساوس الشيطان ، ولا الغرور بالنّفس ، ولا التعصّب المقيت يستولي عليك ويصدّك عن الوصول إلى الهدف المنشود ، والحقّ المفقود وجنّة الخلود.

وكما قدّمنا فيما سبق بأنّ المتسمّين « بأهل السنّة والجماعة » هم القائلون بخلافة الخلفاء الراشدين الأربعة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، هذا ما يعرفه الناس اليوم.

ولكنّ الحقيقة المؤلمة هي أنّ علي بن أبي طالب لم يكن معدوداً عند « أهل السنّة » من الخلفاء الراشدين ، لا ولم يعترفوا حتى بشرعيّة خلافته ، وإنّما أُلحِقَ عليّ بالخلفاء الثلاثة في زمن متأخّر جداً ، وذلك في سنة ثلاثين ومائتين للهجرة في زمن أحمد بن حنبل.

أمّا الصحابة من غير الشيعة ، والخلفاء والملوك ، والأمراء الذين حكموا المسلمين من عهد أبي بكر وحتى عهد الخليفة العباسي محمّد بن الرشيد المعتصم ، لم يكونوا يعترفون بخلافة علي بن أبي طالب أبداً ، بل منهم من كان يلعنه ولا يعتبره حتى من المسلمين ، وإلاّ كيف يجوز لهم سبّه ولعنه على المنابر؟!

وقد عرفنا سياسة أبي بكر وعمر في إقصائه وعزله كما قدّمنا ، ثمّ جاء

عثمان بعدهما فأمعن في احتقاره أكثر من صاحبيه والتقليل من شأنه حتّى هدّده مرّة بالنفي كما نفى أبا ذر الغفاري ، ولما ولي معاوية أمعن في سبّه ولعنه ، وحمل الناس على ذلك ، فدأب حكّام بني أُميّة على ذلك في كلّ مدينة وقرية ، ودام ذلك ثمانين عاماً [1].

بل وتواصل ذلك اللعن والطعن والبراءة منه ومن شيعته أكثر من ذلك بكثير ، فهذا المتوكّل الخليفة العباسي يصل به الحقد إلى نبش قبر علي وقبر الحسين بن علي ، وذلك سنة أربعين ومائتين للهجرة.

وهذا الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين في عهده ، يخطب الناس يوم الجمعة فيقول لهم من فوق المنبر : إنّ الحديث الذي روي عن رسول الله : أنت مني بمنزلة هارون من موسى « صحيح ، ولكنّه محرّف ؛ لأنَ رسول الله قال له : أنت مني بمنزلة قارون من موسى فاشتبه على السامع [2]!!

ولما كان عهد المعتصم الذي كثر فيه الزنادقة والملحدون والمتكلّمون ، وولّى عهد الخلافة الراشدة ، واشتغل الناس بمشاكلّ هامشية ، وكانت محنة أحمد بن حنبل في قوله بقدم القرآن ، وأصبح الناس يدينون بدين ملوكهم وبأن القرآن مخلوق.

ولما تراجع أحمد بن حنبل عن قوله الأوّل خوفاً من المعتصم وخرج من محنته [3] ، واشتهر بعد ذلك ولمع نجمهُ في عهد المتوكّل بين أهل

---

١ .كلّهم باستثناء عمر بن عبدالعزيز (رحمه الله).

٢ . تاريخ بغداد ٨ : ٢٦٦.

٣ . المشهور عند المحدّثين والمؤرّخين أنّ أحمد بن حنبل لم يتراجع عن قوله وبقي صامداً ، ولكن هناك بعض الشواهد وردت في طيات الكتب تجعلنا نشكّك

في هذه الشهرة وتدعونا إلى مزيد التأمّل والفحص ، منها ما ذكره الجاحظ في رسالته في خلق القرآن حيث قال : « وقد كان صاحبكم هذا ـ يعني أحمد بن حنبل ـ يقول : لا تقية إلاّ في دار الشرك ، فلو كان ما أقرّ به من خلق القرآن كان منه على وجه التقية فقد أعملها في دار الإسلام وقد أكذب نفسه ، وإن كان ما أقرّ به على الصحة والحقيقة فلستم منه وليس منكم ، على أنّه لم ير سيفاً مشهوراً ، ولا ضرب ضرباً كثيراً ، ولا ضرب إلاّ بثلاثين سوط مقطوعة الثمار مشعبة الأطراف حتى أفصح بالإقرار مراراً ... » (رسائل الجاحظ ، الرسائل الكلامية : ١٧٠).

ومنها ما ورد أيضاً في تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٣٢ « وامتحن المعتصم أحمد بن حنبل في خلق القرآن فقال أحمد : أنا رجل علمت علماً ولم أعلم فيه بهذا ، فأحضر له الفقهاء وناظره عبدالرحمن بن إسحاق وغيره ... فقال إسحاق : هذا العلم الذي علمته نزل به عليك ملك أو علمته من الرجال؟ قال : بل علمته من الرجال ، قال : شيئاً بعد شيء أو جملة؟ قال : علمته شيئاً بعد شيء ، قال : فبقي عليك شيء لم تعلمه؟ قال : بقي عليّ ، قال : هذا ممّا لم تعلمه وقد علمكه أمير المؤمنين ، قال : فإنّي أقول بقول أمير المؤمنين. قال : في خلق القرآن؟ قال : في خلق القرآن ، فأشهد عليه وخلع عليه وأطلقه إلى منزله ».

وما منها ما ذكره أحمد بن يحيى بن المرتضى (ت ٨٤٠) في طبقات المعتزلة (ص١٢٥) بعدما ذكر ضرب أحمد بن حنبل وتعذيبه ، إنّ إسحاق بن إبراهيم قال له : « ويحك ، قل ما يقول أمير المؤمنين ، فأقرّ بخلق القرآن ، فقال المعتصم : ألق عليه ثياباً واجمع عليه أهل بغداد فإذا أقرّ بخلق القرآن فأطلقه ، ففعل حتى أقرّ فأطلقه ».

ومنها : أنّ الواثق بالله شدّد الأمر في مسألة خلق القرآن حتى قتل فيها من قتل من العلماء ، منهم أحمد بن نصر الخزاعي من أئمة أهل الحديث قتله الواثق ، ولما

الحديث ، عند ذلك أُلحِقَ علي بن أبي طالب عليه السلام بالخلفاء الثلاثة [1].

صلبه كتب ورقة وعلقت في أُذنه فيها : « هذا رأس أحمد بن نصر بن مالك ، دعاه عبد الله بن الإمام هارون إلى القول بخلق القرآن ونفي التشبيه فأبى إلاّ المعاندة فعجلّه الله إلى ناره » (تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٣٤١).

وممّا يدلّل على شدّة اهتمام الواثق العباسي بهذه المسألة ، أنّه لما أراد أن يفادي أُسراء المسلمين الذين كانوا عند الرومانيين جعل شرط الفداء امتحان هؤلاء الاسرى بمسألة خلق القرآن ، فمن قال : (القرآن مخلق) فودي به ، ومن أبى ذلك ترك في أيدي الروم (تاريخ الطبري حوادث سنة ٢٣١).

فنقول ونتساءل : كيف ترك الواثق أحمد بن حنبل ولم يتعرّض له؟! فهذا ممّا يثير الشكّ في أمره ، ولم يكن الواثق العباسي بالذي يخشى من أحمد أو من فتنة الناس ، فإنّه كان في أوج قدرته وكان يقتل العلماء المخالفين له من دون أيّ حرج ، فلذا لما قيل أحمد بن حنبل : صبرت يا أبا عبدالله في المحنة ، قال : ما صبرت الذي صبر أخي أحمد بن نصر الخزاعي ، وذلك أنّهم أغلظوا القول فأغلظ لهم ، فضربوا عنقه وما خافهم. (طبقات الحنابلة ٢ : ٢٨٨) فهذه الأُمور كلّها تجعلنا نشكّ في ثبات أحمد وتخدش الرأي المشهور ، والله العالم.

١ ـ بعد تغلّب المروانيين وبني أُميّة على دفّة الحكم ، وما حدث من ملاحقة شيعة عليّ عليه السلام وقتلهم ، وما حدث من لعن عليّ عليه السلام على المنابر كما قال ابن تيميّة في منهاج السنّة ٦ : ٢٠١ « وقد كان من شيعة عثمان من سبّ علياً ويجهر بذلك على المنابر وغيرها ... » فبعد هذا كلّه صرفت أنظار الناس عن عليّ عليه السلام وكانوا لا يعدّونه من الخلفاء إطلاقاً ، ويتعجّبون ممّن يسمّيه خليفة.

روى الخلاّل في السنّة : ٤٢٦ ح٦٤٦ عن عبد الملك بن الحميد الميموني أنّه قال : قلت لأبي عبد الله : فإنّا وبعض اخوتي هو ذا نعجب منك في إدخالك علياً في الخلافة ، قال : فأيش أصنع وأيش أقول بقول عليّ (رحمه الله) : أنا أمير المؤمنين ويقال له يا أمير المؤمنين ...؟ قلت : فما تصنع وما تقول في قتال طلحة والزبير إياه وتلك الدماء؟ قال : ما لنا وما لطلحة والزبير وذكر ذا ....

سبحان الله أُنظر إلى القوم بدل أن يجعلوا قتال طلحة والزبير لعليّ عليه السلام طعناً فيهما ، جعلوه طعناً في عليّ عليه السلام ، وعلى كلّ حال إنّ أحمد بن حنبل كان جاداً في هذا الأمر وكان يفحش على من لم يقل إنّ علياً خليفة (السنّة للخلاّل : ٤١٩ ح٦٢٦).

وكان يبتسم لعمّه عندما كان يقول : « هؤلاء الفسّاق الفجّار الذين لا يثبتون إمامة علي » (السنّة : ٤٢٧ ح٦٤٨).

فلذا أظهر أحمد التربيع بالخلفاء ودافع عنه ، وممّا يدلّ على أنّه هو الذي أظهر التربيع هذه الرواية التي يقول فيها الراوي : « دخلت على أحمد بن حنبل حين أظهر التربيع بعليّ فقلت : يا أبا عبد الله ، إنّ هذه اللّفظة توجب الطعن على طلحة والزبير ». (شرح أصول اعتقاد أهل السنّة للالكائي ٨ : ١٤٧٥ ح٢٦٧٠).

وذكر ابن حجر في فتح الباري ٧ : ٤٧ إنّ أحمد احتج في التربيع بعليّ بحديث سفينة مرفوعاً : الخلافة ثلاثون سنة.

وقال ابن تيميّة في منهاج السنّة ٤ : ٤٠١ : (.. يقولون .. : إنّ الزمان زمان فتنة وفرقة ، ولم يكن هناك إمام جماعة ولا خليفة. وهذا القول قاله كثير من علماء أهل الحديث البصريين والشاميين والأندلسيين وغيرهم.

وكان بالأندلس كثير من بني أُميّة يذهبون إلى هذا القول ، ويترحّمون على عليّ ويثنون عليه ، لكن يقولون : لم يكن خليفة ، وإنّما الخليفة من اجتمع الناس عليه ، ولم يجتمعوا على عليّ. وكان من هؤلاء من يربّع بمعاوية في خطبة الجمعة ، فيذكر الثلاثة ويربّع بمعاوية ولا يذكر علياً ، ويحتجّون بأنّ معاوية أجمع عليه الناس بالمبايعة لما بايعه الحسن ، بخلاف علي فإنّ المسلمين لم يجتمعوا عليه ، ويقولون لهذا ربّعنا بمعاوية ، لا لأنّه أفضل من علي ، بل علي أفضل منه.

وهؤلاء قد احتجّ عليهم الإمام أحمد وغيره بحديث سفينة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال : « الخلافة بعدي ثلاثون سنة » وقال أحمد : من لم يربّع بعلي فهو أضلّ من حمار أهله ».

ولعلّ أحمد بن حنبل بهرته الأحاديث الصحيحة الواردة في فضائل علي ، والتي ظهرت رغم أنف الحكّام ، فهو القائل : « لم يرد في أحد من الناس من الفضائل بالأحاديث الحسان مثل ما ورد في علي بن أبي طالب » [1].

عند ذلك ربّع بخلافته واعتبرها صحيحة ، بعد ما كانت عندهم منكورة.

الدّليل على ذلك :

جاء في طبقات الحنابلة ـ وهو الكتاب الصحيح والمشهور عندهم ـ : عن ابن أبي يعلى بالإسناد عن وُرَيْزة الحمصي قال :

دخلتُ على أحمد بن حنبل حين أظهر التربيع بعلي (رضي الله عنه) [2] فقلت له : يا أبا عبد الله إنّ هذا طعن على طلحة والزبير!

فقال : بئسما قلتَ ، وما نحن وحرب القوم وذكرها؟

فقلت : أصلحك الله إنّما ذكرناها حين ربَّعتَ بعلي وأوجبْتَ له الخلافة

وتكلّم بعض هؤلاء في أحمد بسبب هذا الكلام ، وقال : قد أنكر خلافته من الصحابة طلحة والزبير وغيرهما ممّن لا يقال فيه هذا القول واحتجّوا بأنّ أكثر الأحاديث التي فيها ذكر خلافة النبوّة لا يذكر فيها إلاّ الخلفاء الثلاثة).

وقال في مجموعة الفتاوى ٤ : ٢٦٩ : « .. المنصوص عن أحمد قيد مع من توقّف في خلافة عليّ وقال : هو أضلّ من حمار أهله ، وأمر بهجرانه ، ونهى مناكحته .. ».

١ ـ نحوه في مستدرك الحاكم ٣ : ١٠٧ ، وسكت عنه الذهبي مقراً بصحته ، شواهد التنزيل للحسكاني ١ : ٢٦.

٢ ـ أُنظر إلى هذا المحدّث رغم أنّه لا يسبّ عليّاً ولا يلعنه بل يقول : (رضي الله عنه) ولكنّه لا يقبل بأن يكون علي معدوداً من الخلفاء وينكر ذلك على أحمد بن حنبل ، وقوله : « إنّما ذكرناها » يدلّ على أنّه يتكلّم باسم الجماعة وهم أهل السنّة الذين بعثوه إلى أحمد بن حنبل منكرين عليه (المؤلّف).

وما يجب للأئمة قبله!

فقال لي : وما يمنعني من ذلك؟!

قلت : حديث ابن عمر.

فقال لي : عمر خير من ابنه ، فقد رضي عليّاً للخلافة على المسلمين وأدخله في الشورى ، وعلي قد سمّى نفسه أمير المؤمنين ، فأقول أنا ليس للمؤمنين بأمير؟!

قال : فانصرفت عنه [1].

ومن هذه القصّة يتبيّن لنا بأنّ « أهل السنّة » لم يقبلوا بخلافة علي ويقولوا بصحّتها إلاّ بعد أحمد بن حنبل بكثير ، كما لا يخفى.

ويظهر جليَّاً من هذا المحدّث أنّه زعيم « أهل السنّة والجماعة » ومتكلّمهم ؛ لأنّهم يرفضون خلافة علي محتجين على ذلك بحديث عبد الله ابن عمر . فقيه أهل السنّة . والذي أخرجه البخاري في صحيحه ، وبما أنّهم يقولون بأنّ البخاري هو أصحّ الكتب بعد كتاب الله ، فكان لزاماً عليهم رفض خلافة علي وعدم الاعتراف بها.

وقد ذكرنا هذا الحديث في كتاب « فاسألوا أهل الذكر » ولا بأس بإعادته لتعميم الفائدة ، فإنّ في الإعادة إفادة ، أخرج البخاري في صحيحة عن عبد الله بن عمر ، قال : « كنّا نُخيّر بين الناس في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فنخير أبا بكر ، ثمّ عمر بن الخطّاب ، ثمّ عثمان بن عفان (رضي الله عنهم) [2].

---

١ . كتاب طبقات الحنابلة ١ : ٣٩٣ رقم ٥١٠ ، ترجمة وَرَيْزة بن محمّد الحمصي.

٢ . صحيح البخاري ٤ : ١٩١ ، (كتاب بدء الخلق ، باب فضل أبي بكر بعد النبيّ).

كما أخرج البخاري في صحيحه حديثاً آخر لابن عمر أكثر صراحة من الأول ، إذ قال عبد الله بن عمر :

« كنّا في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لاَ نعدل بأبي بكر أحداً ، ثمّ عمر ، ثمّ عثمان ، ثمّ نترك أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لا نفاضل بينهم » [1].

ومن أجل هذا الحديث الذي ليس لرسول الله فيه رأي ولا عمل ، إنّما هو من خيال عبد الله بن عمر ، وآرائه الفاسدة وحقده وبغضه المعروف لعلي بنى « أهل السنّة والجماعة » مذهبهم على عدم الاعتراف بخلافة علي.

وبأمثال هذه الأحاديث استباح بنو أُميّة سبّ علي ولعنه وشتمه وانتقاصه ، ودأب الحكّام من عهد معاوية إلى أيام مروان بن محمّد بن مروان سنة ١٣٢ للهجرة يلعنون علياً على المنابر ، ويقتلون من تشيّع له ، أو من أنكر عليهم ذلك [2].

ثمّ قامتْ دولة العباسيين من عهد العباس السفّاح سنة ١٣٢ للهجرة وإلى عهد المتوكّل سنة ٢٤٧ للهجرة ، تواصلت خلالها البراءة من علي ومن تشيّع له بأساليب مختلفة ومتعدّدة حسب الظروف والملابسات ؛ لأنّ دولة العباسيين قامتْ على أنقاض أهل البيت والمتشيعين لهم ، فكان الحكّام لا يجهرون بلعن عليّ عندما تقتضي مصلحة الدولة ، ولكنّهم يعملون في الخفاء أكثر من عمل الأمويين.

---

١ ـ صحيح البخاري ٤ : ٢٠٣ باب مناقب عثمان بن عفّان.

٢ ـ باستثناء سنتين تولّى خلالهما عمر بن عبدالعزيز فأبطل اللّعن ، ولكن بعد قتله عادوا إلى اللّعن وإلى أكثر من اللّعن حتّى نبشوا قبره ، وحرّموا أن يتسمّى أحدٌ باسمه (المؤلّف).

وقد استفادوا من التجربة التاريخية التي أبرزت مظلوميّة أهل البيت وشيعتهم وعطف الناس عليهم ، فعمل الحكّام بدهاء لكسب الموقف لصالحهم ، وتقرّبوا إلى أئمة أهل البيت لا حباً فيهم ولا اعترافاً بحقّهم ، وإنّما لاحتواء الثورات الشعبية التي تقوم في أطراف الدولة وتهدد كيانها ، ذلك ما فعله المأمون بن هارون الرشيد مع الإمام علي بن موسى الرضا ، أمّا إذا سيطرت الدولة وقضت على الثورات الداخلية ، فإنّها تمعن في إهانة الأئمة وشيعتهم ، كما فعل المتوكّل الخليفة العباسي الذي اشتهر ببغض عليّ وشتمه حتى نبش قبره وقبر الحسين.

ولكلّ ذلك قلنا بأنّ « أهل السنّة والجماعة » لم يقبلوا بخلافة علي إلاّ بعد زمن أحمد بن حنبل بكثير.

صحيح أنّ أحمد بن حنبل هو أوّل من قال بها ، ولكنّه لم يقنع بها أهل الحديث كما قدّمنا ؛ لاقتدائهم بعبد الله بن عمر.

فلابدّ لذلك من وقت طويل حتى يقتنع الناس ، ويقبلوا الفكرة التي ظهر بها أحمد بن حنبل ، والتي قد يظهر الحنابلة بمظهر المنصفين والمتقرّبين لأهل البيت ، فتميزهم عن المذاهب السنية الأُخرى من المالكية والحنفية والشافعية ، والذين كانوا يتنافسون لكسب المؤيدين ، فلابدّ إذاً من قبول الفكرة وتبنّيها.

وبمرور الزمن قال « أهل السنّة والجماعة » كلّهم بمقولة أحمد بن حنبل ، وقبلوا بتربيع الخلافة بعلي ، وأوجبوا له ما أوجبوه للخلفاء الثلاثة من الاحترام والترضي.

أليس هذا أكبر دليل على أنّ « أهل السنّة والجماعة » كانوا من النواصب الذين يبغضون علياً ، ويعملون على انتقاصه وإسقاطه؟

ولقائل أن يقول : كيف يصحّ ذلك ، ونحن نرى اليوم « أهل السنّة والجماعة » يحبّون الإمام علياً ويترضّون عنه؟

فنقول : نعم ، لما قدُم العهد ومات الأئمة من أهل البيت ، ولم يعد هناك ما يخيف الحكّام ويهدّد ملكهم ، وتلاشتْ هيبة الخلافة الإسلامية ، واستولى عليها المماليك والمغول والتتار ، وضعُف الدّين ، وأصبح أكثر المسلمين يُشغلهم الفنّ والطرب ، واللهو والمجون ، والخمر والجواري ، وخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتّبعوا الشهوات ، وأصبح المعروف عندهم منكراً ، والمنكر عندهم معروفاً ، وعمّ الفساد البرّ والبحر ، عند ذلك بكى المسلمون على أسلافهم ، وتغنّوا بأمجادهم ، وتذاكروا أيامهم ، فسمّوها بالعصور الذّهبية.

وبما أنّ أفضل العصور عندهم هو عصر الصحابة ، فهم الذين فتحوا الأمصار ، ووسّعوا المملكة الإسلاميّة شرقاً وغرباً ، ودان لهم الأكاسرة والقياصرة ، فترضّوا على الصحابة جميعاً بما فيهم علي بن أبي طالب ، وإذا كان « أهل السنّة والجماعة » يقولون بعدالتهم جميعاً فلا يمكنهم عند ذلك أن يخرجوا علياً من بين الصحابة.

ولو قالوا بإخراجه لافتضحوا وكشف أمرهم عند كلّ عاقل وباحث ، فموّهوا على العامّة بأنّه رابع الخلفاء الراشدين ، وهو باب مدينة العلم رضي الله عنه وكرّم الله وجهه.

ونحن نقول لهم : فلماذا لا تُقلّدوه في أُمور دينكم ودنياكم ، إن كان اعتقادكم فيه صحيحاً بأنّه باب مدينة العلم؟

لماذا تركتم الباب عمداً وقلّدتم أبا حنيفة ، ومالكاً ، والشافعي ، وابن حنبل ، وابن تيميّة ، الذين لا يدانوه في علم ولاَ عمل ، ولا فضل ولا شرف ، فأين الثرى من الثريّا ، وأين السيف من المنجل ، وأين معاوية من علي لو كنتم تعقلون؟!

هذا بقطع النظر عن كلّ النصوص الواردة عن رسول الله ﷺ ، والتي توجب على كلّ المسلمين اتّباع الإمام علي من بعده والاقتداء به ، ولقائل من « أهل السنّة » أن يقول : إنّ فضل علي وسابقته وجهاده في سبيل الإسلام ، وعلمه الغزير ، وشرفه العظيم ، وزهده الكبير يعرفه الناس جميعاً ، بل إنّ أهل السنّة يعرفون علياً ويحبّونه أكثر من الشيعة (هذا ما يردده الكثير منهم اليوم).

فنقول لهؤلاء : أين كنتم [1] وأين كان أسلافكم وعلماؤكم عندما كان عليّ يُلعن على المنابر مئات السنين؟ فلم نسمع ولم يحدّثنا التاريخ أن أحداً منهم أنكر ذلك ، أو منع من ذلك ، أو قُتلَ من أجل ولائه وحبّه لعلي ، فلا ولن نجد من علماء أهل السنّة من فعل ذلك ، بل كانوا مقرّبين للسلاطين والأُمراء والولاة لما أعطوهم من البيعة والرضى ، وأَفْتوا لهم بقتل الرافضة

---

١ ـ لقد تعمّدت القول : أين كنتمْ ، وأقصد بها المعاصرين من « أهل السنّة والجماعة » اليوم ، فإنّهم يقرأون في صحيح مسلم بأنّ معاوية كان يسبّ عليّاً ويأمر الصحابة بذلك فلا ينكرون ، بل إنّهم يترضّون على سيّدهم معاوية كاتب الوحي عندهم ، فدلّ ذلك على أنّ حبّهم لعلي حبّ مزيّف خال عن كلّ اعتبار (المؤلّف).

الذين يوالون عليّاً وذريته ، وهؤلاء موجودون حتى في عصرنا الحاضر.

لقد دأب النصارى على معاداة اليهود عبر القرون واعتبروهم مجرمين ، وحمّلوهم مسؤولية قتل السيّد المسيح عيسى بن مريم ، ولكن لما ضعف أمر النصارى ، وتلاشت أُمور العقيدة عندهم ، واعتنق أكثرهم مذهب الإلحاد ، وأصبحت الكنيسة في سلّة المهملات للموقف المعادي الذي وقفته ضدّ العلم والعلماء ، وفي المقابل قويَ أمرُ اليهود ، واستفحل واستشرى حتى احتلوا الأراضي العربية والإسلامية بالقوة ، وامتدّ نفوذهم في الشرق والغرب ، وأقاموا دولة إسرائيل ، عند ذلك اجتمع البابا يوحنا بولس الثاني مع أحبار اليهود وبرّأهم من جريمة قتل المسيح.

« فالناس ناس والزمان زمان ».

« أهل السنّة » ومحق السنّة

نريد في هذا الفصل توضيح شيء مهم لا غنى للباحث أن يتعمق فيه ، ليكتشف بدون لبس بأنّ الذين يتسمّون « بأهل السنّة » ليس لهم في الحقيقة من سنّة النبيّ شيء يذكر.

وذلك لأنّهم ، أو بالأحرى لأنّ أسلافهم من الصحابة والخلفاء الراشدين عندهم الذين يقتدون بهم ، ويتقرّبون إلى الله بحبّهم وولائهم ، قد وقفوا من السنّة النبويّة موقفاً سلبياً إلى درجة أنّهم أحرقوها ، ومنعوا من كتابتها والتحدّث بها [1].

وإضافة لما سبق توضيحه لابدّ لنا من كشف الستار عن تلك المؤامرة الخسيسة التي حيكتْ ضدّ السنّة النبويّة المطهّرة لمنع انتشارها والقضاء عليها في المهد ، وإبدالها ببدع الحكّام واجتهاداتهم ، وآراء الصحابة وتأويلاتهم.

وقد عمل الحكّام الأولون :

أوّلا : على وضع الأحاديث المكذوبة التي تؤيّد مذهبهم في منع الكتاب لعموم السنّة النبويّة والأحاديث الشريفة.

فها هو الإمام مسلم يخرج في صحيحه ، عن هدّاب بن خالد الأزدي ،

---

١ ـ يراجع في هذا الصدد كتاب « فاسألوا أهل الذكر » من صفحة ٢٠٠ وما بعدها (المؤلّف).

عن همام ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله ﷺ قال :

« لا تكتبوا عنّي ، ومن كتب عنّي غير القرآن فليمحه ، وحدّثوا عنّي ولا حرج ... »[1].

والغرض من وضع هذا الحديث ، هو تبرير ما فعله أبو بكر وعمر اتّجاه الأحاديث النبويّة التي كتبها بعض الصحابة ودوّنوها ، وقد وُضع هذا الحديث في زمن متأخّر عن الخلفاء الراشدين ، وغفل الوضّاعون الكاذبون عن الأُمور التالية :

أ : لو قال هذا الحديث صاحب الرسالة لامتثل أمره الصحابة الذين كتبوا عنه ، ولمحوه قبل أن يتولّى أبو بكر وعمر حرقها بعد سنوات عديدة من وفاة النبيّ ﷺ .

ب : لو كان هذا الحديث صحيحاً لاستدلّ به أبو بكر أولا ، ثمّ عمر ثانياً ، لتبرير منعهما كتابة الأحاديث ومحوها ، ولاعتذر أُولئك الصحابة الذين كتبوها إمّا جهلا وإمّا نسياناً [2].

---

١ ـ صحيح مسلم ٨ : ٢٢٩ ، (كتاب الزهد والرقائق ، باب التثبّت في الحديث وحكم كتابة العلم).

٢ ـ قال محمّد أبو زهرة في كتابه (الحديث والمحدّثون) : ٢٣٣ : « إنّ امتناع بعض الصحابة عن كتابة الحديث ومنعهم منه لم يكن سببه نهي النبيّ ﷺ عن كتابة الحديث ؛ بدليل أنّ الآثار الواردة عنهم في المنع أو الامتناع من كتابة الحديث لمن ينقل فيها التعليل بذلك ، وإنّما كانوا يعلّلون بمخافة أن يشتغل الناس بها عن كتاب الله ، أو بمخافة أن يهمل الناس الحفظ اعتماداً على الكتابة ، أو لغير ذلك من الأغراض ».

ت : لو كان هذا الحديث صحيحاً لوجب على أبي بكر وعلى عمر أن يمحوا الأحاديث محواً لا أن يحرقاها حرقاً [1].

ث : لو صحّ هذا الحديث فالمسلمون من عهد عمر بن عبد العزيز إلى يوم الناس هذا كلّهم آثمون ، لأنّهم خالفوا نهي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلى رأسهم عمر ابن عبد العزيز الذي أمر العلماء في عهده بتدوين الأحاديث وكتابتها ، والبخاري ومسلم اللذان يُصحّحان هذا الحديث ثمّ يعصيانه ، ويكتبان أُلوف الأحاديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم .

ج : وأخيراً لو صحّ هذا الحديث لما غاب عن باب مدينة العلم علي بن أبي طالب ، الذي جمع أحاديث النبيّ في صحيفة طولها سبعون ذراعاً ، ويسمّيها الجامعة (وسيأتي الكلام عنها لاحقاً بحول الله).

ثانياً : عمل الحكّام الأمويون على التأكيد بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غير معصوم عن الخطأ ، وهو كغيره من البشر الذين يخطئون ويصيبون ، ويروون في ذلك عدّة أحاديث.

والغرض من وضع تلك الأحاديث هو التأكيد على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان يجتهد برأيه ، فكان كثيراً ما يخطئ ممّا حدا ببعض الصحابة أنْ يصوّب رأيه ، كما جاء ذلك في قضية تأبير النخل ، ونزول آية الحجاب ، والاستغفار للمنافقين ، وقبول الفدية من أسرى بدر ، وغير ذلك ممّا يدعيه « أهل السنّة

---

١ ـ راجع إحراق أبي بكر للأحاديث النبويّة : تذكرة الحفاظ للذهبي ١ : ٧ ، وكذلك عمر بن الخطّاب حيث منع من التحدث بالسنّة النبويّة فضلا عن كتابتها ، تقييد العلم ٤٩ ، طبقات ابن سعد ١ : ١٤٠.

والجماعة » في صحاحهم وما يعتقدونه في صاحب الرسالة (عليه وآله أفضل الصلاة وأزكى السلام).

ونحن نقول لأهل السنّة والجماعة :

إذا كان هذا هو ديدنكم ، وهذا هو اعتقادكم في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فكيف تدعون التمسّك بسنّته ، وسنته عندكم وعند أسلافكم غير معصومة ، بل غير معلومة ولا مكتوبة ؟[1]

على أننا نردُّ على هذه المزاعم والأكاذيب وندحضها من نفس كتبكم وصحاحكم .[2]

فهذا الإمام البخاري يخرج في صحيحه من كتاب العلم ، وفي باب كتابة العلم ، عن أبي هريرة قال : ما من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أحد أكثر حديثاً عنه منّي ، إلاّ ما كان من عبد الله بن عَمْرو فإنّه كان يكتُبُ ولاَ أكتُبُ [3].

ويستفاد من هذه الرواية بأنّ هناك من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من كان يكتب أحاديثه ، وإذا كان أبو هريرة يروي أكثر من ستّة آلاف حديث عن النبيّ شفاهياً ، فإنّ عبد الله بن عمرو بن العاص فاق هذا العدد كتابياً ، ولذلك

---

١ ـ لأنّ تدوين السنّة النبويّة تأخّر إلى زمن عمر بن عبدالعزيز أو بعده ، أمّا الخلفاء والحكّام الذين حكموا قبله فقد أحرقوها ومنعوا من كتابتها والتحدّث بها (المؤلّف).

٢ ـ الغريب أنّ أهل السنّة كثيراً ما يروون الحديث ونقيضه في نفس الكتاب ، والأغرب من ذلك أنّهم كثيراً ما يعملون بما هو مكذوب ، ويهملون ما هو صحيح (المؤلّف).

٣ ـ صحيح البخاري ١ : ٣٦ (كتاب العلم ، باب كتابة العلم).

اعترف أبو هريرة بأنّ عبد الله بن عمرو أكثر منه أحاديث عن النبيّ لأنّه كان يكتب ، ولا شكّ بأنّ هناك في الصحابة كثيرين ممّن كانوا يكتبون عن النبيّ أحاديثه ، ولم يذكرهم أبو هريرة لعدم اشتهارهم بكثرة الرواية عنه صلى الله عليه وآله وسلم .

وإذا أضفنا إلى هؤلاء الإمام علي بن أبي طالب الذي كان ينشر من فوق المنبر صحيفة يسمّيها الجامعة ، جمع فيها كلّ ما يحتاجه الناس من أحاديث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد توارثها الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وكثيراً ما تحدّثوا عنها.

فقد قال الإمام جعفر الصادق :

« إنّ عندنا لصحيفة طولها سبعون ذراعاً ، إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخط علي بيده ، ما من حلال ولا حرام وما من شيء يحتاج إليه الناس ، وليس قضية إلاّ وهي فيها حتى أرش الخدش » [1].

وقد أشار البخاري نفسه في صحيحه إلى هذه الصحيفة التي كانت عند علي في عدّة أبواب من كتابه ، ولكنّه وكما عوّدنا البخاري فإنّه بتر الكثير من خصائصها ومضمونها.

قال البخاري في باب كتابة العلم :

عن الشعبي ، عن أبي جحيفة قال : قلت لعلي : هل عندكم كتاب؟

قال : « لا إلاّ كتاب الله ، أو فهم أعطيه رجلا مسلماً ، أو ما في هذه الصحيفة ».

قال : قلت : وما في هذه الصحيفة؟

---

١ . بصائر الدرجات : ١٦٢ ح٣ ، الكافي ١ : ٢٣٩ ح١.

قال : « العقل ، وفكاك الأسير ، ولا يقتل مسلم بكافر » [1].

كما جاء في صحيح البخاري في موضع آخر قوله :

عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، عن علي قال : « ما عندنا شيء إلاّ كتاب الله ، وهذه الصحيفة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم » [2].

كما جاء في موضع آخر من صحيح البخاري قوله :

عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه قال : خطبنا علي فقال : « ما عندنا كتاب نقرأه إلاّ كتاب الله ، وما في هذه الصحيفة » [3].

وينقل البخاري في باب آخر من صحيحه قوله :

عن علي (رضي الله عنه) قال : « ما كتبنا عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ القرآن ، وما في هذه الصحيفة » [4].

كما أخرج البخاري في موضع آخر من صحيحه قوله :

عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه قال : خطبنا علي (رضي الله عنه) على منبر من آجر ، وعليه سيف فيه صحيفة معلّقة ، فقال : « والله ما عندنا كتاب يقرأ إلاّ كتاب الله ، وما في هذه الصحيفة » [5].

---

١ . صحيح البخاري ١ : ٣٦ (كتاب العلم ، باب كتابة العلم).

٢ . صحيح البخاري ٢ : ٢٢١ (كتاب فضائل المدينة ، باب حرم المدينة).

٣ . صحيح البخاري ٤ : ٦٧ (كتاب الجزية والموادعة ، باب ذمّة المسلمين وجوارهم واحدة) ، صحيح مسلم ٤ : ١١٥ (كتاب الحج ، باب فضل المدينة).

٤ . صحيح البخاري ٤ : ٦٩ (كتاب الجزية ، باب كيف ينبذ إلى أهل العهد).

٥ . صحيح البخاري ٨ : ١٤٤ (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة ، باب ما يكره من التعمّق والتنازع في العلم).

ولم ينقل البخاري ما قاله الإمام جعفر الصادق من أنّ الصحيفة تسمّى الجامعة ؛ لأنّها جمعتْ كلّ حلال وكلّ حرام ، وفيها كلّ ما يحتاجه الناس حتى أرش الخدش ، بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخطّ علي بن أبي طالب ، فاختصرها بقوله مرّة : بأنّ فيها « العقل ، وفكاك الأسير ، ولا يقتل مسلم بكافر » ، ومرّة أُخرى بقوله : فنشرها عليّ فإذا فيها أسنان الإبل ، وإذا فيها المدينة حرم ... وإذا فيها ذمّة المسلمين واحدة ... وإذا فيها من والى قوماً بغير إذن مواليه ... ».

إنّه التزوير والتعتيم على الحقائق ، وإلاّ هل يعقل أنْ يكتب علي هذه الكلمات الأربعة في صحيفة ، ويعلّقها على سيفه ، وتلازمه عندما يخطب من فوق المنبر ، ويجعل منها المرجع الثاني بعد كتاب الله ، فيقول للناس : « ما كتبنا عن النبيّ إلاّ القرآن ، وما في هذه الصحيفة »؟!

وهل كان عقل أبي هريرة أكبر من عقل علي بن أبي طالب إذ كان يحفظ عن رسول الله مائة ألف حديث من غير كتابة [1]؟

---

١ ـ أبو هريرة من الشخصيات الروائية البارزة عند أهل السنّة ، وله من الشهرة التي جعلته كنار على منار لكثرة الروايات التي نسبها إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، مع ملاحظة قصر مدّة صحبته للنبيّ عليه الصلاة والسلام ، ممّا أثار الجدل والأخذ والردّ حول هذه الشخصية ، فكثر عليه الاعتراض من قبل علماء السنّة أنفسهم قبل غيرهم ، والاعتراضات التي وجهت إليه ترجع إلى ثلاث نقاط :

١ ـ الكم الهائل من الروايات التي نقلها ونسبها إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، والتي تقدّر ٨٧٤٠ رواية في الكتب التسعة ، مع قصر مدّة صحبته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والتي تقدر بسنتين وبضعة شهور.

عجيب والله أمر هؤلاء الذين يقبلون مائة ألف حديث عن أبي هريرة الذي لم يصحب النبيّ إلاّ ثلاث سنوات ، وكان يجهل القراءة والكتابة ، ويزعمون بأنّ علياً باب مدينة العلم الذي تعلّم منه الصحابة شتى العلوم والمعارف ، كان يحمل صحيفة فيها أربعة أحاديث ، ظلّت تلازمه من حياة الرسول إلى أيام خلافته ، فيصعد بها على المنبر وهي معلّقة على سيفه؟ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلاّ كذباً.

على أنّ في ما أخرجه البخاري كفاية للباحثين والعقلاء ، وذلك عندما ذكر بأنّ فيها العقل ، فهو دليل بأنّ في الصحيفة أشياء كثيرة تخص العقل البشري والفكر الإسلامي.

ونحن لا نريد إقامة الدليل على ما في الصحيفة ، فأهل مكّة أدرى بشعابها ، وأهل البيت أدرى بما فيه ، وقد قالوا بأنّ فيها كلّ ما يحتاجه الناس من حلال وحرام حتى أرش الخدش.

---

٢ ـ طبيعة الروايات التي نقلها ، فإنّها تضمنت الكثير من الخرافات والاسرائيليات المأخوذة من اليهود ككعب الأحبار وغيره.

٣ ـ اعتراض الكثير من الصحابة على ما يرويه ، ممّا أدى ببعضهم إلى التحقيق معه وإظهار كذبه في بعض الموارد ؛ لأنّه كان ينسب أشياء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو لم يسمعها منه ، وعندما يحقق عليها ينسبها إلى ميت أو يرطن بالحبشية.

وكان أبو هريرة من وعّاظ السلاطين والمتمسحين بهم ، وهناك كلام كثير حول هذه الشخصية يمكن مراجعته في الأبحاث التالية :

١ ـ أبو هريرة ، السيدّ شرف الدين العاملي.

٢ ـ أكثر أبو هريرة للدكتور مصطفى بوهندي.

٣ ـ شيخ المضيرة أبو هريرة ، محمود أبو رية.

ولكنّ الذي يهمنا في هذا البحث هو أنّ الصحابة كانوا يكتبون أحاديث النبيّ ﷺ ، وقول أبي هريرة بأنّ عبد الله بن عمرو كان يكتب أحاديث النبيّ ، وقول علي بن أبي طالب : « ما كتبنا عن رسول الله إلاّ القرآن وما في هذه الصحيفة » كما جاء في صحيح البخاري ، هو دليل قاطع على أنّ رسول الله ﷺ لم ينه عن كتابة أحاديثه أبداً ، بل العكس هو الصحيح ، وأنّ الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه « لا تكتبوا عنّي ومن كتب عنّي غير القرآن فليمحه » هو حديث مكذوب ، وضعه أنصار الخلفاء لتأييد وتبرير ما فعله أبو بكر وعمر وعثمان من حرق الأحاديث النبويّة ومنع السنّة من الانتشار.

وممّا يزيدنا يقيناً بأنّ رسول الله ﷺ لم ينه عن كتابة الأحاديث عنه بل إنّه أمر بها ، هو ما قاله الإمام علي عليه السلام أقرب الناس للنبي ﷺ : « ما كتبنا عنه غير القرآن ، وما في هذه الصحيفة » والذي صحّحه البخاري.

وإذا أضفنا إلى هذا قول الإمام جعفر الصادق بأنّ الصحيفة الجامعة هي من إملاء رسول الله وخطّ علي ، فمعناه أنّ النبيّ أمر علياً بالكتابة.

وحتى لا يبقى عندك شكّ أيّها القارئ العزيز ، أزيدك ما يلي :

أخرج الحاكم في مستدركه ، وأبو داود في صحيحه ، والإمام أحمد في مسنده ، والدارمي في سننه ، أخرجوا كلّهم حديثاً مهماً جداً بخصوص عبد الله بن عمرو الذي ذكره أبو هريرة بأنّه كان يكتب عن النبيّ :

قال عبد الله بن عمرو : كنت أكتب كلّ شيء أسمعه من رسول الله ﷺ ، فنهتني قريش وقالوا : تكتب كلّ شيء سمعته من رسول الله ، وهو بشر

يتكلم في الغضب والرضى؟

قال عبد الله : فأمسكت عن الكتابة ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فأومأ إلى فيه وقال : « أكتب فو الذي نفسي بيده ما خرج منه إلاّ الحقّ » [1].

ونُلاحظ من خلال هذا الحديث بأنّ عبد الله بن عمرو كان يكتب كلّ ما يسمعه من النبيّ ﷺ ، فلم ينهه النبيّ عن ذلك وإنّما وقع النهي من قريش ، ولم يرد عبد الله التصريح بأسماء الذين نهوه عن الكتابة ؛ لأنّ في نهيهم طعن على رسول الله ، كما لا يخفى ، فأبهم القول بأنّهم قريش ، والمقصود بقريش زعماؤها من المهاجرين ، وعلى رأسهم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعبد الرحمان بن عوف ، وأبو عبيدة ، وطلحة ، والزبير ، ومن سار على رأيهم.

كما نلاحظ بأنّ نهيهم لعبد الله كان في حياة النبيّ ﷺ ، وهذا ما يؤكد عمق المؤامرة وخطورتها.

وإلاّ لماذا يعمد هؤلاء لنهي عبد الله عن الكتابة بدون الرجوع إلى النبيّ نفسه؟

كما يفهم أيضاً من قولهم له : إنّ رسول الله بشر يتكلّم في الغضب والرضى ، أنّ عقيدتهم في النبيّ كانت هزيلة إلى درجة أنّهم يشكّون فيه بأنّه يقول باطلا ويحكم ظلماً خصوصاً في حالة الغضب ، وما قول

---

١ . مستدرك الحاكم ١ : ١٠٤ صحّحه ووافقه الذهبي في تلخيص المستدرك ، سنن أبي داود ٢ : ١٧٦ ، سنن الدارمي ١ : ١٢٥ ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢ : ١٦٢ وصحّحه محقّق الكتاب العلاّمة أحمد محمّد شاكر ، المصنّف لابن أبي شيبة ٦ : ٢٢٩ ، تفسير ابن كثير ٤ : ٢٦٤ ، جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البرّ ١ : ٧١.

النبيّ ﷺ عندما ذكر له عبد الله بن عمرو نهي قريش وما قالوه في شأنه فقال ﷺ :

« أكتب فو الذي نفسي بيده ما خرج منه إلاّ الحقّ » . إشارة إلى فمه . لدليل آخر على علم الرسول بشكّهم في عدالته ، وأنّهم يجوّزون عليه الخطأ وقول الباطل ، فأقسم بالله بأنّه لا يخرج من فمه إلاّ الحقّ.

وهذا هو التفسير الصحيح لما جاء في قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [1].

وأنّه ﷺ معصوم عن الخطأ وقول الباطل ، وبهذا فإنّنا نجزم بأنّ كلّ الأحاديث والروايات التي وضعت في زمن الأمويين ، والتي يستفاد منها بأنّه غير معصوم لا يصح شيء منها ، كما أنّ الحديث المذكور يشعرنا بأنّ تأثيرهم على عبد الله بن عمرو كان كبيراً حتى أمسك عن الكتابة ، كما صرّح هو بنفسه إذ قال : « فأمسكت عن الكتابة » وبقي على ذلك إلى أن جاءتْ مناسبة تدخّل فيها رسول الله بنفسه لإزالة الشكوك التي تثار حول عصمته وعدالته ، وكانت كثيراً ما تثار حتى بمحضره ﷺ كقولهم له صراحة : « ألست نبي الله حقاً؟ » [2] أو : « أنت الذي تزعم أنّك نبي » [3] ، أو « ما

---

١ . النجم : ٣ . ٤.

٢ . قاله عمر بن الخطّاب في صلح الحديبية ، أخرجه البخاري ٣ : ١٨٢ (كتاب الصلح ، باب الشروط والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط).

٣ . قالته عائشة بنت أبي بكر للنّبي كتاب إحياء العلوم للغزالي ٢ : ٦٥ (كتاب النكاح ، الباب الثالث).

أُريد بهذه القسمة وجه الله » [1] ، أو كقول عائشة للنبي : « إن ربّك يسارع في هواك » [2] ، أو قولها له : « أقصد » إلى غير ذلك من العبارات النابية التي تُعربُ عن شكّهم في عصمته واعتقادهم بأنّه يحيف ويظلم ويخطئ ويكذب والعياذ بالله.

فكان صلى الله عليه وآله وسلم صاحب الخلق العظيم رؤوفاً رحيماً ، كثيراً ما يزيح تلك الشبهات بقوله مرّة : « ما أنا إلاّ عبد مأمور » [3] ، ومرة يقول : « إنّي لأخشاكم لله وأتقاكم له » [4] ، وأخرى يقول : « والذي نفسي بيده ما خرج منه إلاّ الحقّ » [5] ، وكثيراً ما كان يقول : « رحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر » [6].

فلم تكن هذه الكلمات النابية التي تطعن في عصمته وتشكّك في نبوته صادرة عن أُناس متروكين أو عن المنافقين ، ولكنّها مع الأسف صدرت عن عظماء الصحابة ، وعن أُمّ المؤمنين ، والذين هم عند « أهل السنّة والجماعة » قدوة وأُسوة حسنة ، فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم.

وممّا يزيدنا يقينا بأنّ حديث « لا تكتبوا عنّي » هو حديث موضوع لا

---

١ ـ قاله صحابي من الأنصار للنّبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخرجه البخاري ٥ : ١٠٦ (كتاب المغازي ، باب غزوة الطائف).

٢ ـ صحيح البخاري ٦ : ٢٤ ، ١٢٨ (كتاب التفسير ، تفسير سورة الأحزاب).

٣ ـ المعجم الكبير ١٢ : ١١٤.

٤ ـ صحيح البخاري ٦ : ١١٦ (كتاب النكاح ، الترغيب في النكاح).

٥ ـ مسند أحمد ٢ : ١٦٢ وصرّح محقّق الكتاب العلاّمة أحمد محمّد شاكر بصّحته.

٦ ـ مسند أحمد ١ : ٣٨٠ ، صحيح البخاري ٤ : ٦١ (كتاب الجهاد والسير ، باب ما كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يعطي المؤلّفة قلوبهم وغيرهم من الخمس).

أساس له من الصحة ، ولم ينطق به رسول الله إطلاقاً ؛ أنّ أبا بكر نفسه كان يكتب عن رسول الله بعض الأحاديث التي جمعها في عهد النبيّ ، ثمّ بعدما تولّى الخلافة بدا له أن يحرقها لأمر قد لا يخفى على الباحثين.

فها هي ابنته عائشة تقول : جمع أبي الحديث عن رسول الله فكانت خمسمائة حديث ، فبات يتقلّب ، فقلت : يتقلّب لشكوى أو لشيء بلغه ، فلمّا أصبح قال : أي بنية هلمّي بالأحاديث التي عندك ، فجئته بها فأحرقها [1].

وهذا عمر بن الخطّاب أيضاً في خلافته يخطب يوماً في الناس قائلا : « لا يبقين أحد عنده كتاباً إلاّ أتاني به فأرى فيه رأيي « فظنوا أنّه يريد النظر فيها ليقوّمها على أمر لا يكون فيه اختلاف ، فأتوه بكتبهم فأحرقها بالنار » [2].

كما بعث في الأمصار يأمرهم : « من كان عنده شيء فليمحه » [3].

فهذا أكبر دليل على أنّ الصحابة عامّة ، سواء منهم المقيمين في المدينة أو في بقية الأمصار الإسلامية الأُخرى ، كلّهم عندهم كتبٌ جمعوا فيها الأحاديث النبويّة التي كتبوها على عهده ﷺ ، فأحرقت كلّها بفعل أبي بكر أوّلا ، ثمّ عمر ثانياً ، ومُحيتْ بقية الكتب التي في الأمصار بأمر عمر في خلافته [4].

---

١ ـ كنز العمّال ١٠ : ٢٨٥ ح٢٩٤٦٠ ، تذكرة الحُفّاظ للذهبي ١ : ٥.

٢ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد ٥ : ١٨٨ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ٥٩.

٣ ـ كتاب العلم للنسائي : ١١ ، كنز العمال ١٠ : ٢٩٢ ح٢٩٤٧٦.

٤ ـ أنظر رعاك الله إلى هذا العمل الشنيع الذي فعله الخلفاء أبو بكر وعمر اتّجاه

وعلى هذا فلا يمكن لنا ، ولا لأيّ عاقل أن يصدّق بأنّ رسول الله نهاهم عن كتابة الحديث ، بعدما عرفنا بأنّ أكثر الصحابة كانت عندهم كتب للأحاديث ، وخصوصاً الصحيفة التي كانت تلازم الإمام علي وطولها سبعون ذراعاً ، ويُسميّها الجامعة ؛ لأنّها جمعتْ كلّ شيء.

وبما أنّ السلطة الحاكمة والسياسة السائدة اقتضت مصالحها محو السنّة وحرقها وعدم التحدّث بها ، فإنّ الصحابة المؤيّدين لتلك الخلافة امتثلوا الأوامر ونفّذوها ، فلم يبقَ لهم ولا لأتباعهم من التابعين سوى الاجتهاد بالرأي ، أو الاقتداء بسنّة أبي بكر ، وسنّة عمر ، وسنّة عثمان ، وسنّة معاوية ، وسنّة يزيد ، وسنّة مروان بن الحكم ، وعبد الملك بن مروان ، والوليد بن عبد الملك ، وسنّة سليمان بن عبد الملك ، إلى أن جاء عمر بن عبد العزيز فطلب من أبي بكر الحزمي أن يكتب له ما كان من حديث رسول الله أو سنّته أو حديث عمر بن الخطّاب [1].

وهكذا يتبيّن لنا أنّه حتى في الظروف التي سمحتْ بتدوين السنّة ، وبعد

السنّة النبويّة ، والخسارة العُظمى التي لا تُقدّر والتي تسبّبا فيها للأمّة الإسلامية التي كانت في أشدّ الحاجة للأحاديث النبويّة لفهم القرآن وفهم أحكام الله تعالى ، وإنّما لعمري أحاديث صحيحة لأنّهم كتبوها عنه مباشرة وبدون واسطة ، أمّا الأحاديث التي جُمعَتْ فيما بعد أغلبها أحاديث موضوعة ؛ لأنّ الفتنة وقعت ، وقتل المسلمون بعضهم ، وكتبت بأمر الحكّام الجائرين (المؤلّف).

١ ـ مقدّمة الموطأ لمالك ١ : ٢٦ ، تحقيق : محمّد فؤاد عبدالباقي ، سنن الدارمي ١ : ١٢٦ ، وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٢٤١ ، وكنز العمال ١ : ٣٣٢ عن حاطب بن خليفة البرجمي قال : (شهدت عمر بن عبد العزيز يخطب وهو خليفة ، فقال في خطبته : ألا وإنّ ما سنّ رسول الله وصاحباه فهو دين نأخذ به وننتهي إليه ...(.

مرور مائة سنة على طمسها ومنعها ، نرى الحاكم الأموي المعتدل والذي ألحقه « أهل السنّة » بالخلفاء الراشدين ، يأمرُ بجمع سنّة رسول الله وسنّة عمر بن الخطّاب ، وكأنّ عمر بن الخطّاب شريك محمّد في رسالته ونبوّته!!

ولماذا لم يطلب عمر بن عبد العزيز من أئمّة أهل البيت الذين عاصرهم أن يعطوه نسخة من الصحيفة الجامعة؟! ولماذا لم يكلّفهم هم بجمع الأحاديث النبويّة ، فهم أعلم بحديث جدّهم من غيرهم؟!

فالمحقّقون والباحثون يعرفون سرّ ذلك.

وهل يحصل الاطمئنان إلى تلك الأحاديث التي جمعها « أهل السنّة والجماعة » من بني أُميّة وأعوانهم الذين يمثّلون خلافة قريش ، وقد عرفنا حقيقة قريش وعقيدتها في رسول الله وسنّته المطهّرة؟

ويبقى واضحاً بعد هذا بأنّ السلطة الحاكمة وعلى مرّ عصور الخلافة عملت بالاجتهاد والقياس ومشاورة بعضهم.

وبما أنّ السلطة قد أقصت الإمام علياً عن مسرح الحياة وأهملته ، فلم يكن لها عليه من سلطان لحرق ما كتبه في عهد الرسالة بإملاء النبيّ نفسه.

وبقي علي بن أبي طالب يحتفظ بتلك الصحيفة التي جمع فيها كلّ ما يحتاجه الناس حتّى أرش الخدش ، ولما تولّى الخلافة كان يُعلّقها على سيفه ، ويصعد على المنبر ليخطُب في الناس ويُعرّفهم بأهمّيتها.

وقد تواترت الأخبار عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بأنّهم توارثوا تلك الصحيفة أباً عن جدّ وكابراً عن كابر ، وكانوا يفتون بها في المسائل التي يحتاجها معاصروهم ممّن اقتدوا بهديهم.

ولذلك كان الإمام جعفر الصادق ، والإمام الرضا ، وغيرهم من الأئمة يردّدون دائماً نفس الكلام بخصوصها ويقولون :

« إنّنا لا نفتي الناس بآرائنا ، إنّا لو كنّا نفتي الناس برأينا وهوانا لكنّا من الهالكين ، ولكنّها آثار من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أصل علم نتوارثها كابر عن كابر ، نكتنزها كما يكتنز الناس ذهبهم وفضّتهم » [1].

وقال جعفر الصادق مرّة أُخرى :

« حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدّي ، وحديث جدّي حديث الحسين ، وحديث الحسين حديث الحسن ، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين ، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله ، وحديث رسول الله هو قول الله (عزّ وجلّ) » [2].

وبكلّ هذا يُصبحُ حديث الثقلين المتواتر [3] : « تركتُ فيكم الثقلين كتاب

---

١ ـ بصائر الدرجات : ٣١٩ ، بحار الأنوار ٢ : ١٧٢ ح٣.

٢ ـ أصول الكافي ١ : ٥٣ ح١٤ ، بحار الأنوار ٢ : ١٧٩ عن منية المريد : ٣٧٣.

٣ ـ قال ابن حجر في الصواعق ٢ : ٤٤٠ « ثمّ اعلم أنّ لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً ... وفي بعض تلك الطرق أنّه قال ذلك بحجّة الوداع بعرفة ، وفي أُخرى أنّه قاله بالمدينة في مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصحابه ، وفي أُخرى أنّه قال ذلك بغدير خم ، وفي أخرى أنّه قال لما قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف ... ولا تنافي إذ لا مانع من أنّه كرّر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة ».

وجاء في نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار ٢ : ٢٢٦ انّ حديث الثقلين روي عن (٣٤) صحابياً.

وبما أنّ حديث الثقلين له هذه الطرق المتعدّدة فيكون متواتراً ، لصدق ضابط

الله وعترتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً « [1] ، هو الحقّ الذي

التواتر عليه ، وهو أن ينقله من يحصل العلم بصدقهم ، أو أن ينقله كثير بحيث يمتنع تواطئهم على الكذب ، وهذا صادق على حديث الثقلين ؛ لأنّ له أكثر من ٣٤ طريقاً ، بل نجدهم حكموا بتواتر كثير من الأخبار التي لم تصل عدد رواتها إلى نصف هذا المقدار ، ومن شاء فليرجع لكتاب (النظم المتناثر من الحديث المتواتر) للكتاني ، ويرى ذلك بنفسه.

وقد ذكرنا سابقاً أنّ حديث الثقلين له طرق متعدّدة ، وألفاظ متقاربة ؛ لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ذكره في مناسبات متعدّدة ، وقد رواه مسلم في صحيحه أيضاً ، وعليه فما ذكره في كشف الجاني : ١٧٠ من أنّ حديث الثقلين غير متواتر ناشئ من عدم معرفة أقسام الحديث ومعرفة المتواتر من الآحاد ، وما ذكره أيضاً حول رواية مسلم لحديث الثقلين بلفظ يختلف عمّا ذكره المؤلّف ما هو إلاّ تغطية وهروب من الإشكال الذي عجز أهل السنّة عن حلّه : وهو لماذا خالفتم وصية النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالكتاب والعترة ، فتركتم أهل البيت وتمسكتم بالسنّة الأموية المعادية للقرآن والعترة الطاهرة؟!

وفي الواقع إنّ حديث الثقلين كان وما زال يسبب أزمة كبيرة للمذهب السنّي الذي خالفه بكلّ صراحة وجرأة ، وما زال علماء المذهب السنّي عاجزين عن الإجابة عن ذلك ، وما زال أبناء المذهب السنّي يكتشفون الحقيقة في أحقّية أهل البيت بواسطة حديث الثقلين ، فما يذكره عثمان الخميس وغيره ما هو إلاّ اعتراف بالفشل وعدم إيجاد الجواب المقنع لمخالفة حديث الثقلين.

١ ـ راجع مصادر الحديث بألفاظه المختلفة : مسند أحمد ٣ : ١٤ ومواضع أُخر ، المستدرك للحاكم ٣ : ١٠٩ وصحّحه ، مسند ابن الجعد : ٣٩٧ ، كتاب السنّة لابن أبي عاصم : ٦٣٠ ح١٥٥٤ ، السنن الكبرى للنسائي ٥ : ٤٥ ، مسند أبي يعلى ٢ : ٣٠٣ ح١٠٢٧ ، تفسير ابن كثير ٤ : ١٢٢ وصحّحه ، الطبقات لابن سعد ٢ : ١٩٤ ، السيرة النبويّة لابن كثير ٤ : ٤١٦ وقال : « قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي : وهذا حديث صحيح » وغيرها من المصادر.

ليس بعده إلاّ الضلال ، وتصبحُ السنّة النبويّة الصحيحة ليس لها من حافظ وراع وقيّم غير الأئمة الأطهار من آل بيت المصطفى المختار.

كما يُستنتجُ من هذا أنّ شيعة أهل البيت الذين تمسّكوا بالعترة هم أهل السنّة النبويّة ، وأن « أهل السنّة والجماعة » مدّعون ما ليس لهم ، ولا تقُوم دعواهم على حجّة ولا دليل.

والحمدُ لله الذي هدانا لهذا.

الشيعة في نظر « أهل السنّة »

إذا استثْنينا بعض العلماء المعاصرين الذين أنصفوا في كتاباتهم عن الشيعة بما تفرضه عليهم الأخلاق الإسلامية ، فإنّ الأغلبية الساحقة منهم قديماً وحديثاً لا زالوا يكتبون عن الشيعة بعقلية الأمويين الحاقدين ، فتراهم في كلّ واد يهيمون ويقولون ما لا يفقَهون ، ويسبّون ويشتمون ، ويتقوّلون افتراء وبهتاناً على شيعة آل البيت ما هم منه براء ، ويكفّرونهم وينبذونهم بالألقاب ، اقتداءً بسلفهم الصالح معاوية وأضرابه ، الذين استولوا على الخلافة الإسلامية بالقوة والقهر ، والمكر والدّهاء ، والخيانة والنفاق.

فمرّة يكتبون بأنّ الشيعة هي فرقة من تأسيس عبد الله بن سبأ اليهودي ، ومرّة يكتبون بأنّهم من أصل المجوس ، وأنّهم روافض قبّحهم الله ، وأنّهم أخطر على الإسلام من اليهود والنصارى ، ومرّة يكتبون بأنّهم منافقون لأنّهم يعملون بالتّقية ، وأنّهم إباحيون يبيحون نكاح المحارم ، ويحلّلون المتعة وهي زنا ، والبعض يكتب بأنّ لهم قرآناً غير قرآننا ، وأنّهم يعبدون علياً والأئمة من بنيه ، ويبغضون محمّداً وجبريل ، وأنّهم وأنّهم ...

ولا يمرُّ عامٌ إلاّ ويطلع علينا كتاب أو مجموعة كتب من أُولئك العلماء الذين يتزعّمون « أهل السنّة والجماعة » بزعمهم ، وكلّه تكفير واستهانة بالشيعة.

وليس لهم في ذلك مبرر ولا دافع إلاّ إرضاء أسيادهم الذين لهم مصلحة

في تمزيق الأُمّة وتفريقها والعمل على إبادتها ، كما ليس لهم فيما يكتبون من حجّة ولا دليل ، سوى التعصّب الأعمى ، والحقد الدّفين ، والجهل المقيت ، وتقليد السلف بدون تمحيص ولا بحث ولا بيّنة ، فهم كالببّغاء يعيدون ما يسمعون ، ويستنسخون ما كتبه النواصب من أذناب الأمويين ، والذين لا يزالون يعيشون على مدح وتمجيد يزيد بن معاوية [1].

فلا نستغربُ من أُولئك الممجدّين ليزيد بن معاوية أن يسبّوا ويكفّروا أعداء يزيد هذا.

وإذا كان سلفهم الصالح ، يزيد وأبوه معاوية يغدقون على أتباعهم ومن تشيّع لهم الذهب والفضة ، ويشترون بها ضمائرهم في الماضي ، فإنّ ملايين الدولارات ، والقصور الفخمة في لندن وباريس والتي ملئتْ بزرق العين ، من الشقراوات ، والخمر المصفّى ؛ لقادرة على شراء ضمائرهم ودينهم وأوطانهم في الحاضر.

ولو كان هؤلاء يتبعون السنّة النبويّة ـ كما يزعمون ـ لتعلّموا من أخلاقه العالية ﷺ احترام الغير ولو خالفهم في العقيدة.

ألم تقل السنّة النبويّة : « المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً » [2] ، و « المسلم للمسلم كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له

---

١ ـ فقد نشرت وزارة المعارف للمملكة العربية السعودية كتاباً بعنوان : « حقائق عن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية ». وهذا الكتاب انتخبته وزارة المعارف للتدريس في مدارسها الرسمية (المؤلّف).

٢ ـ صحيح البخاري ١ : ١٢٣ (كتاب الصلاة ، باب الحلف والجلوس في المسجد) ، باختلاف.

سائر الجسد بالسهر والحمّى »[1] ، ألم يصرّح النبيّ ﷺ بأنّ « سباب المسلم فسوق وقتاله كفرٌ »[2].

فلو كان هؤلاء الكتّاب المدّعون أنّهم من « أهل السنّة والجماعة » يعرفون السنّة النبويّة ، لما سمحتْ لهم نفوسهم بتكفير من يشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله ، ويقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، ويصوم رمضان ، ويحجّ البيت الحرام ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر.

وبما أنّهم أتباع السنّة الأموية والقريشية ، فهم يتكلّمون ويكتبون بالعقلية الجاهلية ، والأفكار القبليّة ، والنعرات العنصرية ، فالشيء من مأتاه لايستغربُ ، وكلّ إناء بالذّي فيه ينضح.

ألم يقل رسول الله ﷺ كما جاء في الذكر الحكيم : ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلَمَة سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ** ﴾[3]؟

فإن كانوا من أهل السنّة حقّاً ، فلينادوا إخوانهم من الشيعة إلى كلمة سواء بينهم.

وإذا كان الإسلام ينادي أعداءه من اليهود والنصارى إلى كلمة سواء للتفاهم والتآخي ، فكيف بمن يعبدون إلهاً واحداً ، ونبيّهم واحدٌ ، وكتابهم واحدٌ ، وقبلتهم واحدة ، ومصيرهم واحدٌ؟!

---

١ ـ صحيح البخاري ٧ : ٧٧ (كتاب الآداب ، باب الساعي على المساكين) ، باختلاف.

٢ ـ صحيح البخاري ١ : ١٧ (كتاب الإيمان ، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله).

٣ ـ آل عمران : ٦٤.

فلماذا لا ينادي علماء « أهل السنّة » إخوانهم من علماء الشيعة ، ويجلسون معهم حول طاولة البحث ، ويجادلونهم بالتي هي أحسن ، ويصلحون عقائدهم إن كانت فاسدة كما يزعمون؟

لماذا لا يعقدون مؤتمراً إسلامياً يجمع علماء الفريقين ، وتطرحُ فيه كلّ المسائل الخلافية على مسمع ومرأى من كلّ المسلمين ، حتّى يعرفوا وجه الصواب من الكذب والبهتان؟

وخصوصاً وأن « أهل السنّة والجماعة » يمثّلون ثلاثة أرباع المسلمين في العالم ، ولهم من الإمكانات المادّية والنفوذ لدى الحكومات ما يجعل ذلك عندهم سهلا ميسوراً إذ يملكون الأقمار الصناعية؟!

ولأنّ « أهل السنّة والجماعة » لا يعملون لمثل هذا أبداً ، ولا يريدون المواجهة العلمية التي ينادي بها كتاب الله المجيد بقوله :

﴿ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ﴾ [1].

﴿ هَلْ عِندَكُمْ مَنْ عِلْم فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ ﴾ [2].

ولذلك تراهم دائماً يلجأون إلى السبّ والشتم والتكفير والبهت والافتراء ، وهم يعرفون بأنّ الحجّة والدليل مع خصومهم الشيعة.

وأعتقد بأنّهم يخافون أن يتشيّع أكثر المسلمين إذا كشفت الحقائق ، كما وقع بالفعل لبعض العلماء الأزهريين في مصر الذين سمحوا لأنفسهم

---

١ . البقرة : ١١١.

٢ . الأنعام : ١٤٨.

بالبحث عن الحقّ ، فأدركوه واستبصروا ونبذوا ما كانوا عليه من عقيدة « السلف الصالح ».

فالعلماء من « أهل السنّة والجماعة » يُدركون هذا الخطر الذي يهدّد كيانهم بالذّوبان ، فإذا أعيتهم الحيلة وصل الأمر بالبعض منهم أن حرّم على أتباعه ومقلّديه أن يجلسوا مع الشيعة أو يجادلوهم ، أو يتزوّجوا منهم أو يزوّجوهم ، أو يأكلوا من ذبائحهم.

ويُفهم من موقفهم هذا بأنّهم أبعد ما يكونون عن السنّة النبويّة ، وهم أقرب ما يكونون من سنّة بني أُميّة الذين عملوا بكلّ جهودهم على إضلال الأُمّة المحمّدية بأيّ ثمن ؛ لأنّ قلوبهم لم تخشع لذكر الله وما نزل من الحقّ ، ودخلوا في الإسلام وهم كارهون.

وهذا ما عبّر عنه إمامهم معاوية بن أبي سفيان الذي قتل خيار الصحابة من أجل الوصول إلى الحكم فقط ، فقد قال في أول خطبة له :

« إنّي لم أقاتلكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ، وإنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم ، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون » [1].

وصدق الله إذ يقول : ﴿ **إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ** ﴾ [2].

---

١ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦ : ١٤.

٢ . النمل : ٣٤.

« أهل السنّة والجماعة » في نظر الشيعة

إذا استثنينا بعض المتعصبين من عوام الشيعة الذين ينظرون إلى « أهل السنّة والجماعة » بأنّهم كلّهم من النواصب [1] ، فإنّ الأغلبية الساحقة من علمائهم قديماً وحديثاً لا زالوا يعتقدون بأنّ إخوانهم من « أهل السنّة والجماعة » هم ضحايا الدّس والمكر الأموي ؛ لأنّهم أحسنوا الظنّ « بالسّلف الصالح » واقتدوا بهم بدون بحث ولا تمحيص ، فأضلوهم عن الصراط المستقيم ، وأبعدوهم عن الثقلين (كتاب الله والعترة الطاهرة) الذين يعصمان المتمسّك بهما من الضلالة ويضمنان له الهداية.

فتراهم كثيراً ما يكتبون للدّفاع عن أنفسهم وللتعريف بمعتقداتهم ، داعين للإنصاف ولتوحيد الكلمة مع إخوانهم من « أهل السنّة والجماعة ».

وقد جاب بعض علماء الشيعة في الأقطار والأمصار باحثين عن الأساليب الكفيلة لتأسيس دور وجمعيات إسلامية للتقريب بين المذاهب ومحاولة جمع الشمل.

ويمّم آخرون منهم وجهتهم صوب الأزهر الشريف منارة العلم والمعرفة عند « أهل السنّة » ، وتقابلوا مع علمائه وجادلوهم بالتي هي أحسن ، وعملوا على إزالة الأحقاد ، كما فعل الإمام شرف الدين الموسوي عند لقائه بالإمام

---

١ ـ النواصب جمع ناصبي : وهم الذين ناصبوا العداء لأهل البيت النبوي وحاربوهم وقتلوهم وتتبّعوهم أمواتاً فنبشوا قبورهم (المؤلّف).

سليم الدين البشري ، وكان من نتيجة ذلك اللقاء والمراسلات ولادة الكتاب القيم المسمّى بـ « المراجعات » ، والذي كان له الدور الكبير في تقريب وجهات النظر عند المسلمين.

كما أنّ جهود أُولئك العلماء من الشيعة كُلّلتْ بالنجاح في مصر ، فأصدر الإمام محمود شلتوت مفتي الديار المصرية في ذلك الوقت فتواه الجريئة في جواز التعبّد بالمذهب الشيعي الجعفري ، وأصبح الفقه الشيعي الجعفري من المواد التي تدرس بالأزهر الشريف.

هذا ، ودأب الشيعة وعلماؤهم بالخصوص على التعريف بأئمة أهل البيت الطّاهرين ، وبالمذهب الجعفري الذي يُمثّل الإسلام بكلّ معانيه ، وكتبوا في ذلك المجلّدات والمقالات ، وعقدوا لذلك الندوات ، وخصوصاً بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران عُقدتْ مؤتمرات عديدة في طهران باسم الوحدة الإسلامية ، وباسم التقريب بين المذاهب ، وكلّها دعوات صادقة لنبذ العداء والأحقاد ، ولبثّ روح الإخوة الإسلامية ، واحترام المسلمين بعضهم لبعض.

وفي كلّ عام يدعو مؤتمر الوحدة الإسلامية علماء ومفكّرين من الشيعة والسنّة ، فيعيشون أُسبوعاً كاملا تحت ظلّ الإخوّة الصادقة ، فيأكلون ويشربون ، ويصلّون ويدعون ، ويتبادلون الآراء والأفكار ، ويعطون ويأخذون.

ولو لم يكن لتلك المؤتمرات دورٌ إلاّ تأليف القلوب ، وتقريب المسلمين بعضهم من بعض ليتعارفوا ، وتزول الأحقاد لكان فيها الخير الكثير والفضل العميم ، ولسوف تؤتى أُكلها بعد حين ، إن شاء الله ربّ العالمين.

وأنتَ إذا دخلت إلى أيّ بيت من بيوت الشيعة العاديين فضلا عن بيوت

العلماء والمثقفين ، فسوف تجد فيه مكتبة تضمّ إلى جانب مؤلّفات الشيعة جانباً كبيراً من مؤلّفات « أهل السنّة والجماعة » على عكس « أهل السنّة والجماعة » فقد لا تجد عند علمائهم كتاباً شيعياً واحداً إلاّ نادراً.

ولذلك هم يجهلون حقائق الشيعة ، ولا يعرفون إلاّ الأكاذيب التي يكتبها أعداؤهم.

كما أنّ الشيعي العادي تجده في أغلب الأحيان يعرف التاريخ الإسلامي بكلّ أدواره ، وقد يحتفل بإحياء بعض ذكرياته.

أمّا العالم السُنّي تجده قليلا ما يهتم بالتاريخ ، فهو يعتبره من المآسي التي لا يريد نبشها والاطّلاع عليها ، بل يجب إهمالها وعدم النظر فيها ، لأنّها تسيء الظن بـ « السلف الصالح ».

وبما أنّه أقنع نفسه أو أوهمها بعدالة الصحابة أجمعين ونزاهتهم فلم يعد يتقبّل ما سجّله التاريخ عليهم.

لكلّ ذلك تراه لا يصمد للنقاش البنّاء الذي يقوم على الدليل والبرهان ، فتراه إمّا يتهرّب من البحث لعلمه مسبقاً بأنّه مغلوب ، وإمّا أن يتغلّب على عواطفه وميوله ويقحم نفسه في البحث ، فيصبح ثائراً على كلّ معتقداته ، ويتشيّع لأهل بيت المصطفى.

فالشيعة هم أهل السنّة النبويّة ؛ لأنّ إمامهم الأوّل بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هو علي ابن أبي طالب عليه السلام الذي يعيش ويتنفّس بالسنّة النبويّة ، أنظر إليه وقد جاؤوه ليبايعوه بالخلافة على أن يحكم بسيرة الشيخين ، فقال : « لا أحكمُ إلاّ بكتاب الله وسنّة رسوله » ، فلا حاجة لعلي في الخلافة إن كانت على حساب السنّة النبويّة ، فهو القائل : « والله لهي [يعني نعليه] أحب إليّ من إمرتكم إلاّ

أن أُقيم حقاً أو أدفع باطلاً » [1].

وقال ابنه الإمام الحسين عليه السلام قولته المشهورة التي بقيت ترنّ في مسمع الدهر : « إن كان دين محمّد لا يستقيم إلاّ بقتلي فيا سيوف خذيني » [2].

ولهذا فإنّ الشيعة ينظرون إلى إخوانهم من « أهل السنّة والجماعة » بنظر العطف والحنان ، وكأنّهم يريدون لهم الهداية والنجاة ؛ لأنّ ثمن الهداية عندهم حسب ما جاءت به الروايات الصحيحة خير من الدنيا وما فيها.

فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم للإمام عليّ عندما بعثه لفتح خيبر : « قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله ، فإن قالوها فقد عُصِمَ منك دماؤهم وأموالهم وحسابهم على الله ، لئن يهدي الله بك رجلا واحداً خيرٌ لك ممّا طلعت عليه الشمس ، أو خير لك من أن يكون لك حمر النعم » [3].

وكما كان همّ عليّ بن أبي طالب الوحيد هو هداية الناس والرجوع بهم إلى كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فكذلك شيعتهُ اليوم همّهم أن يدفعوا عن أنفسهم كلّ التهم والأكاذيب ، وأن يعرّفوا إخوانهم من « أهل السنّة » بحقائق أهل البيت عليهم السلام ، وبالتّالي يهدوهم إلى سواء السبيل.

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْء وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْم يُؤْمِنُونَ ﴾ [4].

---

١ . نهج البلاغة ١ : ٨٠ ، الخطبة : ٣٣.

٢ . أعيان الشيعة ١ : ٥٨١ ، في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ، واعتبره لسان حال.

٣ . صحيح مسلم ٧ : ١٢٢ (كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل علي (رضي الله عنه)) ، صحيح البخاري ٥ : ٧٧ ، (كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر) ، باختلاف.

٤ . يوسف : ١١١.

التعريف بأئمّة الشيّعة

لقد انقطع الشيعة للأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام ، أوّلهم علي بن أبي طالب ، ثمّ ابنه الحسن ، ثمّ ابنه الحسين ، ثمّ التسعة المعصومون من ذرّية الحسين ومن نسله.

وقد نصّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على هؤلاء الأئمة في العديد من المرّات تصريحاً وتلميحاً ، وقد ذكرهم بأسمائهم في بعض الروايات التي أخرجها الشيعة ، والبعض من علماء « السنّة ».

وقد يعترض البعض من « أهل السنّة » على هذه الروايات مُستغرباً كيف يتكلّم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن أُمور غيبيّة ما زالت في طي العدم؟ وقد جاء في القرآن قوله : ﴿ **وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ** ﴾ [1].

وإجابة على ذلك نقول : بأنّ هذه الآية الكريمة لا تنفي عن الرسول علمه بالغيب مطلقاً ، إنّما جاءت ردّاً على المشركين الذين طلبوا منه أنْ يُعلمهم عن قيام الساعة ، وموعد الساعة قد اختصّ الله سبحانه بعلمه.

وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ **عالِمُ الغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً * إلاّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُول ...** ﴾ [2].

وفي هذا دلالة على أنّه سبحانه يُطلعُ على غيبه رُسلَه الذين اصطفاهم ،

---

١ . الأعراف : ١٨٨.

٢ . الجن : ٢٦ . ٢٧.

ومن ذلك مثلاً قول يوسف عليه السلام لأصحابه في السجن : ﴿ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ... ﴾ [1].

وكقوله تعالى : ﴿ فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَدُنَّا عِلْماً ﴾ [2]. حكاية عن الخضر الذي التقى بموسى ، وعلّمه من علم الغيب ما لم يستطع عليه صبراً.

والمسلمون شيعة وسنّة لم يختلفوا في أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلمُ الغيب ، وقد سجّلتْ سيرته الكثير من الأخبار بالغيب كقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « ويح عمّار تقتله الفئة الباغية » [3].

وقوله لعلي : « أشقى الآخرين الذي يضربك على رأسك فيخضب لحيتك » [4].

وقوله : « إنّ ابني الحسن يصلح الله به فئتين عظيمتين » [5].

---

١ . يوسف : ٣٧.

٢ . الكهف : ٦٥.

٣ . مسند أحمد ٣ : ٩١ وصرّح محقق الكتاب العلاّمة أحمد شاكر بصحته ، صحيح البخاري ٣ : ٢٠٧ (كتاب الجهاد والسير ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا) ، وقريب منه في صحيح مسلم ٨ : ١٨٦ (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل) ، المستدرك للحاكم ٢ : ١٤٩.

٤ . تاريخ دمشق ٤٢ : ٥٤٧ ، مسند أبي يعلى ١ : ٣٧٧ ، المعجم الكبير ٨ : ٣٨ ، باختلاف.

٥ . سنن أبي داود ٢ : ٤٠٥ ح٤٦٦٢ ، المعجم الكبير للطبراني ٣ : ٣٤ ، صحيح البخاري ٨ : ٩٨ (كتاب الفتن ، باب قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم للحسن بن علي : إنّ ابني هذا لسيّد).

وكقوله لأبي ذرّ بأنّه سيموت وحيداً طريداً ، إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة ، ومنها حديثه المشهور الذي أخرجه البخاري ومسلم وكلّ المحدّثين والذي جاء فيه : « الأئمة من بعدي اثنا عشر كلّهم من قريش » [1]

---

١ ـ بهذا اللفظ في كفاية الأثر للخزاز القمي : ٢٧ ، ورد بألفاظ مختلفة في كلّ من : صحيح البخاري ٨ : ١٢٧ (كتاب الأحكام ، باب بيعة النساء) ، صحيح مسلم ٦ : ٣ (كتاب الامارة ، باب الناس تبع لقريش) ، سنن أبي داود ٢ : ٣٠٩ ح٤٢٨٠ ، سنن الترمذي ٣ : ٣٤٠ ، المستدرك ٣ : ٦١٨ ، وغيرها.

ولا يخفى أنّ الحديث لا يدلّ على لزوم تصدّي هؤلاء الاثني عشر للحكم الظاهري ، فلا يقدح فيه عدم جريان أحكام بعض الأئمة عليهم السلام في الظاهر ، ولهذا قال صلى الله عليه وآله مشيراً إلى الحسنين : « ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا » ، فالحديث يدلّ على أنّ أمر الناس سيكون ماضياً والإسلام سيكون عزيزاً إذا وليهم اثنا عشر خليفة ، فما دام لم يليهم هؤلاء لم يكونوا أعزّاء بل أصيبوا طيلة حياتهم ومنذ وفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله إلى يومنا هذا بأنواع الفتن والمحن ، وهذا نظير قوله تعالى : (وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً) فبما أنّهم لم يستقيموا لم يسقوا ، وبما أنّ المسلمين لم يتمسّكوا بهؤلاء الاثني عشر لم يكونوا أعزّاء.

ثمّ إنّ هذا الحديث من المعاجز النبويّة ومن الأُمور الغيبية التي أخبر بها نبي الرحمة صلى الله عليه وآله ، وقد أثبتها الرواة ورووها قبل اكتمال عدد الأئمة عليهم السلام فلا يحتمل فيها الوضع من قبل الشيعة ، ولا يقدح في تمسّكنا به افتراق بعض الشيعة ، فإنّ الضلال له أسباب ودوافع مختلفة منها المعاندة ، قال تعالى : ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ** ﴾ ، فافتراق بعض الشيعة وانحرافهم عن الصراط المستقيم لا يدلّ على عدم صحة تمسّكنا بهذا الحديث.

ثمّ إنّه لا يقال : « إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أبلغ الناس ولا يذكر الأعم وهو قوله : كلّهم من قريش ، ويريد الأخص وهو عليّ وأولاده ، فهذا خلاف البلاغة ».

لأنّنا نقول : أولا : ذكر العام وإرادة الخاص يكون قبيحاً فيما إذا لم تكن هناك قرائن متصلة أو منفصلة تعيّن المراد.

وهذه القرائن بحمد الله موجودة سواء كانت متصلة أو منفصلة ، أما القرائن المتصلة فيدلّ على وجودها النظر في متن الحديث وما وقع والغوغاء بعد تكلّم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بحيث لم يسمع الراوي تمام الحديث ، ولذا اضطرّ بالسؤال عن أبيه أو عمّه أو غيرهما . كما ورد في الأحاديث . فقد جاء في مسند أحمد ٥ : ٩٣ « ثمّ تكلم بكلمة لم أفهمها وضجّ الناس » وفي لفظ الطبراني ٢ : ١٩٦ « ثمّ لغط الناس وتكلّموا فلم أفهم قوله بعد كلّهم » وفي المعجم أيضاً ٢ : ٢٤٩ « ثمّ تكلّم بشيء لم أسمعه فزعم القوم أنّه قال : كلّهم من قريش » فهذه النصوص وغيرها ممّا تدلّ على وجود قرائن في الكلام حاول البعض إخفائها كما فعلوا فيما بعد عند مرضه صلى الله عليه وآله وسلم من لغطهم واختلافهم.

وفي لفظ كفاية الأثر للخزاز القمي ص١٠٦ هكذا جاء : « الأئمة بعدي اثنا عشر كلّهم من قريش ، تسعة من صلب الحسين والمهدي منهم » وهذا هو المعوّل عندنا.

وأمّا القرائن المنفصلة فهي كثيرة ، منها حديث الثقلين ، ومنها ما ورد عن عليّ عليه السلام كما في النهج الخطبة ١٤٢ حيث قال : « إنّ الأئمة من قريش في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا يصلح الولاة من غيرهم ».

أمّا ثانياً : لو فرضنا أنّ القرائن اللفظية انعدمت لكنّ العقل هو الحاكم هنا ، وهو الذي يخصّص هذا العموم. قال الآمدي في الإحكام ٢ : ٣٣٩ : « مذهب الجمهور من العلماء جواز تخصيص العموم بالدليل العقلي ... ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيء ﴾ متناول بعموم لفظه لغة كلّ شيء مع أنّ ذاته وصفاته أشياء حقيقة وليس خالقاً لها ... وكذلك قوله : ﴿ وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ... ﴾ فإنّ الصبي والمجنون من الناس حقيقة ، وهما غير مرادين من العموم ، بدلالة نظر العقل على امتناع تكليف من لا يفهم ». فما نحن فيه من هذا القبيل ، أي نتصرّف

عن عموم اللفظ في الحديث بدلالة نظر العقل على امتناع تولّي من لا أهلية له بهذا المنصب ؛ لأنّ الإمامة تلو النبوة واستمرار لها ولا ينالها إلاّ من كان بمرتبة النبيّ وبمنزلته علماً وورعاً وشجاعة وغيرها من الصفات ، فيخرج من العموم بضرورة العقل كلّ من لم يكن بمنزلة النبيّ في جميع صفاته صلى الله عليه وآله وسلم سوى نزول الوحي ، وإن كان قرشياً ، فلابدّ من أن يحمل هذا الحديث على الأئمة الاثني عشر من عترته ؛ لأنّهم كانوا أعلم أهل زمانهم وأجلّهم وأورعهم وأتقاهم وأعلاهم نسباً وأفضلهم حسباً وأكرمهم عند الله ، وكان علمهم متصلا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالوراثة واللّدنية.

ومن القرائن التي تشهد على أنّ المراد بالحديث هم أئمة أهل البيت عليهم السلام هو : إنّ الحديث صرّح بأنّ الدين عزيزاً ومنيعاً وأمر الناس قائماً ما وليهم هذا العدد ، وإذا رجعنا إلى خلفاء أهل السنّة نجدهم في اضطراب كامل في التوفيق بين متن الحديث ، وبين الواقع الخارجي ، حيث إنّ هناك أكثر من اثني عشر خليفة أوّلا ، وأنّ هؤلاء الخلفاء لم يكونوا عدولا وذلّ الدين في زمن بعضهم ، فلأجل ذلك اضطربوا في كيفية التوفيق بين متن الحديث وما جرى في الواقع الخارجي من تولي الخلافة الإسلامية من لا ينطبق عليه شيء من مواصفات الحديث ، قال ابن العربي في شرح سنن الترمذي : (فعددنا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اثني عشر أميراً فوجدنا : أبا بكر وعمر ، وعثمان ، وعلياً ، والحسن ، ومعاوية ، يزيد ، معاوية بن يزيد ، مروان ، عبد الملك بن مروان ، الوليد ، سليمان ، عمر بن عبد العزيز ، يزيد بن عبد الملك ، مروان بن محمّد بن مروان ، السفاح ، فعد سبعاً وعشرين إلى عصره . ثمّ قال . : وإذا عددنا منهم اثني عشر انتهى العدد بالصورة إلى سليمان ، وإذا عددناهم بالمعنى كان معنا منهم خمسة : الخلفاء الأربعة وعمر بن العزيز ، ولم أعلم للحديث معنىً) ٩ : ٦٨.

وقال جلال الدين السيوطي : (وقد وجد من الاثني عشر : الخلفاء الأربعة ، والحسن ، ومعاوية ، وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز ، هؤلاء ثمانية ، ويحتمل أن

وفي بعض الروايات «كلّهم من بني هاشم» [1].

وقد أثبتنا في الأبحاث السابقة من كتاب «مع الصادقين» وكتاب «فاسألوا أهل الذكر» بأنّ علماء السنّة أنفسهم أشاروا في صحاحهم ومسانيدهم إلى تلك الأحاديث الدّالة على إمامة الأئمة الاثني عشر وصحّحوها.

يضم اليهم المهتدي من العباسيين .. وبقي المنتظران أحدهما المهدي ، لأنه من آل بيت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم). تاريخ الخلفاء : ١٢.

وقال ابن حجر في فتح الباري ١٣ : ١٨٢ : « قال ابن بطال عن الملهب : لم ألق أحداً يقطع في هذا الحديث يعني بشيء معيّن ؛ فقوم قالوا : يكونون بتوالي امارتهم ، وقوم قالوا : يكونون في زمن واحد كلّهم يدّعي الإمارة ، قال : والذي يغلب على الظنّ أنّه عليه الصلاة والسلام أخبر بأعاجيب تكون بعده من الفتن حتى يفترق الناس في وقت واحد .. أنّه أراد أنّهم يكونون في زمن واحد).

ثمّ قال في ١٣ : ١٨٤ : (وقيل : إنّ المراد وجود اثني عشر خليفة في جميع مدّة الإسلام إلى يوم القيامة يعملون بالحقّ وإن تتوالى أيامهم ...).

فالملاحظ من الكلام في تفسير معنى الحديث الاضطراب والتفاوت الشاسع بين التمحلات والتأويلات المذكورة ، نتيجة المفارقة الكبيرة بين متن الحديث المتضمن لعزة الدين ومنعته وقوته في زمن هؤلاء الخلفاء ، وبين ما وقع خارجاً حيث كان المستولي على الخلافة الإسلامية في أغلب الأحيان متهتك بالدين ، ومذل للمؤمنين وللنفس المحترمة وغيرها كمعاوية ويزيد ومروان الذي بوجودهم وقع الدين في ذلّة ، والمسلمين في تقهقر عقدي وشرعي فكيف يكون من هذا حاله مصداقاً للحديث « الأئمة الاثني عشر »؟!!

ومن هذا التوضيح المقتضب يتضح أنّ ما ذكره عثمان الخميس في كتاب كشف الجاني : ١٩٧ ناشئ من النصب الذي يحمله على أهل البيت عليهم السلام ، والنفس الأموية المشربة بدماء آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم .

١ . ينابيع المودة ٢ : ٣١٥ ح٩٠٨ عن مودّة القربى.

وإذا سأل سائل : لماذا تركوهم واقتدوا بغيرهم من ائمة المذاهب الأربعة ، إذا كانوا يعترفون بتلك الأحاديث ويُصحّحونها؟!

والجواب هو : إنّ « السلف الصالح » كلّهم من أنصار الخلفاء الثلاثة الذين ولّدتهم السقيفة ، أبو بكر وعمر وعثمان ، فكان نفورهم من أهل البيت وعداؤهم للإمام علي وأولاده لابدّ منه ، فعملوا كما قدّمنا على محق السنّة النبويّة وإبدالها باجتهاداتهم.

وسبب ذلك انقسام الأُمّة إلى فرقتين بعد وفاة الرسول مباشرة ، فكان « السلف الصالح » ومن تبعهم ورأى رأيهم يمثّلون « أهل السنّة والجماعة » ، وهم الأغلبية الساحقة في الأُمّة ، وكان الأقلية القليلة علي وشيعته الذين تخلّفوا عن البيعة ولم يقبلوا بها ، فأصبحوا من المنبوذين والمغضوب عليهم ، وأطلَقوا عليهم اسم الروافض.

وبما أنّ « أهل السنّة والجماعة » هم الذين تحكّموا بمصير الأُمّة عبر القرون ، فحكّام بني أُميّة كلّهم ، وحكّام بني العباس كلّهم هم أنصار وأتباع مدرسة الخلافة التي أسسها أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية [1] ويزيد.

ولما فشل أمر الخلافة وذهبت هيبتُها ، وأصبحت في أيدي المماليك والأعاجم ، وسُمح بتدوين السنّة النبويّة ، عند ذلك ظهرتْ تلكم الأحاديث التي عمل الأولون على طمسها وكتمانها ، ولم يقدروا فيما بعد على محوها

---

١ ـ لقد أغفلنا ذكر خلافة علي بن أبي طالب قصداً ، لأنّ « أهل السنّة والجماعة » لم يكونوا يعترفون بها ـ كما قدّمنا ـ إلاّ في زمن أحمد بن حنبل. راجع فصل « أهل السنّة لا يعرفون السنّة النبويّة » في صفحات سابقة من هذا الكتاب (المؤلّف).

وتكذيبها ، وبقيت تلك الأحاديث من الألغاز المحيرة عندهم ؛ لأنّها تخالف الأمر الواقع الذي آمنوا به.

وحاول بعضهم التوفيق بين تلك الأحاديث وما هم عليه من العقيدة ، فتظاهروا بمحبّة أهل البيت ومودّتهم ، فتراهم كلّما ذكروا الإمام علياً يقولون رضي الله عنه وكرّم الله وجهه ، حتى يتبين للناس بأنّهم ليسوا بأعداء لأهل البيت النبوي.

فلا يمكن لأيّ واحد من المسلمين حتى المنافقين منهم أنْ يظهِرَ عداءهُ لأهل البيت النبوي ؛ لأنّ أعداء أهل البيت هم أعداء رسول الله ﷺ ، وذلك يخرجهم من الإسلام كما لا يخفى.

والمفهوم من كلّ هذا بأنّهم في الحقيقة أعداء أهل البيت النبوي ، ونقصد بهؤلاء « السلف الصالح » الذين تسمّوا أو سمّاهم أنصارهم بـ « أهل السنّة والجماعة » ، والدليل أنّك تجدهم كلّهم يُقلدون المذاهب الأربعة الذين أوجدتهم السلطة الحاكمة .كما سنبيّنه عمّا قريب . وليس عندهم في أحكام الدين شيء يرجعون فيه لفقه أهل البيت ، أو لأحد الأئمة الاثني عشر.

والحقيقة تفرضُ بأنّ الشيعة الإمامية هم أهل السنّة المحمّدية ؛ لأنّهم تقيّدوا في كلّ أحكامهم الفقهية بأئمة أهل البيت ، الذين توارثوا السنّة الصحيحة عن جدهم رسول الله ﷺ ، ولم يدخلوا فيها الآراء والاجتهادات وأقوال العلماء.

وبقيَ الشيعة على مرّ العصور يتعبّدون بالنصوص ، ويرفضون الاجتهاد

في مقابل النصّ ، كما يؤمنون بخلافة علي وبنيه ؛ لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نصّ على ذلك ، فهم يسمّونهم خلفاء الرسول ، ولو لم يصل منهم إلى الخلافة الفعلية إلاّ علي ، ويرفضون ولا يعترفون بالحكّام الذين تداولوا الخلافة من أولها إلى آخرها ؛ لأنّ أساسها كان فلتةً وقى الله شرّها ، ولأنّها قامت رفضاً وردّاً على الله ورسوله ، وكلّ الذين جاؤوا بعدها هم عيال عليها ، فلم يقم خليفة إلاّ بتعيين السابق له ، أو بالقتال والتغلّب والقهر [1].

ولذلك اضطرّ « أهل السنّة والجماعة » للقول بإمامة البرّ والفاجر ، لأنّهم قبِلوا بخلافة كلّ الحكّام حتى الفاسقين منهم.

وامتاز الشيعة الإمامية بالقول بوجوب عصمة الإمام ، فلا تصحّ الإمامة الكبرى وقيادة الأُمّة إلاّ للإمام المعصوم ، وليس في هذه الأُمّة بشر معصوم إلاّ الذين أذهب الله عنهم الرِّجس وطهرهم تطهيراً.

---

١ . يُستثنى من ذلك فقط خلافة علي بن أبي طالب ، فهو الوحيد الذي لم يتعيّن من قِبَل الذي سبقه ، ولم يتسلّط عليها بالقهر والقوّة ، بل بايعه المسلمون بكل حرّية وطواعية ، بل ودعوه إليها بإصرار (المؤلّف).

التعريف بأئمّة « أهل السنّة والجماعة »

وقد انقطع « أهل السنّة والجماعة » إلى الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المعروفة ، وهم : أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل.

وهؤلاء الأئمة الأربعة لم يكونوا من صحابة الرسول ﷺ ولا من التابعين ، فلا يعرفهم رسول الله ولا يعرفونه ، ولم يرَهم ولم يرونه ، فأكبرهم سناً أبو حنيفة بينه وبين النبيّ ﷺ أكثر من مائة عام ؛ لأنّ مولده كان في سنة ثمانين للهجرة ووفاتة سنة خمسين ومائة ، أمّا أصغرهم أحمد بن حنبل ، فكان مولده سنة خمس وستين ومائة وكانت وفاته سنة إحدى وأربعين ومائتين ، هذا بالنسبة لفروع الدين.

أمّا بالنسبة لأُصول الدين فـ « أهل السنّة والجماعة » يرجعون للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، الذي وُلد سنة سبعين ومائتين وتوفّي سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة.

فهؤلاء هم أئمة « أهل السنّة والجماعة » ، والذين ينقطعون إليهم في أُصول الدين وفروعه.

فهل ترى فيهم واحداً من أئمة أهل البيت ، أو من أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله) ، أو تكلّم رسول الله عن واحد منهم ، وأرشد الأُمّة إليه؟؟

كلاّ لا يوجد شيء من ذلك ، ودونه خرط القتاد.

وإذا كان « أهل السنّة والجماعة » يدعون التمسّك بالسنّة النبويّة ، فلماذا

تأخّرت تلك المذاهب إلى ذلك العهد؟ وأين كان « أهل السنّة والجماعة » قبل وجود تلك المذاهب؟ وبماذا كانوا يتعبّدون؟ وإلى من كانوا يرجعون؟

ثمّ كيف ينقطعون إلى رجال لم يعاصروا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولا عرفوه ، وإنّما ولدوا بعدما وقعت الفتنة ، وبعدما تحارب الصحابة وقتل بعضهم بعضاً ، وكفّر بعضهم بعضاً [1] ، وبعدما تصرف الخلفاء في القرآن والسنّة ، واجتهدوا فيهما بآرائهم.

---

١ ـ كما حكموا بارتداد مالك بن نويرة فقتلوه ، مع أنّ أبا قتادة وعمر بن الخطّاب كانا من المعترضين ، وكما كفّرت عائشة عثمان حيث قالت : « اقتلوا نعثلا فقد كفر » (تاريخ الطبري ٣ : ٤٧٧ ، السيرة الحلبية ٣ : ٤٠٢ ، الفتوح لابن الأعثم الكوفي ١ : ٧٩) وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ : ٥٠ عن عمّار قال : « ثلاثة يشهدون على عثمان بالكفر وأنا الرابع ... » ، وقال الذهبي في مقدّمة رسالته (في الرواة الثقات المتكلّم فيهم بما لا يوجب ردهم ص ٣ ـ ٢١) : « وما زال يمرّ بالرجل الثبت وفيه مقال من لا يعبأ به ، ولو فتحنا هذا الباب على نفوسنا لدخل فيه عدّة من الصحابة والتابعين والأئمة ، فبعض الصحابة كفّر بعضهم بتأويل ما .. » نقلا عن كتاب فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي لأحمد بن الصديق الغماري ص١٤٧.

وقال ابن تيميّة : « وأمّا علي فأبغضه وسبّه أو كفرّه الخوارج وكثير من بني أُميّة وشيعتهم الذين قاتلوه وسبّوه ..

وأمّا شيعة علي الذين شايعوه بعد التحكيم ، وشيعة معاوية التي شايعته بعد التحكيم ، فكان بينهما من التقابل ، وتلاعن بعضهم البعض وتكافر بعضهم ما كان .. » مجموعة الفتاوى ٤ : ٢٦٧.

ومن الواضح أنّ شيعة علي أغلبها من الصحابة الأنصار ، وشيعة معاوية من الصحابة الطلقاء ، وهؤلاء ـ كما صرح ابن تيميّة ـ وقع بينهما التقاتل وتكفير بعضهم البعض.

فما ذكره صاحب كتاب كشف الجاني : ١٧٠ من تكذيب المؤلّف بتكفير الصحابة

وبعدما استولى يزيد بن معاوية على الخلافة استباح لجيشه مدينة الرسول المنورة ، يفعل فيها ما يشاء ، فعاث جيشه فيها فساداً ، وقتل خيار الصحابة الذين لم يبايعوه ، واستبيحتْ الفروج ، وانتهكت المحارم ، وحبلت النساء من سفاح.

فكيف يركن العاقل إلى أُولئك الأئمة الذين هم من تلك الطبقة البشرية التي تدنست بأوحال الفتنة وتغذّت بألبانها المتلونة ، وشبّتْ وترعرعت على أساليبها الماكرة الخداعة ، وقلدتها أوسمة العلم المزيفة ، فلم يبرز للوجود منهم إلاّ الذين رضيت عنهم الدولة ورضوا عنها !!؟[1]

كيف يترك ـ من يدّعي التمسك بالسنة ـ الإمام علي باب مدينة العلم ، والإمام الحسن ، والإمام الحسين سيدا شباب أهل الجنّة ، والأئمة الطاهرين من عترة النبيّ الذين ورثوا علوم جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويتبع أئمة لا علم لهم بالسنة النبويّة ، بل هم صنيعة السياسة الأموية؟!

كيف يدعي « أهل السنّة والجماعة » بأنّهم أتباع السنّة النبويّة وهم يهملون القيّمين عليها؟ بل كيف يتركون وصايا النبيّ وأوامره بالتمسك بالعترة الطاهرة ، ثمّ يدّعون أنّهم أهل السنّة؟!

وهل يشكّ مسلم عرف التاريخ الإسلامي ، وعرف القرآن والسنّة بأن « أهل السنّة والجماعة » هم أتباع الأمويين والعباسيين؟

بعضهم البعض عار على الصحّة ، وناشيء من الجهل وقلّة الاطّلاع والتسرّع في تكذيب الآخرين.

١ ـ سيأتي في الأبحاث القادمة بأنّ الحكّام الأمويين والعبّاسيين هم الذين أوجدوا تلك المذاهب وفرضوها (المؤلّف).

وهل يشك مسلم عرف القرآن والسنّة ، وعرف التاريخ الإسلامي بأنّ الشيعة الذين يقلّدون عترة النبيّ ويوالونهم هم أتباع السنّة النبويّة ، وليس لأحد غيرهم أن يدّعيها؟

أرأيت أيّها القارئ العزيز كيف تقلب السياسة الأُمور ، وتجعل من الباطل حقّاً ومن الحقّ باطلا! فإذا بالموالين للنبي وعترته تُسمّيهم بالروافض وبأهل البدع ، وإذا بأهل البدع الذين نبذوا سنّة النبيّ وعترته ، واتبعوا اجتهاد الحكّام الجائرين تسميهم « أهل السنّة والجماعة »! إنّه حقّاً أمر عجيب!

أمّا أنا فأعتقد جزماً بأنّ قريش هي وراء هذه التسمية ، وهو سرّ من أسرارها ، ولغز من ألغازها.

وقد عرفنا في ما سبق بأنّ قريشاً هي التي نهت عبد الله بن عمرو عن كتابة السنّة النبويّة بدعوى أنّ النبيّ غير معصوم.

فقريش هي في الحقيقة أشخاص معيّنون ، لهم نفوذ وعصبية وقوّة معنوية في أوساط القبائل العربية ، وقد يُسميهم بعض المؤرّخين بـ « دهاة العرب » ؛ لما اشتهروا به من المكر والدهاء والتفوّق في إدارة الأُمور ، ويسمّيهم البعض بـ « أهل الحلّ والعقد ».

ومن هؤلاء أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وأبو سفيان ، ومعاوية ابنه ، وعمرو ابن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، ومروان بن الحكم ، وطلحة بن عبد الله ، وعبد الرحمان بن عوف ، وأبو عبيدة عامر بن الجراح وغيرهم [1].

---

١ ـ لقد استثنينا من هؤلاء الإمام علياً عليه السلام لأنه يُفرّقُ بين دهاء الحكمة وحُسن التدبير وبين دهاء الخداع والغش والنفاق ، وقد قال غير مرّة : « لولا الغشّ والنفاقُ لكنتُ أدهى العرب » كما جاء في القرآن قوله : ﴿ **وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾ فمكر الله هو الحكمة وحسن التدبير ، أمّا مكر المشركين فهو غش ونفاق وخداع وزور وبهتان (المؤلّف).

وقد يجتمع هؤلاء للتشاور وتقرير أمر يتفقون عليه ، فيبرمون أمرهم ويفشونه في الناس ليصبح فيما بعد أمراً واقعاً وحقيقة متّبعة ، دون أن يعرف سائر الناس سرّ ذلك.

ومن هذا المكر الذي مكروه قولهم بأنّ محمّداً غير معصوم ، وهو كسائر البشر يجوز عليه الخطأ ، فينتقصونه ويجادلونه في الحقّ وهم يعلمون.

ومنها : شتمهم لعلي بن أبي طالب ، ولعنهم إيّاه باسم أبي تراب ، وتصويره للناس بأنّه عدوّ لله ولرسوله.

ومنها : شتمهم ولعنهم للصحابي الجليل عمّار بن ياسر تحت اسم مستعار فسموه عبد الله بن سبأ أو ابن السوداء ؛ لأنّ عمّاراً كان ضدّ الخلفاء ، وكان يدعو الناس لإمامة علي بن أبي طالب [1].

ومنها : تسمية الشيعة الذين والوا عليّاً بـ (الروافض) كي يموّهوا على الناس بأنّ هؤلاء رفضوا محمّداً واتبعوا عليّاً.

---

١ . يراجع في ذلك كتاب « الصلة بين التصوّف والتشيّع » للدكتور مصطفى كامل الشيبي المصري ، والذي بيّن فيه بعشرة أدلّة قوية بأنّ عبد الله بن سبأ اليهودي أو ابن السوداء ليس إلاّ سيّدنا عمّار بن ياسر (رضوان الله تعالى عليه) (المؤلّف).

وفي تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٧١ إنّ عثمان قال لعمّار : « ويلي على ابن السوداء ».

وفي العقد الفريد لابن عبد البر ٤ : ٣١٨ : « فقال معاوية لعمرو بن العاص : يا عمرو ، هذا المرقال والله لئن زحف بالراية زحفاً ، إنّه ليوم أهل الشام الأطول ، ولكن أرى ابن السوداء . يعني عمّاراً . وفيه عجلة في الحرب ، وأرجو أن تقدمه إلى الهلكة ». ومثله في جواهر المطالب لابن الدمشقي الشافعي : ١٤٠.

ومنها : تسمية أنفسهم بـ « أهل السنّة والجماعة » حتى يُموّهوا على المؤمنين المخلصين بأنّهم يتمسّكون بسنّة النبيّ مقابل الروافض الذين يرفضونها.

وفي الحقيقة هم يقصدون بـ « السنّة » البدعة المشؤومة التي ابتدعوها في سبّ ولعن أمير المؤمنين وأهل بيت النبيّ على المنابر في كلّ مسجد من مساجد المسلمين ، وفي كلّ البلدان والمدن والقرى ، فدامت تلك البدعة ثمانين عاماً ، حتى كان خطيبهم إذا نزل للصلاة قبل أن يلعن علي بن أبي طالب صاح به من في المسجد : « تركت السنّة ، تركت السنّة »!!

ولما أراد الخليفة عمر بن عبد العزيز إبدال هذه السنّة بقوله تعالى :

﴿ **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِي القُرْبى ...** ﴾ [1] تآمروا عليه وقتلوه ؛ لأنّه أمات سنّتهم ، وسفّه بذلك أقوال أسلافه الذين أوصلوه للخلافة ، فقتلوه بالسمّ وهو ابن ثمانية وثلاثين سنة ، ولم تطل خلافته غير سنتين ، وذهب ضحية الإصلاح ؛ لأنّ بني عمومته الأمويين لم يقبلوا أن يُميتَ سنّتهم ، ويرفع بذلك شأن أبي تراب والأئمة من ولده.

وبعد سقوط الدولة الأموية جاء العبّاسيون ، فنكّلوا بدورهم بأئمة أهل البيت وشيعتهم ، إلى أن جاء دور الخليفة جعفر بن المعتصم الملقّب « بالمتوكّل » فكان من أشدّ الناس عداوةً لعلي وأولاده [2] ، ووصل به البغض

---

١ ـ النحل : ٩٠.

٢ ـ قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٢ : ١٨ : (وكان في المتوكّل نصب نسأل الله العافية).

والحقد إلى نبش قبر الحسين في كربلاء ومنع الناس من زيارته [1] ، وكان لايعطي عطاءً ولا يبذل مالا إلاّ لمن شتم عليّاً وولده.

وقصّة المتوكّل مع ابن السكّيت العالم النحوي المشهور معروفة ، وقد قتله شرّ قتلة ، فاستخرج لسانه من قفاه عندما اكتشف بأنّه يتشيّع لعلي وأهل

وقال ابن كثير في البداية والنهاية ١١ : ٩٦ : (وكان شديد التحامل على عليّ وولده).

وقال الشيخ محمّد الخضري في كتابه الدولة العباسية : ٢٢٣ : (امتاز المتوكّل عن سائر أهل بيته بكراهة علي بن أبي طالب وأهل بيته ، وهذا ما يعرف في العقائد بالنصب ، وهو ضدّ التشيّع ، وكان يقصد من يبلغه عنه أنّه يتولى عليّاً وأهله بأخذ المال والدم ، وكان ينادمه ويجالسه جماعة اشتهروا بالنصب وبغض علي).

وقال ابن الأثير في الكامل ٧ : ٥٥ : (وكان المتوكّل شديد البغض لعلي بن أبي طالب عليه السلام ولأهل بيته ، وكان يقصد من يبلغه عنه أنّه يتولى عليّاً وأهله بأخذ المال والدم ...).

١ ـ وإذا كان الخليفة يصل إلى هذه الدّرجة من الخسّة والانحطاط ، فينبش قبور الأئمة من أهل البيت ، وبالخصوص قبر سيّد شباب أهل الجنّة ، فلا تسأل بعدها عمّا فعلوه في الشيعة الذين كانوا يتبرّكون بزيارة قبره ، فقد وصل شيعة أهل البيت إلى أقصى المعاناة والمحن حتى يتمنّى المسلم أن يتّهموه بأنّه يهودي ولا يتّهموه بالتشيّع ، فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم (المؤلّف).

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٢ : ٣٥ : (في سنة ستّ وثلاثين هدم المتوكّل قبر الحسين فقال البسامي أبياتاً منها :

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا ... في قتله فتتبّعوه رميماً

وكان المتوكّل في نصب وانحراف ، فهدم هذا المكان وما حوله من الدور ، وأمر أن يزرع ، ومنع الناس من اتيانه) ، وارجع أيضاً إلى : الكامل لابن الأثير ٧ : ٥٥ ، البداية والنهاية لابن كثير ١١ : ٩٦ ، تاريخ الطبري ٩ : ١٨٥ حوادث سنة ٢٣٦ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٣٤٧ ، تاريخ أبي الفداء ١ : ٣٥١.

بيته في حين أنّه كان أستاذاً لولديه [1].

وبلغ حقد المتوكّل ونصبه أن أمر بقتل كلّ مولود يُسمّيه أبواه باسم علي ؛ لأنّه أبغض الأسماء إليه ، حتى إنّ علي بن الجهم الشاعر لما تقابل مع المتوكّل قال له : يا أمير المؤمنين إن أهلي عقوني ، قال المتوكّل : لماذا؟ قال : لأنّهم سمّوني علياً ، وأنا أكره هذا الاسم وأكره من يتسمّى به ، فضحك المتوكّل وأمر له بجائزة [2].

وكان يقيمُ في مجلسه رجلا يتشبّه بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، فيضحك الناس عليه ويقولون : قد أقبل الأصلع البطين ، فيسخر منه أهل المجلس ويتسلّى بذلك الخليفة [3].

ولا يفوتنا هنا أن نلاحظ بأنّ المتوكّل هذا ، والذي دلّ بغضهُ لعليّ على نفاقه وفسقه ، يُحبُه أهل الحديث وقد لقبوه بـ « محيي السنّة ».

وبما أنّ أهل الحديث هم أنفسهم « أهل السنّة والجماعة » فثبت بالدليل الذي لا ريب فيه أن « السنّة » المقصودة عندهم هي بغض علي بن أبي طالب

---

١ . وفيات الأعيان لابن خلّكان ٥ : ٣٣٩ ، النجوم الزاهرة ٢ : ٣١٨ ، سير أعلام النبلاء ، الذهبي ١٢ : ١٨.

٢ . ورد في لسان الميزان ٤ : ٢١٠ في ترجمة (٥٥٨) علي بن الجهم السلمي : « وأما علي بن الجهم بن بدر بن محمّد بن مسعود بن أسد بن ادينه الساجي الشاعر في أيام المتوكّل فكان مشهوراً بالنصب ، كثير الحطّ على علي وأهل بيته ، وقيل : إنّه كان يلعن أباه لم سماه علياً .. ».

٣ . تاريخ أبي الفداء ١ : ٣٥١ ، الكامل لابن الأثير ٧ : ٥٥.

ولعنه والبراءة منه ، فهي النصبُ [1].

وممّا يزيدنا وضوحاً على ذلك أنّ الخوارزمي يقول في كتابه : « حتى أنّ هارون بن الخيزران وجعفر المتوكّل على الشيطان لا على الرحمان ، كانا لا يعطيان مالا ولا يبذلان نوالا ، إلاّ لمن شتم آل أبي طالب ، ونصر مذهب النواصب » [2].

كما ذكر ابن حجر عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : لما حدّث نصر ابن علي بن صهبان بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ بيد الحسن والحسين وقال : « من أحبني وأحبَّ هذين وأباهما وأُمهما كان في درجتي يوم القيامة » ، أمر المتوكّل بضربه ألف سوط ، فأشرف على الهلاك ، فكلّمه فيه جعفر بن عبد الواحد وجعل يقول له : يا أمير المؤمنين هذا من أهل السنّة ، فلم يزل

---

١ ـ إذا رجعنا إلى كلمات بعض علماء السنّة يستخدمون السنّة في لعن علي بن أبي طالب والبراءة منه ، فيقولون : فلان شديد التمسّك بالسنّة ، مع أنّه معروف بلعن علي بن أبي طالب وبغضه ، فمثلا ذكر ابن حبان في ترجمة إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني أنّه : (كان حروري المذهب ولم يكن بداعية وكان صلباً في السنّة حافظاً للحديث ، إلاّ أنّه من صلابته ربما كان يتعدّى طوره ، وقال ابن عدي : كان شديد الميل إلى مذهب أهل دمشق في الميل على عليّ) تهذيب التهذيب ١ : ١٨٣ ، وقال ابن خلكان في ترجمة علي بن الجهم : (وكان مع انحرافه عن علي ابن أبي طالب (رضي الله عنه) وإظهاره التسنّن مطبوعاً مقتدراً على الشعر) وفيات الأعيان ٣ : ٣١١.

فمن هذه التصريحات وغيرها الكثير يفهم القارئ أنّ لفظ السنّة كان يستخدم فيمن نصب العداء لأهل البيت عليهم السلام .

٢ ـ رسائل أبي بكر الخوارزمي : ١٦٦ ، رسالته إلى جماعة الشيعة بنيسابور.

به حتى تركه [1].

والعاقلُ يفهم من قول جعفر بن عبد الواحد للمتوكّل بأنّ نصراً هو من أهل السنّة لينقذه من القتل ، دليلا آخراً بأنّ « أهل السنّة » هم أعداء أهل البيت الذين يبغضهم المتوكّل ، ويقتل كلّ من يذكر لهم فضيلة واحدة وإن لم يكن يتشيّع لهم.

وهذا ابن حجر يذكر أيضاً في كتابه بأنّ عبد الله بن إدريس الأزدي كان صاحب « سنّة وجماعة » ، وكان صلباً في السنّة مرضياً ، وكان عثمانياً [2].

كما قال في عبد الله بن عون البصري : إنه موثق وله عبادة وصلابة في السنّة ، وشدّة على أهل البدع ، قال ابن سعد : كان عثمانياً [3].

وذكر أيضاً أن إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني كان حريزي المذهب ، (أي على مذهب حريز بن عثمان الدمشقي) المعروف بالنصب ، وقال ابن حبّان : إنّه كان صلباً في السنّة [4].

وبهذا عرفنا بأنّ النصب والبغض لعلي وأولاده ، وشتم آل أبي طالب ، ولعن أهل البيت يُعدّ عندهم من الصلابة في « السنّة » ، وعرفنا بأنّ العثمانيين

---

١ . تهذيب التهذيب لابن حجر ١٠ : ٢٨٤ رقم ٧٨١ ، ترجمة نصر بن علي بن صهبان.

٢ . ابن حجر في تهذيب التهذيب ٥ : ١٢٧ رقم ٢٤٨ ، والمعروف أنّ العثمانيين كانوا يلعنون علياً ويتّهمونه بقتل عثمان بن عفان ، راجع مجموعة الفتاوى لابن تيميّة ٤ : ٢٦٧.

٣ . ابن حجر في التهذيب ٥ : ٣٠٥ رقم ٦٠٠.

٤ . ابن حجر في تهذيب التهذيب ١ : ١٥٩ رقم ٣٣٢.

هم أهل النصب والعداء لأهل البيت ، وهم أهل الشدّة على من يتولّى عليّاً وذريّته.

ويقصدون بأهل البدع « الشيعة الذين قالوا بإمامة علي » ، لأنّها عندهم بدعة ، إذ خالفتْ ما عليه الصحابة والخلفاء الراشدين و « السلف الصالح » من إبعاده ، وعدم الاعتراف بإمامته ووصايته.

والشواهد التاريخية على إقامة هذا الدليل كثيرة جدّاً ، ولكن ما ذكرناه فيه الكفاية لمن أراد البحث والتحقيق وقد رمنا الاختصار كالعادة ، وعلى الباحثين أن يُدركوا أضعاف ذلك إن شاؤوا.

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [1].

---

١ . العنكبوت : ٦٩.

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي عيَّن أئمّة الشيعة

لا يشكُّ باحثٌ درسَ السيرة النبويّة ، وعرف التاريخ الإسلامي بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي عيّن الأئمة الاثني عشر ، ونصّ عليهم ليكونوا خلفاءه من بعده ، وأوصياءه على أُمّتهِ.

وقد جاء ذكر عددهم في صحاح أهل السنّة ، وأنّهم اثنا عشر ، وكلّهم من قريش ، وقد أخرج ذلك البخاري ومسلم وغيرهما.

كما جاء في بعض المصادر السنّية ذكرهم بأسمائهم مُوضحاً صلى الله عليه وآله وسلم بأنّ أوّلهم علي بن أبي طالب ، وبعده ابنه الحسن ، ثمّ أخوه الحسين ، ثمّ تسعة من ذرية الحسين آخرهم المهدي.

أخرج صاحب ينابيع المودة في كتابه قال : قدم يهوديٌّ يقال له : « الأعتل » فقال : يا محمّد ، أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين ، فإن أجبتني عنها أسلمتُ على يديك. قال : « سل يا أبا عمارة » ، فسأله عن أشياء إلى أن قال : صدقت ، ثمّ قال : فأخبرني عن وصيّك من هو؟ فما من نبي إلاّ وله وصيٌّ ، وإنّ نبينا موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون.

فقال : « إنّ وصيّي علي بن أبي طالب ، وبعده سبطاي الحسن والحسين ، تتلوه تسعة أئمّة من صلب الحسين ».

قال : يا محمّد فسمّهم لي.

قال : إذا مضى الحسين فابنه علي ، فإذا مضى علي فابنه محمّد ، فإذا

مضى محمّد فابنه جعفر ، فإذا مضى جعفر فابنه موسى ، فإذا مضى موسى فابنه علي ، فإذا مضى علي فابنه محمّد ، فإذا مضى محمّد فابنه علي ، فإذا مضى علي فابنه الحسن ، فإذا مضى الحسن فابنه الحجّة محمّد المهدي ، فهؤلاء اثنا عشر « ، قال : فأسلم اليهودي وحمد الله على الهداية [1].

ولو أردنا تصفّح كتب الشيعة وما فيها من الحقائق بخصوص هذا الموضوع لوجدنا أضعاف ذلك.

ولكن يكفينا دليلا أنّ علماء « أهل السنّة والجماعة » يعترفون بعدد الأئمة الاثني عشرة ، ولا وجود لهؤلاء الأئمّة غير علي وبنيه الطّاهرين.

وممّا يزيدنا يقيناً أنّ الأئمة الاثني عشر من أهل البيت ، لم يتتلمذوا على أيّ واحد من علماء الأُمّة ، فلم يروِ لنا أصحاب التواريخ ولا المحدّثون وأصحاب السير ، بأنّ أحد الأئمّة من أهل البيت تلقّى علمه من بعض الصحابة أو التابعين ، كما هو الحال بالنّسبة لكلّ علماء الأُمّة وأئمّتهم [2].

---

١ ـ ينابيع المودة للقندوزي ٣ : ٢٨٢ ، عن فرائد السمطين للحموييني ٢ : ١٣٢ ح٤٣١.

٢ ـ نعم ، ورد في الكتب الروائية رواية الأئمة عن الصحابي أو التابعي ، وهذا غير أخذ العلم والتتلمذ عليهم ، فالرواية عن شخص شيء وأخذ العلم عنه شيء آخر ، وهذا الدهلوي يعترف ويصرّح بأنّ علماء أهل السنّة تتلمذوا على يد الأئمة عليهم السلام وأخذوا العلم عنهم (راجع مختصر التحفة للآلوسي : ٨ ، ٣٤ ، ١٩٣ ، التحفه الاثني عشرية للدهلوي : ٩٣ ، ١٤٢ ، ٤٦٧ ، والإمام الصادق لأبي زهرة : ٥٣).

ثمّ إنّ جهات علوم الأئمة عليهم السلام متعدّدة ، فقد ورد في الكافي ١ : ٢٦٤ إنّ مبلغ علمهم على ثلاثة وجوه : ماض ، وغابر ، وحادث. أمّا الماضي فمفسّر ، وأمّا الغابر

فمزبور ، وأمّا الحادث فقذف في القلوب ونقر في الأسماع وهو أفضلهاولا نبيّ بعد نبيّنا.

ويقول المجلسي (رحمه الله) في مرآة العقول ٣ : ١٢٦ عند شرحه لهذا الحديث : « (أمّا الماضي فمفسّر) أي فسّره لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، (وأمّا الغابر) أي المتعلّق بالأمُور الآتية المحتومة (فمزبور) أي مكتوب لنا في الجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام وغيرها ، والشرائع والأحكام داخل فيهما أو في أحدهما ، (وأمّا الحادث) وهو ما يتجدّد من الله تعالى حتمه من الأُمور أو العلوم أو المعارف الربانية أو تفصيل المجملات (فقذف في القلوب) بالإلهام من الله تعالى بلا توسّط ملك (أو نقر في الأسماع) بتحديث الملك إيّاهم ... ولما كان هذا القول منه عليه السلام يوهم ادّعاء النبوة . فإنّ الأخبار عن الملك عند الناس مخصوص بالأنبياء . نفى ذلك الوهم بقوله : (ولا نبيّ بعد نبيّنا) ... ».

وعند مراجعة كتاب كشف الجاني لعثمان الخميس : ١٧١ نجده غالط في موارد كثيرة وأُمور متعدّدة ، فذكر أنّ المؤلّف يكذب بقوله : إنّ أئمة أهل البيت لم يتتلمذوا على أي عالم من علماء الأُمّة ، فيشكل عليه بأنّهم تتلمذوا على يد غيرهم ، مستدلا علي ذلك بكتب أهل السنّة أنفسهم!! وفي هذه مغالطة واضحة ؛ إذ كيف يعترض على خصمه ويتهمه بالكذب ، ثمّ يستدلّ على كذبه بمصادره لا بمصادر الخصم ، أو بمصادر مقبولة من الطرفين؟! وهذا عين المغالطة والخلط في الاستدلال.

وذكر في كلامه أيضاً ترجمة لأئمة أهل البيت عليهم السلام ، وقد نحى في ترجمته لأئمة أهل البيت عليهم السلام منحى النواصب والمعادين لهم عليهم السلام ، إذ إنّه عندما يذكر ترجمة إمام من الأئمة يذهب إلى المترجمين الشاذين والمبغضين لأهل البيت عليهم السلام ، والذين يسعون دائماً إلى التقليل من شأنهم وتضعيف فضائلهم فيذهب إلى هؤلاء ويأتي بكلامهم ، ويترك كلام علماء أهل السنّة المعتدلين والمنصفين والذين لهم شأنهم في الوسط العلمي. ونذكر على سبيل المثال نماذج لذلك :

ذكر في ترجمة الإمام الرضا كلام ابن طاهر وابن حبان والذي فيه طعن وتقليل من شأن الإمام ، وترك كلام بقية العلماء من أئمة الرجال والجرح والتعديل ، فترك كلام إمام السنّة أحمد بن حنبل والذي قال عن رواية ورد في سندها الإمام الرضا ، وكان يرويها عن آبائه فقال : (لو قرأت هذه الإسناد على مجنون لبرئ من جنته) أورده ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة : ٣١٠.

وقال الحاكم النيسابوري في تاريخه : (كان يفتي في مسجد رسول الله وهو ابن نيف وعشرين سنة ، روى عنه من أئمة الحديث : آدم بن أبي أياس ، ونصر بن علي الجهضمي ، ومحمّد بن رافع القشيري) نقل كلامه ابن حجر في تهذيب التهذيب ٥ : ٧٤٦.

وقال الحافظ جمال الدين بن الجوزي في المنتظم ١٠ : ١٢٠ : (علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ... سمع أباه وعمومته ، وكان يفتي في مسجد رسول الله وهو ابن نيف وعشرين سنة).

وقال ابن النجار : (وكان من العلم والدين بمكان ، كان يفتي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن نيف وعشرين سنة) ذيل تاريخ بغداد ٤ : ١٣٥.

إلى غير ذلك من الكلمات الكثيرة والتي تتجاوز عشرات الأقوال في حق الإمام الرضا ومنزلته وعلمه.

وذكر في الإمام الحسن العسكري فقال عنه : قال ابن حجر : ضعّفه ابن الجوزي في الموضوعات فهو اعتمد فقط على ابن الجوزي وترك بقية العلماء ، مع أنّ ابن الجوزي معروف بالتساهل وعدم التثبت ، ولذلك ألّف الذهبي كتاب تلخيص الموضوعات استدراكاً عليه ، وارجع إلى مقدمة الكتاب لترى كلماتهم في ابن الجوزي وكيفية تساهله وعدم تثبّته.

قال سبط بن الجوزي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام : (هو الحسن بن علي بن محمّد بن علي بن موسى الرضا .. كان عالماً ثقة) تذكرة الخواص : ٣٢٤.

فأبو حنيفة تتلمذ على جعفر الصادق ، ومالك تتلمذ على أبي حنيفة ، والشافعي تلقّى عن مالك وأخذ عنه ، وهكذا أحمد.

أمّا أئمّة أهل البيت فعلمهم موهوب من الله سبحانه وتعالى ، يتوارثونه أباً عن جدّ ، فهم الذين خصّهم الله بقوله :

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [1].

وقد عبّر الإمام جعفر الصادق عن هذه الحقيقة مرّةً بقوله : « عجباً للنّاس يقولون بأنّهم أخذوا علمهم كلّه عن رسول الله ﷺ فعملوا به واهتدوا! ويروون أنّا أهل البيت لم نأخذ علمه ولم نهتد به ونحن أهله وذريته ، في

وقال ابن الصباغ المالكي : (مناقب سيّدنا أبي محمّد الحسن العسكري دالّة على أنّه السري بن السري ، فلا يشكّ في إمامته أحد ولا يمتري ... واحد زمانه من غير مدافع ونسيج وحده من غير منازع ، إمام أهل دهره ، أقواله سديدة وأفعاله حميدة ..) الفصول المهمة : ٢٧٩.

وقال الشيخ مؤمن الشبلنجي : (فصل في ذكر مناقب الحسن الخالص بن علي الهادي .. رضي الله عنهم : ومناقبه (رضي الله عنه) كثيرة .. ولما ذاع خبر وفاته ارتجت سرّمن رأى ، وقامت صيحة واحدة ، وعطلت الأسواق ، وغلقت الدكاكين وركب بنو هاشم والكتّاب والقضاة والمعدلون وسائر الناس إلى جنازته ، فكانت سرّمن رأى يومئذ شبيهة بالقيامة). نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار : ١٨٣ ـ ١٨٥.

وقال عارف أحمد : (كان من الزهد والعلم على أمر عظيم ..) الجوهر الشفاف في أنساب السادة الأشراف ١ : ١٦٠.

وقد ذكرنا هذين الإمامين سلام الله عليهما كنموذجين للقارئ حتى يعرف كيف يتعامل أعداء أهل البيت ومبغضيهم مع فضائلهم ومناقبهم ، وأنّهم دائماً يسعون للطعن بهم والتقليل من شأنهم.

١ ـ فاطر : ٣٢.

منازلنا أُنزل الوحيُ ، ومن عندنا خرج العلم إلى الناس ، أفتراهم علموا واهتدوا وجهلنا وضللنا؟! » [1].

نعم ، كيف لا يتعجّب الإمام الصادق من أُولئك الذين يدّعون أنّهم أخذوا العلم من رسول الله ، وهم يعادون أهل بيته ، وبابَ علمه الذي منه يؤتَى! وكيف لا يتعجّبْ من انتحالهم اسم « أهل السنّة » وهم يُخالفون هذه السنّة؟!

وإذا كان الشيعة ـ كما يشهدُ التاريخ ـ قد اختصّوا بعليّ ، فناصروه ووقفوا ضدّ عدوّه ، وحاربوا حربه ، وسالموا سلمه ، وأخذوا كلّ علومهم منه ، فأهل السنّة والجماعة لم يتشيّعوا له ولم ينصروه ، بل حاربوه وأرادوا القضاء عليه ، وقد تتبّعوا أولاده من بعده قتلا وسجناً وتشريداً ، وخالفوه في أكثر الأحكام باتّباعهم أدعياء العلم الذين اختلفوا بآرائهم واجتهاداتهم في أحكام الله ، فبدّلوها حسب أهوائهم وما اقتضته مصالحهم.

وكيف لا نعجب نحن اليوم من الذين يدّعون اتّباع السنّة النبويّة ، ويشهدون على أنفسهم أنّهم تركوا سنّة النبيّ لأنّها أصبحت شعاراً للشّيعة [2] ، أليس ذلك عجيباً؟!

كيف لا نعجب من الذين يزعمون بأنّهم « أهل السنّة والجماعة » وهم جماعات متعدّدة مالكية وحنفية وشافعية وحنبلية ، يُخالفون بعضهم في الأحكام الفقهيّة ، ويدّعون بأنّ ذلك الاختلاف هو رحمة لهم ، فيصبح بذلك

---

١ ـ بصائر الدرجات : ٣٢ ، الكافي ١ : ٣٩٨.

٢ ـ يراجع في ذلك كتاب « مع الصادقين » ص١٥٩ ـ ١٦٠ ليعرف بأنّ ابن تيميّة يقول بترك السنّة النبويّة إذا أصبحت شعاراً للشيعة ومع ذلك يسمّونه مجدّد السنّة.

دين الله أهواء وآراء وما تشتهيه أنفسهم [1].

نعم ، إنّهم جماعاتٌ متعدّدة تفرّقوا في أحكام الله ورسوله ، ولكنّهم اجتمعوا واتّفقوا على تصحيح خلافة السقيفة الجائرة ، وترك وإبعاد العترة الطاهرة.

كيف لا نعجب من هولاء الذين يتبجّحون بأنّهم « أهل السنّة » وقد تركوا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالتمسّك بالثّقلين كتاب الله والعترة ، رغم إخراجهم هذا الحديث وتصحيحه؟! فإنّهم لم يتمسكوا لا بالقرآن ولا بالعترة ؛ لأنّهم

---

١ ـ قال الشيخ محمّد ناصر الدين الألباني في الضعيفة ١ : ١٤١ ـ ١٤٢ تعليقاً على حديث « ٥٧ ـ اختلاف أُمتي رحمة » : (وإنّ من آثار هذا الحديث السيئة أنّ كثيراً من المسلمين يقرّون بسببه الاختلاف الشديد الواقع بين المذاهب الأربعة ، ولا يحاولون أبداً الرجوع بها إلى الكتاب والسنّة الصحيحة ، كما أمرهم بذلك أئمتهم رضي الله عنهم ، بل إنّ أُولئك ليرون مذاهب هؤلاء الأئمة رضي الله عنهم إنّما هي كشرائع متعدّدة!!

وبسبب هذا الحديث ونحوه ظل أكثر المسلمين بعد الأئمة الأربعة إلى اليوم مختلفين في كثير من المسائل الاعتقادية والعملية ..

وإن شئت أن ترى أثر هذا الاختلاف ، والإصرار عليه ، فانظر إلى كثير من المساجد ؛ تجد فيها أربعة محاريب يصلي فيها أربعة من الأئمة ، ولكلّ منهم جماعة ينتظرون الصلاة مع إمامهم كأنّهم أصحاب أديان مختلفة! وكيف لا وعالمهم يقول : إنّ مذاهبهم كشرائع متعددّة!! ..) إلى آخر كلامه الذي يبيّن فيه شدّة الاختلاف الواقع بينهم بحيث أصبحوا شرائع متعددّة ؛ لأنّهم يختلفون كثيراً في الأُصول والفروع ، وعليه فمقولة أهل السنّة والجماعة ما هي إلاّ أُكذوبة ، يكذبونها أنفسهم كما رأيت من كلام الشيخ الألباني.

ويوجد نحو هذا الكلام ـ أيضاً ـ عند المناوي في فيض القدير في شرح الجامع الصغير ١ : ٢٧٢ نقلا عن الإمام الذهبي.

بتركهم للعترة الطاهرة فقد تركوا القرآن ، لأنّ الحديث الشريف مفاده أنّ القرآن والعترة لا يفترقان أبداً ، كما أخبر بذلك رسول الله بقوله : « وقد أنبأني اللّطيف الخبير بأنّهما (القرآن والعترة) لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض » [1].

وكيف لا نعجبُ من قوم يدّعون أنّهم « أهل السنّة » وهم يخالفون ما ثبت في صحاحهم من فعل النبيّ وأوامره ونواهيه [2]؟

أمّا إذا اعتقدنا وصحّحنا حديث : « تركت فيكم كتاب الله وسنّتي ، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً » كما يحلو لبعض « أهل السنّة » أن يثبتوه اليوم ، فإنّ العجب سيكونُ أكبر والفضيحة أظهر ؛ إذ إنّ كُبراءهم وأئمّتهم هم الذين أحرقوا السنّة التي تركها رسول الله فيهم ، ومنعوا من نقلها وتدوينها ، كما عرفنا ذلك فيما تقدم من أبحاث سابقة.

وقد قال عمر بن الخطّاب بصريح اللّفظ : « حسبنا كتاب الله يكفينا ».

---

١ ـ أخرجه الإمام أحمد ٣ : ١٧ من مسنده ، والمستدرك للحاكم ٣ : ١٤٨. وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرّجاه ، وصحّحه الإمام الذهبي في تلخيصه معترفاً بصحّته على شرط الشيخين ، وورد بلفظ (يتفرّقا) في مجمع الزوائد ١ : ١٧٠ وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات ، سنن الترمذي ٥ : ٣٢٩ ، المصنّف لابن أبي شيبة ٧ : ٤١٨ ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، الألباني ٤ : ٣٥٥ ، ح١٧٦١.

٢ ـ أخرج البخاري في صحيحه بأنّ النبيّ نهى عن صلاة التراويح في رمضان جماعة وقال : « صلّوا أيّها الناس في بيوتكم ، فإنّ أفضل صلاة المرء في بيته ما عدا الصلاة المكتوبة ». ولكنّ أهل السنّة تركوا نهي الرسول واتّبعوا بدعة عمر بن الخطّاب.

وهو ردّ صريح على رسول الله ﷺ ، والراد على رسول الله رادٌ على الله كما لا يخفى.

وقول عمر بن الخطّاب هذا خرجته كلّ صحاح « أهل السنّة » بما فيهم البخاري ومسلم ، فإذا كان النبيّ قد قال : « تركتُ فيكم كتاب الله وسنّتي » فعمر قال له : حسبنا كتاب الله ولا حاجة لنا بسنّتك ، وإذا كان عمر قد قال بمحضر النبيّ : حسبنا كتاب الله ، فإنّ أبا بكر أكّد على تنفيذ رأي صاحبه فقال عندما أصبح خليفة : « لا تحدّثوا عن رسول الله شيئاً ، فمن سألكم فقولوا : بيننا وبينكم كتاب الله ، فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه » [1].

كيف لا نعجب من قوم تركوا سنّة نبيّهم ونبذوها وراء ظهورهم ، وأحلّوا محلّها بدعاً ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان ، ثمّ يُسمّون أنفسهم وأتباعهم « أهل السنّة والجماعة »؟!

ولكنّ العجب يزول عندما نعرف بأنّ أبا بكر وعمر وعثمان ما كانوا يعرفون هذه التسمية أبداً ، فهذا أبو بكر يقول : « لئن أخذتموني بسنّة نبيكم (صلى الله عليه وسلم) لا أطيقها » [2].

كيف لا يطيق أبو بكر سنّة النبيّ؟ فهل كانت سنّته ﷺ أمراً مستحيلا حتى لا يطيقها أبو بكر؟

وكيف يدّعي « أهل السنّة » أنّهم متمسّكون بها إذا كان إمامهم الأول

---

١ . تذكرة الحفاظ للذهبي ١ : ٣.

٢ . مسند أحمد ١ : ١٤ وصرّح محقّق الكتاب أحمد محمّد شاكر بأنّه حديث حسن ، كنز العمال ٥ : ٥٨٨ ح١٤٠٤٦.

ومؤسس مذاهبهم لا يُطيقها؟!

ألم يقل الله سبحانه في حقّها : ﴿ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [1]؟ وقال في حقّها أيضاً : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [2] ، وقال أيضاً : ﴿ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [3].

فهل يرى أبو بكر وصاحبه عمر أنَّ رسول الله ابتدع ديناً غير الذي أنزل الله ، فأمر المسلمين بما لا يُطاق وكلّفهم عُسراً؟

حاشاه فقد كان كثيراً ما يقول : « بشّروا ولا تُنفّروا ، يسّروا ولا تُعسّروا » [4] ، « لا تشدّدوا على أنفسكم فيشدد عليكم ، فإنّ قوماً شدّدوا على أنفسهم فشدد الله عليهم » [5].

ولكنّ اعتراف أبي بكر بأنّه لا يُطيق سنّة النبيّ يؤكّد ما ذهبنا إليه من أنّه أحدثَ بدعةً يطيقها حسب هواه ، وتتماشى وسياسة الدّولة التي ترأسها.

ولعلّ عمر بن الخطّاب كان يرى هو الآخر بأنّ أحكام القرآن والسنّة لا تُطاق ، فعمد إلى ترك الصلاة إذا أجنب ولم يجد الماء ، وأفتى بذلك أيّام خلافته ، وقد عرف ذلك الخاصّ والعامّ ، وأخرج ذلك عنه كلّ المحدّثين!!

وبما أنّ عمر كان مولعاً بكثرة الجماع ، وهو الذي نزل فيه قوله تعالى :

---

١ . الأحزاب : ٢١.

٢ . البقرة : ٢٨٦.

٣ . الحج : ٧٨.

٤ . صحيح مسلم ٥ : ١٤١ (كتاب الجهاد ، باب تحريم الغدر).

٥ . سنن ابن داود ٢ : ٤٥٧ ح٤٩٠٤ ، مجمع الزوائد للهيثمي ٦ : ٢٥٦ ، وغيرها.

﴿ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ [1] ، لأنّه لم يصبر على الجماع وقت الصيام [2] ، وبما أنّ الماء كان قليلا رأى عمر أنّه من الأسهل أن

---

١ . البقرة : ١٨٧.

٢ . ذكر عثمان الخميس في كتابه كشف الجاني : ١٧٤ اعتراضين على المؤلّف :

الأوّل : إنّ عمر بن الخطّاب لم يأتِ أهله وقت الصيام وإنّما جاء أهله ليلا.

الثاني : إنّ الآية نزلت في قيس بن صرمة وليست في عمر بن الخطّاب كما روى البخاري.

وللجواب على هذا الكلام نقول : إن الآية واضحة الدلالة في تحريم الجماع والأكل والشرب في ليالي شهر رمضان إذا نام الصائم ، ولأجل ذلك سماه الله سبحانه وتعالى وقت الصيام. روى أحمد في المسند ٣ : ٤٦٠ ، والطبري في التفسير ٢ : ٢٢٣ ح٢٤٠٧ ، والقرطبي في التفسير ٢ : ٣١٤ ، وابن كثير في التفسير ١ : ٢٢٦ وغيرهم : (قال علي بن أبي طلحة عن ابن عبّاس قال : كان المسلمون في شهر رمضان إذا صلّوا العشاء حرم عليهم النساء والطعام إلى مثلها من القابلة ، ثمّ إنّ أناساً من المسلمين أصابوا من النساء والطعام في شهر رمضان بعد العشاء منهم عمر بن الخطّاب ...).

وأمّا جواب الاعتراض الثاني فنقول : إن عثمان الخميس يحاول حصر سبب النزول بقيس بن صرمة فقط ، معتمداً على رواية البخاري ، وهذا غير صحيح وذلك :

أوّلا : أنّ البخاري نفسه قطع الرواية ولم يكملها وإلاّ فهي نفس الرواية التي وردت في مسند أحمد وذكر فيها اسم عمر بن الخطّاب ، كما نقلناها في جواب الاعتراض الأوّل.

ثانياً : أنّ البخاري نفسه روى الحديث في كتاب التفسير وفيه : (.. وكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله ...) ، فصرّح بأن الآية نزلت في جماعة وليس في واحد فقط ، كما يحاول عثمان الخميس تصوير ذلك ، وبما أنّ الرواية الصحيحة

يترك الصلاة ويرتاح إلى أن يتوفّر لديه الماء الكافي للغسل ، عند ذلك يعود إلى الصلاة [1].

أمّا عثمان فقد خالف السنّة النبويّة ـ كما هو معروف ـ حتّى أخرجتْ عائشة قميص النبيّ وقالت : لقد أبلى عثمان سنّة النبيّ قبل أن يبلى قميصه [2] ، وحتّى عابه الصحابة بأنّه خالف سنّة النبيّ وسنّة الشيخين ،

صرّحت بأنّ عمر بن الخطّاب من أُولئك الجمع الخائنين فيكون مشمولا بالآية الكريمة.

وثالثاً : إذا تنزلنا عن جميع ذلك فنقول : إنّ اثبات شيء لا ينفي غيره ، فرواية البخاري بأنّ الآية نزلت في قيس بن صرّمة لا تعارض رواية مسند أحمد وغيره من أنّ عمر بن الخطّاب ممّن شملته الآية الكريمة ؛ لأنّ البخاري نقل فقط اسماً واحداً ، وهذا لا يعني أنّه لا يوجد هناك أسماء مشمولة للآية.

ولأجل توضيح عدم وجود التنافي قال الشيخ مقبل الوادعي في كتابه الصحيح المسند من أسباب النزول : ٣٢ بعد أن ذكر حديث البخاري الأوّل : (الحديث أعاده البخاري في كتاب التفسير مع تغيير في بعض السند .. ولفظ متنه : لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كلّه ؛ وكان رجال يخونون أنفسهم ، فأنزل الله تعالى : (عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ ..) ، وظاهرها التغاير ، لكن لا مانع من أن تكون نزلت في هؤلاء وهؤلاء ، ورواه أبو داود ٢ : ٢٦٥ والنسائي ٤ : ١٢١ وقد جمع حديثي البخاري فعلمنا أن القضيتين كانتا سبب النزول).

١ ـ إشارة إلى ما رواه مسلم في صحيحه ١ : ١٩٣ ، من أنّ رجلا قال لعمر : إنّي أجنبت فلم أجد ماء ، فقال : لا تصل ، فاعترض عليه عمّار وذكّره بالتيمم ، وفي لفظ سنن أبي داود باب التيمم : أنّ السائل قال : إنّا نكون بالمكان الشهر أو الشهرين ، فقال عمر : أمّا أنا فلم أكن أُصلّي حتى أجد الماء ، فاعترض عليه عمّار.

٢ ـ تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٧٥ ، تاريخ أبي الفداء ١ : ٢٣٩ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي

وقتلوه من أجل ذلك.

أمّا معاوية فحدّث ولا حرج ، فإنّه عاند القرآن والسنّة وتحدّاهما ، فبينما يقول النبيّ ﷺ : « علي منّي وأنا من علي » [1] « من سبّ علياً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله » [2] ؛ نجد معاوية قد أمعن في سبّه ولعنه ، ولم يكتف بذلك حتّى أمر كلّ ولاته وعمّاله أن يسبّوه ويلعنوه ، ومن امتنع منهم عزله وقتله [3].

الحديد ٣ : ٩ ، المعيار والموازنة : ٢١ ، المحصول للفخر الرازي ٤ : ٣٤٣ ، وبهذا تعرف أن ما ذكره عثمان الخميس في كشف الجاني : ١٧٤ من اتهام المؤلّف بالكذب ، وأن عائشة لم تقل ذلك ؛ ما هو إلاّ جهل أو مكابرة على الحقيقة المرّة التي لا يستسيغها.

١ ـ كتاب السنّة لابن أبي عاصم : ٥٥٠ ح١١٨٧ ولفظه « عليّ منّي وأنا منه » قال الألباني محقّق الكتاب : « إسناده صحيح ، رجاله ثقات على شرط مسلم ، والحديث اخرجه الترمذي ٢ : ٢٩٧ ، وابن حبان (٢٢٠٣) والحاكم ٣ : ١١٠ ، وأحمد ٤ : ٤٣٧ ، وقال الترمذي : حديث حسن غريب ، وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم وأقرّه الذهبي ».

٢ ـ تاريخ دمشق ٤٢ : ٢٦٦ ، نظم درر السمطين : ١٠٥ ، الجامع الصغير ٢ : ٦٠٨ ح٨٧٣٦ ، وذكر صدره الحاكم في المستدرك ٣ : ١٢١ وصحّحه ، وفي خصائص الإمام علي للنسائي : ٧٦ ح٨٦ ، وقال محقّق الكتاب أبو إسحاق الحويني الأثري : « إسناده صحيح ». ووافقه الذهبي في تلخيص المستدرك ، سنن النسائي ٥ : ١٣٣ ح٨٤٧٦.

٣ ـ روى ابن ماجة في سننه ١ : ٥٦ ح١٢١ : (حدّثنا علي بن محمّد ، حدّثنا أبو معاوية ، حدّثنا موسى بن مسلم .. عن سعد بن أبي وقاص قال : قدم معاوية في بعض حجّاته ، فدخل عليه ، فذكروا علياً ، فنال منه ، فغضب سعد وقال : تقول هذا

وإذا عرفنا بأنّ معاوية هو الذي سمّى نفسه وأتباعه بـ « أهل السنّة والجماعة » في مقابل تسمية الشيعة بأتباع الحقّ.

وينقل بعض المؤرّخين بأنّ العام الذي استولى فيه معاوية على الخلافة الإسلامية بعد صلح الحسن بن علي ، قد سُمّيَ ذلك العام بعام الجماعة.

ويزول العجب عندما نفهَمُ بأن كلمة « السنّة » لا يقصد بها معاوية وجماعته إلاّ لعن علي بن أبي طالب من فوق المنابر الإسلامية في أيام الجمعة والأعياد.

وإذا كانتْ « السنّة والجماعة » من ابتكار معاوية بن أبي سفيان ، فنسأله سبحانه أن يُميتَنا على بدعة الرفض التي أسسها علي بن أبي طالب وأهل البيت عليهم السلام !!

ولا تستَغرب أيّها القارئ العزيز أن يُصبحَ أهل البدعة والضلالة هم « أهل

لرجل سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : (من كنت مولاه فعلي مولاه) ... » ، وقد صحّح الشيخ محمّد ناصر الدين الألباني الحديث في صحيح ابن ماجة ١ : ٧٢ ، وعلّق عليه بقوله : (قوله : (فنال منه) أي نال معاوية من علي وتكلّم فيه).

وفي عون المعبود بشرح سنن أبي داود ١٢ : ٣١٢ ح ٤٦٣٦ ؛ بعد أن نقل حديثاً ورد فيه : « لما قدم فلان إلى الكوفة أقام فلان خطيباً .. » قال عون المعبود معلّقاً على الحديث : (.. قال في فتح الودود : ولقد أحسن أبو داود في الكناية عن اسم معاوية والمغيرة بفلان ستراً عليهما في مثل هذا المحل .. قال بعض العلماء : كان في الخطبة تعريضاً بسب علي (رضي الله عنه)).

فمعاوية كان ينال من علي بن أبي طالب عليه السلام ، بل وأقام أُمراء وخطباء ينالون من علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقد أمّر المغيرة بن شعبة على الكوفة ، وكان المغيرة يسب عليّاً وينال منه ، وأقام خطباء ينالون من علي عليه السلام !! سير أعلام النبلاء ، الذهبي ٣ : ٣١.

السنّة والجماعة » ، ويصبح الأئمّة الطاهرون من أهل البيت هم أهل البدعة.

فها هو العلاّمة ابن خلدون من مشاهير علماء « أهل السنّة والجماعة » يقولها بكلّ وقاحة ، بعد أن عدّد مذاهب الجمهور قال : « وشذّ أهل البيت بمذاهب ابتدعوها ، وفقه انفردوا به وبنوه على مذهبهم في تناول بعض الصحابة بالقدح » [1].

ألم أقل لك أيّها القارئ من البداية : « لو عكستَ لأصبتَ » فإذا كان الفسّاق من بني أُميّة هم « أهل السنّة » وأهل البيت هم أهل البدعة ـ كما يقول ابن خلدون ـ فعلى الإسلام السلام ، وعلى الدّنيا العفا!!

---

١ ـ مقدمة ابن خلدون : ٤١٧ ، الفصل السابع في علم الفقه وما يتبعه من الفرائض.

حكّام الجور هم الذين نصَّبوا أئمة « أهلّ السنّة »

ومما يدلّنا على أنّ أئمة المذاهب الأربعة من « أهل السنّة » هم أيضاً خالفوا كتاب الله وسنّة النبيّ الذي أمرهم بالاقتداء بالعترة الطّاهرة ، فلم نجد واحداً منهم لوى عنقه ، وركب سفينتهم ، وعرف إمام زمانه.

فهذا أبو حنيفة الذي تتلمذ على الإمام الصادق ، والذي اشتهر عنه قوله : « لولا السنتان لهلك النعمان » [1] نجده قد ابتدع مذهباً يقوم على القياس والعمل بالرّأي مقابل النصوص الصريحة.

وهذا مالك الذي تلقّى هو الآخر عن الإمام الصادق ، ويُروى عنه قوله : « ما رأت عينٌ ولا سمعتْ أُذن ولا خطر على قلب بشر أفقه وأعلم من جعفر الصادق » [2] نجده قد ابتدع مذهباً في الإسلام ، وترك إمام زمانه الذي يشهد بنفسه أنّه أعلم وأفقه البشر في عصره ، فقد نفخ في روعه الحكّام العباسيون وسمّوه « إمام دار الهجرة » فأصبح مالك بعدها صاحب الجاه والسلطان والحول والطول.

وهذا الشافعي الذي يُتّهم بأنّه كان يتشيّع لأهل البيت ، فقد قال في حقّهم تلك الأبيات المشهورة :

يا أهـــل بيـــت رســـول الله حـــبّكم فـــرض مـــن الله في القـــرآن أنزلـــه

---

١ ـ التحفة الاثني عشرية للدهلوي : ١٤٢ ، ومختصر التحفة للآلوسي : ٨.

٢ ـ نحوه في الأمالي للصدوق : ٦٣٦ ح٨٥٢ ، المناقب لابن شهرآشوب ٣ : ٣٧٢.

كفـــاكم مـــن عظـــيم الشـــأن أنّكـــم مـــن لم يصـــل علـــيكم لا صـــلاة لـــه [1]

كما يُنسبُ إليه في مدح أهل البيت عليهم السلام هذه الأبيات :

ولمـــا رأيـــت النـــاس قـــد ذهبـــت بهـــم مـــــذاهبهم في أبحـــــر الغـــــي والجهـــــل

ركبـــتُ علـــى اســـم الله في ســـفن النجـــا وهـــم أهـــل بيـــت المصـــطفى خـــاتم الرســـل

وأمســـــكتُ حبـــــل الله وهـــــو ولاؤكـــــم كمـــا قـــد أمـــرنا بالتمسّـــك بالحبـــل [2]

ويشتهر عنه قوله :

إن كـــــان رفضـــــاً حـــــبّ آل محمّـــــد فليشـــــهد الـــــثقلان أنّي رافضـــــي [3]

وإذا يشهد الثقلان أنّه رافضي ، فلماذا لم يرفض المذاهب التي قامت ضدّ أهل البيت ، بل ابتدع هو الآخر مذهباً يحمل اسمه ، وترك أئمة أهل البيت الذين عاصرهم؟

وهذا أحمد بن حنبل الذي ربّع الخلافة بعلي ، وألحقه بالرّاشدين بعدما كان منكوراً ، وألّف فيه كتاب الفضائل ، واشتهر عنه قوله : « ما لأحد من الصحابة من الفضائل بالأسانيد الصحاح مثلما لعلي (رضي الله عنه) » [4].

إلاّ أنّه ابتدع له مذهباً في الإسلام اسمه المذهب الحنبلي ، رغم شهادة العلماء من معاصريه بأنّه ليس فقيهاً ، قال الشيخ أبو زهرة : « إنّ كثيراً من

---

١ ـ الصواعق المحرقة ٢ : ٤٣٥ في الآيات النازلة فيهم.

٢ ـ رشفة الصادي للحضرمي : ٥٧ ، الآية السادسة.

٣ ـ الصواعق المحرقة لابن حجر ٢ : ٣٨٨ في كرامات عليّ عليه السلام.

٤ ـ نحوه في المستدرك للحاكم ٣ : ١٠٧ والحديث صحيح كوثاقة رجال اسناده وفي مناقب عليّ عليه السلام ، فيض القدير ٤ : ٤٦٨ ، تهذيب التهذيب لابن حجر ٧ : ٢٩٨ رقم ٥٦٦.

الأقدمين لم يعدّوا أحمد بن حنبل من الفقهاء ، كابن قتيبة وهو قريب من عصره جدّاً ، وكذلك ابن جرير الطبري وغيرهما » [1].

وجاء ابن تيميّة فرفع لواء المذهب الحنبلي ، وأدخل عليه بعض النظريات الجديدة التي تحرّم زيارة القبور والبناء عليها ، والتوسّل بالنّبي وأهل البيت ، فكلّ ذلك عنده شركاً.

فهذه هي المذاهب الأربعة ، وهؤلاء هم أئمتها وما ينسبُ إليهم من أقوال في حقّ العترة الطاهرة من آل البيت.

---

١ .كتاب أحمد بن حنبل لأبي زهرة : ١٧٠ ، وانظر الإمام الصادق لأسد حيدر ١ : ١٦٩ وضحى الإسلام لأحمد أمين ٢ : ٢٣٥ ، وأحمد بن حنبل السيرة والمذهب لسعيد أبو حبيب : ص٥٧.

وقد ذكر هذا الأخير أسماء كثير من العلماء الذين لم يعدوا أحمد بن حنبل فقيهاً كالطحاوي ، والمقدسي ، والأصيلي ، وابن عبد البرّ ، والغزالي ، والنسفي ، والسمرقندي ، والدبوسي ، مضافاً إلى ابن قتيبة والطبري.

قال ابن الأثير في حوادث سنة ٣١٠ هـ وفي هذه السنة توفي محمّد بن جرير الطبري صاحب التاريخ ببغداد .. ودفن ليلا بداره ؛ لأنّ العامة اجتمعت ومنعت من دفنه نهاراً وادعوا عليه الرفض ، ثمّ ادعوا عليه الإلحاد .. وبعض الحنابلة تعصّبوا عليه ووقعوا فيه فتبعهم غيرهم ، ولذلك سبب ، وهو أنّ الطبري جمع كتاباً ذكر فيه اختلاف الفقهاء لم يصنف مثله ولم يذكر فيه أحمد بن حنبل ، فقيل له في ذلك ، فقال : لم يكن فقيهاً وإنّما كان محدثاً ، فاشتدّ ذلك على الحنابلة.

ومنه يُعرف أن التضخيم الذي يذكر لأحمد بن حنبل ، وبيان منزلته وفقاهته وعلمه وزهده .. إلى غير ذلك ما هو إلاّ تصنيع من قبل الحنابلة أنفسهم ، وإضفاء ألقاب وأوصاف مصطنعة لا تمتّ إلى الواقع بصلة وليس لها من حقيقة الأمر شيء ، وكذلك يتضح مدى جهل عثمان الخميس في كتابه كشف الجاني : ١٧٥ ، وعدم معرفته بترجمة إمامه ورأي العلماء فيه.

فإمّا أنّهم يقولون ما لا يفعلون وهو مقتٌ كبيرٌ عند الله ، أو أنّهم لم يبتدعوا تلك المذاهب ، ولكن أتباعهم من أذناب الأمويّين والعبّاسيين هم الذين أسسوا تلك المذاهب بإعانة الحكّام الجائرين ثمّ نسبوها إليهم بعد وفاتهم ، وهذا ما سنعرفه إن شاء الله في الأبحاث القادمة.

أفلا تعجبون من هؤلاء الأئمة الذين عاصروا أئمّة الهدى من أهل البيت ، ثمّ تنكّبوا صراطهم المستقيم ، ولم يهتدوا بهديهم ، ولا اقتبسوا من نورهم ، ولا قدّموا حديثهم عن جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، بل قدّموا عليهم كعب الأحبار اليهودي ، وأبا هريرة الدّوسي الذي قال في شأنه أمير المؤمنين علي عليه السلام : « إنّ أكذب الناس على رسول الله لأبو هريرة الدوسي » [1] كما قالت فيه عائشة

---

١ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ : ٦٨ ، أضواء على السنّة المحمّدية لأبي رية : ٢٠٤.

وفي شرح النهج أيضاً ٤ : ٦٨ « قال أبو جعفر : وأبو هريرة مدخول عند شيوخنا غير مرضيّ الرواية ، ضربه عمر بالدرّة وقال : قد أكثرت من الرواية ، وأحر بك أن تكون كاذباً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » وكذلك حكى ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث : ٢٧ ، ٤٨ أنّ النظام ذكر أبا هريرة وقال : أكذبه عمر وعثمان وعليّ وعائشة ، ثمّ انبرى ابن قتيبة للدفاع عن أبي هريرة قائلا : « فلمّا أتى من الرواية عنه (أي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) ما لم يأت بمثله من صحبه من جلّة أصحابه أو السابقين الأولين إليه ، اتهموه وأنكروا عليه وقالوا : كيف سمعت هذا وحدك؟ ومن سمعه معك؟ وكانت عائشة أشدّهم إنكاراً عليه لتطاول الأيام بها وبه ... فلمّا أخبرهم أبو هريرة بأنّه كان ألزمهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ... وأنّه لم يكن ليشغله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غرس الودي ولا الصفق بالأسواق ، يعرّض أنّهم كانوا يتصرّفون في التجارات ويلزمون الضياع في أكثر الأوقات وهو ملازم له لا يفارقه ، فعرف

بنت أبي بكر نفس الكلام [1].

ما لم يعرفوا وحفظ ما لم يحفظوا ، أمسكوا عنه ».

أقول : إن صحّ كلام ابن قتيبة تراجع الصحابة عن الطعن فيه فإنّما يصحّ في حقّ عمر وعثمان فقط حيث كانوا بمعزل عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وكثيراً ما ألهى عمر الصفق بالأسواق عن سماع الحديث ، وأمّا في حق عليّ عليه السلام وعائشة فلا يقبل قوله ، كيف وقد كان الإمام عليه السلام ملازماً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم طيلة حياته وورث علمه وحكمته وكان هو القائم والمرشّح بعده وهو أحد الثقلين ، وكذلك عائشة فقد رويتم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . حسب زعمكم . « خذوا شطر دينكم عن عائشة » فإن كان هناك إمساك عن الطعن في أبي هريرة فإنّما كان من عمر وعثمان دون عليّ عليه السلام وعائشة.

١ . تأويل مختلف الحديث : ٢٧ حيث قال في حقّ أبي هريرة نقلا عن النظام : (أكذبه عمر وعثمان وعليّ وعائشة) ، وكانت عائشة تنكر عليه كثرة الحديث ، وقد دعته ذات يوم فقالت له : (يا أبا هريرة ما هذه الأحاديث التي تبلغنا أنّك تحدّث بها عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هل سمعت إلاّ ما سمعنا؟ وهل رأيت إلاّ ما رأينا؟

قال : يا أُماه إنّه كان يشغلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المرآة والمكحلة والتصنّع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ...) مستدرك الحاكم ٣ : ٥٠٩ وصححه ووافقه الذهبي.

وكذلك كذّب أبو هريرة عبد الله بن عمر ، فهذا طاووس يقول : (كنت جالساً عند ابن عمر فأتاه رجل فقال : إنّ أبا هريرة يقول : إنّ الوتر ليس بحتم ، فخذوا منه أو دعوا؟ فقال ابن عمر : كذب أبو هريرة ..) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر : ٤٦٤.

وذكر الذهبي في ترجمة أبي هريرة في السيرة ٢ : ٦٠٨ « عن مغيرة عن إبراهيم قال : كان أصحابنا يدعون من حديث أبي هريرة ... وعن الثوري .. عن إبراهيم قال : ما كانوا يأخذون من حديث أبي هريرة إلاّ ما كان حديث جنّة أو نار ..) ، أي لأجل التساهل في أحاديث الترغيب والترهيب يأخذون بروايات أبي هريرة فيها ، وأمّا ما كان محلا لحلال ومحرماً لحرام أو غير ذلك ممّا يرتبط بصلب

ويُقدّمون عليهم عبد الله بن عمر الناصبي الذي اشتهر ببغضه للإمام علي وامتنع عن مبايعته ، وبايع إمام الضلالة الحجّاج بن يوسف.

ويقدّمون عليهم عمرو بن العاص وزير معاوية على الغش والنفاق.

أفلا تعجبون كيف أباح هؤلاء الأئمّة لأنفسهم حقّ التشريع في دين الله بآرائهم واجتهاداتهم ، حتى قضوا على السنّة النبويّة بما أحدثوه من قياس واستصحاب ، وسدّ باب الذرائع ، والمصالح المرسلة ، وغير ذلك من بدعهم التي ما أنزل الله بها من سلطان؟

وهلْ غفل الله ورسوله عن إكمال الدّين ، وأباح لهم أنْ يُكملوه باجتهاداتهم ، فيُحلّلوا ويحرّموا كما يحلو لهم؟!

أفلا تعجبون من المسلمين الذين يدّعون التمسّك بـ « السنّة » كيف يُقلّدون رجالا لم يعرفوا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولم يعرفهم؟!

فهل عندهم دليل من كتاب الله ، أو من سنّة رسوله على اتّباع وتقليد أُولئك الأئمّة الأربعة أصحاب المذاهب؟!

فأنا أتحدّى الثقلين من الإنس والجنّ أن يأتوا بدليل واحد على ذلك من كتاب الله أو من سنّة رسوله ، فلا والله ، لا ولن يأتوا به ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

لا والله ، ليس هناك دليلٌ في كتاب الله وسنّة رسوله إلاّ على أتباع وتقليد

الشريعة فلا يعتمدون على أبي هريرة ؛ لأنّه متّهم في حديثه ، ومن السمات التي يتصف بها أبو هريرة هو التدليس ، قال الذهبي في السير ٢ : ٦٠٨ : (قال يزيد بن هارون : سمعت شعبة يقول : كان أبو هريرة يدلّس).

الأئمّة الطّاهرين من عترة النبيّ (صلى الله عليه وعليهم) ، أمّا هذا فهناك أدّلة كثيرة ، وحججٌ دامغة ، وحقائق ساطعة.

﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأبْصَارِ ﴾ [1].

﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [2].

---

١ . الحشر : ٢.

٢ . الحج : ٤٦.

السرّ في انتشار المذاهب السنيّة

إنّ المتتبّع في كتب التاريخ وما دوّنه الأسلاف ، يجدُ بما لا شكّ فيه بأنّ شيوع المذاهب « السنيّة » الأربعة في تلك العصور كان بإرادة السلطة الحاكمة وإدارتها ، ولذلك كثر أتباعها ، فالناس على دين ملوكهم.

كما يجد الباحث بأنّ هناك عشرات المذاهب التي انقرضت وذابتْ ؛ لأنّ الحاكم لم يكن راض عليها ، كمذهب الأوزاعي ، ومذهب حسن البصري ، وأبو عيينة ، وابن أبي ذؤيب ، وسفيان الثوري ، وابن أبي داود ، وليث بن سعد وغيرهم كثير.

وعلى سبيل المثال ، فإنّ ليث بن سعد كان صديق مالك بن أنس ، وكان أعلم منه وأفقه ، كما اعترف بذلك الشافعي [1].

ولكنّ مذهبه انقرض ، وفقهه ذاب واندرس ؛ لأنّ السلطة لم تكن عنه راضية.

وقال أحمد بن حنبل : « كان ابن أبي ذؤيب أفضل من مالك بن أنس إلاّ أنّ مالكاً أشدّ تنقية للرّجال » [2].

وإذا راجعنا التاريخ ، فإننا نجد مالكاً صاحب المذهب قد تقرّبَ إلى

---

١ ـ راجع تهذيب التهذيب ٨ : ٤١٥ ، البداية والنهاية ١٠ : ١٧٨.

٢ ـ تذكرة الحفّاظ ١ : ١٩١.

السلطة والحكّام ، وسالمهم ومشى في ركابهم ، فأصبح بذلك الرجل المهاب والعالم المشهور ، وانتشر مذهبه بوسائل الترهيب والترغيب خصوصاً في الأندلس ، حيث عمل تلميذه يحيى بن يحيى على موالاة حاكم الأندلس ، فأصبح من المقرّبين ، وأعطاه الحاكم مسؤولية تعيين القضاة ، فكان لا يولي على القضاء إلاّ أصحابه من المالكيّة فقط [1].

---

١ ـ قال ابن خلكان في وفيات الأعيان ٥ : ١١٧ في ترجمة يحيى بن يحيى : » قال أبو محمّد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الأندلسي : مذهبان انتشرا في مبدأ أمرهما بالرياسة والسلطان : مذهب أبي حنيفة ... ومذهب مالك بن أنس عندنا في بلاد الأندلس ..» ..

وقال الذهبي في السير ١٠ : ٥٢٤ : (كان أمير الأندلس لا يولي أحداً القضاء بمدائن أقليم الأندلس إلاّ من يشير به يحيى بن يحيى ، فكثر لذلك تلامذة يحيى ابن يحيى ، وأقبلوا على فقه مالك ونبذوا ما سواه).

وقال الشاه ولي الله الدهلوي في حجّة الله البالغة ١ : ٢٨٣ « فأيّ مذهب كان أصحابه مشهورين وأسند إليهم القضاء والإفتاء ، واشتهرت تصانيفهم في الناس ودرّسوا درساً ظاهراً انتشر في أقطار الأرض ولم يزل ينتشر كلّ حين ، وأيّ مذهب كان أصحابه خاملين ولم يولّوا القضاء والإفتاء ولم يرغب فيهم الناس اندرس بعد حين » ، قد يقال : إنّ مالك أصابته محنة في زمن المنصور العباسي وضرب بالسياط ، فكيف تدّعون أنّ السياسة هي التي روّجت له؟ فنقول : نعم حدثت لمالك محنة بسيطة من قبل جعفر بن سليمان والي المنصور على المدينة وذلك في سنة ١٤٧ هـ كما ذكر ابن الجوزي في المنتظم ٩ : ١٦٢ ، ولكن أبو جعفر المنصور عاد واعتذر لمالك عندما جاء إلى الحجّ سنة ١٥٢.

قال الذهبي في السير ٨ : ١١٣ : (قال أبو الوليد الباجي : روي أنّ المنصور حجّ وأقاد مالكاً من جعفر بن سليمان الذي كان ضربه).

ويحدّثنا الذهبي في السير ٨ : ٦١ عن العلاقة الوطيدة بين مالك والمنصور ، حيث إنّ مالكاً جاء إلى المنصور بعد أن ورد إلى الحجّ فيقول : قال لي (يعني المنصور) : أنت أعقل الناس وأعلم الناس.

قلت : لا والله يا أمير المؤمنين.

قال : بلى ولكنّك تكتم.

ثمّ قال : والله لئن بقيت لأكتبن قولك كما تكتب المصاحف ، ولأبعثن به إلى الآفاق فلأحملنهم عليه).

ويروي ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة ٢ : ٢٠١ ما يوافق رواية الذهبي إلى حد ما ، وفيها بيّن تفصيل الملاقاة بين مالك وأبو جعفر المنصور ، فيقول مالك بعد أن استأذن على المنصور عندما ورد الحجّ : (فمشيت حتى انتهيت إلى القبّة التي هو فيها ، فإذا هو قد نزل عن مجلسه الذي يكون فيه إلى البساط الذي دونه ، وإذا هو قد لبس ثياباً قصدة ، لا تشبه ثياب مثله تواضعاً لدخولي عليه .. فلمّا دنوت منه رحّب بي وقرّب ثمّ قال : ها هنا إليّ ، فأوميت للجلوس فقال : هاهنا فلم يزل يدنيني حتى أجلسني إليه ، ولصقت ركبتي بركبته ثمّ كان أوّل ما تكلّم به أن قال : والله الذي لا إله إلاّ هو يا أبا عبد الله ما أمرت بالذي كان ، ولا علمته قبل أن يكون ، ولا رضيته إذ بلغني (يعني الضرب) ، قال مالك : فحمدت الله تعالى على كلّ حال ، وصلّيت على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ نزّهته عن الأمر بذلك ، ثمّ قال : يا أبا عبد الله لا يزال أهل الحرمين بخير ما كنت بين أظهرهم وإني أخالك أماناً من عذاب الله وسطوته ... وقد أمرت أن يؤتى بعدو الله من المدينة على قتب وأمرت بضيق مجلسه والمبالغة في امتهانه ، ولابدّ أن أنزل به من العقوبة أضعاف ما نال منك .. ثمّ قال لي : يا أبا عبد الله ضع هذا العلم ودوّنه ، ودوّن منه كتباً ، وتجنّب شدائد عبد الله بن عمر .. لنحمل الناس إن شاء الله على علمك وكتبك ، ونبّثها في الأمصار ، ونعهد اليهم أن لا يخالفوها ، ولا يقضوا بسواها فقلت : أصلح الله الأمير ، إنّ أهل العراق لا يرضون علمنا ، ولا يرون في عملهم رأينا.

كذلك نجد أنّ سبب انتشار مذهب أبي حنيفة بعد موته هو أنّ أبا يوسف والشيباني [1] ، وهما من أتباع أبي حنيفة ومن أخلص تلاميذه ، كانا في نفس

قال أبو جعفر : يحملون عليه ، ونضرب عليه هاماتهم بالسيف ، ونقطع طي ظهورهم بالسياط ..).

ونحو هذا ورد أيضاً في الديباج المذهب ١ : ٢٥.

ومات أبو جعفر المنصور ولم يكمل مالك كتاب الموطأ بعد ، وتقرّب مالك إليهم فحقّقوا ما كان في عزم أبي جعفر المنصور ، فهذا الخليفة هارون الرشيد تتوطّد العلاقة بينه وبين الإمام مالك ، فيطلب من مالك أن يجعل الموطأ مرجعاً للناس وأن يعلّقه على أستار الكعبة.

قال أبو نعيم في الحلية ٦ : ٣٦٢ (٨٩٤٤) : (عن عبد الله بن عبد الحكم قال : سمعت مالك بن أنس يقول : شاورني هارون الرشيد في ثلاث ؛ أن يعلّق الموطأ في الكعبة ويحمل الناس على ما فيه ...).

وفي فيض القدير للمناوي ١ : ٢٧١ ، أنّ هارون الرشيد لما أراد الخروج إلى العراق طلب من مالك بن أنس أن يذهب معه وأن يحمل الناس على الموطأ.

بعد هذا الذي ذكرناه حول مذهب مالك بن أنس وكيفيّة انتشاره يتّضح أنّ ما ذكره عثمان الخميس في كشف الجاني : ١٧٥ ما هو إلاّ إنكار للحقائق الواضحة ، وتكذيب للأُمور الثابتة.

ويتّضح معاندة هذا الرجل وتكذيبه للحقائق جزافاً إذا رجعنا إلى كتابه كشف الجاني : ١٧٥ حيث اتّهم المؤلّف بالكذب ، ناقلا عن الذهبي في السير في ترجمة مالك حادثة ضرب والي المنصور لمالك بن أنس ، مع أنّ الذهبي وبعد صفحات من ذكره لتلك الحادثة يتعرّض لاعتذار الخليفة أبي جعفر المنصور لمالك عمّا صدر من واليه ، وهذا عين التدليس على الناس ، واقتطاع بعض النصّ الذي يوافق هواه والتمسّك به ، من دون نقل تمام النصّ.

١ ـ أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم المعروف بأبي يوسف ، من أشهر تلاميذ أبي

حنيفة ، وهو الذي نشر مذهب أبي حنيفة بواسطة تولّيه القضاء لثلاثة من خلفاء بني العباس المهدي وابنه ثمّ هارون الرشيد ، وهو أوّل من لقّب بقاضي القضاة في ملك هارون الرشيد ، وأخذ الرشيد يكرّمه ويجلّه ؛ لأنّه فقيه السلطة يفتيها حسبما تريد ، ويحلّل لها ما تشتهي وتحب ، فهذا هارون الرشيد تقع في نفسه جارية لعيسى صاحبه ، فيأبى عيسى أن يهبها أو يبيعها لهارون الرشيد ، لأنّه حلف بالطلاق والعتاق وصدقة جميع ماله على أن لا يبيع ولا يهب هذه الجارية ، فيبعث هارون الرشيد إلى أبي يوسف ليلا ، ليجد له حلا يلصقه بالشرع يستطيع من خلاله النوم في أحضان تلك الجارية ، ولم يتوان أبو يوسف في الافتاء على طبق هوى هارون الرشيد فيقول لهارون الرشيد : ليهب لك عيسى نصفها ويبيعك نصفها ، فلا يحنث في يمينه ؛ لأنّه لم يبع ولم يهب!!

وبعد أن تصبح الجارية ملك هارون الرشيد أمير المؤمنين!! ببركة فقيه السلطة وقاضي قضاتها أبي يوسف ، وإذا بهارون الرشيد يقول : يا يعقوب بقيت واحدة .. هي مملوكة ولابد أنّ تستبرأ ، ووالله لئن لم أبت معها ليلتي هذه إنّي أظنّ أنّ نفسي ستخرج!! فيسرع فقيه السلطة أبو يوسف ليحلل لأمير المؤمنين هارون الرشيد تلك الجارية ، وإلاّ خرجت روح أميره ويبقى بلا أمير يثني عليه ويغدقه بالأموال الطائلة ، فيقول لهارون : يا أمير المؤمنين تعتقها وتتزوّجها ، فإنّ الحرّة لا تستبرأ!! ثمّ يسرع أبو يوسف ويزوّج تلك الجارية من هارون الرشيد حتى ينام في أحضانها بدلا من خروج روحه شبقاً بها.

وعندما يرى هارون الرشيد أنّ فقيهه أبا يوسف حلّل له تلك الجارية ، ولم يقصّر في سعيه ، فيقول لخادمه مسرور : يا مسرور أحمل إلى يعقوب مائتي ألف درهم وعشرين تختاً ثياباً.

وفي أحد الأيام تبعث زبيدة زوجة هارون الرشيد إلى أبي يوسف بكتاب تقول فيه : ما ترى في كذا ، وأحبّ الأشياء إليّ أن يكون الحقّ فيه كذا!!

فلا يألو أبو يوسف في المسارعة فيما تهوى فيفتيها بما أحبت!!

وفي المقابل تبعث إليه بحقّ فضة فيه حقاق فضة مطبقات ، في كلّ واحد لون من الطيب ، وفي جام دراهم وسطها جام فيه دنانير!!

وفي أحد الأيام يجد هارون الرشيد شاباً من أهله يزني بامرأة ، فيغتم لذلك ؛ لأنّه أمير المؤمنين وظل الله في الأرضيين فلا يستطيع أن لا يقيم الحدّ عليه ولكنّه من أهله فلا يستطيع أن يقيم الحد ، فيغتم ، ويبعث في طلب فقيه يجلي غمّه عنه ، فيؤتى بأبي يوسف ، فيسأله : ما تقول في إمام شاهد رجلا يزني هل يحدّ؟

وفي الحال يدرك أبو يوسف أنّ هارون الرشيد شاهد بعض أهله يزني ؛ لأنّه عند مجيئه لملاقاة هارون الرشيد شاهد شاباً عليه علامات الملوك محبوساً ، فلذلك يسرع أبو يوسف ليقول : لا ، ليس عليه حدّ ، فيسجد الرشيد شكراً لله ، ويعلل ذلك لهارون الرشيد بأنّ النبيّ ﷺ قال : » ادرؤوا الحدود بالشبهات) ، وهذه شبهة فيدرأ بها الحدّ.

ويستغرب هارون من هذا الجواب فيقول : وأيّ شبهة مع المعاينة؟! فيتفلسف فقيه السلطة بالجواب قائلا : ليس توجب المعاينة أكثر من العلم ، والحدود لا تكون بالعلم!!

وهكذا يعطل حدّ الله لارضاء السلطان ، ويسرع هارون الجواري لأنّ يسجد شكراً لله مرّة أُخرى ويملأ كيس أبي يوسف بالنقود!!

ثمّ يقول أبو يوسف : « فما خرجت حتى جاءتني هدية الفتى وهدية أُمّه وجماعته ، وصار ذلك أصلا للنعمة ، ولزمت الدار ، فكان هذا الخادم يستفتيني وهذا يشاورني ، ولم يزل حالي يقوى عند الرشيد حتى قلّدني القضاء ».

وبتقليده القضاء لهارون الجواري استطاع أن ينشر فقه أبي حنيفة ويفرض مذهبه بين الناس ، ولولاه لاندرس ذكر أبي حنيفة وما عرفه أحد.

وأما حاله من حيث الرواية والعلم فهذا ابن معين يقول فيه : لم يكن يعرف الحديث.

ويقول عبد الله بن إدريس : كان أبو حنيفة ضالا مضلا ، وأبو يوسف فاسقاً من

الفاسقين.

ويقول عبد الله بن أحمد : سألت أبي عن أسد بن عمرو وأبي يوسف ، فقال : أصحاب أبي حنيفة لا ينبغي أن يروى عنهم.

راجع لجميع ما ذكرناه : وفيات الأعيان لابن خلكان ٥ : ٣٢٣ ـ ٣٣٣ ، الضعفاء للعقيلي ٤ : ١٥٤٤ ، ٢٠٧٥ ، مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمّد بن الحسن ، الذهبي : ٣٧ وما بعدها.

والشيباني : محمّد بن الحسن بن فرقد الشيباني ، ولد بالشام وقدم مع أبيه إلى العراق ، ونشأ في الكوفة وحضر عند أبي حنيفة ، ثمّ لازم أبا يوسف ، وتوسّط أبو يوسف في توليه القضاء ، ومعاونته في نشر مذهب أبي حنيفة في الرقة ، يقول الذهبي : «كان سبب مخالطة محمّد بن الحسن السلطان أن أبا يوسف القاضي شوور في رجل يولي قضاء الرقة ، فقال لهم : ما أعرف لكم رجلا يصلح غير محمّد بن الحسن ، فإن شئتم فاطلبوه من الكوفة قال : فأشخصوه. فلمّا قدم جاء إلى أبي يوسف فقال : لماذا أشخصت؟ قال : شاوروني في قاضي الرقة فأشرت بك وأردت بذلك معنى أن الله قد بث علمنا هذا بالكوفة والبصرة وجميع المشرق ، فأحببت أن تكون بهذه الناحية ليبث الله علمنا بك ، وبما بعدها من الشامات ». مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمّد بن الحسن ، الذهبي : ٥٦.

وقد صنّف الشيباني كتابه السير الكبير وأرسله إلى هارون الرشيد. يقول السرخسي : (أمر محمّد (رحمه الله) أن يكتب هذا الكتاب في ستين دفتراً ، وأن يحمل على عجلة إلى باب الخليفة!! فقيل للخليفة : قد صنّف محمّد كتاباً يحمل على العجلة إلى الباب ، فأعجبه ذلك وعدّه من مفاخر أيامه ، فلمّا نظر فيه ازداد اعجاباً به ، ثمّ بعث أولاده إلى مجلس محمّد (رحمه الله) ليسمعوا منه هذا الكتاب) السير الكبير ١ : ٣.

فأبو يوسف والشيباني هما اللذان نشرا مذهب أبي حنيفة بمباركة الملك العباسي

الوقت من أقرب المقرّبين لهارون « الرشيد » الخليفة العباسي ، وقد كان لهما الدّور الكبير في تثبيت ملكه وتأييده ومناصرته ، فلم يسمح هارون « الجواري والمجون » لأحد أن يتولّى القضاء والفتيَا إلاّ بعد موافقتهما.

فلم يُنصّبا قاضياً إلاّ إذا كان على مذهب أبي حنيفة ، فصار أبو حنيفة أعظم العلماء ، ومذهبه أعظم المذاهب الفقهية المتّبعة ، رغم أنّ علماء عصره ومن بعدهم كفّروه وأعتبروه زنديقاً ، ومن هؤلاء الإمام أحمد بن حنبل ، والإمام أبو الحسن الأشعري [1].

هارون الرشيد ، وصار أصحاب حظوة عنده لتلبيتهما رغبات الخليفة ولو على حساب شرع الله سبحانه وتعالى.

١ ـ لقد كثر طعن العلماء على أبي حنيفة ممّن عاصره أو تأخّر عنه ، فقد جاء في الضعفاء للعقيلي ٤ : ٢٨٠ وما بعدها : « عن عون قال : ما ولد في الإسلام مولود أشأم من أبي حنيفة ، وقال سلمة بن حكيم لما مات أبو حنيفة : الحمدُ لله إن كان لينقض الإسلام عروة عروة ، وقال مالك بن أنس : إنّ أبا حنيفة كاد الدين ومن كاد الدين فليس له دين. قال أبو سلمة الخزاعي : سمعت حمّاد بن سلمة وسمعت شعبة يلعن أبا حنيفة. وقال معاذ بن معاذ العنبري : استتيب أبو حنيفة من الكفر مرّتين ».

وروى الخطيب البغدادي أكثر من هذا فقال في تاريخه ١٣ : ٣٧٨ وما بعدها : « قيل لشريك : استتيب أبو حنيفة؟ قال : قد علم ذلك العواتق في خدورهن. قال شريك بن عبدالله قاضي الكوفة : إنّ أبا حنيفة استتيب من الزندقة مرّتين. وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل : قلت لأبي : كان أبو حنيفة استتيب؟ قال : نعم. وقال أحمد : ما قول أبي حنيفة والبعر عندي إلاّ سواء ، وقال أيضاً : كان أبو حنيفة يكذب.

وقال سفيان الثوري : أبو حنيفة ضالّ مضلّ. وكان حمّاد بن سلمة يكني أبا حنيفة

كما أنّ المذهب الشافعي انتشر وقويَ بعدما كاد يندرس ، وذلك عندما أيّدته السلطة الغاشمة ، وبعدما كانت مصر كلّها شيعة فاطمية ، انقلبتْ إلى شافعية في عهد صلاح الدّين الأيوبي الذي قتل الشيعة وذبحهم ذبح النعاج.

أبا جيفة. وقال أبو بكر بن أبي داود السجستاني لأصحابه : ما تقولون في مسألة اتفق عليها مالك وأصحابه ، والشافعي وأصحابه ، والأوزاعي وأصحابه ، والحسن ابن صالح وأصحابه ، وسفيان الثوري وأصحابه ، وأحمد بن حنبل وأصحابه ، فقالوا له : يا أبا بكر لا تكون مسألة أصح من هذه ، فقال هؤلاء كلّهم اتفقوا على تضليل أبي حنيفة ».

وقال ابن الجوزي في المنتظم في تواريخ الملوك والأُمم ٥ : ١٨٧ في أحداث سنة ١٥٠ هـ عند ذكره ولادة أبي حنيفة وترجمته قال : (.. فاتفق الكلّ على الطعن فيه ، ثمّ انقسموا : فقوم طعنوا فيه لما يرجع إلى العقائد والكلام في الأصول ، وقوم طعنوا فيه في روايته وقلة حفظه وضبطه.

وقوم طعنوا فيه لقوله بالرأي فيما يخالف الأحاديث الصحاح.

فأمّا القسم الأوّل : .. بأنّ أبا حنيفة قال : لو أنّ رجلا عبد هذا البغل يتقرّب به إلى الله لم أرَ بذلك بأساً ..

وعن أبي إسحاق الفزاري يقول : سمعت أبا حنيفة يقول : إيمان أبي بكر الصديق وإيمان إبليس واحد ؛ قال إبليس : يا ربِّ ، وقال أبو بكر : يا ربِّ .. وعن يوسف بن أسباط يقول : قال أبو حنيفة : لو أدركني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأدركته لأخذ بكثير من قولي ..) إلى غير ذلك ما سطره في أبي حنيفة.

وقال ابن عدي في الكامل ٧ : ١٠ : (.. سمعت ابن أبي داود يقول : الوقيعة في أبي حنيفة جماعة من العلماء ؛ لأنّ إمام البصرة أيوب السختياني وقد تكلّم فيه ، وإمام الكوفة الثوري وقد تكلّم فيه ، وإمام الحجاز مالك وقد تكلّم فيه ، وإمام مصر الليث بن سعد وقد تكلّم فيه ، وإمام الشام الأوزاعي وقد تكلّم فيه ، وإمام خراسان عبد الله بن المبارك وقد تكلّم فيه ، فالوقيعة فيه إجماع من العلماء في جميع الآفاق).

كما أنّ المذهب الحنبلي ما كان ليعرف لولا تأييد السلطات العباسية في عصر المعتصم [1] ، عندما تراجع ابن حنبل عن قوله بخلق القرآن ، ولمع نجمه في عهد المتوكّل « الناصبي ».

وقوي وانتشر عندما أيدتْ السلطات الاستعماريّة الشيخ محمّد بن عبد الوهاب في القرن الماضي ، وتعامل هذا الأخير مع آل سعود ، فأيّدوه فوراً وناصروه ، وعملوا على نشر مذهبه في الحجاز والجزيرة العربية.

وأصبح المذهب الحنبلي يعود إلى ثلاثة أئمة : أوّلهم أحمد بن حنبل الذي لم يكن يدّعي بأنّه فقيهاً ، وإنّما كان من أهل الحديث ، ثمّ ابن تيميّة الذي لقّبوه بشيخ الإسلام ومجدّد « السنّة » ، والذي كفّره علماء عصره [2] ؛

---

١ . لا شكّ إنّ اتّخاذ مذهب أحمد كمذهب في عداد المذاهب الثلاثة الأُخر جاء متأخّراً عنه بكثير ، ولكن هذا لا يعني أنّ أحمد بن حنبل لم يكن صاحب مذهب خاصّ في العقيدة والحديث وغيرهما ، بل كان له مذهباً ومنهجاً خاصاً انتشر في زمن العباسيين بعد تأييد المتوكّل له ودعمه إيّاه.

٢ . جاء في كتاب تهنئة الصديق للسقّاف : ٤٦ : « كان الشيخ زين الدين ابن رجب الحنبلي ممّن يعتقد كفر ابن تيميّة ، وله عليه الردّ ، وكان يقول بأعلى صوته في بعض مجالسه : معذور السبكي يعني في تكفيره » ونقل عن ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الحديثية : ١١٤ « ابن تيميّة عبد خذله الله وأضلّه وأعماه وأذلّه ، وبذلك صرّح الأئمة الذين بيّنوا فساد أحواله وكذب أقواله ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الاجتهاد أبي الحسن السبكي وولده التاج والشيخ الإمام العزّ بن جماعة وأهل عصرهم وغيرهم من الشافعية والمالكية والحنفية ... ».

وذكر ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ٣ : ٥٣ (كتاب فضل الصلاة في مسجد

لأنّه حكم على كلّ المسلمين بالشّرك لأنّهم يتبركون ويتوسّلون بالنبي ﷺ ، ثمّ جاء في القرن الماضي محمّد بن عبد الوهاب صنيعة الاستعمار البريطاني في الشرق الأوسط ، فعمل هو الآخر على تجديد المذهب الحنبلي بما أخذه من فتاوى ابن تيميّة [1] ، وأصبح أحمد بن حنبل في خبر كان ، إذ إنّ المذهب عندهم اليوم يسمى المذهب الوهابي [2].

مكة والمدينة) : « قال الكرماني : وقع في هذه المسألة (أي شدّ الرحال) في عصرنا في البلاد الشامية مناظرات كثيرة وصنّف فيها رسائل من الطرفين. قلت : يشير إلى ما ردّ به الشيخ تقي الدين السبكي وغيره على الشيخ تقي الدين ابن تيميّة ، وما انتصر به الحافظ شمس الدين ابن عبدالهادي وغيره لابن تيميّة وهي مشهورة في بلادنا ، والحاصل أنّهم ألزموا ابن تيميّة بتحريم شدّ الرحال إلى زيارة قبر سيّدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ... وهي من أبشع المسائل المنقولة عن ابن تيميّة ».

١ ـ ذكر محمّد أبو زهرة في تاريخ المذاهب الإسلامية : ١٩٠ عندما يتكلم عن السلفية : « أُولئك ظهروا في القرن الرابع الهجري وكانوا من الحنابلة ، وزعموا أنّ جملة آرائهم تنتهي إلى الإمام أحمد بن حنبل الذي أحيا عقيدة السلف وحارب دونها ، ثمّ تجدّد ظهورهم في القرن السابع الهجري ، أحياه شيخ الإسلام ابن تيميّة وشدّد في الدعوة إليه ... ثمّ ظهرت تلك الآراء في الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر الهجري أحياها محمّد بن عبدالوهاب وما زال الوهابيون ينادون بها. وقد تعرّض هؤلاء الحنابلة للكلام في التوحيد ... وتكلّموا في آيات التأويل والتشبيه .. ونسبوا كلامهم إلى الإمام أحمد بن حنبل وناقشهم في هذه النسبة بعض فضلاء الحنابلة ».

٢ ـ علّق عثمان الخميس في كتابه كشف الجاني : ١٠٢ على هذه العبارة قائلا : « كذب والله ، فمن ذا الذي يسمّي المذهب الحنبلي بالمذهب الوهابي ».

أقول : لا أحد يسمّي المذهب الحنبلي بالمذهب الوهابي إذ إنّ بينهما عموم

وخصوص من وجه ، والتيجاني لا يقصد ما فهمه عثمان الخميس ، بل غرضه بيان استغلال الوهابية للمذهب الحنبلي والتحرّك تحت غطائه ، ثمّ خروجهم عنه في كثير من القضايا ، سواء في الأُصول أو في الفروع ، وهذا هو الذي دعا بعض علماء الحنابلة للردّ عليهم ، كالشيخ سليمان بن عبد الوهاب الحنبلي ، أخو محمّد ابن عبد الوهاب حيث ردّ عليهم في كتابه (الصواعق الإلهية في الردّ على الوهابية) ، وأطلق عليهم اسم الوهابية ؛ لأنّهم خالفوا كلام الله ورسوله وأهل العلم من الأُمّة ، ومنهم أحمد بن حنبل ، فمحمّد بن عبد الوهاب اصطنع مذهباً خاصاً به ، ثمّ نسبه إلى أحمد بن حنبل ، مع أنّ أحمد بن حنبل بريء ممّا ينسبونه إليه.

وكذلك ألّف ابن الجوزي الحنبلي كتاب (دفع شبهة التشبيه بأكف التنزيه) ، ليبرّئ أحمد بن حنبل ممّا نسبوه إليه من التشبيه ، وقال فيه : (اعلم وفقك الله تعالى إنّني لما تتبّعت مذهب الإمام أحمد رحمه الله تعالى رأيت الرجل كبير القدر في العلوم ، وقد بالغ النظر في علوم الفقه ومذاهب القدماء ، حتى لا تأتي مسألة إلاّ وله فيها نصّ أو تنبيه ، لكنّه على طريق السلف لم يصنّف إلاّ المنقول ، فرأيت مذهبه خالياً من التصانيف التي كثر جنسها عند الخصوم .. وما رأيت لهم تعليقة في الخلاف ، إلاّ أنّ القاضي أبا يعلي قال : كنت أقول : ما لأهل المذاهب يذكرون الخلاف مع خصومهم ، ولا يذكرون أحمد ، ثمّ عذرتهم ؛ إذ ليس لنا تعليقة في الفقه ، فصنّف لهم تعليقة .. وانتدب للتصنيف ثلاثة .. فصنّفوا كتاباً شانوا بها المذهب ، ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام ، فحملوا الصفات على مقتضى الحسن ، فسمعوا أنّ الله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه الصلاة والسلام على صورته فأثبتوا له صورة ، ووجهاً زائداً على الذات ، وعينين وفماً وأضراساً وأضواء لوجهه هي السبحات ويدين وأصابع ، وكفاً وخنصراً وابهاماً ، وصدراً وفخذاً وساقين ورجلين .. وكلامهم صريح في التشبيه ، وقد تبعهم خلق من العوام ، وقد نصحت التابع والمتبوع فقلت لهم : يا أصحابنا أنتم أصحاب نقل ، وأتباع إمامكم الأكبر أحمد بن حنبل ـ رحمه الله تعالى ـ يقول وهو تحت

وممّا لا شكّ فيه أنّ انتشار تلك المذاهب وشهرتها وعلوّ شأنها كان بتأييد ومباركة الحكّام.

وممّا لا شكّ فيه أيضاً بأنّ أُولئك الحكّام كلّهم بدون استثناء كانوا يعادون الأئمة من أهل البيت ؛ لشعورهم الدّائم بأنّ هؤلاء يهدّدون كِيَانهم وزوال ملكهم ، فكانوا يعملون دائماً على عزلهم عن الأُمّة وتصغير شأنهم وقتل من يتشيّع لهم.

فبديهي أن يُنصب أُولئك الحكّام بعض العلماء المتزلّفين إليهم ، والذين يفتونهم بما يتلاءم مع حكمهم ووجودهم ، وذلك لحاجة الناس المستمرة لوجود الحلول في المسائل الشرعية.

ولما كان الحكّام في كلّ العصور لا يعرفون من الشريعة شيئاً ولا يفهمون الفقه ، فكان لابدّ أنْ ينصّبوا عالماً باسمهم يفتي ، ويُموّهون على الناس بأنّ السياسة شيء والدّين شيء آخر.

فكان الخليفة الحاكم هو رجل السياسة والفقيه رجل الدّين ، كما يفعل

السياط : كيف أقول ما لم يقل؟ فإيّاكم أن تبتدعوا في مذهبه ما ليس منه) راجع كلامه في ٥ ـ ٩.

ومن الواضح أنّ هذه الصفات التي ينكر ابن الجوزي أن تكون عقيدة الإمام أحمد بن حنبل هي عقيدة الوهابية الآن ، وهم يتمسّكون بها ويحملونها على ظاهرها ، ويكفرون من لا يعتقد بها ، فقول التيجاني : « وأصبح أحمد بن حنبل في خبر كان » يقصد به ما ذكرناه من أنّ الوهابية وإن رفعت شعار السلفية واتباع أحمد بن حنبل ، لكنّها عملياً خرجت عليه في كثير من القضايا ، ويكفينا مراجعة الكتب التي أُلّفت في الردّ على الوهابية من قبل أهل السنّة وبعض الحنابلة. وعثمان الخميس كثيراً ما يطلق الكلام من دون وعي أو تدقيق.

ذلك اليوم رئيس الجمهورية في كلّ البلاد الإسلامية ، فتراه يُعيّن أحد العلماء المقرّبين يُسمّيه مفتي الجمهورية ، أو أيّ عنوان آخر يعبّر عن ذلك ، ويُكلّفه بالنّظر في مسائل الفتيا والعبادات والشعائر الدينيّة.

ولكنّه في الحقيقة ليس لهذا الرجل أن يفتي أو يحكم إلاّ بما تُمليه عليه السلطة وما يُرضي الحاكم ، أو على الأقلّ ما لا يتعارضُ وسياسة الحكومة وتنفيذ مشاريعها.

وهذا الظّاهرة برزت في الحقيقة من عهد الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان ، فهم وإن لم يُفرّقوا بين الدّين والدّولة ، إلاّ أنّهم أعطوا أنفسهم حقّ التشريع بما يتماشى ومصالح الخلافة ، وضمان هيبتها واستمرارها.

ولما كان لهؤلاء الخلفاء الثلاثة حضورٌ مع النبيّ ﷺ وصحبة ، فقد أخذوا عنه بعض السنن التي لا تتعارض مع سياستهم.

فإنّ معاوية لم يدخل الإسلام إلاّ في السنة التاسعة للهجرة على أشهر الروايات الصحيحة ، فلم يصحب النبيّ إلاّ قليلا ، ولم يعرف من سنّته شيئاً يذكر ، فاضطرّ إلى تعيين أبي هريرة وعمرو بن العاص وبعض الصحابة الذين كلّفهم بالإفتاء على ما يريده.

واتّبعَ بنو أُميّة وبنو العبّاس بعده هذه « السنّة الحميدة » أو هذه البدعة الحسنة ، فكلّ حاكم جلس إلى جانبه قاضي القضاة المكلّف بدوره بتعيين القضاة الذين يراهم صالحين للدّولة ، ويعملون على دعمها وتأييدها.

وما عليك بعد ذلك إلاّ أن تعرف ماهية أُولئك القُضاة ، الذين يُغضبون ربّهم في إرضاء سيّدهم ووليّ نعمتهم الذي نصّبهم.

وتفهم بعد ذلك السرّ في إبعاد الأئمّة المعصومين من العترة الطاهرة ، فلا تجد منهم أحداً وعلى مرّ العصور عيّنوه من قِبلهم ، أو نصبوه قاضياً ، أو قلّدوه وسام الإفتاء.

وإذا أردنا مزيد التحقيق حول كيفية انتشار المذاهب « السنيّة » الأربعة بواسطة الحكّام ، فلنا أن نأخذ لذلك مثالا واحداً من خلال كشف الستار عن مذهب الإمام مالك ، الذي يُعدّ من أكبر المذاهب وأعظمها قدراً وأوسعها فقهاً ، فقد اشتهر مالك بالخصوص بالموطّأ الذي كتبه بنفسه ، ويقال عند أهل السنّة بأنّه أصحّ الكتب بعد كتاب الله [1] ، وهناك بعض العلماء الذين يقدّمونه ويفضّلونه على صحيح البُخاري [2].

---

١ ـ هذه المقولة تُنسب إلى الشافعي. راجع (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد) لابن عبد البرّ ١ : ٦٠ ، و (تنوير الحوالك) للسيوطي : ٧. وكلام عثمان الخميس في كشف الجاني : ١٧٧ هراء لا طائل منه ؛ لأنّ كلام الشافعي هذا وإن كان قبل وجود صحيح البخاري ، لكن من أين لعثمان الخميس أن يعلم بأنّ الشافعي لو بقي حيّاً لفضّل صحيح البخاري على الموطأ؟! فما ذلك إلاّ رجماً بالغيب نشأ من عقيدته بصحيح البخاري التي يريد تحميلها على غيره!!

مضافاً إلى أنّ كلام القاضي أبا بكر العربي بعد وجود صحيح البخاري ، ومع ذلك يعدّه الأصل الثاني بعد الموطأ.

١ ـ قال السيوطي في تنوير الحوالك : ٦ « قال القاضي أبو بكر بن العربي في شرح الترمذي : الموطأ هو الأصل الأوّل واللباب ، وكتاب البخاري هو الأصل الثاني في هذا الباب ، وعليهما بنى الجميع كمسلم والترمذي ». وقال الشاه ولي الله الدهلوي في كتابه حجة الله البالغة ١ : ٢٤٩ عند سرده لطبقات الأحاديث الصحيحة « فالطبقة الأُولى منحصرة بالاستقراء في ثلاثة كتب : الموطأ وصحيح

كما أنّ شهرة مالك فاقت كلّ الحدود ، حتى قيل : « أيفتى ومالك في المدينة »؟ ولقّبوه بإمام دار الهجرة.

ولا يفوتنا أن نذكر بأنّ مالكاً أفتى بحرمة بيعة الإكراه ، فضربه جعفر بن سليمان والي المدينة سبعين سوطاً.

وهذا ما يحتجّ به المالكية دائماً على معاداة مالك للسّلطة ، وهو غير صحيح إذ إنّ الذين رووا هذه القصّة ، هم أنفسهم الذين رووا ما بعدها ، فإليك البيانُ والتفصيل :

قال ابن قتيبة : « وذكروا أنّه لما بلغ أبا جعفر المنصور ضرب مالك بن أنس ، وما أنزل به جعفر بن سليمان ، أعظم ذلك إعظاماً شديداً وأنكره ولم يرضه ، وكتب بعزل جعفر بن سليمان عن المدينة ، وأمر أن يؤتى به إلى بغداد على قتب.

ثمّ كتب إلى مالك بن أنس ليستقدمه إلى نفسه ببغداد ، فأبى مالك ، وكتب إلى أبي جعفر يستعفيه من ذلك ويعتذر له بعض العذر إليه ، فكتب أبو جعفر إليه : أن وافني بالموسم العام القابل إن شاء الله ، فإنّي خارج إلى الموسم » [1].

البخاري ، وصحيح مسلم ».

وقال أسد حيدر في كتابه (الإمام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة) : « واختلفوا في منزلة الموطأ من كتب السنّة فمنهم من جعله مقدّماً على الصحيحين كابن العربي وابن عبد البر والسيوطي ، وفي هذه الكلمات تصريح بتفضيل الموطأ على كتاب البخاري ، ومنكر ذلك مكابر ومعاند لا قيمة لكلامه.

١ ـ تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ٢ : ٢٠٠. وتقدّم ذكر بعض المصادر التي تنصّ على الصلح بين مالك والخليفة المنصور ، واعتذار المنصور لمالك عمّا صدر من واليه على المدينة.

فإذا كان أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور الخليفة العبّاسي ، يعزلُ ابن عمّه جعفر بن سليمان بن العباس عن ولاية المدينة من أجل ضرب مالك ، فهذا يبعثُ على الشكّ والتأمّل ؛ إذ أنّ ضرب جعفر بن سليمان لمالك لم يكن إلاّ لتأييد خلافة ابن عمّه وتدعيم ملكه وسلطانه ، فكان الواجب على أبي جعفر المنصور إكرام الوالي وترقيته ، لا عزله وإهانته بتلك الطريقة ، فقد عزله وأمر بإقدامه على شرّ حال مكبّلا بالأغلال على قتب ، ثمّ يبعث الخليفة بنفسه اعتذاره إلى مالك لكي يسترضيه! إنّه أمر عجيب!

ويفهمُ من ذلك بأنّ والي المدينة جعفر بن سليمان تصرّفَ تصرّف الحمقى الذين لا يعرفون من السياسة ودهائها شيئاً ، ولم يفهم بأنّ مالكاً هو عمدة الخليفة وركيزته في الحرمين الشريفين ، وإلاّ ما كان ليعزل ابن عمّه من الولاية لأنّه ضرب مالكاً الذي استحقّ ذلك من أجل فتواه بحرمة بيعة الإكراه.

وهذا ما يقَع اليوم أيضاً بين ظهرانينا وأمام أعيننا ، عندما يحاول بعض الولاة إهانة شخص مَا وسجنه لتدعيم هيبة الدّولة وسلامة أمنها ، فإذا بذلك الشخص يكشف عن هويّته ، وإذا به من أقارب السيّد الوزير ، أو من معارف زوجة الرئيس ، فإذا بالوالي قد أُعفِيَ من منصبه ، ودُعيَ لمهام أُخرى قد لا يعرفُها حتّى الوالي نفسه.

وهذا يذكرني بحادثة وقعتْ زمن الاحتلال الفرنسي للبلاد التونسية ، فكان شيخ الطريقة العيساوية وجماعته يضربون البنادير ، ويرفعون أصواتهم بالمدائح في اللّيل مروراً ببعض الشوارع ، وحتى يصلوا إلى محل الحضرة

كما هي عادتُهم.

وبمرورهم أمام مسكن ضابط الشرطة الفرنسي ، خرج إليهم هذا الأخير مُغضباً فكسر بناديرهم وفرّق جمعهم ، لأنّهم لم يعملوا بقانون احترام الجار ، والتزام الهدوء بعد العاشرة ليلا.

ولما علم المراقب المدني بالحادثة ، وهو بمثابة الوالي عندنا ، غضب غضباً شديداً على ضابط الشرطة فعزله من منصبه ، وأعطاه ثلاثة أيام لمغادرة مدينة قفصة ، ثمّ استدعى شيخ الطريقة العيساوية واعتذر إليه باسم الحكومة الفرنسية ، واسترضاه بأموال كثيرة كي يشتري بها بنادير وأثاثاً جديداً ويعوّض كلّ ما كُسّر لهم.

وعندما سأله أحد المقرّبين إليه لماذا فعل كلّ ذلك؟ أجابه بأن الأفضل لنا أن يتلهّى هؤلاء الوحوش بضرب البنادير ، وينشغلوا بالشطحات وأكل العقارب ، وإلاّ سوف يتفرّغوا لنا ويأكلونا نحن لأنّا غاصبين حقوقهم!!

ونعود إلى الإمام مالك لنستمع إليه يروي بنفسه كيف كان لقاؤه بالخليفة أبي جعفر المنصور :

لقاء مالك مع أبي جعفر المنصور

هذه الرواية التي يرويها ابن قتيبة المؤرّخ الكبير في كتابه تاريخ الخلفاء منقولة عن مالك نفسه ، فلابدّ من هذه الملاحظة وأخذها بعين الاعتبار.

قال مالك : لما صرتُ بمنى أتيتُ السرادقات ، فأذنتُ بنفسي ، فأذن لي ، ثمّ خرج إليّ الآذن من عنده فأدخلني ، فقلتُ للآذن : إذا انتهيت بي إلى القبّة التي يكون فيها أمير المؤمنين فأعلمني ، فمرّ بي من سرادق إلى سرادق ، ومن قبّة إلى أُخرى ، في كلّها أصناف من الرجال بأيديهم السيوف المشهورة والأجزرة المرفوعة ، حتّى قال لي الآذن : هو في تلك القبة ، ثمّ تركني الآذن وتأخّر عنّي.

فمشيتُ حتّى انتهيتُ إلى القبة التي هو فيها ، فإذا هو قد نزل عن مجلسه الذي يكون فيه إلى البساط الذي دونه ، وإذا هو قد لبس ثياباً قصدة لا تُشبه ثياب مثله تواضعاً لدخولي عليه ، وليس معه في القبة إلاّ قائم على رأسه بسيف صليت.

فلما دنوتُ منه رحّب بي وقرّب ، ثمّ قال : ها هنا إليّ ، فأوميتُ للجلوس ، فقال : ها هنا ، فلم يزل يُدنيني حتّى أجلسني إليه ، ولصقتْ ركبتي بركبتَيْه.

ثمّ كان أوّل ما تكلّم به أن قال : والله الذي لا إله إلاّ هو يا أبا عبد الله ما أمرتُ بالذي كانَ ، ولا علمته قبل أن يكون ، ولا رضيتُه إذ بلغني (يعني الضرب).

قال مالك : فحمدتُ الله تعالى على كلّ حال ، وصلّيتُ على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ،

ثمّ نزّهته عن الأمر بذلك والرضى به. ثمّ قال : يا أبا عبد الله ، لا يزال أهل الحرمين بخير ما كنت بين أظهرهم ، وإنّي أخالك أمَاناً لهم من عذاب الله وسطوته ، ولقد دفع الله بك عنهم وقعة عظيمة ، فإنّهم ما علمت أسرع الناس إلى الفتن وأضعفهم عنها ، قاتلهم الله أنّى يؤفكون.

وقد أمرتُ أن يُؤتى بعدوّ الله [1] من المدينة على قتب ، وأمرت بضيق مجلسه والمبالغة في امتهانه ، ولابدّ أن أُنزل به من العقوبة أضعاف ما نالك منه.

فقلت له : عافى الله أمير المؤمنين ، وأكرم مثواه ، قد عفوتُ عنه لقرابته من رسول الله ﷺ ثمّ منك.

قال أبو جعفر : وأنتَ فعفى الله عنك ووصلك.

قال مالك : ثمّ فاتحني في من مضى من السلف والعلماء ، فوجدته أعلم الناس بالناس ، ثمّ فاتحني في العلم والفقه ، فوجدته أعلم الناس بما اجتمعوا عليه ، وأعرفهم بما اختلفوا فيه ، حافظاً لما روي واعياً لما سمع.

ثمّ قال لي : يا أبا عبد الله ضع هذا العلم ودوّنهُ ، ودوّن منه كُتباً ، وتجنّب شدائد عبد الله بن عمر ، ورخص عبد الله بن عبّاس ، وشواذ عبد الله بن مسعود ، واقصد إلى أواسط الأمور ، وما اجتمع عليه الأئمّة والصحابة (رضي الله عنهم) ، لنحمل الناس إن شاء الله على علمك وكُتبك ، ونبثّها في الأمصار ، ونعهد إليهم أن لا يخالفوها ولا يقضوا بسواها.

فقلت له : أصلح الله الأمير ، إنّ أهل العراق لا يرضون علمنا ، ولا يرونَ في عملهم رأيَنَا.

---

١ ـ يقصد ابن عمّه جعفر بن سليمان بن العبّاس واليه على المدينة.

فقال أبو جعفر : يُحملون عليه ، ونضرب عليه هاماتِهم بالسيف ، ونقطع طي ظهورهم بالسّياط ، فتعجّل بذلك وضعها فسيأتيك محمّد المهدي ابني العام القابل إن شاء الله إلى المدينة ليسمعها منك ، فيجدك وقد فرغت من ذلك إن شاء الله.

قال مالك : فبينما نحن قعود إذ طلع بُني له صغير من قبة بظهر القبّة التي كنّا فيها ، فلمّا نظر إلي الصبي فزع ثمّ تقهقرَ فلم يتقدّم ، فقال له أبو جعفر : تقدّم يا حبيبي إنّما هو أبو عبد الله فقيه أهل الحجاز ، ثمّ التفت إليّ فقال : يا أبا عبد الله أتدري لمَ فزع الصبي ولم يتقدّم؟ فقلت : لا!

فقال : والله استنكر قرب مجلسك منّي إذ لم يرَ بهِ أحداً غيرك قط ، فلذلك تقهقر.

قال مالك : ثمّ أمر لي بألف دينار عيناً ذهباً ، وكسوة عظيمة ، وأمر لابني بألف دينار ، ثمّ استأذنته فأذن لي ، فقمتُ فودّعني ودعا لي ، ثمّ مشيتُ مُنطلقاً ، فلحقني الخصيّ بالكسوة فوضعها على منكبي ، وكذلك يفعلون بمن كسوه وإن عَظُم قدره ، فيخرج بالكسوة على الناس فيحملها ثمّ يُسلّمها إلى غلامه.

فلمّا وضع الخصيّ الكسوة على منكبي انحنيتُ عنها بمنكبي كراهة احتمالها ، وتبرّؤاً من ذلك.

فناداه أبو جعفر : بلّغها رَحْلَ أبي عبد الله ... إنتهى [1].

---

١ . تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ٢ : ٢٠١.

تعليق لابدّ منه لفائدة البحث والتحقيق

يُلاحظُ المتتبّع لهذه المقابلة الوديّة التي جمعت بين الإمام مالك والخليفة الجائر أبي جعفر المنصور ، ومن خلال المحاورة التي دارت بينهما نستنتجُ الأُمور التالية :

أولا : نلاحظ بأنّ الخليفة العبّاسي عزلَ واليه على المدينة ، وهو ابن عمّه وأقرب الناس إليه ، وأهانه بعد عزله ، ثمّ يعتذر للإمام مالك عمّا صدر عنه ، ويُقسِم بالله أنّه لم يكن بأمره ولا بعلمه ، ولم يرضه عندما بلغه.

كلّ ذلك يدلّ على الوفاق التام الذي كان بين الرجلين ، والمكانة التي كان يحظى بها الإمام مالك عند أبي جعفر المنصور ، إلى درجة أنّه يستقبله على انفراد بلباس داخلي ، ويجلسه مجلساً لم يجلس فيه أحدٌ قط ، حتّى إنّ ابن الخليفة فزع وتقهقر عندما رأى ركبتي مالك لاصقة بركبتي أبيه.

ثانياً : نستفيد من قول المنصور لمالك : لا يزال أهل الحرمين بخير ما كنتَ بين أظهرهم ، وإنّك أمان لهم من عذاب الله ، وإنّ الله دفع بكَ عنهم وقعة عظيمة ، بأنّ أهل الحرمين أرادوا الثورة على الخليفة وحكمه الظالم ، فهدّأهم الإمام مالك ، وأخمد ثورتهم ببعض الفتاوى كالقول بوجوب الطاعة لله ورسوله وأُولي الأمر (وهو الحاكم) ، وبذلك استكان الناس وهدأوا فلم

يُقاتلهم الخليفة ، ودفع الله بتلك الفتوى مجزرة الخليفة [1].

ولذلك قال المنصور لمالك : إنّ أهل الحرمين أسرع الناس إلى الفتن ، وأضعفهم عنها ، قاتلهم الله أنّى يؤفكون.

ثالثاً : إن الخليفة كان يرشّح مالكاً ليكون هو العالم المنظور إليه في كلّ الأقطار الإسلامية ، ثمّ يفرض مذهبه على الناس ويحملهم على اتّباعه بوسائل الترهيب والترغيب.

فمن وسائل الترغيب قوله : ونعهد إلى أهل الأمصار أن لا يُخالفوها ولا يقضوا بسواها ، وأن يوفدوا إليه وفودهم ، ويرسلوا إليه رسلهم في أيّام حجّهم.

ومن وسائل الترهيب قوله : أمّا أهل العراق فيُحملون عليه ، ونضرب عليه هاماتهم بالسيف ، ونقطع طيّ ظهورهم بالسّياط.

ونفهم من هذه الفقرة ماذا كان يُلاقيه الشيعة المساكين من حكّام الجور من اضطهاد وقتل ، لحملهم على ترك الأئمة من أهل البيت واتّباع مالك وأمثاله.

رابعاً : نلاحظ بأنّ الإمام مالكاً وجعفر المنصور كانا يحملان نفس العقائد ونفس المفاضلة بخصوص الصحابة والخلفاء الذين استولوا على

---

١ . ولا تناقض بين فتواه بفساد بيعة الإكراه وفتواه بوجوب طاعة السلطان ، وقد رووا في ذلك أحاديث كثيرة أذكر منها على سبيل المثال : « من خرج على طاعة السلطان فمات على ذلك مات ميتة جاهلية » وكقولهم : « عليك بالسّمع والطاعة ولو أخذ الأمير مالك وضرب ظهرك » (المؤلّف).

الخلافة بالقوّة والقهر.

قال مالك في ذلك : ثمّ فاتحني في العلم والفقه فوجدته أعلم الناس ، ثمّ فاتحني في من مضى من السلف والعلماء فوجدته أعلم الناس بالناس.

ولا شكّ بأنّ أبا جعفر المنصور بادل الإمام مالكاً نفس الشعور وأطراه بنفس الإطراء ، إذ قال له مرة في لقاء قبل هذا : وأيم الله ما أجدُ بعد أمير المؤمنين أعلم منك ولا أفقه [1] ويقصد بأمير المؤمنين (نفسه طبعاً).

وممّا سبق نفهمُ بأن الإمام مالكاً كان من النواصب ، إذ إنه لم يكن يعترف بخلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أبداً ، وقد أثبتنا فيما تقدّم بأنّهم أنكروا على أحمد بن حنبل الذي ربّع الخلافة بعلي ، وأوجب له ما يجب للخلفاء قبله ، وغنيّ عن البيان بأنّ مالكاً هلك قبل مولد ابن حنبل بكثير.

أضف إلى ذلك أنّ مالكاً اعتمد في نقل الحديث على عبد الله بن عمر الناصبي ، الذي كان يحدّث بأنّهم لا يعدلون في زمن النبيّ بأبي بكر أحداً ، ثمّ عمر ، ثمّ عثمان ، ثمّ الناس بعد ذلك سواسية.

وعبد الله بن عمر هو أشهر رجال مالك ، وأغلب أحاديث الموطّأ تعود إليه ، وكذلك فقه مالك.

خامساً : نلاحظ بأنّ السياسة التي قامت على الظّلم والجور تريد أن تتقرّب إلى الناس بما يُرضيهم من الفتاوى التي ألفوها ، ولا تكلّفهم الالتزام بالنّصوص القرآنية أو النبويّة.

---

١ . تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ٢ : ١٩٣.

فقد جاء في كلام المنصور لمالك قوله : ضع هذا العلم ودوّن منه كتباً ، وتجنّب شدائد عبد الله بن عمر ، ورخص ابن عبّاس ، وشواذ ابن مسعود ، واقصد إلى أواسط الأمور ، وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة لنحمل الناس على علمك وكُتبك.

ومن هذا يتبيّن لنا بوضوح بأنّ مذهب « أهل السنّة والجماعة » هو خليط من شدائد ابن عمر ، ورخص ابن عبّاس ، وشواذ ابن مسعود ، وما استحسنه مالك من أواسط الأُمور التي كان عليها الأئمة والمقصود بهم « أبو بكر وعمر وعثمان » ، وما اجتمع عليه الصحابة الذين رضي عنهم الخليفة أبو جعفر المنصور.

وليس فيه شيءٌ من سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم التي تُروى عن الأئمة الطاهرين من عترته [1] ، والذين عاصر المنصور ومالك البعض منهم ، وعمل الخليفة عل

---

١ . بل يلاحظ على خصوص مالك بن أنس أنّه كان يطعن في الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، ولا يروي عنه في الأُصول ، وإنّما يروي عنه متابعة ويضمّ إليه من هو أرفع منه كما ذكر ذلك المزي في تهذيب الكمال ٥ : ح٧ ، مع أنّ مالك بن أنس نفسه كان يحضر عند الصادق عليه السلام وقد قال عنه : (اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلاّ على ثلاث خصال : إمّا مصلّ ، وإمّا صائم ، وإمّا يقرأ القرآن ، وما رأيته يحدّث إلاّ على طهارة) تهذيب التهذيب ، ابن حجر ٢ : ١٠٤.

فهذا مالك يحضر عند جعفر الصادق ، ويرى حاله ممّا هو عليه من الورع والتقوى ، ومع ذلك يتركه ولا يروي عنه!!

وقد ذكر عثمان الخميس في كتابه كشف الجاني : ١٧٧ بأنّ الناصبي عند الشيعة كلّ من كان سنياً!!

عزلهم وخنق أنفاسهم.

وهذا افتراء وتقوّل يكذّبه ما يصدع به الشيعة دائماً ، وما هو مسطور في كتبهم الفقهية حيث يقولون بأنّ الناصبي هو : المعلن بعداوة أهل البيت صريحاً ، وراجع في ذلك : القواعد للعلاّمة الحلي ٣ : ١٤ ، مسالك الافهام للشهيد الثاني ١ : ٢٤ ، مصباح الفقيه ، رضا الهمداني ١ : ٥٦٤ ، التنقيح في شرح العروة الوثقى ، الخوئي ٢ : ٢١٧ ، وغيرها من المصادر التي تخصّ النصب بالإعلان والمجاهرة بعداوة أهل البيت عليهم السلام ، وأهل السنّة ليسوا كذلك كما هو واضح لمن يراجع ويرى ، حيث إنّ الكثير منهم ممّن يحبّ أهل البيت ويكنّ لهم المودّة والمحبّة.

وما ذكره عثمان الخميس هو من أجل إيقاع الفتنة بين المسلمين شيعة وسنّة ، وتأجيج نارها ، وقد ذكر العالم السنّي محمّد البهي في كتابه (الفكر الإسلامي في تطوره) : ١٤٠ سعي الوهابية في الفتنة فقال : (وسّعت [الوهابية] شّقة الخلاف بين السنّة والشيعة ، وأصبحت الفجوة كبيرة في النزاع المذهبي بين السنّة والشيعة منذ القرن الثامن عشر الميلادي ، بل أصبحت أشدّ من ذي قبل).

وذكر أيضاً بأنّ المؤلّف كذب عندما قال بأنّ أهل السنّة لا يروون عن أئمة أهل البيت ، فأجاب بأنّ أهل السنّة يروون عن علي بن أبي طالب في كتبهم!

وللجواب على كلامه نقول : إنّ أهل السنّة تركوا مذهب أهل البيت وفقههم عليهم السلام بدءاً بعلي بن أبي طالب ومروراً بالحسن والحسين والصادق والباقر ، وهذا ما ذكره ابن تيميّة صريحاً حينما قال في منهاج سنّته ٧ : ٥٢٩ : (فليس في الأئمة الأربعة ولا غيرهم من أئمة الفقهاء من يرجع إليه [يعني الإمام علي] في فقهه ؛ أمّا مالك فإنّ علمه عن أهل المدينة ، وأهل المدينة لا يكادون يأخذون بقول علي بل فقههم عن الفقهاء السبعة ..). فهذا ابن تيميّة يقول بصريح العبارة : إن أهل السنّة وبدءاً بفقهائهم تركوا فقه علي بن أبي طالب ولم يأخذوا به!!

وهذا هوالذي يقوله المؤلّف.

وأمّا القول بأنّ كتب أهل السنة روت عن علي بن أبي طالب عليه السلام ، فهذا كلام لا ينفع ؛ لأنّهم وإن رووا في كتبهم عن علي بن أبي طالب لكنهم تركوا رواياته ولم يأخذوا بفقهه كما شهد ابن تيميّة بذلك.

سادساً : يلاحظ أنّ أوّل كتاب كُتب في تدوين السنّة من أحاديث الصحابة والتابعين هو كتاب الموطّأ للإمام مالك ، وكان يطلب من السلطة على لسان الخليفة نفسه لكي يحمل الناس عليه قهراً بضرب السيوف إن لزم ذلك كما صرّح المنصور ، فلابدّ أن تكون تلك الأحاديث من وضع الأمويّين والعبّاسيين ، والتي تخدم مصالحهم ، وتُقوّي نفوذهم وسلطانهم ، وتبعد الناس عن حقائق الإسلام التي صدع بها نبيّ الرحمة ﷺ .

سابعاً : نلاحظ بأنّ الإمام مالكاً ما كان يخشى إلاّ من أهل العراق ؛ لأنّهم كانوا شيعة لعلي بن أبي طالب ، وقد تشبّعوا بعلمه وفقهه ، وانقطعوا في تقليدهم للأئمة الطّاهرين من ولده ، فلم يُقيموا وزناً لمالك ولا لأمثاله ؛ لعلمهم بأنّ هؤلاء نواصب يتزلّفون للحكّام ، ويبيعون دينهم بالدّرهم والدينار.

ولذلك قال مالك للخليفة : أصلح الله الأمير ، إنّ أهل العراق لا يرضون علمنا ، ولا يرون في عملهم رأينا.

فيجيبه المنصور بكلّ غطرسة : يحملون عليه ، ونضرب عليه هاماتهم بالسيف ، ونقطع طي ظهورهم بالسّياط.

وبهذا نفهم كيف انتشرتْ المذاهب التي ابتدعتها السلطات الحاكمة ، وسمّتها بمذاهب « أهل السنّة والجماعة ».

والأمر العجيب في كلّ ذلك أنّك ترى أبا حنيفة يخالف مالكاً ، ومالكاً يخالفه ، والاثنين يخالفان الشافعي والحنبلي ، وهذان يختلفان ويخالفان الاثنين ، وليس هناك مسألةٌ فيها اتّفاق الأربعة إلاّ نادراً ، ومع ذلك فكلّهم

« أهل سنّة وجماعة ». أيّ جماعة هذه؟ مالكية ، أم حنفية ، أم شافعية ، أم حنبلية؟! فلا هذا ولا ذاك ، وإنّما هي جماعة معاوية بن أبي سفيان ، وهم الذين وافقوه على لعن علي بن أبي طالب ، وجعلوها سنّةً متّبعة ثمانين عاماً.

ولماذا يُسمح بالخلاف وتعدّد الآراء والفتيا في المسألة الواحدة ، ويُصبح خلافهم رحمةً ما دام مقصوراً على المذاهب الأربعة ، فإذا خالفهم مجتهدٌ آخر كفّروه وأخرجوه عن الإسلام؟

ولماذا لا يحمَلُ خلاف الشيعة لهم كالخلاف فيما بينهم لو كانوا مُنصفين وعاقلين؟

ولكنّ ذنب الشيعة لا يغتفر ؛ لأنّهم لا يقدّمون على علي أمير المؤمنين أحداً من الصحابة ، وهذا هو جوهر الخلاف الذي لا يتحمّله « أهل السنّة والجماعة » الذين اتّفقوا على شيء واحد ألا وهو إقصاء علي عن الخلافة ، وطمس فضله وحقائقه.

ثامناً : نلاحظ بأنّ الحكّام الذين استولوا على أموال المسلمين بالقهر والقوة ، نراهم يوزّعون هذه الأموال بسخاء على علماء السوء والمتزلّفين إليهم ؛ لاستمالتهم وشراء ضمائرهم ودينهم بدنياهم.

قال مالك : ثمّ أمر لي بألف دينار عيناً ذهباً ، وكسوة عظيمة ، وأمر لابني بألف دينار.

فهذا ما اعترف به مالك على نفسه ، وقد يكون ما لم يحدّث به أكثر من ذلك بكثير ؛ لأنّ مالكاً كان يشعر بالحرج من العطايا الظّاهرة ، فكان لا يحبّ

أن يراها الناس ، نفهم ذلك من قوله :

فلمّا وضع الخصي الكسوة على منكبي انحنيتُ عنها كراهة احتمالها ، وتبرؤاً من ذلك.

ولما عرف المنصور منه ذلك أمر الخصيّ أن يبلغها رحل أبي عبد الله مالك حتى لا يعرف الناس عنه ذلك.

اختبار الحاكم العبّاسي لعلماء عصره

كان الخليفة العبّاسي أبو جعفر المنصور من الدّهاة الكبار ، وقد عرف كيف يستولي على عقول الناس ويشتري ضمائرهم ، وقد عمل على بسط نفوذه وتوسيع دائرة ملكه بوسائل الترغيب والترهيب.

كما عرفنا مكره ودهاءه من خلال تعامله مع مالك بعد ما ضربه والي المدينة ، ممّا يدلّنا على الصلة الوثيقة التي تربطه بالإمام مالك قبل تلك الواقعة بزمن طويل.

فقد كان لمالك لقاء مع المنصور قبل هذا اللّقاء الذي ذكرناه بخمسة عشر عاماً ، وذلك إبّان استيلاء المنصور على الخلافة [1]. وقال المنصور لمالك فيما

---

١ .كان بين مالك والخليفة أبي جعفر المنصور لقاءات متعدّدة كما ذكر ذلك مالك نفسه إذ يقول : (دخلت على أبي جعفر مراراً ، وكان لا يدخل عليه أحد من الهاشميين وغيرهم إلاّ قبّلوا يده ، فلم أُقبّل يده قط) تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل ، الرازي ١ : ٦٦.

وفي إحدى المرّات يعترض على مالك لكثرة دخوله على السلطان إذ يقال له : (إنك تدخل على السلطان وهم يظلمون ويجورون ..) المصدر السابق : ٦٩.

ومرّة يدخل مالك على أبي جعفر المنصور فيطلب منه أن يكتب له الموطأ ليحمل الناس عليه ، فيمتثل مالك طلبه ، ويكتب الموطأ. راجع تاريخ الإسلام للذهبي : ٣٢١ حوادث سنة ١٧١ . ١٨٠ ، تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل ١ : ٥٨.

قال : « يا أبا عبد الله إنّي رأيت رؤيا! »

فقال مالك : يوفّق الله أمير المؤمنين إلى الصواب من الرأي ، ويُلهمه الرشاد من القول ، فما رأى أمير المؤمنين؟

فقال أبو جعفر : رأيتُ أنّي أُجلسك في هذا البيت ، فتكون من عمار بيت الله الحرام ، وأحمل الناسَ على علمك ، وأعهد إلى أهل الأمصار يوفدون إليك وفودهم ، ويرسلون إليك رسُلهم في أيّام حجّهم ، لتحملهم من أمر دينهم على الصواب والحقّ إن شاء الله ، وإنّما العلم علم أهل المدينة ، وأنت أعلمهم ....

يقول ابن قتيبة : لما ولَي أبو جعفر المنصور الخلافة جمع مالك بن أنس ، وابن أبي ذؤيب ، وابن سمعان في مجلس واحد وسألهم : أيُّ الرجال أنا عندكم؟ أمن أئمة العدل أم من أئمة الجور؟

قال مالك ، فقلت : يا أمير المؤمنين أنا متوسّلٌ إليك بالله تعالى ، وأتشفّع

وأُخرى يدخل مالك على الخليفة أبي جعفر المنصور فيقول له : يا مالك كثر شيبك. تقدمة المعرفة ١ : ٦٩ ، سير أعلام النبلاء ، الذهبي ٨ : ١١٢.

وثالثة يرسله الخليفة أبي جعفر المنصور إلى بني الحسن بن علي الذين جمعهم في حبسه لأجل التفاوض معهم. راجع الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ٥ : ٥٢٣.

إلى غير ذلك من اللقاءات التي ذكرها المؤرّخون وما لم يذكروه أكثر وأكثر.

وتجدر الإشارة إلى أنّه وقع خطأ في تاريخ ابن قتيبة حيث ذكر أنّ هذا اللقاء الذي ذكره المؤلّف كان في سنة ١٦٣ هـ ، وهذا لا يصح ؛ لأنّ الخليفة أبي جعفر المنصور توفّي سنة ١٥٨ هـ. فهناك خطأ في تحديد سنة اللقاء ، ولعله وقع في سنة ١٥٠ كما يشير إلى هذا اللقاء الرازي في تقدمة المعرفة ، ويذكر الخليفة لمالك أنّه كثر شيبه ، أو لعلّه في سنة ١٥٢ هـ حيث ذهب أبي جعفر المنصور إلى الحجّ ولعلّه التقى بمالك هناك.

إليك بمحمّد ﷺ وقرابتك منه ، إلاّ ما أعفيتني من الكلام في هذا ، قال : قد أعفاك أمير المؤمنين.

أمّا ابن سمعان فقال له : أنتَ والله خير الرجال يا أمير المؤمنين ، تحجّ بيت الله الحرام ، وتجاهد العدوّ ، وتؤمّن السبل ، ويأمن الضعيف بك أن يأكله القويُّ ، وبك قوام الدّين ، فأنتَ خير الرجال وأعدل الأئمّة.

أمّا ابن أبي ذؤيب فقال له : أنتَ والله عندي شرّ الرجال ، استأثرت بمال الله ورسوله ، وسهم ذوي القُربى واليتامى والمساكين ، وأهْلكتَ الضعيف ، وأتعبتَ القوي ، وأمسكتَ أموالهم ، فما حُجّتك غداً بين يدي الله؟

فقال له أبو جعفر : ويحك ما تقول؟ أتعقل؟ أنظر ما أمامك؟

قال : نعم قد رأيت أسيافاً ، وإنّما هو الموت ، ولابدّ منه ، عاجله خير من آجله.

وبعد هذه المحاورة طرد المنصور ابن أبي ذؤيب وابن سمعان ، واختلى بمالك وحده وأمّنَه وقال له :

يا أبا عبد الله انصرف إلى مصرك راشداً مهدياً ، وإن أحببْتَ ما عندنا ، فنحنُ لا نُؤثر عليك أحداً ، ولا نعدلُ بك مخلوقاً.

قال : ثمّ بعث أبو جعفر المنصور من الغد لكلّ واحد منهم صرّة فيها خمسة آلاف دينار مع أحد شرطته وقال له :

تدفع لكلّ رجل منهم صُرّة ، أمّا مالك بن أنس إن أخذها فبسبيله ، وإن ردّها فلا جناح عليه في ما فعل.

وأمّا ابن أبي ذؤيب فائتني برأسه إنْ أخذها ، وإنْ ردّها عليك ، فبسبيله لا جناح عليه.

وإن يكن ابن سمعان ردّها فَأئت برأسه ، وإن أخذها فهي عافيتُه.

قال مالك : فنهض بها إلى القوم ، فأمّا ابن سمعان فأخذها فسلم ، وأمّا ابن أبي ذؤيب فردّها فسَلم ، وأما أنا فكنتُ والله محتاجاً إليها فأخذتها [1].

ونلاحظ من هذه القصّة بأن مالكاً يعرف جور الخليفة وظلمه ، ولكنّه وللعلاقة الودية التي كانت بينه وبين المنصور فقد ناشده بمحمّد وقرابته منه.

وهذا ما كان يُعجبُ الحكّام العباسيين ويهمّهم في ذلك العصر ، وهو أن يعظّمهم الناس ويمجّدونهم بقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولذلك فَهِم الخليفةُ قصد مالك فأعجبه ذلك وأعفاه من الكلام.

أمّا الثاني وهو ابن سمعان فقد أطراه بما ليس فيه مخافة القتل إذ كان السياف واقفاً ينتظر إشارة الخليفة.

أمّا الثالث وهو ابن أبي ذؤيب فكان شجاعاً ، لا يخشى في الله لومة لائم ، وكان مؤمناً مخلصاً وصادقاً ناصحاً لله ولرسوله ولعامّة المسلمين ، فجابهه بحقيقة أمره ، وكشف عن زيفه ومغالطته ، وعندما هدّده بالقتل رحّب به ولم يَخَفْ منه.

ولذلك نرى أنّ الخليفة امتحنَ الرجلين بالأموال الطائلة ، وأعفى الإمام مالكاً من ذلك الامتحان ، فهو سالم في الحالتين إن أخذها أو ردّها.

أمّا ابن أبي ذؤيب فيقطع رأسه إن أخذها ، وكذلك ابن سمعان يقطع رأسه إنْ ردّها.

ولما كان أبو جعفر المنصور داهيةً عُظمى تراه عمل على رفع مكانة

---

١ . تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ٢ : ١٩٦.

مالك وفرض مذهبه ، وقضى على مذهب ابن أبي ذؤيب بالرغم من أنّ ابن أبي ذؤيب كان أعلم من مالك وأفضل منه ، كما اعترف بذلك الإمام أحمد ابن حنبل [1].

كما أنّ ليث بن سعد كان أفقه من مالك ، كما اعترف بذلك الإمام الشافعي [2].

والحقيقة في ذلك العصر أنّ الإمام جعفر الصادق كان أفضل وأعلم وأفقه منهم جميعاً وقد اعترفوا كلّهم بذلك [3] ، وهل يتجرّأ أحدٌ من الأُمّة أن يُباريه في علم أو في عمل ، في فضل أو في شرف ، وجدّه علي بن أبي طالب هو أفضل وأعلم وأفقه من الخلق كلّهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟

ولكنّ السياسة هي التي ترفَعُ قوماً وتضعُ آخرين ، والمالَ هو الذي يُقدّمُ قوماً ويُؤخّر آخرين.

والذي يهمّنا في هذا البحث هو أن نُبيّن بالأدلّة الواضحة والحُجج الدّامغة ، بأنّ المذاهب الأربعة لـ « أهل السنّة والجماعة » هي مذاهب ابتدعتها السياسة ، وفرضتها على الناس بوسائل الترهيب والترغيب والدّعاية ، فالنّاس على دين ملوكهم.

ومن أراد مزيداً من البيان والتحقيق فعليه بقراءة كتاب « الإمام الصادق والمذاهب الأربعة » للشيخ أسد حيدر (رحمه الله) ، وهناك سيعرف ما حضي

---

١ . تذكرة الحفاظ ١ : ١٩١.

٢ . راجع تهذيب التهذيب لابن حجر ٨ : ٤١٥ ، البداية والنهاية ١٠ : ١٧٨.

٣ . قد مرّ عليك قول مالك : ما رأت عينٌ ولا سمعتْ أذنٌ ولا خطر على قلب بشر أفقه من جعفر بن محمّد الصادق.

به الإمام مالك من الجاه والسلطان ، حتى إنّ الإمام الشافعي كان يتوسّل بوالي المدينة كي يدخل على مالك ، فيقول له الوالي : « أفضل المشي راجلا من المدينة إلى مكة أهون عليَّ من الوقوف على باب مالك ، لأنّي لا أشعر بالذلة إلاّ عند الوقوف على بابه » [1].

وهذا أحمد أمين المصري يقول في كتابه ظهر الإسلام : « كانَ للحكومات دخلٌ كبير في نصرة مذهب أهل السنّة ، والحكومات عادة إذا كانتْ قويّة وأيّدتْ مذهباً من المذاهب تبعهُ الناسُ بالتقليد ، وظلّ سنداً إلى أن تدول الدولة » [2].

ونحن نقول بأنّ مذهب الإمام جعفر الصادق ، وهو مذهب أهل البيت إذا جاز لنا تسميتُه بالمذهب جرياً على عادة المسلمين ، وإلاّ فإنّه الإسلام الصحيح الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لم يُؤيّده أي حاكم ، ولم تعترف به أيّة سلطة ، بل عمل كلّ الحكّام على إسقاطه والقضاء عليه ، وتنفير الناس منه بشتّى الوسائل.

فإذا شقّ تلك الظلمات الحالكة ، وكان له أتباعٌ وأنصارٌ عبر القرون الظّالمة ، فذلك من فضل الله تعالى على المسلمين ؛ لأنّ نور الله لا تُطفِئُه الأفواه ، ولا تقضي عليه السيوف ، ولا تبطله الدّعايات الكاذبة ، والإشاعات المغرضة ؛ لئلاّ يكون للناس على الله حجّة ، أو يقولوا إنّا كنّا عن هذا غافلين.

والذين اقتدوا بأئمة الهُدى من العترة الطاهرة ، كانُوا ثلّة قليلة يُعدّون على

---

١ . نحوه في تاريخ دمشق لابن عساكر ٥١ : ٢٨٦.

٢ . كتاب ظهر الإسلام ٤ : ٩٦ ، الفصل الثالث.

الأصابع بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وتكاثروا على مرّ التاريخ والعصور ؛ لأنّ الشجرة الطّيبة أصلها ثابتٌ وفرعها في السماء ، تؤتي أُكلها كلّ حين بإذن ربها ، وما كان لله دام واتّصل.

وقد حاولتْ قريش القضاء على محمّد في بداية الدعوة ، ولما عجزتْ عن ذلك بفضل الله وفضل أبي طالب وعلي اللذين كانا يفديانه بنفسيهما ، سلّت قريش نفسها بأنّ محمّداً أبتر ليس له عقب إذا مات انقطع نسله وانتهى أمره ، فصبروا على مضض.

ولكنّ ربّ العالمين أعطاه الكوثر ، وأصبح محمّد جدّ الحسنين ، وبشرّ المؤمنين بأنهما إمَامان إن قاما وإن قعدَا ، وبأنّ الأئمة كلّهم من ذرية الحسين ، وهذا كلّه يهدّد مصالح قريش ومستقبلها.

وهذا لم يُعجب قريش ، فثارت ثائرتُها بعد وفاة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، وحاولتْ القضاء على عترته كلّها ، فأحاطوا بيت فاطمة بالحطب [1] ، ولولا استسلام علي وتضحيتُه بحقّه في الخلافة ومسالمته لهم ، لقُضي عليهم ، وانتهى أمرُ الإسلام من ذلك اليوم.

وسكتتْ قريش ، وهدأ روعها ما دامتْ هي الحاكمة ، وليس في نسل محمّد من يهدّد مصالحها ، وبمجرّد ما رجعتْ الخلافة لعلي اشعلتْ قُريش

---

١ ـ قصّة تهديد القوم لإحراق بيت فاطمة عليها السلام أخرجها ابن أبي شيبة في مصنّفه ٨ : ٥٧٢ بسند صحيح ، وقد قال الباحث السلفي حسن فرحان المالكي في كتابه (قراءة في كتب العقائد . المذهب الحنبلي نموذجاً) : ٥٢ في الهامش : (كنت أظنّ المداهمة مكذوبة لا تصحّ حتى وجدت لها أسانيد قويّة منها ما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنّف) الذي نقلناه بالجزء والصفحة.

ضدّه الحروب الطّاحنة ، ولم تهدأ حتّى قضتْ عليه ، وأرجعتْ الخلافة إلى أخبث بطن من بطونها ، فأصبحت ملكية قيصرية يعهد بها الآباء إلى أبنائهم ، وعندما رفض الحسين مبايعة يزيد قريش ، هبّت قريش عند ذلك وثارتْ ثورتها العارمة للقضاء نهائياً على العترة النبويّة ، وكلّ شيء اسمه نسلُ محمّد ابن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فكانت مذبحة كربلاء ، والتي قتلوا فيها ذريّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بما في ذلك الصبيان والرضّع ، وأرادوا اجتثاث شجرة النبوّة بكلّ فروعها ، ولكنّ الله سبحانه وتعالى أنجز وعدَه لمحمّد ، فأنقذ علي بن الحسين ، وأخرج من صلبه بقية الأئمّة ، ومُلئتْ الأرض بنسله شرقاً ومغرباً ، وكان الكوثر.

فما من بلد ولا قرية ولا بقعة من الأرض إلاّ لنسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها وجود وأثرٌ ، وعند الناس لهم فيها احترام ومودّة.

وها نحن اليوم ، وبعد كلّ المحاولات التي باءتْ بالفشل أصبح عدد نفوس الشيعة الجعفريّة وحدهم يبلغُ ٢٥٠ مليون مسلم في العالم ، كلّهم يقلّدون الأئمة الاثني عشر من عترة النبيّ ، ويتقرّبونَ إلى الله بمودّتهم وموالاتهم ، ويرجون شفاعة جدّهم.

ولن تجد مثل هذا العدد في أيّ مذهب من المذاهب الأُخرى إذا أخذنا كلّ مذهب على انفراد ، رغم تأييد الحكّام ودعمهم.

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [1].

---

١ . الأنفال : ٣٠.

ألم يأمر فرعون بذبح كلّ مولود من الذكور في بني إسرائيل عندما أخبره المنجّمون بأنّ مولوداً في الإسرائيليين يهدّد بزوال ملكه؟ ولكن خير الماكرين أنقذ موسى من مكر فرعون وأوصله حتّى تربّى في حجر فرعون نفسه ، وقوّض ملكه ، وأهلك حزبه ، وكان أمر الله مفعولا.

ألم يعمل معاوية (فرعون زمانه) على لعن علي وقتله وقتل أولاده وشيعته؟ ألم يحرّم أن يذكره ذاكر بفضيلة؟ ألم يحاول بكلّ مكره على إطفاء نور الله وإرجاع الأمر إلى الجاهلية؟ ولكنّ خير الماكرين رفع ذكر علي على رغم أنف معاوية وحزبه ، وأصبح ذكر علي يلهجُ به المسلمون سنّة وشيعة بل حتّى النصارى واليهود ، وأصبح قبر علي مزاراً بعد قبر الرسول ﷺ ، يقصده ملايين المسلمين ، يذرفون الدموع ، ويتقرّبون إلى الله به ، وتعلو مقامَه قبّةٌ ومآذن ذهبية شامخة في السماء تأخذ بالأبصار.

بينما خمدَ ذكر معاوية الامبراطور الذي ملك الأرض وعاث فيها فساداً ، فهل تجد له ركزاً؟ أم تجد له مزاراً يُذكر غير مقبرة مظلمة ومهملة؟ فإنّ للباطل جولة وللحقّ دولة ، فاعتبروا يا أُولي الألباب.

والحمدُ لله على هدايته ، الحمدُ لله الذي عرّفنَا بأنّ الشيعة هم على سنّة الرسول ، فهم أهل السنّة النبويّة لأنّهم اقتدوا بأهل البيت ، وأهل البيت أدرى بما فيه ، وهم الذين اصطفاهم الله وأورثهم علم الكتاب.

كما عرّفنا بأن « أهل السنّة والجماعة » قد اتّبعوا بدع الحكّام من السلف والخلف ، كما أنّهم لا حجّة لهم فيما يدّعونه.

حديث الثقلين عند الشيعة

وممّا يدلّ على أنّ الشيعة هم اتباع السنّة النبويّة الصحيحة ، هو ما يروى عن رسول الله ﷺ من حديث الثقلين وقوله : « إنّي تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ما أن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً ، فلا تتقدّموهم فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ، ولا تعلموهم فإنّهم أعلم منكم » وفي بعض الروايات : « وإنّ اللطيف الخبير أنبأني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض » [1].

---

١ ـ مضى تخريجه والكلام حوله في نهاية موضوع (أهل السنّة ومحق السنّة) السابق من هذا الكتاب ، وننقل هنا كلام الشيخ الألباني في صحيحته حول هذا الحديث ، قال الشيخ محمّد الألباني في صحيحته ٤ : ٣٥٥ ـ ٣٥٩ ح١٧٦١ : (حديث العترة وبعض طرقه :

١٧٦١ ـ (يا أيها الناس إنّي تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا ؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي) أخرجه الترمذي ٢ : ٣٠٨ ، والطبراني (٢٦٨٠) عن زيد بن الحسن الأنماطي ، عن جعفر ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله قال : « رأيت رسول الله ﷺ في حجّته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب ، فسمعته يقول : ... » فذكره ، وقال : حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وزيد بن الحسن قد روى عنه سعيد بن سليمان وغير واحد من أهل العلم ».

قلت : قال أبو حاتم منكر الحديث ، وذكره ابن حبّان في الثقات وقال الحافظ : ضعيف.

قلت [الألباني] : لكنّ الحديث صحيح ، فإنّ له شاهداً من حديث زيد بن أرقم

قال : « قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يُدّعى (خُمّاً) بين مكّة والمدينة ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ووعظ وذكر ، ثمّ قال :

أمّا بعد ؛ ألا أيّها الناس فإنما أنا بشرٌ ، يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين : أوّلهما كتاب الله ، فيه الهدى والنور ، من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ، ومن أخطأه ضلّ ، فخذوا بكتاب الله ، واستمسكوا به . فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه . ثمّ قال : وأهل بيتي ، أُذّكركم الله في أهل بيتي ، أُذّكركم الله في أهل بيتي ، أُذّكركم الله في أهل بيتي ». أخرجه مسلم ٧ : ١٢٢ . ١٢٣ ، والطحاوي في مشكل الآثار ٤ : ٣٦٨ ، وأحمد ٤ : ٣٦٦ . ٣٦٧ ، وابن أبي عاصم في السنّة ١٥٥٠ . ١٥٥١ ، والطبراني (٥٠٢٦) من طرق يزيد بن حيان التميمي عنه.

ثمّ أخرج أحمد ٤ : ٣٧١ ، والطبراني (٥٠٤٠) ، والطحاوي من طريق علي بن ربيعة قال : « لقيت زيد بن أرقم وهو داخل على المختار أو خارج من عنده ، فقلت له : أسمعت رسول الله ﷺ يقول : إنّي تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي؟ قال : نعم ». وإسناده صحيح ورجاله رجال الصحيح.

وله طُرق أُخرى عند الطبراني (٤٩٦٩ ، ٤٩٧١ ، ٤٩٨٠ ، ٤٩٨٢ ، ٥٠٤٠) ، وبعضها عند الحاكم (٣ : ١٠٩ ، ١٤٨ ، ٥٣٣) ، وصحّح هو والذهبي بعضها.

وشاهد آخر من حديث عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً : « إني أوشك أو أُدعى فأُجيب ، وإنّي تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا بعدي ؛ الثقلين أحدهما أكبر من الآخرة : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ألا وأنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ». أخرجه أحمد (٣ : ١٤ ، ١٧ ، ٢٦ ، ٥٩) ، وابن أبي عاصم (١٥٥٣ . ١٥٥٥) ، والطبراني (٢٦٧٨ . ٢٦٧٩) والديلمي (٢ : ١ / ٤٥).

وهو إسناد حسن في الشواهد ، له شواهد أُخرى من حديث أبي هريرة عند الدارقطني (٥٢٩) ، والحاكم (١ : ٩٣) والخطيب في الفقيه والمتفقه (٥٦ / ١) ،

وابن عبّاس عند الحاكم وصحّحه ووافقه الذهبي وعمرو بن عوف عند ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢ : ٤ / ١١٠) ، وهي وإن كانت مفرداتها لا تخلو من ضعف فبعضها يقوّي بعضها ، وخيرها حديث ابن عبّاس.

ثمّ وجدّت له شاهداً قويّاً من حديث علي مرفوعاً به ، أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (٢ : ٣٠٧) من طريق أبي عامر العقدي : ثنا يزيد بن كثير عن محمّد بن عمر بن علي ، عن أبيه ، عن علي مرفوعاً بلفظ : « كتاب الله بأيديكم ، وأهل بيتي » ...).

ثمّ يقول الشيخ الألباني رداً على من ضعّف الحديث مع كثيرة طرقه وصحتها يقول : (بعد تخريج الحديث بزمن بعيد ، كُتب عليَّ أن أهاجر من دمشق إلى عمّان ، ثمّ أن أُسافر منها إلى الامارات العربية أوائل سنة ١٤٠٢ هجري ، فلقيت في قطر بعض الأساتذة والدكاترة الطيّبين ، فأهدى إليَّ أحدهم رسالة له مطبوعة في تضعيف هذا الحديث ، فلّما قرأتها تبيّن لي أنّه حديث عهد بهذه الصناعة ، وذلك من ناحيتين ذكرتهما له :

الأُولى : إنّه اقتصر في تخريجه على بعض المصادر المطبوعة المتداولة ، ولذلك قصّر تقصيراً فاحشاً في تحقيق الكلام عليه ، وفاته كثير من الطرق والأسانيد التي هي بذاتها صحيحة أو حسنة فضلا عن الشواهد والمتابعات ، كما يشاهد كلّ ناظر يقابل تخريجه بما خرجته هنا.

الثانية : إنّه لم يلتفت إلى أقوال المصحّحين للحديث من العلماء ، ولا إلى قاعدتهم التي ذكروها في مصطلح الحديث : إنّ الحديث الضعيف يتقوّى بكثرة الطُرق ، فوقع في هذا الخطأ الفادح من تضعيف الحديث الصحيح.

وكان قد نمي إليّ قبل الالتقاء به والاطلاع على رسالته أنّ أحد الدكاترة في الكويت يضعّف هذا الحديث ، وتأكّدت من ذلك حين جاءني خطاب من أحد الإخوة هناك يستدرك عليّ إيرادي الحديث في صحيح الجامع الصغير بالأرقام (٢٤٥٣ ، ٢٤٥٤ ، ٢٧٤٥ ، ٧٧٥٤) ؛ لأنّ الدكتور المشار إليه قد ضعّفه ، وأنّ هذا

وحديث الثقلين هذا أخرجه « أهل السنّة والجماعة » في أكثر من عشرين مصدراً من صحاحهم ومسانيدهم ، كما أخرجه الشيعة في كلّ كتب الحديث.

وهو كما ترى صريح صراحة لا مزيد عليها بأنّ « أهل السنّة والجماعة » ضلّوا ؛ لأنّهم لم يتمسكوا بهما معاً ، وهلكوا لأنّهم تقدّموا على أهل البيت ،

استغرب منّي تصحيحه! ويرجو الأخ المشار إليه أن أُعيد النظر في تحقيق هذا الحديث ، وقد فعلت ذلك احتياطاً ، فلعلّه يجد فيه ما يدلّ على خطأ الدكتور ، وخطأه هو في استرواحه واعتماده عليه ، وعدم تنبيه للفرق بين ناشئ في هذا العلم ومتمكّن فيه ، وهي غفلة أصابت كثير من الناس الذي يتبعون كلّ من كتب في هذا المجال ، وليست له قدم راسخة فيه ، والله المستعان) انتهى كلام الشيخ الألباني.

وقال ابن كثير في تفسيره ٤ : ١٤٢ : (وقد ثبت في الصحيح أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال في خطبته بغدير خمّ : « إنّي تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي ، وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض » ..).

ومن هذا الكلام يتّضح أنّ ما ذكره عثمان الخميس في كتابه كشف الجاني : ١٧٨ من اتهام المؤلّف بالكذب في وجود هذا الحديث في صحيح مسلم والترمذي ما هو إلاّ مكابرة وتعنت وليست غفلة ، مع أنّ الشيخ الألباني والملقّب ببخاري العصر عند السلفية يصرّح بأنّه في صحيح مسلم والترمذي وغيرها من المصادر وكذلك ابن كثير ، والحديث صحيح لا غبار عليه ، بل كما ذكرنا في تعليقة سابقة أنّه حديث متواتر. وأعجب من ذلك تكذيب عثمان الخميس للحديث ، مع تصريح أئمته بأنّه صحيح ، بل وتصريح بعضهم بأنّه متواتر ، فهل يدّعي عثمان بأنّه أعلم من الشيخ الألباني وابن كثير وغيرهم المصرّحين بصحة الحديث؟! ولا يبعد ذلك منه بعدما رأيناه في كتابه كشف الجاني ينكر الواضحات والمسلمات الثابتة عندهم!! ولله في خلقه شؤون.

وظنوا بأنّ أبا حنيفة ومالكاً والشافعي وابن حنبل أعلم من العترة الطاهرة ، فقلّدوهم وتركوا العترة الطاهرة.

على أنّ قول بعضهم بأنّهم تمسّكوا بالقرآن لا دليل عليه ؛ لأنّ القرآن كلّه عمومات وليس فيه تفاصيل الأحكام ، وهو حمّال أوجه ولابدّ له من مُبيّن ومفسّر ، كما هو الحال بالنسبة للسنّة النبويّة التي تتطلّب رواة ثقات ومفسّرين عالمين.

وليس هناك حلّ لهذا المشكل إلاّ بالرجوع لأهل البيت ، أعني الأئمة من العترة الطاهرة الذين أوصى بهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وإذا أضفنا إلى حديث الثقلين المتقدّم أحاديث أُخرى لها نفس المعنى ، وترمي إلى نفس الهدف ، كقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لن يفترقا حتى يردا علي الحوض » [1] ، وقوله أيضاً : « عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ ، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض يوم القيامة » [2] ؛ تأكّد لدينا ولدى

---

١ ـ المعجم الصغير للطبراني ١ : ٢٥٥ ، والأوسط ٥ : ١٣٥ ، الجامع الصغير للسيوطي ٢ : ١٧٧ ، المستدرك للحاكم ٣ : ١٢٤ وصححه ووافقه الذهبي في تلخيص المستدرك ، كنز العمال ١١ : ٦٠٣ ح٣٢٩١٢ ، فيض القدير في شرح الجامع الصغير ، المناوي ٤ : ٤٧٠.

٢ ـ تاريخ بغداد ١٤ : ٣٢٢ ح٧٦٤٣ ، تاريخ دمشق ٤٢ : ٤١٩ ، ٤٤٩ ، وفي مجمع الزوائد ٧ : ٢٣٥ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ حيث كان) ، قال الهيثمي : (رواه البزار وفيه سعد بن شعيب ولم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح).

قال الشيخ الأميني : « الرجل الذي لم يعرفه الهيثمي هو سعيد بن شعيب

كلّ باحث بأنّ من ترك عليّاً فقد ترك التفسير الحقيقي لكتاب الله تعالى ، ومن ترك عليّاً فقد نبذ الحقّ وراء ظهره واتبع الباطل ، فليس بعد الحقّ إلاّ الضلال ، وتأكّد لدينا أيضاً بأنّ « أهل السنّة والجماعة » تركوا القرآن والسنّة النبويّة بتركهم الحقّ وهو علي بن أبي طالب عليه السلام ، كما تأكّدتْ نبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بقوله بأنّ أُمّته ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلّها في الضلالة إلاّ فرقة واحدة [1].

وهذه الفرقة الناجية هي التي اتّبعتْ الحقَّ والهدى باتّباعها للإمام علي عليه السلام ، فحاربوا حربه ، وسالموا سلمه ، واقتدوا به في علمه ، وتمسّكوا بالأئمة الميامين من ولده.

﴿ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ [2].

الحضرمي ، قد خفي عليه لمكان التصحيف ، ترجمه غير واحد بما قال شمس الدين إبراهيم الجوزجاني بأنّه كان شيخاً صالحاً صدوقاً كما في خلاصة الكمال ١١٨ ، وتهذيب التهذيب ٤ : ٤٨ » الغدير ٣ : ١٧٧.

١ . ورد حديث افتراق الأُمّة بألفاظ مختلفة ، راجع سنن الدارمي ٢ : ٢٤١ ، المصنّف لعبدالرزاق ١٠ : ١٥٦ وفي كتاب السنّة لابن أبي عاصم : ٣٢ خصّص باباً بهذا العنوان ، مسند أحمد ٤ : ١٠٢ ، سنن ابن ماجة ٢ : ١٣٢٢ ح٣٩٩٣ ، وغيرها من المصادر.

٢ . البيّنة : ٧ . ٨.

حديث الثقلين عند « أهل السنّة »

كما قدّمنا فإنّ نفس الحديث الذي ذكرناه في الفصل السابق ، هو الذي أخرجه علماء « أهل السنّة والجماعة » ، واعترفوا بصحّته في أكثر من عشرين مصدراً من مصادرهم المشهورة.

وإذا اعترفوا بصحة الحديث فقد شهدوا على أنفسهم بالضّلالة ضمنياً ؛ لأنّهم لم يتمسّكوا بالعترة الطاهرة ، واعتنقوا مذاهب واهية ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا وجود لها في السنّة النبويّة.

والعجيب من علماء « أهل السنّة » اليوم ، وبعد انقراض بني أُميّة وهلاكهم ، وفي عصر كثر فيه الاتصال المباشر ، وتوفرت فيه وسائل البحوث العلمية ، فكيف لا يتوبون ويرجعون إلى الله من قريب كي يشملهم قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى** ﴾ [1].

وإذا كان الناس في القرون الخالية زمن الخلافة مُكرهين على اتّباع السلطان بالقهر والقوّة ، فما هو عذرهم اليوم ، والسلطان في كلّ البلاد لا يهمه من أمر الدين شيئاً ما دام عرشه مضموناً ، وهو يتبجّح بالديمقراطية وبحقوق الإنسان التي من ضمنها حريّة الفكر والعقيدة؟!

بقي هناك من علماء « أهل السنّة » المعترضون على حديث الثقلين

---

١ . طه : ٨٢.

المذكور ، بحديث « تركت فيكم كتاب الله وسنّتي » [1].

وأقلّ ما يُقال في هؤلاء : إنّهم بعيدون عن مقاييس العلم وأصول البحث والمعرفة ، وإثبات الحجّة والدليل.

---

١ ـ قلنا فيما سبق من الأبحاث بأنّ حديث « كتاب الله وسنّتي » هو حديث مرسلٌ غير مسند ولم تخرجّه الصحاح ، بينما حديث « كتاب الله وعترتي » هو حديث صحيح ومتواتر أخرجته كلّ الصحاح عند السنّة والشيعة (المؤلّف).

كتاب الله وعترتي ، أو كتاب الله وسنّتي؟

قد وافينا البحث في هذا الموضوع في كتاب « مع الصادقين » ، وقُلنا باختصار بأنّ الحديثين لا يتناقضان ؛ لأنّ السنّة النبويّة الصحيحة محفوظة عند العترة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام ، وأهل البيت أدرى بما فيه ، وعليّ بن أبي طالب هو باب السنّة النبويّة ، وهو أولى أن يكون راوية الإسلام من أبي هريرة ، ومن كعب الأحبار ، ووهب بن منبه.

ومع ذلك لابدّ من مزيد البيان والتوضيح ، ولو أدى ذلك إلى التكرار ، فإنّ في الإعادة إفادة ، ولعلّ بعضهم لم يقرأوه هناك ، فإنّهم سيطّلعون عليه هنا بمزيد من التفصيل والإيضاح.

ولعلّ القرّاء الكرام يجدون في هذا البحث ما يقنعهم بأنّ حديث «كتاب الله وعترتي » هو الأصل ، وإنّما عمد الخلفاء على إبداله بحديث «كتاب الله وسنّتي » ليبعدوا بذلك أهل البيت عن مسرح الحياة.

ولابدّ من الملاحظة بأنّ حديث «كتاب الله وسنّتي » لا يصُحُّ حتى عند « أهل السنّة والجماعة » ، لأنّهم رووا في صحاحهم بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نهاهم عن كتابتها ، إذا كان حديث النهي صحيحاً ، فكيف يجوز للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول : تركت فيكم سُنّتي ، وهي غير مكتوبة ولا معلومة؟!

ثمّ لو كان حديث «كتاب الله وسنّتي » صحيحاً ، فكيف جاز لعمر بن الخطّاب أنْ يرد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقول : حسبنا كتاب الله؟!

وإذا كان الرسول ﷺ ترك سنّة مكتوبة ، فكيف جاز لأبي بكر وعمر حرقها ومنعها من الناس؟!

وإذا كان حديث «كتاب الله وسنّتي» صحيحاً ، فلماذا يخطبُ أبو بكر بعد وفاة النبيّ ﷺ ويقول : « لا تحدثوا عن رسول الله شيئاً ، فمن سألكم فقولوا : بيننا وبينكم كتاب الله ، فاستحلوا حلاله وحرّموا حرامه » [1]؟!

وإذا كان حديث «كتاب الله وسنّتي» صحيحاً ، فلماذا خالفها أبو بكر في قتال مانعي الزكاة ، وقد قال رسول الله ﷺ : « من قال لا إله إلاّ الله عصم منّي دمه وماله وحسابه على الله! » [2]؟.

وإذا كان حديث «كتاب الله وسنّتي» صحيحاً ، فكيف جاز لأبي بكر وعمر ومن وافقهما من الصحابة أن يستبيحوا حرمة الزهراء ، ويهجموا على بيتها مهدّدين بحرقها بمن فيها ، ألم يسمعوا قول النبيّ فيها : « فاطمة بضعة منّي من أغضبها فقد أغضبني ومن آذاها فقد آذاني » [3].

بلى والله لقد سمعوها ووعوها.

ألم يسمعوا قول الله تعالى : ﴿ **قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** ﴾ [4] التي نزلت فيها وفي بعلها وولديها؟ [5] فهل كانت مودّة أهل البيت

---

١ ـ تذكرة الحفاظ ١ : ٣.

٢ ـ صحيح مسلم ١ : ٣٨ باختلاف ، باب الأمر بقتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله.

٣ ـ صحيح البخاري ٤ : ٢١٠ ، (كتاب المناقب ، باب مناقب قرابة رسول الله).

٤ ـ الشورى : ٢٣.

٥ ـ ورد نزولها فيهم عليهم السلام في شواهد التنزيل للحسكاني ٢ : ١٩١ ، المعجم الكبير

١١ : ٣٥١ ، الدر المنثور ٦ : ٧ ، الصواعق المحرقة ٢ : ٤٨٧ الآيات النازلة فيهم ، ذخائر العقبى : ٢٥ ، ينابيع المودة ٢ : ٣٢٥ وغيرها.

وذكر ابن حجر الهيتمي في الصواعق أيضاً : أخرج البزار والطبراني عن الحسن (رضي الله عنه) عن طرق بعضها حسان أنّه خطب خطبة من جملتها : « وأنا من أهل البيت الذين افترض الله عزّ وجلّ مودّتهم وموالاتهم ، فقال فيما أنزل على محمّد صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾.

وهناك بعض الإثارات حول هذه الآية وتفسيرها نذكرها مع الإجابة عليها ، منها القربى في الآية عامة ولا تختص بعليّ وفاطمة والحسنين عليهم السلام ؟

وفيه إنّ الله تعالى لما أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يقول للناس : (قل ما أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى) فلابدّ من أن تكون هذه القربى ذات خصوصية ومميزات جعلتهم مؤهلين لهذه الرتبة السامية ، فليست الدعوة عامة ، فإنّ مودة الأقرباء على إطلاقهم ليست ممّا يندب إليه في الإسلام ، مضافاً إلى أنّ الروايات الواردة هي التي تقيّده وتفسّره ، وقد فسّرته بهؤلاء عليهم السلام .

ومنها السبب في استعمال كلمة « في القربى » بدل قوله : « لذوي القربى » وما شاكل؟

ويكفينا في الإجابة عليه ما ذكره الزمخشري في تفسيره حول هذه الآية : « فإن قلت : هلاّ قيل : « إلاّ مودة القربى أو المودة للقربى؟ وما معنى قوله : إلاّ المودة في القربى؟ قلت : جعلوا مكاناً للمودة ومقرّاً لها كقولك : لي في آل فلان مودة ، ولي فيهم هوى وحب شديد ، تريد : أحبهم وهم مكان حبي ومحله. قال : وليست « في » بصلة للمودة كاللام إذا قلت : إلاّ المودة للقربى ، إنّما هي متعلّقة بمحذوف تعلّق الظرف به في قولك : المال في الكيس ، وتقديره : إلاّ المودة ثابتة في القرب ومتمكنة فيها ».

ومنها : إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كيف يسأل أجراً على رسالته؟

وفيه أولا : أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما طلب ذلك من تلقاء نفسه بل بأمر من الله تعالى

هي ترويعهم وتهديدهم بالحرق ، وضغط الباب على بطن فاطمة حتى أسقطت جنينها بأبي هي وأُمي؟!

وإذا كان حديث « كتاب الله وسنّتي » صحيحاً ، فكيف استحلّ معاوية والصحابة الذين بايعوه وساروا في ركابه أن يلعنوا علياً ويسبوه على المنابر طيلة حكم بني أُمية ، ألم يسمعوا أمر الله لهم بأن يصلّوا عليه كما يصلّون على النبيّ؟ ألم يسمعوا قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « من سبّ عليّاً فقد سبّني ، ومن

حيث أمره وقال له : (قل ما أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى).

ثانياً : المقصود من الأجر الذي نفى الأنبياء أخذه إنّما هو الأجر المادي الذي يعود نفعه إلى صاحب الرسالة لتنافيه مع مقام الدعوة والرسالة ، فما سأله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأمر من الله لم يكن أجراً مادياً بل هو أجر معنوي وأُخروي يعود نفعه إلى الناس أنفسهم ، وذلك لأنّ مودة ذي القربى تجر المحب إلى أن ينتهج سبيلهم في الحياة ويجعلهم اسوة في دينه ودنياه ، وإلى هذا يشير ما جاء في دعاء الندبة : « ثمّ جعلت أجر محمّد صلى الله عليه وآله وسلم مودتهم في كتابك فقلت : « لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى » ، وقلت : « ما سألتكم من أجر فهو لكم » ، وقلت : « ما أسألكم عليه من أجر إلاّ من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا » فكانوا هم السبيل إليك والمسلك إلى رضوانك ».

وورد في الصواعق ٢ : ٤٨٩ ما يدلّ على أنّ بعض الصحابة تضجّروا من فعل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، قال ابن حجر : « ونقل الثعلبي والبغوي عنه إنّه لما نزل قوله تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى) قال قوم في نفوسهم : ما يريد إلاّ أن يحثنا على قرابته من بعده ، فأخبر جبرئيل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّهم اتّهموه ، فأنزل : ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً** ﴾ فقال القوم : يا رسول الله إنّك صادق ، فنزل : ﴿ **هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ** ﴾.

سبّني فقد سبّ الله » [1]؟!

وإذا كان حديث « كتاب الله وسنّتي » صحيحاً ، فلماذا غابت هذه السنّة على أكثر الصحابة ، فجهلوها وأفتوا في الأحكام بآرائهم ، وكذلك فعل أئمة المذاهب الأربعة الذين التجأوا للقياس ، والاجتهاد ، والإجماع ، وسدّ باب الذرائع ، والمصالح المرسلة ، والاستصحاب ، وصوافي الأمراء ، وأخفّ الضررين وغير ذلك [2]؟!

فإذا كان الرسول ﷺ قد ترك « كتاب الله وسنّة نبيّه » ليعصمان الناس من الضلالة ، فلا داعي لكلّ هذه الأُمور التي ابتدعها « أهل السنّة والجماعة » ، فكلّ بدعة وضلالة ، وكلّ ضلالة في النار ، كما جاء في الحديث الشريف ..!

ثمّ إنّ العقلاء وأهل المعرفة يلقون باللّوم على النبيّ ﷺ الذي أهمل سنّته ولم يعتن بها ، ولم يأمر بتدوينها وحفظها ، ومن ثمّ صيانتها من التحريف والاختلاف والوضع والاختلاق ، ثمّ يقول للناس : « إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي : كتاب الله وسنّتي »!

أمّا إذا قيل لهؤلاء العقلاء بأنّه نهاهم عن كتابتها فسيكون عند ذلك هزؤاً ؛ لأنّ ذلك ليس من أفعال الحكماء ، إذ كيف ينهى المسلمين عن كتابة

---

١ . نظم درر السمطين : ١٠٥ ، الجامع الصغير ٢ : ٦٠٨ ح٨٧٣٦ ، كنز العمال ١١ : ٥٧٣ ح٣٢٧١٣ ، تاريخ دمشق ٤٢ : ٥٣٣ ، وروى صدره الحاكم في المستدرك ٣ : ١٢١ وصحّحه ووافقه الذهبي ، والنسائي في السنن الكبرى ٥ : ١٣٣ ، والنسائي في الخصائص ص ٧٦ وقال محقّق الكتاب الحويني الأثري : « إسناده صحيح ».

٢ . جامع البيان : ٢٧٥ ، باب اجتهاد الرأي على الاصول عند عدم النصوص.

سُنته ، ثمّ يقول لهم : تركت فيكم سنّتي؟!

أضف إلى كلّ ما تقدّم بأنّ كتاب الله المجيد ، إذا أضفنا إليه السنّة النبويّة التي كتبها المسلمون عبر القرون ، فإنّ فيها الناسخ والمنسوخ ، وفيها الخاصّ والعام ، وفيها المحكم والمتشابه ، فهي شقيقة القرآن ، غير أنّ القرآن كلّه صحيح ؛ لأنّ الله سبحانه تكفّل بحفظه ولأنّه مكتوب ، أمّا السنّة ففيها المكذوب أكثر من الصحيح ، فالسنّة النبويّة هي قبل كلّ شيء محتاجة إلى المعصوم الذي يدلّ على صحيحها ، ويطرح كلّ ما وضع فيها ، وغير المعصوم لا يقدر على شيء من ذلك ولو كان عالماً علاّمة.

كما أنّ « القرآن والسنّة » معاً يفتقران إلى عالم متبحّر عارف بكلّ أحكامهما ، مطلع على أسرارهما ، لكي يبيّن للناس من بعد النبيّ ما اختلفوا فيه وما جهلوه.

ألم ترّ أنّ الله سبحانه أشار إلى أنّ القرآن الكريم يفتقر إلى مبين ، فقال جلّ وعلا : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [1]؟ فلو لم يكن النبيّ يبيّن للناس ما نزل إليهم ، لم يكونوا ليعرفوا أحكام الله ولو نزل القرآن بلغتهم!

وهذا أمر بديهي يعرفه كلّ الناس ، ورغم نزول القرآن بفرائض الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحجّ ، فالمسلمون في حاجة لبيان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فهو الذي أوضح كيفية أداء الصلاة ، ومقدار نصاب الزكاة ، وأحكام الصوم ، ومناسك الحجّ ، ولولاه لما عرف الناس من ذلك شيئاً.

---

١ . النحل : ٤٤.

وإذا كان القرآن الذي لا اختلاف فيه ، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بحاجة إلى مبيّن ، فإنّ السنّة النبويّة أحوج من القرآن إلى من يبينها ، وذلك لكثرة الاختلاف الذي حصل فيها ، ولكثرة الدسّ والكذب الذي طرأ عليها ، وإنّه من الطبيعي جداً ، بل من الضروريات العقليّة أنْ يعتني كلّ رسول بالرسالة التي بعث بها ، فيقيم عليها وصيّاً وقيّماً بوحي من ربّه حتى لا تضيع الرسالة بموته ، ولأجل ذلك كان لكلّ نبيّ وصيّ.

ولكلّ ذلك أعدّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خليفته ووصيّه على أمّته عليّ بن أبي طالب ، وربّاه منذ صغره بأخلاق النبوّة ، وعلّمه في كبره علم الأولين والآخرين ، وخصّه بأسرار لا يعرفها غيره ، ودلّ الأُمّة عليه مراراً ، وأرشدهم إليه تكراراً ، فقال لهم : « إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي عليكم » [1] ، وقال : « أنا خير الأنبياء وعليّ خير الأوصياء » [2] « وخير من أترك بعدي » [3] ، وقال :

---

١ ـ هذا الحديث جزء من حديث الدار في بدء الدعوة وورد بألفاظ مختلفة ، راجع تاريخ الطبري ٢ : ٣٢١ ، الكامل لابن الأثير ٢ : ٦٣ ، تاريخ أبي الفداء ١ : ١٧٥ ، شواهد التنزيل للحسكاني ١ : ٤٨٦ ، شرح النهج لابن أبي الحديد ١٣ : ٢١١ ، كنز العمال ١٣ : ١٣٣ ح٣٦٤١٩ ، عن ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم ، وفيها التصريح بالعدد وأنّهم كانوا أربعين أو نحو هذا العدد.

٢ ـ في ينابيع المودة ٣ : ٢٦٩ ح٣٣ عن المناقب لابن المغازلي : ١٠١ ح١٤٤ ، وفرائد السمطين ١ : ٩٢ ح٦١ ولفظه : « يا فاطمة منّا خير الأنبياء وهو أبوك ، ومنّا خير الأوصياء وهو بعلك ... ».

٣ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣ : ٢٢٨ ، كنز العمال ١١ : ٦١٠ ح٣٢٩٥٢ ، شواهد التنزيل للحسكاني ١ : ٩٨ ، تاريخ دمشق ٤٢ : ٥٧.

« عليّ مع الحقّ والحقّ معه » [1] ، و « عليّ مع القرآن والقرآن معه » [2] ، وقال :

---

١ ـ الأمالي للصدوق : ١٥٠ ح١٤٦ ، كفاية الأثر للخزاز القمي : ٢٠ ، المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ٢٦٠ ، تاريخ دمشق ٤٢ : ٤٤٩ ، الامامة والسياسة ١ : ٩٨ ، تاريخ بغداد ١٤ : ٣٢٢ ، ومجمع الزوائد ٧ : ٢٣٥ وقال : « رواه البزار وفيه سعد بن شعيب ولم أعرفه ، وبقيّة رجاله رجال الصحيح ».

قال الشيخ الأميني : « الرجل الذي لم يعرفه الهيثمي هو سعيد بن شعيب الحضرمي ، قد خفي عليه لمكان التصحيف ، ترجمه غير واحد بما قال شمس الدين إبراهيم الجوزجاني : إنّه كان شيخاً صالحاً صدوقاً كما في خلاصة الكمال ١١٨ ، وتهذيب التهذيب ٤ : ٤٨ » الغدير ٣ : ١٧٧.

وورد عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « رحم الله علياً اللّهم أدر الحقّ معه حيث دار » أخرجه الترمذي في السنن ٥ : ٢٩٧ ، وأبو يعلى في المسند ١ : ٤١٩ ، ح٥٥٠ ، الطبراني في الأوسط ٦ : ٩٥ ، والحاكم في المستدرك ٣ : ١٢٤ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٠ : ٦٣ و ٤٢ : ٤٤٨ و ٤٤ : ١٣٩. وصحّح هذا الحديث كلّ من الحاكم في المستدرك وأبو منصور ابن عساكر الشافعي في « الأربعين في مناقب أُمهات المؤمنين : ٨٦ ح٢٤ » ، والسيوطي في الجامع الصغير كما في فيض القدير ٤ : ٢٥.

وأرسله الفخر الرازي إرسال المسلّمات فقال في تفسيره : « ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى ، والدليل عليه قوله عليه السلام : اللّهم أدر الحقّ مع عليّ حيث دار » تفسير الرازي ١ : ٢١٠.

وقال أبو القاسم البلخي وتلامذته : « قد ثبت عنه في الأخبار الصحيحة أنّه قال : « عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور حيثما دار » ووافقهم ابن أبي الحديد على ذلك في شرح نهج البلاغة ٢ : ٢٩٦ ـ ٢٩٧.

٢ ـ المعجم الأوسط للطبراني ٥ : ١٣٥ ، الجامع الصغير للسيوطي ٢ : ١٧٧ ح٥٥٩٤ ، المناقب للخوارزمي : ١٧٧ ح٢١٤ ، المستدرك للحاكم ٣ : ١٢٤ وصحّحه ووافقه الذهبي في تلخيص المستدرك ، كنز العمال ١١ : ٦٠٣ ح٣٢٩١٢.

« أنا قاتلت على تنزيل القرآن وعليّ يقاتل على تأويله » [1] ، « وهو الذي يبيّن لأُمتي ما اختلفوا فيه من بعدي » [2] ، وقال : « لا يؤدّي عنّي إلاّ عليّ » [3] « وهو ولي كلّ مؤمن بعدي » [4] وقال : « عليّ منّي بمنزلة هارون من موسى » [5] ،

---

١ ـ ينابيع المودة ٢ : ٢٣٥ عن الفردوس ١ : ٤٦ ح١٥ ، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥ : ٦٣٩ ح٢٤٨٧ ولفظه : « إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله ، فاستشرفنا وفينا أبو بكر وعمر ، فقال : لا ، ولكنه خاصف النعل ، يعني عليّاً ». ومثله المستدرك للحاكم ٣ : ١٢٣ وصحّحه ووافقه الذهبي ، مجمع الزوائد ٩ : ١٣٣ وقال : (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة) وصحيح ابن حبان ١٥ : ٣٨٥.

٢ ـ تاريخ دمشق ٤٢ : ٣٨٧ ، ينابيع المودة ٢ : ٨٦ ، المستدرك للحاكم ٣ : ١٢٢ وصحّحه ، كنز العمال ١١ : ٦١٥ ، شواهد التنزيل ١ : ٣٨٣.

٣ ـ السنن الكبرى للنسائي ٥ : ١٢٨ ح٨٤٥٨ ، تاريخ دمشق ٤٢ : ٣٤٥ وأورده الألباني في صحيح الجامع الصغير ٢ : ٧٥٣ ح٤٠٩١. وورد الحديث مع زيادة فيه إذ جاء فيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عنّي إلاّ أنا أو علي » صححه الترمذي في سننه ٥ : ٣٠٠ ، وحسنه الذهبي في سير أعلام النبلاء ٨ : ٢١٢ ، وصححه الألباني في تعليقه على سنن ابن ماجة ١ : ٧٥ ، والحويني الاثري في الخصائص ٦٧ ، ومسند أحمد وأشار محقق الكتاب أحمد حمزة الزين إلى صحته ١٣ : ٣٩٤.

٤ ـ كتاب السنّة لابن أبي عاصم : ٥٥٠ ح١١٨٧ ، وقال الألباني محقّق الكتاب : إسناده صحيح رجاله ثقات على شرط مسلم ، والحديث أخرجه الترمذي ٢ : ٢٩٧ وابن حبان (٢٢٠٣) والحاكم ٣ : ١١٠ ، وأحمد ٤ : ٤٣٧ ... وقال الترمذي : حديث حسن غريب ، وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ، وأقرّه الذهبي.

٥ ـ صحيح مسلم ٧ : ١٢٠ ، سنن الترمذي ٥ : ٣٠٢ ح٣٨٠٨ ، المستدرك ٢ : ٣٣٧.

« عليّ مني وأنا منه » [1] « وهو باب علمي » [2].

---

١ ـ أورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥ : ٢٦١ ح٢٢٢٣ وقال : أخرجه الترمذي (٣٧١٣) والنسائي في الخصائص (ص١٣ و ١٦ و ١٧) وابن حبان (٢٢٠٣) والحاكم (٣ : ١١٠) والطيالسي في مسنده (٨٢٩) وأحمد (٤ : ٤٣٧) وابن عدي في الكامل (٢ : ٥٦٨).

٢ ـ المناقب للخوارزمي : ١٢٩ ، ينابيع المودة ١ : ٢٠٠ ، كنز العمال ١١ : ٦١٤ ح٣٢٩٨١ ، كشف الخفاء للعجلوني ١ : ٢٠٤ ، وورد الحديث بلفظ : « أنا مدينة العلم وعليّ بابها » قال السيوطي في تاريخ الخلفاء ١٣١ : « وأخرج البزّار والطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله وأخرج الترمذي والحاكم عن علي قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « أنا مدينة العلم وعليّ بابها » هذا حديث حسن على الصواب ، لا صحيح كما قال الحاكم ولا موضوع كما قاله جماعة منهم ابن الجوزي والنووي ، وقد بيّنت حاله في التعقيبات على الموضوع ».

وقال السيّد حسن السقّاف في تحقيقه على كتاب تناقضات الألباني الواضحات ٣ : ٨٢ : « صحّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال : « أنا مدينة العلم وعليّ بابها » صحّحه الحافظ ابن معين كما في تاريخ بغداد ١١ : ٤٩ ، والإمام الحافظ ابن جرير الطبري في تهذيب الآثار مسند سيّدنا عليّ : ١٠٤ ، حديث ٨ ، والحافظ العلائي في النقد الصحيح ، والحافظ ابن حجر والحافظ السيوطي كما في اللالئ المصنوعة ١ : ٣٣٤ ، والحافظ السخاوي كما في المقاصد الحسنة » ، كما ألّف العلاّمة أحمد ابن الصديق المغربي كتاباً خاصاً في تصحيح الحديث المذكور أسماه (فتح الملك العلي بصحة حديث بأنّ مدينة العلم علي).

ثمّ قال التيجاني بعد سرد هذه الأحاديث : « كل هذه الأحاديث صحيحة عند أهل السنّة والجماعة أخرجها علماؤهم وصحّحوها ، وقد ذكرنا في الكتب السابقة ومن أراد المصادر فعليه بكتاب المراجعات بتحقيق حسين الراضي ». ونحن بدورنا قمنا بذكر بعض مصادر هذا الأحاديث وذكرنا ما عثرنا عليه ممّن صحّحها

وقد ثبت بالدليل العلمي وبالتاريخ ، وما كتبه أصحاب السير بأنّ عليّاً كان المرجع الوحيد لكلّ الصحابة عالمهم وجاهلهم ، ويكفي أن يعترف « أهل السنّة » بأنّ عبد الله بن عباس ـ والذي لقبوه بحبر الأُمّة ـ تلميذه وخريجه ، كما يكفي

وما فاتنا أكثر.

وبعد ما عرفنا مصادر الأحاديث والمصحّحين لها من العلماء والحفاظ نعرف بأنّ ما ذكره عثمان الخميس في كتابه كشف الجاني : ١٧٨ غير صحيح بتاتاً ، بل بتر الكلام وحاول تشويه صورة الأحاديث بكلّ ما أوتي من قوّة نصب وعداء لأهل البيت عليهم السلام ولعلي بن أبي طالب خاصّة ، ولإثبات ذلك نتعرض لبعض ما ذكره حول بعض الأحاديث :

١ ـ ضعّف حديث : (علي مع الحقّ والحقّ معه) ، وأورد كلام الهيثمي في المجمع ولم يحققه بين سعد بن شعيب ، وسعيد بن شعيب.

أضف إلى ذلك أنّ الحديث ورد بطرق أُخرى غير طريق الهيثمي في المجمع ، وقد ذكرنا طرقه في الصفحة السابقة.

٢ ـ حديث : (علي مع القرآن والقرآن معه) ضعّفه بذكر رواية الطبراني فقط ، مع أنّ الحديث رواه الحاكم في المستدرك وصحّحه ووافقه الذهبي على ذلك. وسنده لا غباره عليه.

٣ ـ حديث : (إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله) ضعّفه مع أنّ الحديث صحّحه الألباني والحاكم والذهبي والهيثمي وغيرهم.

٤ ـ حديث : (علي منّي وأنا منه) أوهم القارئ أنّه ضعيف وأرجعه إلى ردّه على كتاب « ثمّ اهتديت » ، مع أنّه في ردّه على كتاب « ثمّ اهتديت » لم يتعرّض لحديث (علي منّي وأنا منه) ، ولم يذكره أصلا!!

وهكذا تعرف أنّ عثمان الخميس في كلامه لا يرتكز على موازين علمية ، وإنّما يلقي الكلام على عواهنه تعصّباً لعقيدة النواصب من بني أُميّة وغيرهم.

دليلا أنّ كلّ العلوم التي عرفها المسلمون تنسب إليه عليه السلام [1].

---

١ ـ راجع في ذلك مقدمة ابن أبي الحديد على شرح نهج البلاغة.

وقال الحافظ الكنجي الشافعي في كفاية الطالب : ٢٢٥ : « ويقال : هو البطين من العلم لغزارة علمه وفطنته وحدّة فهمه ، كان عنده لكلّ معضلة عتاداً ، ورزق خشية الله عزّ وجلّ ، ولهذا كان أعلم الصحابة ، ويدلّ على أنّه كان أعلم الصحابة الإجمال والتفصيل : أما الإجمال : فهو أنّ عليّاً عليه السلام كان في أصل الخلقة في غاية الذكاء والفطنة والاستعداد للعلم ، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الفضلاء وخاتم الأنبياء ، وكان عليّ في غاية الحرص على طلب العلم ، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في غاية الحرص على تربيته وإرشاده إلى اكتساب الفضائل ، ثمّ إنّ عليّاً بقي في أوّل عمره في حجر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وفي كبره صار ختناً له ، وكان يدخل عليه في كلّ الأوقات ، ومن المعلوم إنّ التلميذ إذا كان في غاية الحرص والذكاء في التعليم ، وكان الأُستاذ في غاية الحرص على التعليم ، ثمّ اتفق لهذا التلميذ أن اتّصل بخدمة مثل هذا الاستاذ من زمن الصغر ، وكان ذلك الاتصال بخدمته حاصلا في كلّ الأوقات ، فإنّه يبلغ التلميذ في العلم مبلغاً عظيماً ويحصل له ما لا يحصل لغيره.

هذا بيان إجمالي ... وأمّا التفصيل فيدلّ عليه وجوه : الأوّل قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « أقضاكم عليّ » ، والقاضي محتاج إلى جميع أنواع العلوم ، فلمّا رجّح على الكلّ في القضاء لزم ترجيحه عليهم في جميع العلوم ، أمّا سائر الصحابة فقد رجّح كلّ واحد منهم على غيره في علم واحد ، كقوله صلى الله عليه وآله وسلم أفرضكم زيد ، وأقرأكم أُبيّ ، وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ... فلمّا ذكر لكلّ واحد فضيلة وأراد أن يجمعها لابن عمّه بلفظ واحد كما ذكر لأولئك ، ذكره بلفظ يتضمّن جميع ما ذكره في حقّهم ، وإنّما قلنا ذلك لأنّ الفقيه لا يصلح لمرتبة القضاء حتى يكون عالماً بعلم الفرائض والكتاب والسنّة والكتابة والحلال والحرام ويكون مع ذلك صادق اللهجة ، فلو قال : قاضيكم عليّ كان متضمناً لجميع ما ذكر في حقّهم ، فما ظنّك بصيغة أفعل التفضيل ... » ثمّ ذكر بعض الشواهد الدالة على أعلميته عليه السلام .

وعلى سبيل الافتراض لو تعارض حديث «كتاب الله وسنّتي» مع حديث «كتاب الله وعترتي» لوجب تقديم الثاني على الأوّل ، أعني تقديم «عترتي» على «سنّتي» ، ليتسنّى للمسلم العاقل الرجوع إلى أئمة أهل البيت الطاهرين كي يبينوا له مفاهيم القرآن والسنّة.

أمّا لو أخذ بحديث «كتاب الله وسنّتي» فسوف يبقى محتاراً في كلّ من القرآن والسنّة ، ولا يجد المرجع الموثوق الذي يبيّن له الأحكام التي لم يفهمها ، أو الأحكام التي اختلف فيها العلماء اختلافاً كبيراً ، وقال فيها أئمة المذاهب أقوالا متعدّدة أو متناقضة.

ولا شكّ بأنّه لو أخذ بقول هذا العالم أو ذاك ، أو اتبع رأي هذا المذهب أو ذاك ، فإنّما يتبعه ويأخذ منه بدون دليل على صحة هذا وبطلان ذاك ، وإنّ قبول هذا المذهب ورفض ذاك هو تعصّب أعمى وتقليد بدون حجّة.

قال الله تعالى في هذا المعنى : ﴿ **وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً** ﴾ [1]. وأضرب لذلك مثالا واحداً حتى يعرف القارئ الكريم صدق

ونقل المناوي في فيض القدير ٦ : ٣٦١ عن البسطامي أنّه قال : « أنّ عليّاً من أعلم الصحابة بدقائق العلوم ولطائف الحكم ». وقال أحمد بن الصديق المغربي في فتح الملك العليّ : ٦٥ : « وعليّ بن أبي طالب عليه السلام كان أعلم الصحابة على الإطلاق كما هو معلوم مشهود ومستفيض متواتر ، حتى ضربوا باشتهار علمه المثل للتواتر المعنوي » ثمّ ذكر قول الحافظ موفق الدين ابن قدامة في كتابه « اثبات صفات العلو لله » حيث استشهد للتواتر المعنوي بشجاعة عليّ عليه السلام .

ثمّ يكفينا في إثبات أعلميّته المطلقة كونه الثقل الثاني وعدل القرآن والعاصم من الضلال.

١ . يونس : ٣٦.

الحديث ، ويتبيّن له الحقّ من الباطل.

لـو أخـذنا القـرآن الكـريم ، وقـرأنا فيـه آيـة الوضـوء وقـول الله تعـالى : ﴿ **وَامْسَـحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ** ﴾ [1] ، فهمنا منها لأوّل وهلة مسح الأرجل كمسح الرؤوس ، وإذا نظرنا إلى فعل المسلمين نجدهم مختلفين في ذلك. « فأهل السنّة والجماعة » كلّهم يغسلون ، والشيعة كلّهم يمسحون.

فنُصاب عند ذلك بالحيرة والشك ، أيهما الصحيح؟

ونرجع إلى العلماء من « أهل السنّة والجماعة » ومفسّريهم ، فنجدهم مختلفين في هذا الحكم على حسب ما يروونه من أن هناك قراءتين « أرجلَكم بالنصب » و « أرجلِكم بالجرّ ».

ثمّ يُصحّحون القراءتين ويقولون : من قرأ بالنصب فقد أوجب الغسل ، ومن قرأ بالجر فقد أوجب المسح.

ثمّ يطلع علينا عالم ثالث متبحّر في اللغة العربية من علماء السنّة [1] فيقول : إنّ قراءة النصب وقراءة الجرّ توجبان المسح ؛ لأنّ الأرجل إمّا تكون منصوبة على المحل أو تكون مجرورة بالجوار ، ثمّ يقول بأنّ القرآن جاء بالمسح ، وجاءت السنّة بالغسل.

وأنت كما ترى أيّها القارئ بأنّ علماء « السنّة والجماعة » لم يزيلوا حيرتنا باضطراب أقوالهم ، بل قد ضاعفوا شكّنا لقولهم بأنّ السنّة خالفت

---

١ . هو الفخر الرازي في تفسيره الكبير ٤ : ٣٠٥ سورة المائدة ، آية : ٦. وفي الدر المنثور ٢ : ٢٦٢ وكذلك كنز العمال ٩ : ٤٣٤ ح٢٦٨٥٢ عن الشعبي قال : نزل القرآن بالمسح وجرت السنّة بالغسل.

القرآن ، وحاشا للنبيّ أن يخالف القرآن ويغسل رجليه في الوضوء.

ولو غسل النبيّ رجليه في الوضوء لما جاز لكبار الصحابة مخالفته ، وهم من هم في العلم والمعرفة والقرب منه أمثال علي بن أبي طالب ، وابن عباس ، والحسن والحسين ، وحذيفة بن اليمان ، وأنس بن مالك ، وكلّ الصحابة الذين قرأوا بالجرّ ، وهم أغلب القراء الذين أوجبوا المسح ، وكلّ الشيعة الذين اقتدوا بالأئمّة من العترة الطاهرة قالوا بوجوب المسح.

فما هو الحل؟!

ألم ترَ أيّها القارئ العزيز بأنّ المسلم سيبقى محتاراً في شكّه ، وبدون الرجوع إلى من يعتمد عليه فسوف لا يعرف وجه الصواب ، ولا يدري ما هو حكم الله الصحيح من المكذوب عليه؟

وقد تعمّدت أن أضرب لك هذا المثال من القرآن الكريم أيّها القارئ العزيز ، حتى تعرف مدى الاختلاف والتناقض الذي يتخبط فيه علماء المسلمين من « أهل السنّة والجماعة » في أمر كان يفعله النبيّ عدّة مرّات في كلّ يوم وطيلة ثلاثة وعشرين عاماً.

وكان من المفروض أن يعرفه الخاصّ والعام من أصحاب النبيّ ﷺ ، وإذا بالعلماء عند « أهل السنّة » يختلفون في القراءات ، فينصبون ويجرون ، ويرتبون على ذلك أحكاماً متضاربة!

وللعلماء في تفسير كتاب الله ، وترتيب الأحكام على حسب القراءات المتعدّدة ، اختلافات كثيرة لا تخفى على الباحثين.

وإذا كان اختلافهم في كتاب الله ظاهراً ، فهو في السنّة النبويّة أظهر وأكثر.

فما هو الحلّ إذن؟

إذا قلت بوجوب الرجوع إلى من يعتمد عليه في شرح وبيان الأحكام الصحيحة من القرآن والسنّة ، فسوف نطالبك بالشخص العاقل المتكلم ؛ لأنّ القرآن والسنّة لا يعصمان من الضلالة ، فهما صامتان لا يتكلّمان [1] ، [2]

---

١ ـ وهذا هو السرّ في وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالثقلين من بعده وعدم افتراقهما إلى يوم القيامة وأنّ المتمسّك بهما لا يضل ، فالقرآن والسنّة الصحيحة في كفّة وهما يعتبران المادة الأُولى للشريعة ، والعترة عليهم السلام في كفّة أُخرى حيث تكون وهي الشارحة والمبيّنة والناطقة باسم القرآن والسنّة ، ولذا قال عليّ عليه السلام قبل قضية التحكيم يوم صفين : « أنا القرآن الناطق » (ينابيع المودة ١ : ٢١٤ ح٢٠).

٢ ـ يدلّ على كلام المؤلّف حديث الثقلين المتواتر كما تقدم والذي ورد فيه عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال : « إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً ؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي ... » حيث بيّن أنّ الإنسان يعصم من الضلال إذا تمسّك بالقرآن الكريم وأهل البيت المطهّرين ، ومن أخلّ بأحدهم فقد وقع في الضلال. والقرآن الكريم الوارد في الحديث المراد به كتاب الله والسنّة النبويّة المطهّرة التي هي شارحة ومفّسرة له كما قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « إني أُتيت القرآن ومثله معه ».

وحديث الثقلين الذي جعل ميزاناً للضلالة والهدى أُمرنا فيه بالتمسّك بشيء صامت وهو كتاب الله ، وبشيء ناطق وهم أهل البيت المطهّرين. إذ إنّ الناطق وهم أهل البيت المطهّرين هم الذي يرجع إليهم عند الاختلاف في حكم الله وشرعه ؛ لأنّهم الجزء الثاني من ميزان الهداية المبيّن في حديث الثقلين. وهذا ما قصده المؤلّف بكلامه.

وبذلك يتضح أنّ ما ذكره عثمان الخميس في كشف الجاني : ١٨١ ما هو إلاّ تخبّط وعدم فهم لما قصده المؤلّف ، وعدم تمييز بين الهداية التي يبحث فيها المؤلّف ، وبين الهداية التي ذكرتها الآيات القرآنية الكريمة. وتوضيحها يحتاج إلى تفصيل لا تسعه هذه الصفحات ، وما ذكرناه فيه توضيح إجمالي لما قد يتوهّم.

ويحملان عدّة وجوه كما قدّمنا في آية الوضوء ، ولقد اتفقنا عزيزي القارئ على وجوب تقليد العلماء العارفين بحقائق القرآن والسنّة ، وبقي الخلاف بيننا فقط في معرفة هؤلاء العلماء العارفين بحقائق القرآن والسنّة.

فإذا قلت بأنّهم علماء الأُمّة وعلى رأسهم الصحابة الكرام ، فقد عرفنا اختلافهم في آية الوضوء وفي غيرها من المسائل ، كما عرفنا بأنّهم تقاتلوا وكفّر بعضهم بعضاً ، فلا يمكن الاعتماد عليهم جميعاً ، وإنّما يعتمد على المحقّين منهم دون المبطلين ويبقى المشكل قائماً.

وإذا قلت بالرجوع إلى أئمة المذاهب الأربعة ، فقد عرفت بأنّهم اختلفوا أيضاً في أكثر المسائل ، حتى قال بعضهم بكراهة البسملة في الصلاة ، وقال بعضهم ببطلان الصلاة بدونها ، وقد عرفت أحوال هذه المذاهب وأنّها من صنائع الحكّام الظالمين ، وعرفت أيضاً بأنّهم بعيدون عن عهد الرسالة ، ولم يعرفوا الصحابة فضلا عن النبيّ نفسه.

فلم يبق أمامنا إلاّ حلّ واحد لا ثاني له ، ألا وهو الرجوع الى أئمة العترة من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً ، العالمين العاملين الذين لم يلحقهم أحد في علمهم وورعهم ، وحفظهم وتقواهم ، فهم المعصومون عن الكذب والخطأ بنصّ القرآن الكريم [1] ، وعلى لسان النبيّ العظيم [2].

---

١ ـ قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾.

٢ ـ قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : كتاب الله وعترتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً ،

فقد أورثهم الله علم الكتاب بعد أن اصطفاهم ، وعلّمهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلّ ما يحتاجه الناس ، ودلّ الأُمّة عليهم بقوله : « مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق » [1] وقد قال ابن حجر وهو من علماء « أهل السنّة والجماعة » في شرح هذا الحديث بعد أن صحّحه :

« ووجه تشبيههم بالسفينة أنّ من أحبّهم وعظّمهم شكراً لنعمة مشرفهم ، وأخذ بهدي علمائهم نجا من ظلمة المخالفات ، ومن تخلّف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم ، وهلك في مفاوز الطغيان » [2].

أضف إلى ذلك أنّك لا تجد عالماً في الأُمّة الإسلامية قديماً وحديثاً من عهد الصحابة إلى اليوم ، من ادّعى لنفسه أنّه أعلم أو أفضل من أئمة العترة النبويّة الطاهرة ، كما أنّك لا تجد في الأُمّة قاطبة أحداً ادّعى بأنّه علّم واحداً من أئمة أهل البيت أو أرشدهم لأمر ما.

وإذا أردت أيّها القارئ مزيداً من البيان والتفصيل فعليك بقراءة « المراجعات » و « الغدير ».

وما قدّمته أنا إليك فيه الكفاية إن كنت من المنصفين ، فحديث « تركت

فكما أنّ كتاب الله معصوم عن الخطأ فكذلك العترة الطاهرة ، فغير المعصوم لا يضمن الهداية والذي يجوز عليه الخطأ هو في حاجة إلى الهداية.

١ ـ المستدرك للحاكم ٢ : ٣٤٣ وصحّحه على شرط مسلم ، المعجم الصغير ٢ : ٢٢ والأوسط ٥ : ٣٥٥ ، والكبير ٣ : ٤٥ ح٢٦٣٨ ، الجامع الصغير للسيوطي ٢ : ٥٣٣ ح٨١٦٢ ، الدر المنثور ٣ : ٣٣٤ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٩٠ ح٦٥٠٧ ، الصواعق ٢ : ٤٤٥ وقال : وجاء من طرق عديدة يقوي بعضها بعضاً.

٢ ـ الصواعق المحرقة ٢ : ٤٤٦ ، الآية السابعة من الآيات النازلة فيهم.

فيكم كتاب الله وعترتي » هو الحقّ الذي يسلم به العقل والوجدان ، وتثبته السنّة والقرآن.
وبكلّ هذا يتبيّن لنا مرّة أُخرى بالأدلّة الواضحة التي لا تدفع بأنّ الشيعة الإماميّة هم أهل السنّة النبويّة الحقيقة ، وأنّ « أهل السنّة والجماعة » قد أطاعوا ساداتهم وكبراءهم ، فأضلوهم السبيل وتركوهم في ظلمات يعمهون ، وأغرقوهم في بحر كفر النعم ، وأهلكوهم في مفاوز الطغيان ، على حدّ تعبير ابن حجر الشافعي.

« والحمدُ لله ربّ العالمين على هدايته لعباده المخلصين ».

مصادر التشريع عند الشيعة

المتتبّع لفقه الشيعة الإمامية يجدهم ينقطعون في كلّ الأحكام الفقهية ـ إلاّ المستحدثة [1] ـ إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام .

وهؤلاء عندهم مصادر التشريع اثنان لا ثالث لهما :

الكتاب والسنّة ، أعني المصدر الأوّل هو القرآن الكريم ، والمصدر الثاني هو السنّة النبويّة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام.

وهذه هي أقوال الشيعة قديماً وحديثاً ، بل هي أقوال الأئمة من أهل البيت الذين لم يدّع واحد منهم أنّه اجتهد برأيه أو حكم حكماً من عنده.

فهذا الإمام الأوّل علي بن أبي طالب عندما اختاروه للخلافة ، واشترطوا عليه أن يحكم فيهم بسنّة الشيخين أبي بكر وعمر ، قال : لا أحكم إلاّ بكتاب الله وسنّة رسوله [2].

---

١ ـ ونقصد بها اجتهاد العلماء في ما لا نصّ فيه والذي حدث بعد غيبة الإمام الثاني عشر (المؤلّف).

٢ ـ وفي بعض الروايات قال : « وما عداهما فأجتهد رأيي » وهي زيادة مكذوبة من أصحاب الاجتهاد وأنصاره ؛ لأنّ الإمام عليّاً لم يدّع يوماً بأنّه اجتهد برأيه ، بل كان دائماً يستنبط الأحكام من كتاب الله وسنّة رسوله ، أو كان يقول : عندنا الجامعة وفيها كلّ ما يحتاجه الناس حتى أرش الخدش ، وهذه الصحيفة هي من

وسنوضح في أبحاث لاحقة بأنّه عليه السلام كان دائماً يتقيّد بسنّة النبيّ ولا يحيد عنها أبداً ، ويحاول بكلّ جهوده إرجاع الناس إليها ، حتى سبب له ذلك غضب الخلفاء ، ونفور الناس منه لشدّته في ذات الله ، وتشبّثه بسنّة النبيّ (صلى الله عليه وآله).

كما أنّ الإمام الباقر عليه السلام كان يقول دائماً :

« لو حدّثناكم برأينا ضللنا كما ضلّ من كان قبلنا ، ولكنّا نحدّثكم ببيّنة من ربّنا بيّنها لنبيّه فبيّنها نبيّه لنا » [1].

وقال مرّة أُخرى : « يا جابر ، إنّا لو كنا نحدّثكم برأينا وهوانا لكنا من الهالكين ، ولكنّا نحدّثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضّتهم » [2].

وهذا الإمام جعفر الصادق عليه السلام يقول :

« والله ما نقول بأهوائنا ولا نقول برأينا ، ولا نقول إلاّ ما قال ربنا » [3] « فمهما أجبتك فيه بشيء فهو عن رسول الله ، لسنا نقول برأينا من شيء » [4].

وأهل العلم والمحقّقون يعرفون ذلك من أئمة أهل البيت ، فلم يسجّلوا عن أحدهم القول بالرأي ، ولا بالقياس ، ولا بالاستحسان ، أو بشيء غير القرآن والسنّة.

إملاء رسول الله وخطّ علي ، وقد مرّ الكلام عن الصحيفة الجامعة في فصل « أهل السنّة ومحق السنّة » من هذا الكتاب (المؤلّف).

١ ـ بصائر الدرجات : ٣١٩ ح٢.

٢ ـ المصدر نفسه : ٣١٩ ح١.

٣ ـ المصدر نفسه : ٣٢٠ ح٧.

٤ ـ المصدر نفسه : ٣٢١ ح٨.

وحتى إذا رجعنا للمرجع الكبير المعاصر الشهيد آية الله محمّد باقر الصدر ـ رضوان الله عليه ـ نجده في رسالته العملية لفقه العبادات والمعاملات في الفتاوى الواضحة يقول حرفياً :

« ونرى من الضروري أن نشير أخيراً بصورة موجزة إلى المصادر التي اعتمدناها بصورة رئيسية في استنباط هذه الفتاوى الواضحة ، وهي كما ذكرنا في مستهل الحديث عبارة عن الكتاب الكريم ، والسنّة الشريفة المنقولة عن طريق الثقات المتورّعين في النقل مهما كان مذهبهم [1]. أمّا القياس والاستحسان ونحوهما فلا نرى مسوغاً شرعياً للاعتماد عليها.

وأمّا ما يسمى بالدليل العقلي الذي اختلف المجتهدون والمحدّثون في أنّه هل يسوغ العمل به أولا ، فنحن وإن كنّا نؤمن بأنّه يسوغ العمل به ، ولكنّا لم نجد حكماً واحداً يتوقّف إثباته على الدليل العقلي بهذا المعنى ، بل كلّ ما يثبت بالدليل العقلي فهو ثابت في نفس الوقت بكتاب أو سنّة.

وأمّا ما يسمّى بالإجماع فهو ليس مصدراً إلى جانب الكتاب والسنّة ، وإنّما لا يعتمد عليه إلاّ من أجل كونه وسيلة إثبات في بعض الحالات.

وهكذا كان المصدران الوحيدان هما الكتاب والسنّة ، ونبتهل إلى الله أن يجعلنا من المتمسّكين بهما : « ومن استمسك بهما فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » [2].

---

١ ـ انظر إلى علماء الشيعة كيف يأخذون عن الثقات المتورّعين مهما كان مذهبهم ، وهو ردّ على القائلين بأنّ الشيعة لا يثقون بالصحابة ، وإنّما يرفض الشيعة حديث الصحابي إذا تعارض مع ما يرويه أئمة أهل البيت عليهم السلام (المؤلّف).

٢ ـ الفتاوى الواضحة للشهيد محمد باقر الصدر : ١٥.

نعم ، ونجد هذه الظاهرة هي السائدة عند الشيعة قديماً وحديثاً ، ولا يعتمد عندهم إلاّ على الكتاب والسنّة ، ولا نجد لأحدهم فتوى واحدة ناتجة عن القياس أو الاستحسان ، وقصة الإمام الصادق مع أبي حنيفة معروفة ، وكيف أنّه نهاه عن القياس ، وقال له فيما قال : « لا تقس في دين الله فإنّ الشريعة إذا قيست محقت ، وإنّ أوّل من قاس إبليس عندما قال : أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » [1].

هذه هي مصادر التشريع عند الشيعة من عهد علي بن أبي طالب وإلى يومنا هذا ، فما هي مصادر التشريع عند (أهل السنّة والجماعة)؟

---

١ . الكافي ١ : ٥٨ ، الأمالي للطوسي : ٦٤٥ ح٨١٣٣ ، باختلاف في الألفاظ.

مصادر التشريع عند « أهل السنّة والجماعة »

وإذا تتبّعنا مصادر التشريع عند « أهل السنّة والجماعة » ، وجدناها كثيرة تتعدّى حدود الكتاب والسنّة التي رسمها الله ورسوله ، فالمصادر عندهم بالإضافة إلى الكتاب والسنّة هي : سنّة الخلفاء الراشدين ، وسنّة الصحابة ، وسنّة التابعين وهم علماء الأثر ، وسنّة الحكّام ويسمّونها صوافي الأمراء ، ثمّ القياس ، والاستحسان ، والإجماع ، وسدّ باب الذرائع.

وهي كما ترى عشرة مصادر عندهم كلّها تتحكّم في دين الله ، وحتى لا نتكلّم بدون دليل ونُلقي الكلام على عواهنه ، أو يتهمنا البعض بالمبالغة لابدّ من إعطاء بعض الأدلّة من أقوالهم وكُتبهم كي يتبيّن للقارئ الكريم ذلك واضحاً.

ونحن لا نُناقش (أهل السنّة والجماعة) في المصدرين الأولين المتمثّلين في الكتاب والسنّة ، فهو أمر لا خلاف فيه ، بل هو الواجب الذي جاء به النقلُ والعقلُ والإجماع ، وهو من باب قوله تعالى : ﴿ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [1] وقوله : ﴿ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ ﴾ [2] وقوله : ﴿ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ [3] وغيرها من الآيات البينات الدالّة على وجوب تشريع

---

١ ـ الحشر : ٧.

٢ ـ المائدة : ٩٢.

٣ ـ الأحزاب : ٣٦.

الأحكام من كتاب الله وسنّة رسوله فقط ، ولكن نقاشنا معهم في المصادر الأُخرى التي أضافوها من عندهم.

أوّلا : سنّة الخلفاء الراشدين :

فقد احتجّوا بحديث « عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء المهديّين الراشدين تمسّكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ » [1].

وقد بيّنا في كتاب « مع الصادقين » بأنّ المقصود من الخلفاء الراشدين في هذا الحديث هم أئمة أهل البيت ، وأضيف هنا بعض الأدّلة الأُخرى لمن فاته ذلك البحث.

أخرج البخاري ومسلم وكل المحدّثين بأنّ رسول الله حصر خلفاءه في اثني عشر ، فقال : « الخلفاء من بعدي اثنا عشر كلّهم من قريش » [2] فدلّ هذا الحديث الصحيح على أنّ المقصود هم أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، وليسوا الخلفاء « الحكّام » الذين اغتصبوا الخلافة.

ولقائل أن يقول : سواء أكان المقصود بالخلفاء أئمة أهل البيت الاثني عشر كما يقول الشيعة ، أم الخلفاء الراشدين الأربعة كما يقول « أهل السنّة » ، فإنّ مصادر التشريع ثلاثة : القرآن ، والسنّة ، وسنّة الخلفاء؟

وهذا صحيح على رأي « أهل السنّة » ، ولكنّه لا يصحّ على رأي الشيعة ؛ لأنّ أئمة أهل البيت كما قدّمنا لم يكونوا يشرّعون باجتهادهم وآرائهم ، بل

---

١ ـ مسند أحمد ٤ : ١٢٦ ، سنن الدارمي ١ : ٤٥ ، سنن ابن ماجة ١ : ١٦ ح٤٢ ، سنن أبي داد ٢ : ٣٩٣ ح٤٦٠٧.

٢ ـ مضى تخريجه في صفحات سابقة. راجع موضوع « التعريف بأئمّة الشيعة ».

كلّ ما قالوه هو سنّة جدّهم رسول الله ، تعلّموها منه واحتفظوا بها كي يظهروها للنّاس إذا اقتضت الحاجة ذلك.

أمّا « أهل السنّة والجماعة » فقد حفلت كتبهم بالاستدلال بسنّة أبي بكر وسنّة عمر كمصدر للتشريع الإسلامي ولو خالفت الكتاب والسنّة.

وممّا يزيدنا يقيناً بأنّ أبا بكر وعمر غير مقصودين بحديث النبيّ ؛ أنّ عليّاً رفض أن يحكم بسنّتهم عندما اشترط عليه الصحابة ذلك.

فلو كان الرسول يقصد بالخلفاء الراشدين أبا بكر وعمر لما جاز لعلي أن يردّ على رسول الله ويرفض سنّتهم ، فدلّ الحديث على أنّ الخلفاء الراشدين ليس منهم أبو بكر ولا عمر.

على أنّ « أهل السنّة والجماعة » يقصدون بالخلفاء الراشدين أبا بكر وعمر وعثمان دون سواهم ؛ لأنّ علياً لم يكن معدوداً عندهم من الخلفاء ، وإنّما أُلحقَ في زمن متأخّر كما قدّمنا [1] ، ولأنّه كان يُلعنُ على المنابر فكيف يتّبعون سنّته؟!

وإذا قرأنا ما رواه جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء تحقّق لدينا صحّة ما ذهبنا إليه.

قال السيوطي نقلا عن حاجب بن خليفة : شهدتُ عمر بن عبد العزيز يخطب وهو خليفة ، فقال في خطبته :

« ألا إنّ ما سنّ رسول الله ﷺ وصاحباهُ فهو دينٌ نأخذ به وننتهي إليه ،

---

١ ـ قد مضى تخريجه في صفحات سابقة. راجع موضوع « أهل السنّة لايعرفون السنّة النبوية ».

وما سنّ سواهما فإنّا نرجئه » [1].

والحقيقة أنّ جلّ الصحابة والحكّام الأمويّين والعبّاسيين كانوا يرون أنّ ما سنّ أبو بكر وعمر وعثمان هو دينٌ يأخذون به وينتهون إليه.

وإذا عمل هؤلاء الخلفاء الثلاثة على منع سنّة الرسول ﷺ كما عرفنا ذلك فيما سبق ، فلا يبقى بعد ذلك من السنّة إلاّ ما سنّوه ، ومن الأحكام إلاّ ما أحكموه.

ثانياً : سنّة الصحابة عموماً :

إنّنا نجد أدلّة كثيرة وشواهد عديدة على اقتداء « أهل السنّة والجماعة » بسنّة الصحابة عموماً بدون اشناء.

فهم يحتجّون بحديث مكذوب وافينا البحث فيه في كتاب « مع الصادقين » ، والحديث يقول : « أصحابي كالنّجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم » ، وقد احتجّ ابن القيم الجوزية بهذا الحديث على حجيّة رأي الصحابي [2].

وقد اعترف بهذه الحقيقة أيضاً الشيخ أبو زهرة إذ قال : « لقد وجدناهم (يعني فقهاء أهل السنّة) جميعاً يأخذون بفتوى الصحابي » ثمّ يُضيف في مقطع آخر قوله :

---

١ . تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٢٤١ . ط / القاهرة.

٢ . احتج ابن القيم في أعلام الموقعين ٤ : ١٣٧ بنحو هذا الحديث وهو قوله ﷺ : « النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد ... وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أُمتي ما يوعدون ».

وأما الاحتجاج بحديث « أصحابي كالنجوم » فقد أورده في كتابه أيضاً ٢ : ١٨٣ عن لسان المقلّد في مناظرة جرت بين مقلّد وصاحب حجة.

« والاحتجاج بأقوال الصحابة وفتاويهم هو مسلك جماهير الفقهاء ، وخالفهم الشيعة [1] ولكنّ ابن القيم الجوزية أيّد الجمهور بنحو ستّة وأربعين وجهاً وكلّها حُجج قويّة ... ».

ونحن نقول للشيخ أبي زهرة : كيف تكون الحجّة التي تخالف كتاب الله وسنّة رسوله قويّة؟!

فكلّ الحجج التي جاء بها ابن القيم واهية كبيت العنكبوت ، وأنتَ بنفسك قد نسفتها عندما قلتَ :

« ولكنّنا وجدنا الشوكاني يقول : والحقّ أنّ قول الصحابي ليس بحجّة ، فإنّ الله سبحانه وتعالى لم يبعث إلى هذه الأُمّة إلاّ نبيّنا محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم ، وليس لنا إلاّ رسول واحد ، والصحابة ومن بعدَهم مكلّفون على السواء باتّباع شرعه في الكتاب والسنّة ، فمن قال بأنّه تقوم الحجّة في دين الله بغيرهما ، فقد قال في دين الله بما لا يُثبتُ ، وأثبتَ شرعاً لم يأمر الله به » [2].

فتحيّةً إلى الشوكاني الذي قال حقّاً ونطق صدقاً ، ولم يتأثّر بالمذهب ، فكان قوله موافقاً لأئمة الهدى من العترة الطّاهرة ورضي الله عنه وأرضاه إن كانت أعماله مطابقة لأقواله.

ثالثاً : سنّة التابعين (علماء الأثر) :

كذلك نجد « أهل السنّة والجماعة » يأخذون بآراء التابعين ويسمّونهم

---

١ . وهذه شهادة أُخرى من الشيخ أبي زهرة تؤيّد ما قلناه بأنّ الشيعة لا يقبلون في شرع الله إلاّ الكتاب الكريم والسنّة النبوية (المؤلّف).

٢ . أُصول الفقه لأبي زهرة : ٢٠٣ في فتوى الصحابي ، نقلا عن ارشاد الفحول في تحقيق الحقّ في علم الأُصول : ٢١٤.

« علماء الأثر » كالأوزاعي ، وسفيان الثوري ، وحسن البَصري ، وابن عيينة وغيرهم كثير ، كما أنّهم متّفقون على الأخذ باجتهادات أئمّة المذاهب الأربعة وتقليدهم ، رغم أنّهم من تابعي التابعين.

وإذا كان الصحابة أنفسهم يعترفون بخطئهم في عديد من المرّات ، وأنّهم يقولون ما لا يعلمون.

فهذا أبو بكر يقول عندما يُسأل عن مسألة : « سأقول فيها برأيي ، فإن أصبتُ فمن الله ، وإن أخطأتُ فمنّي أو من الشيطان » [1]! وهذا عمر يقول لأصحابه : « لعلّي آمركم بالأشياء التي لا تصلح لكم ، وأنهاكم عن أشياء تصلح لكم » [2].

وإذا كان هذا هو مبلغهم من العلم ، وأنّهم يتّبعون الظنّ الذي لا يغني من الحقّ شيئاً ، فكيف يحقّ لمسلم عرف الإسلام أن يجعل أفعال هؤلاء وأقوالهم سنة متّبعة ، ومصدراً من مصادر التشريع؟ وهل يبقى بعد هذا الحديث « أصحابي كالنجوم » من أثر؟

وإذا كان هؤلاء هم الصحابة الذين حضروا مجالس النبيّ وتعلّموا منه يقولون مثل هذه الأقوال ، فكيف تكون حال من جاء بعدهم ، وأخذ عنهم وشارك في الفتنة؟

---

١ . سنن الدارمي ٢ : ٣٦٦ ، السنن الكبرى للبيهقي ٦ : ٢٢٣.

٢ . تاريخ بغداد ١٤ : ٨١ ، والمصنّف لابن أبي شيبة ٥ : ٢٣٥ ح١٤.

ونحن نقول لهؤلاء : إن كان هذا هو مبلغكم من العلم ، فلماذا تقدّمتم على من عنده علم الأولين والآخرين وحرمتم الأُمّة من هديه ونوره وتركتموها تتخبّط في الفتنة والجهالة والضلالة؟! (المؤلّف).

وإذا كان أئمّة المذاهب الأربعة يقولون في دين الله بآرائهم مصرّحين ومعترفين بإمكانية الخطأ ، فيقول الواحد منهم : هذا ما أعتقد أنّه صحيح ، وقد يكون رأي غيري هو الصحيح ، فلماذا ألزم المسلمون أنفسهم بتقليدهم؟!

رابعاً : سنّة الحكّام :

ويسمّى عند أهل السنّة والجماعة : (صَوافي الأُمراء) ، وقد استدلّوا عليه بقوله تعالى : ﴿ **أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾ [1] [2].

فأُولي الأمر عندهم الحكّام وإن كانوا متسلّطين بالقوّة والقهر ، وهم يعتقدون بأنّ الحكّام أمَّرهم الله على رقاب العباد ، فيجب لذلك طاعتهم والأخذ بسُنّتهم.

وردّ ابن حزم الظاهري على « أهل السنّة والجماعه » ردّاً عنيفاً بقوله : « بناءً على ما تقولون فللأمراء أن يُبطلوا ما شاؤوا من الشرائع التي أمر الله ورسوله بها ، كما لهم أن يزيدوا فيها ، ولا فرق بين الزيادة والنقص في ذلك ، وهذا كُفرٌ ممّن أجازهُ بلا خلاف » [3].

وردّ الذهبي على ابن حزم بقوله : « هذا تقرير فاسد ، وخطأ فاحش ، فإنّ

---

١ . النساء : ٥٩.

٢ . لقد أوضحنا بالأدلة في كتاب « مع الصادقين » بأنّ أولي الأمر هم أئمة الهدى من العترة الطّاهرة وليس المقصود بهم الحكّام الغاصبين ، ومن المستحيل أن يأمر الله سبحانه بطاعة الظّالمين والفاسقين والكافرين (المؤلّف).

٣ . ابن حزم في ملخص إبطال القياس : ٣٧.

الأُمّة أجمعتْ . إلاّ داود بن علي ومن مشى خلفه . على أنّ أُولي الأمر لهم الحكم بالرأي والاجتهاد إذا لم يكن في النازلة نصٌّ ، ويقولون : لا يحلّ لهم الحكم بالرأي والاجتهاد مع علمهم بالنصّ في النازلة ، فظهر بهذا أنّ لهم أن يزيدوا في الشرع زيادة ساغتْ في الشرع ، وليس لهم أن يُبطلوا ما شاؤوا من الشرع ».

ونحن نقول للذّهبي : كيف تدّعي إجماع الأُمّة وأنتَ نفسك استثنيتَ داود ابن علي ومن مشى خلفه!؟ ولماذا لم تُسمّ من مشى خلفه؟! ثمّ لماذا لم تستثن الشيعة وأئمّة أهل البيت ، ألأنّهم عندك ليسوا من الأُمّة الإسلاميّة؟! أم أنَّ تزلّفك للحكّام هو الذي جعلك تُبيحُ لهم أن يزيدوا في الشرع ، لكي يزيدوا في عطائك وشهرتك؟

وهل كان الحكّام الذين حكموا المسلمين باسم الإسلام يعرفون النصوص القرآنية والنصوص النبويّة حتى يقفوا عند حدودها؟

وإذا كان الخليفتان أبو بكر وعمر تعمّدا مخالفة النصوص القرآنية والنبويّة ، كما قدّمنا في أبحاث سابقة ، فكيفَ يلتزمُ من جاء بعدهما بتلك النصوص التي بُدّلت وغُيّرتْ وأُعفيت آثارها؟

وإذا كان فقهاء « أهل السنّة والجماعة » يفتونَ للأُمراء بأن يقولوا في دين الله ما يشاؤون ، فليس غريباً على الذهبي أنْ يُقلّدهم.

فقد جاء في طبقات الفقهاء عن سعيد بن جُبير قال : سألتُ عبد الله بن عمر عن الإيلاء؟ فقال : أتريد أن تقول : قال ابن عمر قال ابن عمر؟!

قال : قلتُ : نعم ، ونرضى بقولك ونقنَعُ. فقال ابن عمر : يقول في ذلك

الأُمراء ، بل يقول في ذلك الله ورسوله ومن يقول عنهُما [1].

وعن سعيد بن جُبير قال : كان رجاء بن حيوة يُعدُّ في أفقه فقهاء الشام ، ولكن كنتُ إذا حرّكته وجدته شاميّاً يقول : قضى عبد الملك بن مروان فيها بكذا وكذا [2].

كما روي عن المسيّب بن رافع قال : كان إذا جاء الشيء من القضاء وليس في الكتاب ولا في السنّة سُمّيَ « صوافي الأمراء » فدفع إليهم فجمع له أهل العلم ، فما اجتمع عليه رأيهم فهو الحقّ [3].

ونحن نقول كما قال الله تعالى : ﴿ ... بَلْ جَاءهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ * وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ ﴾ [4].

خامساً : بقيّة مصادر التشريع عند « أهل السنّة »

ونذكر منها القياس ، والاستحسانُ ، والاستصحابُ ، وسدّ باب الذّرائع ، والإجماع ، فمشهورة جدّاً ومعروفة عندهم.

وقد اشتهر الإمام أبو حنيفة بالعمل بالقياس وردّ الأحاديث ، كما اشتهر الإمام مالك بالرّجوع لعمل أهل المدينة وسدّ باب الذّرائع ، واشتهر الإمام الشافعي بالرجوع إلى فتاوى الصحابة ، وقد رتّبهم على أقسام ودرجات فقال بأولويّة العشرة المبشّرين بالجنّة ، ثمّ المهاجرين الأوّلين ، ثمّ الأنصار ،

---

١ ـ طبقات ابن سعد ٦ : ٢٥٨.

٢ ـ تهذيب الكمال للمزي ٩ : ١٥٤ ، عن مطر الوراق.

٣ ـ أعلام الموقّعين ١ : ٨٤.

٤ ـ المؤمنون : ٧٠ ـ ٧١.

ثمّ مسلمة الفتح ، ويقصد بهم الطّلقاء والذين أسلموا بعد فتح مكّة [1].

كما اشتهر الإمام أحمد بن حنبل بعدم الاجتهاد والابتعاد عن الفتوى ، وأخذه برأي أيّ صحابيّ كان.

فقد نقل عنه الخطيب البغدادي أنّ رجلا سأله عن مسألة في الحلال والحرام ، فقال له أحمد : سَل عافاك الله غيرنا ، قال : إنّما نريد جوابك يا أبا عبد الله ، قال : سَل عافاك الله غيرنا ، سَل الفقهاء سَل أبا ثور [2].

كما نقل عن المروزي قوله : أمّا الحديث فقد استرحنا منه ، وأمّا المسائل فقد عزمتُ إن سألني أحدٌ عن شيء فلا أجيبُه [3].

ولا شكّ بأنّ أحمد بن حنبل هو الذي أوحى بفكرة عدالة الصحابة كلّهم بدون استثناء ، فأثّر مذهبه في « أهل السنّة والجماعة ».

فقد ذكر الخطيب في تاريخ بغداد في جزئه الثاني بالإسناد عن محمّد ابن عبد الرحمان الصيرفي قال : قلت لأحمد بن حنبل : إذا اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مسألة ، هل يجوز لنا أن ننظر في أقوالهم ، لنعلم مع مَنْ الصواب منهم فنتبعه؟

فقال لي : لا يجوز النظر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فقلتُ : كيف الوجهُ في ذلك؟

قال : تُقلّد أيهم أحبَبْتَ.

---

١ . مناقب الشافعي ١ : ٤٤٣.

٢ . تاريخ بغداد ٢ : ٦٦.

٣ . مناقب الإمام أحمد بن حنبل : ٥٧.

ونحن نقول : وهل يجوز تقليد مَنْ لا يعرف الحقَّ من الباطل؟ وغريب أن يفتي أحمد ـ وهو الذي يتهرّب من الفتوى ـ بتقليد أيّ صحابي أحبّ ، وبدون النظر في أقوالهم لمعرفة الصواب!

وبعد هذا العرض الوجيز لمصادر التشريع الإسلامي عند الشيعة وعند أهل السنّة والجماعة ، يتبيّن لنا بوضوح لا لُبس فيه بأنّ الشيعة هم الذين يتقيّدون بسنّة النبيّ ﷺ ولا يبغون عنها حولا ، حتّى كانت سنّة النبيّ هي شعارهم كما شهد بذلك أعداؤهم.

أمّا « أهل السنّة والجماعة » فهم يتّبعون سنّة أيّ صحابي وأيّ تابعي وأيّ حاكم.

وهذه كتُبُهم وأقوالهم تشهد عليهم وكفى بها شهيداً ، وسوف نبحث في فصل قادم إن شاء الله تعالى أفعالهم ، لنعرف بأنّها ليستْ من سنّة النبيّ في شيء.

وأترك للقارئ نفسه أن يستنتجَ مَن هم أهل السُنّة ، ومَن هم أهل البدعة؟

تعليق لابدَّ منه لإكمال البحث

وتجدر الإشارة إلى أنّ الشيعة تقيّدوا بمصادر التشريع من الكتاب والسنّة ولم يزيدوا عليها شيئاً ، وذلك لوجود النصوص الكافية عند أئمّتهم لكلّ مسألة من المسائل التي يحتاجها الناس.

وقد يستغرب ذلك بعض الناس ، ويستبعدون أنْ يكون لأئمّة أهل البيت نصوصٌ كافية لكلّ ما يحتاجه الناس لمواكبة كلّ العصور حتى تقوم الساعة.

ولتقريب هذا الواقع لذهن القارئ لابدّ من الإشارة إلى الأُمور التالية :

إذا اعتقد المسلمُ بأنّ الله سبحانه بعث محمّداً بشريعة مُكمّلة لكلّ الشرائع السابقة ، ومهيمنة عليها لتكمل مسيرة الإنسانية فوق هذه الأرض لتعود بعدها إلى الحياة الأبديّة ، ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ** ﴾ [1].

وإذا اعتقد المسلمُ بأنّ الله سبحانه أراد من الإنسان أن يكون خاضعاً لأحكامه في كلّ أقواله وأفعاله ، ويسلّم إليه مقاليد أُموره ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ** ﴾ [2] ، ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ** ﴾ [3].

وإذا كان الأمرُ كذلك ، فلابدّ أن تكون أحكام الله كاملة وشاملة لتغطية

---

١ . التوبة : ٣٣.

٢ . آل عمران : ١٩.

٣ . آل عمران : ٨٥.

كلّ ما يحتاجه الإنسان في مسيرته الشاقّة ؛ للتغلّب على كلّ العقبات ، والصمود أمام التحدّيات ، والوصول إلى الهدف المنشود.

ولكلّ ذلك عبّر سبحانه وتعالى عن هذه الحقيقة بقوله :

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيء ﴾ [1].

وعلى هذا الأساس فليس هناك من شيء إلاّ وهو مذكور في كتاب الله تعالى ، ولكنّ الإنسان بعقله المحدود لا يدرك كلّ الأشياء التي ذكرها الله سبحانه وتعالى لحكمة بالغة لا تخفى على أهل المعرفة ، وذلك كقوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِن مِنْ شَيء إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [2].

و « إن من شيء » بدون استثناء تدلّ على الإنسان ، والحيوان ، والجماد يسبّحُ ، وقد يقبلُ الإنسان تسبيح الحيوان والكائنات الحيّة من النباتات ، ولكن عقله لا يفقهُ تسبيح الحجارة مثلا ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ ﴾ [3].

وإذا سلّمنا بذلك وآمنّا به ، فلابدّ من التسليم والإيمان بأنّ كتاب الله فيه كلّ الأحكام التي يحتاجها الناس إلى يوم القيامة ، ولكنّنا لا ندركها إلاّ إذا رجعنا لِمَنْ أُنزل عليه وفهم كلّ معانيه ، وهو رسول الله ﷺ قال تعالى :

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيء ﴾ [4].

---

١ . الأنعام : ٣٨.

٢ . الإسراء : ٤٤.

٣ . ص : ١٨.

٤ . النحل : ٨٩.

وإذا سلّمنا بأنّ الله سبحانه بيّنَ كلّ شيء إلى رسوله ليُبيّنَ للنّاس ما نُزّل إليهم ، فلابدّ أن نُسلّم بأنّ رسول الله ﷺ قد بيّنَ كلَّ شيء ، ولم يترك شيئاً يحتاجه الناس إلى يوم القيامة إلاّ وأعطى فيه حُكماً.

وإذا لم يصلنا ذلك البيانُ أو لم نعرفه نحنُ اليوم ، فذلك ناتجٌ عن قصورنا وتقصيرنا وجهلنا ، أو هو ناتجٌ عن خيانة الواسطة التي بيننا وبينه ، أو هو ناتجٌ عن جهل الصحابة وعدم وعيهم لما بيّنه ﷺ.

ولكنّ الله سبحانه وتعالى جلّتْ حكمته يعلم أنّ كلّ هذه الاحتمالات ممكنة أو واقعة فلا يترك شريعته تضيع ، فاصطفى من عباده أئمّةً أورثهم علم الكتاب وتبيانه ، لكي لا يكون للنّاس على الله حجّة ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [1].

ورسول الله ﷺ بيّن للنّاس ما يحتاجون إليه ، واختصّ وصيّه علياً بكلّ ما يحتاجه الناس بعده إلى قيام الساعة ، وذلك للمزايا التي كان يتمتّع بها علي من بين الأصحاب جميعاً ، من ذكاء مفرط ، وفهم حادٍّ ، وحفظ قوي ، ووعي لكلّ ما يسمع ، فعلّمه النبيّ كلّ ما يعلم ، وأرشد الأُمّة إليه على أنّه بابه الذي منه يُؤتَى.

وإذا قال قائلٌ بأنّ رسول الله بعثه الله للنّاس كافّة ، فليس من حقّه أن يختصّ بالعلم أحدهم ويحرم الآخرين!

قُلنا : ليس لرسول الله في ذلك الأمر شيء ، إنّما هو عبدٌ مأمورٌ ينفّذُ ما يوحى إليه من ربّه ، فالله هو الذي أمره بذلك ، لأنّ الإسلام هو دين التوحيد

---

١ . فاطر : ٣٢.

ومبنيٌّ على الوحدة في كلّ شيء ، فلابدّ لتوحيد الناس وجمعهم من قيادة واحدة ، فهذا أمرٌ بديهيٌّ قرّرهُ كتاب الله ، وحكم به العقلُ والوجدانُ ، قال تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [1].

وقال أيضاً : ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَه إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَه بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْض ﴾ [2].

كذلك لو أرسل الله رسولين في زمن واحد لانقسم الناسُ إلى أُمّتين ، وتفرّق أمرهم إلى حزبين متعارضين ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّة إِلاَّ خلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [3].

كذلك كان لكلّ نبيٍّ وصيٌّ يخلفهُ في قومِه وأُمّته ، كي لا يتشَتّتَ أمرُهم ويتفرّق جمعهم.

وهذا لعمري أمرٌ طبيعيّ يعرفه الناسُ كافّة سواء كانوا علماء أو جاهلين مؤمنين أو كافرين ، ألا ترى أنّ كلّ قبيلة وكلّ حزب وكلّ دولة لابدّ لها من رئيس واحد يتزعّمها ويقودها ، ولا يمكن أن يخضعوا لرئيسين في نفس الوقت.

لكلّ هذا اصطفى الله سبحانه من الملائكة رُسُلا ومن الناس ، وشرّفهم بمهمّة القيادة لعباده ، وجعلهم أئمّة يهدون بأمره ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [4].

---

١ . الأنبياء : ٢٢.

٢ . المؤمنون : ٩١.

٣ . فاطر : ٢٤.

٤ . آل عمران : ٣٣.

والأئمّة الذين اصطفاهم الله سبحانه لختم الرسالة المحمّدية هم أئمّة الهدى من عترة النبيّ ، وكلّهم من آل إبراهيم ذرية بعضها من بعض ، هؤلاء هم الذين أشار إليهم رسول الله ﷺ بقوله : « الخلفاء من بعدي اثنا عشر كلّهم من قريش » [1].

ولكلّ زمان إمامٌ معلوم ، فمن ماتَ ولم يعرف إمام زمانه ماتَ ميتة جاهلية.

والله سبحانه وتعالى إذا اصطفى إماماً طهّرهُ وعَصَمهُ وعلّمهُ فلا يؤتي الحكمة إلاّ لأهلها ومُستحقّيها.

وإذا رجعنا إلى أصل الموضوع ، وهو معرفة الإمام كلّ ما يحتاج إليه الناس من أحكام الشريعة ، من خلال النصوص التي جاءت في الكتاب والسُنّة ، والتي تُواكبُ مسيرة البشريّة إلى قيام الساعة ، فإنّنا لا نجدُ في الأُمّة الإسلامية من ادّعى ذلك غير أئمّة أهل البيت عليهم السلام الذين صرّحوا عديد المرّات بأنّ عندهم الجامعة ، وهي من إملاء رسول الله وخطّ علي بن أبي طالب ، وفيها كلّ ما يحتاجه الناس إلى يوم القيامة حتى أرش الخدش.

وقد أشرنا إلى هذه الصحيفة الجامعة التي كان يحملها عليٌّ معه ، وقد أشار إليها البخاري ومسلم في صحيحيهما ، ولا يمكنُ لأيّ واحد من المسلمين تكذيب ذلك.

وعلى هذا الأساس فإنّ الشيعة الذين انقطعوا لأئمّة أهل البيت حكموا

---

١ ـ مضى الكلام حوله في صفحات سابقة. وفي بعض الروايات كلّهم من بني هاشم بدلا من قريش ، وسواء أكان من بني هاشم أم من قريش فكلّهم من آل إبراهيم كما هو معلوم.

في الشريعة بنصوص القرآن والسُنّة ولم يضطرّوا لغيرها ، وذلك على الأقل طيلة ثلاثة قرون حياة الأئمّة الاثني عشر.

أمّا « أهل السنّة والجماعة » فقد اضطرّوا للاجتهاد والقياس وغير ذلك ؛ لفقدان النصوص وجهل أئمّتهم من أيّام الخلافة الأُولى.

وإذا كان الخلفاء عندهم قد عمدُوا لحرق النصوص النبويّة والعمل على منعها وكتمانها.

وإن كان كبيرهم يقول : حسبنا كتاب الله ، ضارباً بالسنّة النبويّة عرض الجدار ، فمن الطبيعي جداً أن يفتقروا إلى النصوص المبيّنة لأحكام القرآن نفسه.

فكلّنا يعلم بأنّ أحكام القرآن الظاهرية قليلة جداً ، وهي في عمومها تفتقرُ إلى بيان النبيّ ، ولذلك قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [1].

وإذا كان القرآن يفتقرُ للسنّة النبويّة لتبيّن أحكامه ومقاصده.

وإذا كان أقطاب « أهل السنّة والجماعة » قد أحرقوا السنّة المبيّنة للقرآن ، فلم يبقَ عندهم بعدها نصوصٌ لا لبيان القرآن ولا لبيان السنّة نفسها.

فلابدّ والحال هذه أن يعمدوا للاجتهاد والقياس واستشارة العلماء عندهم ، فيأخذوا بالاستحسان ، وبما يرون فيه مصلحتهم الوقتية.

ومن الطبيعي جداً أن يحتاجوا إلى كلّ ذلك لفقد النصوص ، ويضطرّوا إليه اضطراراً.

---

١ . النحل : ٤٤.

التقليد والمرجعيّة عند الشيعة

لابدّ لكلّ مكلّف من المسلمين إذا لم يكن مجتهداً ، بمعنى أنّه قادرٌ على استنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنّة أن يُقلّدَ مرجعاً جامعاً للشرائط من العلم ، والعدل ، والورع ، والزهد ، والتقوى ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾ [1].

وإذا بحثنا هذا الموضوع نجد الشيعة الإمامية قد واكبوا الأحداث ، فلم تنقطع عندهم سلسلة المرجعية أبداً من وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وإلى يوم الناس هذا.

وقد واصل الشيعة تقليد الأئمّة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام ، وقد استمرّ وجود هؤلاء الأئمّة أكثر من ثلاثة قرون على نسق واحد ، فلم يُخالف واحدٌ منهم قول الثاني [2] ؛ لأنّ النصوص الشرعية من الكتاب والسنّة كانت

---

١ . النحل : ٤٣.

٢ . كيف يختلفون وقد جعلهم الله على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم أحد الثقلين وعدل القرآن ، وأوصى بالتمسّك بهم وأنّه العاصم من الضلال ، فكما لا اختلاف ولا تناقض في القرآن ، كذلك لا اختلاف ولا تناقض في أقوال العترة المعصومين عليهم السلام ، وهذا هو مقتضى حديث الثقلين.

ثمّ إنّه لا ينتقض علينا بما ورد من الاختلاف والتناقض فيما نسب إلى الأئمة عليهم السلام لأنّه أوّلا : يرد هذا النقض على ما ورد عند أهل السنّة عن رسول الله

هي المتبعة عندهم جميعاً ، ولم يعملوا بقياس ولا باجتهاد ، ولو فعلوا لكان الاختلاف عندهم شائعاً ، كما وقع لأتباع « أهل السنّة والجماعة ».

ويُستنتجُ من هذا أنّ مذهب « أهل السنّة والجماعة » سواء كان حنفياً أم مالكياً أم شافعياً أم حنبلياً ، فهو مبنيٌّ على رأي رجل واحد بعيد عن عصر الرسالة ، ولا تربطه بالنّبي أيّة صلة.

أمّا مذهب الشيعة الإمامية فهو متواتر عن اثني عشر إماماً من ذرية النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ينقلُ الابنُ عن أبيه ، فيقول أحدهم : « حديثي هو حديث أبي ، وحديث أبي هو حديث جدّي ، وحديث جدّي هو حديث أمير المؤمنين علي ، وحديث علي هو حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وحديث رسول الله هو حديث جبريل عليه السلام ، وهو كلام الله تعالى » [1].

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً ﴾ [2].

ثمّ جاءت مرحلة ما بعد غيبة الإمام المعصوم الذي أرجع الناس إلى تقليد العالم الفقيه الجامع للشرائط.

وبدأت سلسلة الفقهاء المجتهدين منذ ذلك العهد إلى اليوم تتوالى بدون انقطاع ، وفي كلّ عهد يبرز في الأُمّة مرجعٌ واحدٌ أو عدّة مراجع للشّيعة ،

صلى الله عليه وآله وسلم ايضاً حيث كثرت الأحاديث المختلفة والمتناقضة فيها وثانياً توجد عدّة عوامل وأسباب لظهور هذا الاختلاف من قبيل الدس والوضع ، أو ما اختلف بحسب الزمان والمكان ، وإلاّ فلا اختلاف في أقوال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة من عترته عليهم السلام .

١ ـ نحوه في الكافي ١ : ٥٣ ح١٤.

٢ ـ النساء : ٨٢.

يقلّدونهم في أعمالهم حسب الرسائل العمليّة التي يستنبطها كلّ مرجع من الكتاب والسنّة ، ولا يجتهد إلاّ في الأُمور المستحدثة التي عرفها هذا القرن بسبب التقدّم العلمي والتكنولوجي ، كعملية زرع القلب أو أيّ عضو جسدي من شخص لآخر ، أو الحمل الاصطناعي ، أو المعاملات البنكية وغير ذلك [1].

وقد يبرز من بين المجتهدين أعلمهم فيُسمّى المرجع الأعلى للشيعة ، أو

---

١ . في كتاب (الانتصار للصحب والآل : ١٦٨) للدكتور إبراهيم الرحيلي في معرض ردّه على المؤلّف ذكر أن المؤلّف في الصفحات السابقة ذكر أنّ الشيعة تقيدوا بالنصوص الشرعيّة الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ، بينما هنا يقرّر أنّ الفقهاء والمجتهدين يتولّون في كلّ عصر استنباط الأحكام الشرعيّة من النصوص! وهذا تناقض ، إذ كيف يمكن القول بأنّهم تقيّدوا بالنصّ والقول بأنّهم استخدموا الاجتهاد في استنباط الأحكام؟

وفي الجواب على هذا الكلام نقول : إنّه ليس هناك تهافت في كلام المؤلّف حيث إنّ استنباط الأحكام الشرعيّة من قبل الفقهاء لا ينافي تقيّد الشيعة بالنصوص الشرعيّة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام ؛ لأنّ الفقيه يستنبط الحكم الشرعي من الكتاب الكريم والأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام ، ودائرة عمله تكون في حدود فهم النصّ ودراسة الظروف والملابسات والقرائن الحافة به واستخراج الحكم الشرعي منه ، فهو الذي يقوم بعرض الروايات على الكتاب الكريم ، وتنقية الصحيح من السقيم ، والموافق للكتاب من مخالفه ، حتى يستخرج الحكم الشرعي الصحيح الوارد في النصوص الشرعيّة.

وهذا خلافاً لأهل السنّة والجماعة حيث إنّهم عند فقد النصّ يرجعون إلى القياس والاستحسان وسنّة الصحابة والمصالح المرسلة ممّا لم يرد دليل شرعي يجوّز الاعتماد عليها والرجوع إليها عند فقد النصّ الشرعي. فلا يوجد تخالف في كلام المؤلّف وإنما التخالف في ذهن الرحيلي لا غير.

زعيم الطّائفة والحوزة العلمية ، والذي يحظى بتقدير واحترام كلّ المراجع الآخرين.

ويقلّد الشيعة على مرّ العصور الفقيه الحيّ الذي يعيش مشاكل الناس ويهتمّ بهمومهم ، فيسألونه ويجيبهم.

وبهذا بقي الشيعة في كلّ العصور يحافظون على المصدرين الأساسيين للشريعة الإسلامية من الكتاب والسنّة ، والنصوص المنقولة عبر الأئمّة الاثني عشر من العترة الطاهرة ، وجعلت علماءهم يستغنون عن القياس والقول بالرأي ؛ لأنّ الشيعة اعتنوا بتدوين السنّة النبويّة من زمن علي بن أبي طالب الذي كان يحتفظ بالصحيفة الجامعة ، التي جمعت كلّ ما يحتاجه الناس إلى يوم القيامة ، وكان الأئمّة من ولده يتوارثونها كابراً عن كابر ، ويكنزونها كما يكنز الناس الذّهب والفضّة.

وقد نقلنا قول الشهيد آية الله الصدر في رسالته العملية ، والتي ذكر فيها بأنّه لم يعتمد إلاّ على القرآن والسنّة.

وليس ذكرنا للشهيد الصدر إلاّ مثالا ، وإلاّ فإنّ كلّ مراجع الشيعة بدون استثناء يقولون نفس القول.

وبهذا البحث الوجيز في مسألة التقليد الشرعي والمرجعية الدينية يتبيّن لنا بأنّ الشيعة الإمامية هم أهل القرآن والسنّة النبويّة المنقولة مباشرة عن علي « باب مدينة العلم » ، العالم الربّاني ، والمرشد الثاني للأُمّة بعد نبيّها ،

من كان في القرآن كنفس النبيّ [1].

فمن جاء للمدينة ودخلها من بابها فقد وصل إلى المعين الصَّافي ، وأخذ بالكيل الوافي والعلاج الشَّافي ، وقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، لقوله تعالى : ﴿ **وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا** ﴾ [2].

ومن أتى البيوت من غير أبوابها سمّيَ سارقاً ، فلم يتمكّن من الدّخول ، ولم يعرف سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وسيُعاقبه الله على عصيانه.

---

١ ـ إشارة إلى الآية : ٦١ من سورة آل عمران في قوله تعالى : ﴿ **فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ** ﴾ ، فدعا علي بن أبي طالب. أخرجه مسلم في صحيحه ٧ : ٢١ (كتاب الفضائل ، باب فضائل علي عليه السلام).

٢ ـ البقرة : ١٨٩.

التقليد والمرجعيّة عند أهل السنّة والجماعة

وإذا بحثنا موضوع التقليد والمرجعيّة عند « أهل السنّة والجماعة » فإننا نتحيّر لإيجاد علاقة تربط هؤلاء بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فكلّنا يعلم بأنّ « أهل السنّة والجماعة » يرجعون في التقليد إلى أئمة المذاهب الأربعة : أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وابن حنبل ، وكلّ هؤلاء لا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا صاحبوه.

وفي وقت كان الشيعة يقلّدون علي بن أبي طالب عليه السلام الذي لم يُفارق النبيّ طيلة حياته ، ومن بعده يقلّدون سيّدي شباب أهل الجنة الإمام الحسن والإمام الحسين سبطي النبيّ ، والإمام علي بن الحسين زين العابدين ، وابنه الإمام الباقر ، وحفيده الإمام الصادق عليهم السلام ، لم يكن « لأهل السنّة والجماعة » وجود في ذلك العصر ، ولم يحدّثنا التاريخ عنهم أين كانوا ، ومن هو إمامهم الذي يقلّدونه ويرجعون إليه في الأحكام الشرعيّة من الحلال والحرام ، من يوم وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى ظهور المذاهب الأربعة؟

ويظهر بعد ذلك على مسرح الحياة أئمة المذاهب الأربعة واحداً بعد واحد ، وعلى فترات متفاوتة حسب رغبة الحكّام العباسيين ، كما قدمنّا في بحث سابق.

ثمّ يظهر بعد ذلك تكتل يجمع المذاهب الأربعة تحت شعار برَّاق يأخذ بالألباب ، ويتسمّى بـ « أهل السنّة والجماعة » ، ويلتف حوله كلّ من عادى

علياً والعترة الطاهرة ، وكان من أنصار الخلفاء الثلاثة وكلّ الحكّام من بني أُميّة وبني العباس ، فاعتنق الناس تلك المذاهب طوعاً وكرهاً ؛ لأنّ الحكّام عملوا على تأييدها بوسائل الترغيب والترهيب ، والناس على دين ملوكهم.

ثمّ نجد « أهل السنّة والجماعة » وبعد موت الأئمة الأربعة ، يغلقون باب الاجتهاد في وجه علمائهم ، فلا يسمحون لهم إلاّ بالتقليد لأُولئك الأئمة الميّتين.

ولعلّ الحكّام والأمراء هم الذين أغلقوا عليهم باب الاجتهاد ، ولم يسمحوا لهم بالنقد والنظر في شؤون الدين ، خوفاً من التحرّر الفكري الذي قد يسبِّب لهم قلاقل وفتناً قد تهدّد مصالحهم وكيانهم.

وأصبح « أهل السنّة والجماعة » مقيّدين لتقليد رجل ميّت لم يشاهدوه ولم يعرفوه حتى يطمئنوا لعدالته وورعه وعلمه ، وإنّما كلّ ما هنالك أنّهم أحسنوا الظنّ بأسلافهم الذين يروي كلّ فريق منهم مناقب خيالية في الإمام الذي يتبعه ، فجاء أغلبها فضائل منامية لا تتعدّى أضغاث أحلام أو طيف منام ، أو ظنّاً وأوهاماً ، فكلّ حزب بما لديهم فرحون.

ولو نظر المثقّفون من « أهل السنّة والجماعة » اليوم إلى المثالب التي رواها أسلافهم أيضاً ، وتضارب الأقوال في بعضهم حتى وصل بهم الأمر إلى الحروب والتكفير في ما بينهم ، لراجعوا موقفهم من أُولئك الأئمة ولكانوا من المهتدين.

ثمّ كيف يقلّد المسلم العاقل في هذا الزمان رجلا لا يعرف من مستحدثات العصر شيئاً ، ولا يجيبه إذا سأله عن حل لبعض مشاكله ، ومن

المؤكّد بأنّ مالكاً وأبا حنيفة وغيرهم سيتبرّأون من « أهل السنّة والجماعة » يوم القيامة ويقولون : ربنا لا تؤاخذنا بما فعل هؤلاء الذين لم نعرفهم ولم يعرفونا ، وما قلنا لهم يوماً بوجوب تقليدنا.

ولا أدري ماذا سيكون جواب « أهل السنّة والجماعة » عندما يسألهم ربّ العالمين عن الثقلين؟ ثمّ يأتي عليهم بالرسول شهيداً ، وسوف لن يقدروا على دفع شهادته ، ولو تذرَّعوا بطاعة ساداتهم وكبرائهم.

وإذا سألهم : هل وجدتم في كتابي أو في سنّة رسولي عهداً أو ميثاقاً أو حجّة على اتباع المذاهب الأربعة؟

والجواب على هذا معروف ولا يتطلّب مزيداً من العلم ، فليس في كتاب الله ولا في سنّة رسوله شيء من ذلك ، وإنّما في كتاب الله وسنّة رسوله أمر صريح بالتمسّك بالعترة الطاهرة وعدم التخلّف عنهم.

ولعلّهم سيقولون : ﴿ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ [1] وسيكون الردّ : كلا ، تلك كلمة أنتم قائلوها.

وسيقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : يا ربّ إنّ قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً ، إنّني أوصيتهم بعترتي ، وبلّغتهم ما أمرتني به من مودّة قرابتي ، فنكثوا بيعتي ، وقطعوا رحمي ، وذبحوا ولدي ، وأباحوا حرمي ، فلا ترزقهم يا ربّ شفاعتي.

ومرّة أُخرى يتبيَّن لنا بأنّ « أهل السنّة والجماعة » لا تربطهم بالرسول صلة ولا مودّة ، فمن فارق العترة فقد فارق القرآن ومن فارق القرآن فلن تجد له من دون الله وليّاً ولا نصيراً.

---

١ . السجدة : ١٢.

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولا ﴾ [1].

---

١ ـ الفرقان : ٢٧ ـ ٢٩.

الخلفاء الراشدون عند الشيعة

هم الأئمة الاثنا عشر من العترة النبويّة الطاهرة ، أوَّلهم :

أمير المؤمنين ، وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجّلين ، وسيّد المسلمين ، ويعسوب الدين ، أسد الله الغالب عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، باب مدينة العلم الذي حيَّر العقول ، وبهر النفوس ، وأنار القلوب ولولاه ـ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ لما قام للدين عمود.

والثاني هو الإمام هو أبو محمّد الحسن بن علي عليه السلام ، سيّد شباب أهل الجنة ، وريحانة النبيّ في هذه الأُمّة ، العابد الزاهد ، الناصح الأمين.

والثالث هو الإمام أبو عبد الله الحسين بن علي عليه السلام ، سيّد شباب أهل الجنة ، وريحانة النبيّ في هذه الأُمّة ، سيّد الشهداء وذبيح كربلاء الذي بذل مهجته لإصلاح أُمّة جدّه.

والرابع هو الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام وسيّد الساجدين.

والخامس هو الإمام محمّد بن علي الباقر عليه السلام الذي بقر علوم الأوّلين والآخرين.

والسادس هو الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام الذي ما رأت عين ، ولا سمعت أُذن ، ولا خطر على قلب بشر أفقه منه علماً وعملا.

والسابع هو الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام سليل النبوّة ، ومعدن العلم.

والثامن هو الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام الذي أُوتي الحكمة في حال صباه.

والتاسع هو الإمام محمّد بن علي الجواد عليه السلام إمام الجود والكرم والأخلاق.

والعاشر هو الإمام علي بن محمّد الهادي عليه السلام صاحب الفضل والهدى.

والحادي عشر هو الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام إمام الزهد والتقوى.

الثاني عشر هو الإمام محمّد بن الحسن المهدي عليه السلام الذي سيملأ الأرض عدلا وقسطاً كما مُلئت ظلماً وجوراً ، ويصلّي خلفه ابن مريم عليه السلام ، ويتمّ الله به نوره ، ويفرح به المؤمنون.

فهؤلاء هم أئمة الشيعة وعددهم اثنا عشر إماماً ، فإذا قيل : الشيعة الإمامية ، أو الاثنا عشرية ، أو الجعفرية كانوا هم المقصودين دون سواهم ، فلم يقل أحد من الفرق الإسلامية بإمامتهم غيرهم.

وإذا تتبعنا الآيات القرآنية النازلة بخصوصهم ، والتي تبيّن فضلهم ، وشرف منزلتهم ، وطيب عنصرهم ، وطهارة نفوسهم ، وعظيم شأنهم ، كآية المودة ، وآية إذهاب الرِّجس والتطهير ، وآية المباهلة ، وآية الأبرار ، وآية الصلاة والتسليم ، وغيرها كثير.

وإذا تتبعنا الأحاديث النبويّة الشريفة الواردة في فضلهم وتقدّمهم على الأُمّة وأعلميتهم وعصمتهم ، فإنّنا سنسلم قطعاً بإمامتهم ، وأنّهم أمان الأُمّة من الضلالة ، وسبيلها الوحيد إلى الهداية.

وسيتبين لنا جليّاً بأنّ الشيعة هم الفائزون ؛ لأنّهم تمسّكوا بحبل الله المتين وهو ولاؤهم ، واستمسكوا بالعروة الوثقى لا انفصام لها وهي مودّتهم ، وركبوا سفينة النجاة وآمنوا من الغرق والهلاك.

ولذلك نحكم ونجزم بمزيد اليقين والمعرفة بأنّ الشيعة الإماميّة هم أهل السنّة المحمّدية ، ﴿ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَة مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [1].

صدق الله العلي العظيم

---

١ . ق : ٢٢.

الخلفاء الراشدون عند أهل السنّة والجماعة

هم الخلفاء الأربعة الذين اعتلوا منصّة الخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فأهل « السنّة والجماعة » يقولون فأفضليتهم على حسب ترتيب خلافتهم وعلى سائر الخلق بعد النبيّ ، هذا ما نسمعه اليوم ، وقد عرفنا في ما سبق من أبحاث بأنّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لم يكن معدوداً عندهم من الخلفاء العاديين فضلا عن الراشدين ، وإنّما ألحقه في ركب الخلفاء الإمام أحمد بن حنبل في زمن متأخّر جداً ، وكان قبلها يُلعن على منابرهم في كلّ البلاد الإسلامية والامبراطورية الأمويّة.

ولمزيد التحقيق ، وليطمئن القارئ إلى هذه الحقيقة المؤسفة لابدّ من لفت نظره إلى ما يأتي :

قد قدّمنا أنّ عبد الله بن عمر هو من أكابر فقهاء أهل السنّة والجماعة ، وقد اعتمده مالك في موطّأه ، والبخاري ومسلم في صحيحيهما ، وباقي المحدّثين عن بكرة أبيهم.

فهذا الرجل كان من النواصب الكبار الذين عرفوا ببغضهم الصريح لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، ويحدّثنا التاريخ أنّه رفض البيعة لولي المؤمنين ، وأسرع يبايع الحجّاج اللعين عدوّ الله ورسوله [1].

---

١ ـ الحجّاج بن يوسف الثقفي المعروف بفسقه وكفره وجرائمه واستهتاره بالدّين ،

وقد كشف عبد الله بن عمر عن مكنون قلبه وأباح بخالص سرّه ، عندما حدَّث بأنّه لا يعدّ لعلي عليه السلام فضلا ولا فضيلة ، ولا منقبة واحدة تجعله على الأقل في المرتبة الرابعة بعد عثمان بن عفان.

وقد عرفنا بأنّه يفضّل أبا بكر وعمر وعثمان فقط ، أمّا علي عليه السلام فهو بالنسبة إليه من سوقة الناس إن لم يكن أقّلهم عنده ، وإليك حقيقة أُخرى أخرجها المحدِّثون والمؤرِّخون تعرب بصراحة عن نفسية ابن عمر الحاقدة والمبغضة لعلي ، ولكلّ الأئمة عليهم السلام من عترة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الطاهرة.

قال عبد الله بن عمر ، وهو يفسّر حديث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في قوله : « الخلفاء من بعدي اثنا عشر كلّهم من قريش » ، قال عبد الله بن عمر : يكون على هذه الأُمّة اثنا عشر خليفة وهم :

أبو بكر الصديق ، عمر الفاروق ، عثمان ذو النورين ، معاوية وابنه ملكا الأرض المقدّسة ، والسفاح ، وسلام ، ومنصور ، وجابر ، والمهدي ، والأمين ، وأمير العصب ، كلّهم من بني كعب بن لؤي ، كلهم صالح لا يوجد مثله! [1].

أخرج الحاكم في المستدرك ٣ : ٥٥٦ وابن عساكر ١٢ : ١٥٩ أنّ الحجّاج كان يقول : يزعم ابن مسعود أنّه يقرأ قرآناً من عند الله ، والله ما هو إلاّ رجز من رجز الأعراب. وكان يقول : اتقوا الله ما استطعتم فليس فيها مثوبة ، واسمعوا وأطيعوا لأمير المؤمنين عبدالملك بن مروان فإنّها المثوبة.

كما أخرج ابن عقيل في كتاب النصائح الكافية : ١٠٦ أنّ الحجّاج خطب بالكوفة فذكر الذين يزورون قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة قال : تبّاً لهم إنّما يطوفون بأعواد ورمّة بالية ، هلاّ طافوا بقصر أمير المؤمنين عبدالملك؟ ألا يعلمون أنّ خليفة المرء خير من رسوله.

١ . تاريخ دمشق ٦ : ٤٠٨ . ٤٠٩ ، سير أعلام النبلاء للذهبي ٤ : ٣٨.

إقرأ واعجب أيّها القارئ العزيز من هذا الفقيه المعظَّم عند « أهل السنّة والجماعة » كيف يحرّف الحقائق ويقلبها ، فيجعل معاوية وابنه يزيد والسفاح من أفضل العباد ، إذ يقول صراحة : كلّهم صالح ولا يوجد مثله!

وقد أعمى بصره الحقد والجهل ، كما أعمى بصيرته الحسد والبغض [1] ، فلم يَرَ لأمير المؤمنين علي عليه السلام فضلا ولا فضيلة ، فيقدّم عليه معاوية الطليق وابنه يزيد الزنديق والمجرم السفاح ، وما عشت أراك الدهر عجباً!

فعبد الله بن عمر هو ابن أبيه حقاً ، والشيء من مأتاه لا يستغرب ، وكل إناء بالذي فيه ينضح ، فأبوه عمل بكل جهوده لإبعاد عليّ عليه السلام عن الخلافة واحتقاره وانتقاصه في أعين الناس.

وهذا ابنه الحاقد البغيض ، ورغم وصول علي عليه السلام إلى الخلافة بعد مقتل عثمان إذ بايعه المهاجرون والأنصار ؛ نراه امتنع عن مبايعته ، وعمل بكلّ جهوده على أطفاء نوره ، وتأليب الناس عليه لإسقاطه ، فجعل يحدِّث ويوهم المسلمين بأنّ عليّاً عليه السلام لا فضل له ، وهو كسائر الناس العاديين.

وقد خدم عبد الله بن عمر الدولة الأموية ، وتوّج معاوية وابنه يزيد بتاج الخلافة كذباً وافتراء على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، واعترف بخلافة السفاح والمنصور ، وكلّ فسّاق بني أُميّة ، وقدَّمهم على سيّد المسلمين ، وولي المؤمنين بنصّ القرآن والسنّة ، ولم يعترف بخلافته رغم وقوعها ، إنّ هذا لشيء عجيب!

---

١ ـ إقرأ ولا تنسَ قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذي أخرجه مسلم بأنّ حبّ علي بن أبي طالب إيمانٌ وبغضه نفاقٌ ، وأنّ المنافقين كانوا لا يُعرفون زمن النبيّ إلاّ ببغضهم لعلي.

ولنا مع ابن عمر لقاء آخر في بحث لاحق لنكشف الستار عنه أكثر ، مع أنّ فيما قدّمناه كفاية لإسقاطه من الاعتبار ، وتجريده من العدالة ، وعدّه في زمرة النواصب الذين أسَّسوا مذهب « أهل السنّة والجماعة » ، وأصبح عندهم من أكبر الفقهاء والمحدِّثين.

وأنت إذا جبتَ الأرض شرقاً وغرباً ، وصلَّيت في مساجد « أهل السنّة والجماعة » قاطبة ، وتحدّثت مع علمائهم ، فسوف يملأ سمعك قول أئمتهم في كلّ مناسبة : « عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما » [1].

---

١ ـ هذا الكلام الذي ذكره المؤلّف حول عبد الله بن عمر ، وانتقاده للرواية التي نقلت عنه في تفسير الخلفاء الاثني عشر بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وإن كان في الرواية كلام ، لكنّ المؤلّف يريد أن يبيّن هذا الشيء ، وهو أنّ عبد الله بن عمر كان من المنحرفين عن علي بن أبي طالب عليه السلام ، ولم يكن يرى له فضل ولا فضيلة ، بغضاً وحنقاً منه على أمير المؤمنين عليه السلام .

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لا يقبل تشريع « أهل السنّة والجماعة »

عرفنا ممّا سبق بأنّ الشيعة اقتداءً بأئمة أهل البيت عليهم السلام لم يعملوا بالرأي ولا بالقياس بل حرَّموهما ، وذلك لأنّ النصوص النبويّة كانت هي القاضية والحاكمة عندهم ، وقد توارثوها كابراً عن كابر ، وقد جاء ذكر الصحيفة الجامعة وطولها سبعون ذراعاً ، وفيها كلّ ما يحتاجه المسلمون إلى قيام الساعة.

كما عرفنا أيضاً بأنّ « أهل السنّة والجماعة » اضطروا للعمل بالرأي وبالقياس ، وذلك لعدم وجود النصوص النبويّة عندهم وافتقارهم إليها ؛ لأنّ كبراءهم وساداتهم رفضوها وأحرقوها ، ومنعوا من تدوينها وكتابتها.

وقد عمد أنصار الاجتهاد والقول بالرأي إلى وضع حديث على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتأييد مذهبهم ، وتلبيس الحقّ بالباطل ، فقالوا بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث معاذ بن جبل إلى اليمن وسأله : « كيف تقضي إذا عرض لك القضاء »؟ فقال معاذ : أقضي بكتاب الله ، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « إن لم تجد في كتاب الله »؟ قال : أقضي بسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « إن لم تجد في سنّة رسوله »؟ فقال معاذ عند ذلك : إن لم أجد أجتهد برأيي.

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عند ذلك : الحمدُ لله الذي وفَّق رسول رسول الله لما يرضي الله ورسوله [1].

---

١ ـ المصنّف لابن أبي شيبة ٧ : ١٣ ح٥٩ ، مسند أحمد ٥ : ٢٤٢.

وهذا الحديث باطل ولا يمكن أن يصدر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فكيف يقول النبيّ لمعاذ : إن لم تجد في كتاب الله وسنّة رسوله؟ والله يقول لرسوله : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيء ﴾ [1] ، ويقول : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيء ﴾ [2] وكذلك قوله : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [3].

وقال أيضاً لرسوله : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ ﴾ [4].

فكيف يقول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذا لمعاذ : إن لم تجد في كتاب الله ولا في سنّة رسوله؟! وهل هذا إلاّ اعتراف بأن كتاب الله وسنّة رسوله ناقصان ، ولم يبيّنا كلّ الأحكام القضائية!

ولقائل أن يقول : ربما كان هذا الحديث لمعاذ بن جبل في بداية الدعوة ، ولم يكمل بعد نزول القرآن.

قلنا : لا يصحُّ ذلك.

أولا : لقول معاذ : أحكم بكتاب الله ، فدلّ على أنّ كتاب الله كاملٌ عندهم.

وإذا أضفنا إليه قوله : أقضي بسنّة رسوله ، علمنا بما لا شكّ فيه بأنّ الحديث وضع في زمن متأخّر جدّاً عندما كثر القول بالاجتهاد مقابل النصوص ؛ لأنّ مصطلح كتاب الله وسنّة رسوله كان يستعمل دائماً فيما بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم .

---

١ . النحل : ٨٩.

٢ . الأنعام : ٣٨.

٣ . الحشر : ٧.

٤ . النساء : ١٠٥.

ولا يصح ثانياً : لأنّه يصبح حجّة لكلّ من جهل أحكام الله ورسوله ﷺ بأن يقضي برأيه بما شاء ، ولا يكلّف نفسه معرفة النصوص.

ولا يصح ثالثاً : لقول الله سبحانه : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ، ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ، ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [1].

ولا يصح رابعاً : لأنّ الذي يجهل الأحكام لا يحقّ له القضاء ولا الافتاء حتى يعرف حكم الله ورسوله في ذلك.

وإذا كان النبيّ نفسه هو رسول الله ، وقد أعطاه الله سبحانه حقّ التشريع للأُمة ، فقال : ﴿ مَا كَانَ لِمُؤْمِن وَلا مُؤْمِنَة إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [2] ، ومع ذلك فإنّه لم يعمل طيلة حياته ، ولم يحكم في قضية واحدة برأي ولا بقياس ولا باجتهاد ، بل كان دائماً يتبع النصوص الإلهية التي ينزل بها جبريل عليه السلام كلّما دعت الحاجة لذلك ، والروايات التي تخالف هذا الواقع كلّها موضوعة.

ولمزيد الاطمئنان بما قدّمناه ، إليك الدليل من صحاح « أهل السنّة » ، أخرج البخاري في صحيحه قوله :

ما كان النبيّ ﷺ يُسأل ممّا لم ينزل عليه الوحي فيقول : لا أدري أو لم يجب حتى ينزل عليه الوحي ، ولم يقل برأي ولا قياس ، لقوله تعالى : ﴿ بِمَا

---

١ . المائدة : ٤٤ . ٤٥ . ٤٧.

٢ . الأحزاب : ٣٦.

أَرَاكَ اللّهُ ﴾ [1] [2].

نعمّ هذا هو ربّ العالمين وأحكم الحاكمين يقول لرسول الله : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ ... ﴾ [3].

نعم ، هذا هو القرآن يقول لمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ ... ﴾ [4].

وإذا كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لا يعمل برأي ولا بقياس بشهادتهم في صحاحهم ، فكيف تسنّى لهم أن يعملوا بذلك؟! وكيف يخالفون أحكام الله وسنّة رسوله ثمّ يقولون بأنّهم « أهل السنّة » ، إنّه حقّاً أمر عجيب وغريب؟!

تنبيه لابدّ منه

إذا تكلّمنا في الفصول القادمة عن « أهل السنّة والجماعة » ، فإنّنا لا نقصد بهم المسلمين المعاصرين ، فقد لاحظنا في عديد الفقرات بأنّ هؤلاء أبرياء ، وليس لهم في ما اقترفه السلف من ذنب ولا إثمّ ، وقلنا بأنّهم ضحايا الدس والتّعتيم التاريخي الذي صاغه الأمويون والعباسيون وأذنابهم لمحق السنّة النبويّة وإرجاع الأمر إلى الجاهلية.

ولقد كنّا منهم نسير في ركبهم ونهتدي بهديهم ، فمن الله علينا وهدانا إلى

---

١ . النساء : ١٠٥.

٢ . صحيح البخاري ٨ : ١٤٨ من (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة).

٣ . المائدة : ٤٨.

٤ . النساء : ١٠٥.

سفينة النجاة ، وليس لنا إلاّ التضرّع والابتهال إليه سبحانه أن يهدي لذلك كلّ الأُمّة الإسلامية حتى لا يبقى إلاّ الحقّ.

ولقائل أن يقول : إنّ تناول الصحابة بهذا النقد والتجريح يخدش شعور الأغلبية من المسلمين الذين يعتقدون بعدالتهم جميعاً ، ويعتبرونهم أفضل الخلق بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم .

فنقول : بأن المسلمين مُطالبون بالاعتقاد في الله وفي رسوله ، والعمل بما افترضاه ، والوقوف عند الحدود التي رسماها ، ويتوقّف نجاة المسلمين بما فيهم الصحابة على ذلك ، فمن خرج عن ذلك مصيره إلى النار ، ولو كان عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أو ولده.

وإن تناول البعض من الصحابة بالنقد والتجريح فرضته الأحداث التاريخية التي تفاعلوا معها واختلفوا ، وكانوا سبب اختلاف الأُمّة ورزيّتها.

عداوة « أهل السنّة » لأهل البيت تكشف عن هويتهم

إنّ الباحث يقف مبهوتاً عندما تصدمه حقيقة « أهل السنّة والجماعة » ، ويعرف بأنّهم كانوا أعداء العترة الطاهرة ، يقتدون بمن حاربهم ولعنهم ، وعمل على قتلهم ومحو آثارهم.

ولذلك تجد « أهل السنّة والجماعة » يوثّقون المحدّثين إذا كانوا من الخوارج أو من النواصب العثمانية ، ويتهمون ويوهنون المحدّثين إذا كانوا من شيعة أهل البيت [1].

وإنّك تجد ذلك مذكوراً في كتبهم بصراحة عندما يحاولون تكذيب الأحاديث الصحيحة التي وردت في فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام ، ويوهّنون راويها بقولهم : وفي سنده فلان وهو رافضي [2].

ويصحِّحون الأحاديث المكذوبة التي وُضعت لتفضيل وتمجيد الخلفاء الآخرين وإن كان راويها من النواصب لأنّ النصب عندهم هو شدّة وصلابة في السنّة.

فهذا ابن حجر يقول عن عبد الله بن إدريس الأزدي المعروف بالنصب ،

---

١ ـ قال ابن حجر العسقلاني في كتابه تهذيب التهذيب ٨ : ٤١١ : (وقد كنت استشكل توثيقهم الناصبي غالباً وتوهينهم الشيعة مطلقاً ، ولا سيّما أن عليّاً ورد في حقّه : لا يحبه إلاّ مؤمن ولا يبغضه إلاّ منافق ...!!(

٢ ـ رافضي بمعنى يتشيّع لعلي ويرفض خلافة الذين تقدّموه.

يقول : إنّه صاحب سنّة وجماعة ، وكان صلباً في السنّة ، وكان عثمانياً [1].

ويقول في عبد الله بن عون البصري : إنّه موثّق ، وله عبادة وصلابة في السنّة ، وشدّة على أهل البدع ، قال ابن سعد : وكان عبد الله بن عون البصري عثمانياً [2].

كما يقول في إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني المعروف ببغضه لعلي عليه السلام : إنّه كان حريزي المذهب (أي على مذهب حريز بن عثمان الدمشقي المعروف بالنصب) قال ابن حبّان : إنّه كان صلباً في السنّة حافظاً للحديث [3].

وتجدر الإشارة هنا بأنّ هذا الناصبي الذي يمدحونه بالصلابة في السنّة ويحفظ الحديث ، كان يغتنم اجتماع المحدِّثين على بابه ، فيبعث بجارية له ومعها دجاجة في يدها ، فتطوف في المدينة ، ثمّ تعود لتقول لسيّدها الجوزجاني بأنّها لم تجد من يذبح لها الدجاجة ، فيصيح عند ذلك قائلا : سبحان الله!! فروجة لا يوجد من يذبحها ، وعلي يذبح في ضحوة من نهار نيفاً وعشرين ألف مسلم!!

---

١ . تهذيب التهذيب لابن حجر ٥ : ١٢٧.

٢ . المصدر نفسه ٥ : ٣٠٥. المعروف أنّ العثمانيين هم النواصب الذين يكفّرون عليّاً ويتّهمونه بقتل عثمان ، وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان ابن عمّ عثمان ، فهو رئيسهم وزعيمهم.

٣ . تهذيب التهذيب ١ : ١٥٩ ، النواصب هم أعداء علي وأهل بيته من الخوارج والقاسطين والناكثين والذين ناصبوا له العداء وحاربوه ، وبعد استشهاده عملوا على سبّه ولعنه.

وبمثل هذا المكر والدهاء يحاول النواصب أعداء أهل البيت تحريف الناس عن الحقّ ، وإضلالهم بمثل هذه الأراجيف الكاذبة ، حتى يملأوا قلوب المسلمين وخصوصاً المحدِّثين منهم حقداً وبغضاً لعلي بن أبي طالب عليه السلام ، ويستبيحوا بذلك سبّه وشتمه ولعنه.

وإنّك لتجد هذه الظاهرة موجودة إلى يوم الناس هذا ، فرغم ادعاء « أهل السنّة والجماعة » في زماننا بأنّهم يحبون أهل البيت ، ويترضّون عن سيّدنا علي (كرم الله وجهه) كما يقولون ، إلاّ أنّك عندما تروي حديثاً فيه فضيلة لعلي عليه السلام تراهم يغمزون ويهزأون ، ويرمونك بالتشيع وقول البدع والغلو في الدين.

وعندما تحدِّث عن الخلفاء أبي بكر وعمر وكلّ الصحابة بدون استثناء ، وتقول في فضلهم ما شئت وتغالي في ذلك ، فإنّهم يطمئنون إليك ، ويستأنسون بحديثك ، ويقدّموك على أنّك كثير العلم واسع الاطلاع.

إنّها بالضبط عقيدة سلفهم « الصالح » ، فقد نقل المؤرّخون بأنّ الإمام أحمد بن حنبل كان يضعِّف من أهل الحديث كلّ من ينتقص أبا بكر أو عمر أو عثمان ، بينما كان يكرم إبراهيم الجوزجاني الناصبي المتقدّم ذكره إكراماً شديداً ، ويراسله ويقرأ كتبه على المنبر ويحتجّ بها [1].

وإذا كان هذا حال أحمد بن حنبل الذي فرض على معاصريه القول بخلافة علي عليه السلام وربّع بها ، فلا تسأل عن الآخرين الذين لم يعترفوا له

---

١ . بل ذكر ابن عدي أنّ أحمد بن حنبل كان يكاتبه ويتقوّى بكتابه ، وبقراءته على المنبر. بحر الدم ، يوسف بن المبرد : ١٨.

بفضيلة واحدة ، أو الذين سبّوه ولعنوه على المنابر في الجمعة والأعياد.

وهذا الدارقطني يقول : كان ابن قتيبة ـ متكلّم أهل السنّة ـ يميل إلى التشبيه ، منحرف عن العترة [1].

وبهذا يتبيّن بأنّ أغلب « أهل السنّة والجماعة » كانوا منحرفين عن عترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

وهذا المتوكّل الذي لقّبه أهل الحديث بـ « محيي السنّة » ، والذي كان يكرم أحمد بن حنبل ويعظِّمه ويطيع أوامره في تنصيب القضاة ، كان من أكبر النواصب لعلي ولأهل البيت عليهم السلام ، حتى وصل به الحقد إلى نبش قبر الحسين بن علي ومنع من زيارته ، وقتل من يتسمّى بعلي. وذكره الخوارزمي في رسائله وقال بأنّه كان لا يعطي مالا ولا يبذل نوالا إلاّ لمن شتم آل أبي طالب عليهم السلام ونصر مذهب النواصب [2].

وغنيّ عن التعريف بأنّ مذهب النواصب هو مذهب « أهل السنّة والجماعة » ، فناصر مذهب النواصب المتوكّل هو نفسه « محيي السنّة » ، فافهم.

وهذا الذهبي يحدّثنا في تذكرة الحفاظ بأنّ « أهل السنّة والجماعة » عندما سمعوا الأعمش يروي حديث الطير المشوي الذي فيه فضيلة علي ابن أبي طالب عليه السلام ، أخرجوه من المسجد وغسلوا مكانه [3].

---

١ ـ لسان الميزان للذّهبي ٣ : ٣٥٧.

٢ ـ رسائل الخوارزمي : ١٦٦ ، في رسالته إلى جماعة الشيعة بنيسابور.

٣ ـ تذكرة الحفّاظ ، الذهبي ٣ : ٩٦٦ ، والسير أيضاً ١٦ : ٣٥٢ وتاريخ الإسلام ٢٦ :

كما أنّهم حاولوا منع دفن الإمام محمّد بن جرير الطبري صاحب التفسير الكبير والمؤرّخ العظيم لا لشيء إلاّ لأنّه صحَّح حديث غدير خم « من كنتُ مولاه فهذا عليّ مولاه » وجمع رواياته من طرق متعدّدة ، بلغت حدّ التواتر.

قال ابن كثير : وقد رأيت له كتاباً جمع فيه أحاديث غدير خم في مجلدين ضخمين ، وكتاباً جمع فيه حديث الطير المشوي [1].

وذكره أيضاً ابن حجر في لسان الميزان فقال : هو الإمام الجليل والمفسِّر ، ثقة ، صادق ، فيه تشيّع يسير وموالاة لا تضرّ [2].

---

٥٤٣ وقال في ترجمته : « .. قال علي بن محمّد الطيب الجلابي في تاريخ واسط : ابن السقّا من أئمة الواسطيين الحفاظ المتقنين .. قال السلفي : سألت الحافظ خميساً الجوزي عن ابن السقّاء فقال : هو من مزينة مضر ، ولم يكن سقّاء ، بل لقباً له ، من وجوه الواسطيين وذو الثروة والحفظ ، رحل به أبوه فأسمعه من أبي خليفة وأبي يعلى وابن زيدان البجلي .. وبارك الله في سنّه وعلمه ، واتفق أنّه أملى حديث الطير فلم تحتمله نفوسهم ، فوثبوا به ، وأقاموه وغسلوا موضعه ، فمضى ولزم بيته فكان لا يحدّث أحداً من الواسطيين ».

يا للغرابة فهل الذي يحدث بفضائل أهل البيت عليهم السلام يهان بل يغسل موضعه!! إذ صار نجساً ؛ لأنه تحدث بفضيلة ومنقبة تهدم ما أسسوه من أفضلية أبي بكر على غيره ، وحديث الطير يثبت عكس ذلك ، ويثبت أنّ الأفضلية لعلي بن أبي طالب عليه ، وأنّه أحبّ الخلق إلى الله سبحانه وتعالى. وهذا الحديث ثابت بطرق كثيرة جداً ، حتى إنّ الذهبي نفسه أفرد رسالة لهذا الحديث ، لكثرة الطرق الواردة فيه!

فانظر إلى حركة النصب والبغض لأهل البيت عليهم السلام ثمّ بعد ذلك لا تستغرب ما فعلوه بهم من قتل وتشريد وطمس للفضائل ، ولله في خلقه شؤون.

١ ـ البداية والنهاية لابن كثير ١١ : ١٦٧.

٢ ـ لسان الميزان لابن حجر ٥ : ١٠٠ في ترجمة ابن جرير الطبري.

وهذا المحدِّث الكبير الإمام النسائي ، وهو صاحب أحد الصحاح الستّ عند « أهل السنّة » ، عندما كتب كتاب الفضائل في أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، سألوه عن فضائل معاوية ، فقال : لا أعرف له فضيلة إلاّ « لا أشبع الله بطنه » ، فضربوه على مذاكيره حتى غُشي عليه ونقل ومات من ذلك.

كما يحدّثنا ابن كثير في تاريخه عن حوادث سنة ٣٦٣ هـ التي وقعت في بغداد بين الشيعة و « أهل السنّة والجماعة » بمناسبة يوم عاشوراء ، قال :

إنّ جماعة من « أهل السنّة » أركبوا امرأة سمّوها عائشة ، وتسمّى بعضهم بطلحة ، وبعضهم بالزبير ، وقالوا : نقاتل أصحاب علي عليه السلام ، فقتل بسب ذلك خلق كثير [1].

وهذا بالضبط ما يقع اليوم في الهند فإنّ « أهل السنّة والجماعة » يهجمون على الشيعة في يوم عاشوراء ليمنعوهم من موكب التعزية ، فيُقتل بسبب ذلك خلق كثير من المسلمين الأبرياء.

وبعد هذا العرض يتبيّن لنا بوضوح بأنّ النواصب الذين عادوا عليّاً عليه السلام وحاربوا أهل البيت عليهم السلام ، هم الذين سمّوا أنفسهم بـ « أهل السنّة والجماعة » ، وقد عرفنا ماذا يقصدون بالسنّة ، وماذا يقصدون بالجماعة.

ومن البديهي أنّ من كان عدوّاً لعترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فهو عدوّ لجدّهم رسول الله ، ومن كان عدوّاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو عدو الله.

ومن البديهي أيضاً أنّ عدو الله ورسوله وأهل بيته ليس هو من عباد

---

١ ـ البداية والنهاية لابن كثير ١١ : ٣١٢.

الرحمان ، وليس هو من أهل السنّة ، إلاّ أن تكون سنّة الشيطان هي المقصودة.

أمّا سنّة الرحمان فهي مودّة الله ورسوله وأهل البيت وموالاتهم والسير على هديهم ، قال تعالى : ﴿ قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ [1].

فأين معاوية من عليّ ، وأين أئمة الضلال من أئمة الهدى ، وأين « أهل السنّة والجماعة » من الشيعة الأبرار؟

﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [2].

صدق الله العلي العظيم

---

١ . الشورى : ٢٣.

٢ . آل عمران : ١٣٨.

تحريف أهل السنّة والجماعة كيفية الصلاة على محمّد وآله

تمعَّن ـ رعاك الله ـ في هذا الفصل فإنّك ستعرف خفايا « أهل السنّة والجماعة » إلى أيّ مدى وصل بهم الحقد على عترة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فلم يتركوا شيئاً من فضائل أهل البيت عليهم السلام إلاّ وحرّفوه.

من ذلك الصلاة على محمّد وآل محمّد التي نزل بها القرآن الكريم ، فقد أخرج البخاري ومسلم وكلّ المحدّثين من « أهل السنّة والجماعة » بأنّ الصحابة جاؤوا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عندما نزل قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [1] فقالوا : يا رسول الله ، عرفنا كيف نسلّم عليك ، ولم نعرف كيف نصلي عليك؟!

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « قولوا : اللهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّد ، كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل ابراهيم إنّك حميد مجيد .. » [2].

وزاد بعضهم قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « ولا تصلّوا عليَّ الصلاة البتراء » ، قالوا : وما الصلاة البتراء يا رسول الله؟ قال : « أن تقولوا : اللهمّ صلّ على محمّد وتسكتوا ، وإن الله كامل لا يقبل إلاّ الكامل » [3].

---

١ ـ الأحزاب : ٥٦.

٢ ـ صحيح البخاري ٤ : ١١٨ (باب قوله تعالى : ﴿ **وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً** ﴾) ، صحيح مسلم ٢ : ١٦ (كتاب الصلاة ، باب كيفية الصلاة على النبيّ).

٣ ـ نحوه الصواعق المحرقة ٢ : ٤٣٠ ، الآية الثانية من الآيات الواردة فيهم عليهم السلام .

ممّا حدا بالإمام الشافعي أن يقول ويصرّح بأنّ الذي لا يصلّي على أهل البيت لا يقبل الله صلاته.

وفي سنن الدارقطني بسنده عن أبي مسعود الأنصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من صلّى صلاة لم يصلِّ فيها عليَّ ولا على أهل بيتي لم تقبل صلاته » [1].

وأخرج ابن حجر في صواعقه قال : أخرج الديلمي أن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الدعاء محجوب حتى يصلّ على محمّد وأهل بيته » [2].

كما أخرج الطبراني في الأوسط عن عليّ عليه السلام قال : « كلّ دعاء محجوب حتى يُصلَّى على محمّد وآل محمّد » [3].

وبعدما عرفنا من صحاح « أهل السنّة والجماعة » كيفيّة الصلاة على محمّد وآل محمّد ، وعرفنا أيضاً بأنّ الله لا يقبل صلاة عبد إذا لم يصلِّ فيها على محمّد وآل محمّد ، كما وأنّ دعاء المسلم محجوب حتى يصلّي على محمّد وآل محمّد.

وإنّها لعمري فضيلة عظيمة ومنقبة جليلة ، فضَّلَتْ أهل البيت على سائر البشر ، فبهم يتقرَّب المسلم إلى ربّه.

ولكنّ « أهل السنّة والجماعة » غاظهم أن يتركوا هذه الفضيلة لأهل البيت وأحسوا بخطورتها ، إذ إنّ أبا بكر وعمر وعثمان وكلّ الصحابة مهما قيل

---

١ ـ سنن الدارقطني ١ : ٣٤٨.

٢ ـ الصواعق المحرقة لابن حجر ٢ : ٤٣٤ ، الآية الثانية.

٣ ـ المعجم الأوسط للطبراني ١ : ٢٢٠ ، عنه مجمع الزوائد ١٠ : ١٦٠ وقال : رجاله ثقات ، كنز العمال ٢ : ٢٦٩ ح٣٩٨٨.

فيهم من فضائل مكذوبة ومناقب مزعومة ، فإنّهم لا يبلغون هذه المنزلة ولا يطاولون هذه المنقبة ؛ لأنّهم وبأجمعهم لا يقبل الله صلاتهم إذا لم يتقربوا إلى الله بالصلاة على علي بن أبي طالب بعد محمّد لأنّه سيّد العترة كما لا يخفى ؛ فعمدوا إلى تحريفها بإضافة جزء من عندهم لم يأمر به رسول الله ﷺ ليرفعوا بذلك مكانة أسيادهم من الصحابة ، كما عمدوا على بترها من القرن الأوّل ، فإذا ما كتبوا كتاباً تراه خال من الصلاة الكاملة ، وعند ذكرهم لاسم محمّد أو النبيّ أو رسول الله يكتبون فقط ، صلى الله عليه وسلّم بدون ذكر آل محمّد.

وإذا تكلّمت اليوم مع أحدهم وقلت له : صلِّ على محمّد ، فسيجيبك صلّى الله عليه وسلّم بدون ذكر الآل حتى إنّ بعضهم يلفلفها لفاً ، فلا تسمع منه إلاّ (صلّ وسلم).

أمّا إذا سألت أيّ شيعي عربي كان أو فارسي أن يصلّي على محمّد فسيقول : اللهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّد.

وقد جاء في كتب « أهل السنّة والجماعة » قول النبيّ ﷺ : قولوا : اللهم صلِّ على محمّد وآل محمّد بصيغة الحاضر والمستقبل وبصيغة الدعاء والطلب منه سبحانه.

ولكنّهم مع ذلك يكتفون بعبارة صلّى الله عليه وسلّم بصيغة الماضي الإخباري وبدون ذكر الآل.

وقد حاول زعيم « أهل السنّة والجماعة » معاوية بن أبي سفيان أن يمحو

ذكر محمّد من الأذان [1].

فلا غرابة أن يعمد أتباعه ومقلِّدوه على بتر الصلاة وتحريفها ، ولو قدروا على حذفها لفعلوا ، ولكن هيهات هيهات.

وقد تسمع اليوم في كلّ منبر من منابرهم وبالخصوص منابر الوهابية الصلاة المحرفة ، فإمّا أنّهم يصلّون صلاة بتراء ، وإذا ما اضطروا إلى إكمالها فإنّهم عندئذ يزيديون عليها لفظاً : وعلى أصحابه أجمعين ، أو يقولون : وعلى أصحابه الطيبين الطاهرين ، ويحوِّلون بذلك آية التطهير النازلة في أهل البيت إلى الصحابة ؛ ليموِّهوا على عامة الناس بأنّ أهل البيت والصحابة في الفضل سواء.

وقد أخذوا علم التمويه والتحريف على فقيههم الأوّل ، ومرشدهم الكبير عبد الله بن عمر الذي عرفنا بغضه لأهل البيت.

فقد أخرج مالك في الموطأ أنّ عبد الله بن عمر كان يقف على قبر النبيّ ، فيصلّي على النبيّ وعلى أبي بكر وعلى عمر [2].

وأنت أيّها الباحث إذا تأمّلت في الواقع ، فإنّك لا تجد لهذه الزيادة من الصلاة على الصحابة أصلا لا في الكتاب ولا في السنّة النبويّة ، وإنّما أمر الكتاب والسنّة بالصلاة على محمّد وآل محمّد ، والأمر هو موجه للصحابة قبل غيرهم من المكلّفين.

وإنّك لا تجد هذه الزيادة إلاّ عند « أهل السنّة والجماعة » فكم لهم من

---

١ . راجع في ذلك كتاب « فأسألوا أهل الذكر ».

٢ . الموطأ : ١٨٣ ح٦٨ ، باب ٢٢ فيما جاء في الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

بدعة في الدين ابتدعوها وسمّوها سنّة ، وهم يريدون من ورائها طمس فضيلة أو ستر حقيقة.

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [1].

وبهذا يتبيّن لنا أيضاً من هم أهل السنّة الحقيقيين من الأدعياء المزيفين.

---

١ ـ الصف : ٨.

أكاذيب تكشفها حقائق

نُريد أن نبيّن في هذا الفصل لكلّ عاقل حرّ ترك التعصّب ورفع الحجب والغشاوة عن بصره وبصيرته ليصل إلى الهداية والحقّ.

فنقول له بأنّ كلّ أقطاب « أهل السنّة والجماعة » وأئمتهم قد خالفوا صريح السنّة النبويّة ونبذوها وراء ظهورهم ، وتركوها عامدين طائعين.

فلا يغترنّ مسلم بما يسمعه هنا وهناك من مدح وإطراء مزيف ، لا يقوم على دليل واضح ولا برهان ساطع.

ونحن إذ نكشف عن هذه الحقائق لا نتقوّل عليهم ، ولا نزيد شيئاً على ما ذكروه هم أنفسهم في صحاحهم ومسانيدهم وتواريخهم ، وقد ذكرنا البعض من هذه الحقائق في كتبنا السابقة ، ومررنا عليها مرور الكرام ، ولا بأس بذكرها بشيء من التفصيل هنا حتى تشرق شمس الهداية ، وتتبدّد سحب الضلال ، ويحلّ النور محلّ الظلام.

وقد قلنا في ما سبق بأنّ في الإعادة إفادة ، وإذا ما تكرّرت الأحداث بأساليب متعدّد قد يستفيد منها القارئ أكثر ؛ لأنّ القرّاء قد يستهويهم أُسلوب معين فيقرأونه بدون ملل ، وقد تعلّمنا من القرآن الكريم هذا الأُسلوب الحكيم ، فهو يقصّ علينا قصّة موسى وعيسى عليهما السلام في العديد من السور ، وبأساليب متعدّدة يعضد بعضها بعضاً.

وسوف نأتي على ذكر الأئمة والأقطاب الذين يعتمدهم « أهل السنّة

والجماعة » ويعتبرونهم قمّة العلم والفقه ، ويقدّمونهم على الأئمة الأطهار من آل بيت المصطفى المختار ، مهملين بعض الصحابة الذين عرفوا لدى الخاصّ والعام من العلماء وغير العلماء بفسقهم وفجورهم وبعدهم عن روح الإسلام وأخلاقه ، أمثال معاوية ، وابنه يزيد [1] ، وابن العاص ، وابن مروان ، وابن شعبة وغيرهم.

ولوجبت في بعض البلاد العربية والإسلامية لـ « أهل السنّة والجماعة » فسوف تجد لهؤلاء ذكراً وتمجيداً ، وشوارع بأسمائهم ، وكتباً في عبقرياتهم وحسن سياستهم وصحة خلافتهم.

ومع ذلك فنحن لا نضيع الوقت في الكتابة عنهم وكشف عوراتهم ، فقد كفانا ذلك بعض الأحرار من المؤرّخين والمفكّرين.

ولكن سنتناول في هذا البحث أُولئك الأئمة الذين اشتهروا بالصلاح والعدل والزهد والتقوى ، فكانوا عمدة « أهل السنّة والجماعة » حتى نتعرّف من قريب كيف أنّهم غيَّروا سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وأحدثوا في هذه الأُمّة البدع التي سببت الفرقة والضلالة ، وحطمت ذلك البناء الشامخ الذي شيّده رسول

---

١ ـ أخرج ابن سعد في طبقاته الكبرى ٥ : ٦٦ ، عن عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة قال : والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بحجارة من السماء ، إنّ رجلا ينكح الأُمهات والبنات والأخوات ، ويشرب الخمر ، ويدع الصلاة ، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليتُ لله فيه بلاءً حسناً.

نعم ، هذا هو يزيد الخمور والفجور الذي قتل ريحانة الرسول ومعه العترة كلّهم ، وأباح مدينة الرسول ، ورغم ذلك فإنك تجد اليوم دولة إسلامية تكتب كتاباً عنوانه « حقائق عن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية »!!

الله ﷺ ، وقضى حياته كلّها عملا وجهاداً لصيانته وتثبيته.

وقد انتقيت من بين أقطاب « أهل السنّة والجماعة » اثني عشر شخصيّة ، كان لها دور كبير في التأثير على سير الأحداث وتغيير معالم الدين ، والمساهمة في تفريق الأُمّة وتشتيتها.

أئمة « أهل السنّة والجماعة » وأقطابهم

١ ـ أبو بكر بن أبي قحافة الخليفة الأوّل.

٢ ـ عمر بن الخطّاب الخليفة الثاني.

٣ ـ عثمان بن عفان الخليفة الثالث.

٤ ـ طلحة بن عبيد الله.

٥ ـ الزبير بن العوّام.

٦ ـ سعد بن أبي وقاص.

٧ ـ عبد الرحمان بن عوف.

٨ ـ عائشة بنت أبي بكر « أُمّ المؤمنين ».

٩ ـ خالد بن الوليد.

١٠ ـ أبو هريرة الدوسي.

١١ ـ عبد الله بن عمر.

١٢ ـ عبد الله بن الزبير.

فهؤلاء اثنا عشر شخصية اخترتهم من بين كثير من أقطاب « أهل السنّة والجماعة » ؛ لكثرة ذكرهم وتمجيدهم والثناء عليهم ، أو لكثرة رواياتهم وغزارة علمهم كما يزعمون. وسوف نتناول بالبحث الموجز لكلّ واحد منهم ، ونبرز مخالفته للسنّة النبويّة إمّا عمداً أو جهلا ؛ حتّى يتبيّن للباحث بأنّ « أهل السنّة والجماعة » يدّعون ما ليس لهم ، ويتّبعون أهواءهم ، زاعمين

بأنّهم على الحقّ وغيرهم على ضلال!

١ . أبو بكر (الصديق) ابن أبي قحافة :

لقد وافينا في بعض الأبحاث السابقة من كتبنا بأنّه جمع خمسمائة حديث للنّبي ﷺ أحرقها بالنار ، وخطب في الناس قائلا : لا تحدّثوا عن رسول الله شيئاً فمن سألكم فقولوا : بيننا وبينكم القرآن ، فأحلوا حلاله وحرّموا حرامه.

وقد ذكرنا أيضاً بأنّه خالف سنّة النبيّ ﷺ في كتابة الكتاب ، وأيّد عمر في قوله : « إنّ رسول الله يهجر وحسبنا كتاب الله ، يكفينا ».

كما ضرب بنصوص النبيّ في استخلاف علي عرض الجدار ، واغتصب الخلافة.

كما ترك سنّة النبيّ ﷺ في تأمير أُسامة عليه وسيره في جيشه.

كما ترك سنّة النبيّ ﷺ في إيذاء بضعته الزهراء وتحدّى غضبها.

كما ترك سنّة النبيّ ﷺ في حرب وقتل المسلمين الذين منعوه الزكاة.

كما ترك سنّة النبيّ ﷺ في حرقه الفجاءة السلمي ، وقد نهى النبيّ عن ذلك.

كما ترك سنّة النبيّ ﷺ في منعه سهم المؤلفة قلوبهم واتّبع رأي عمر.

كما ترك سنّة النبيّ ﷺ في استخلافه عمر على المسلمين دون مشورتهم.

نعم ، كلّ هذه المخالفات وغيرها لسنّة النبيّ ﷺ سجّلها صحاحُ « أهل السنّة والجماعة » ومؤرّخوهم ، وطفحت بها كتب السير.

فإذا كانت السنّة النبويّة كما عرّفها العلماء : هي كلّ قول أو فعل أو إقرار لرسول الله ﷺ ، فقد خالف أبو بكر السنّة بأجمعها من قول وفعل وتقرير.

ومن القول مثلا : قول النبيّ ﷺ : « فاطمة بضعة منّي من أغضبها فقد أغضبني » [1] ، وقد ماتت فاطمة وهي غاضبة عليه ، كما أخرج ذلك البخاري [2].

وقوله ﷺ : « لعنَ الله من تخلّف عن جيش أُسامة » [3] ، قاله عندما طعنوا في تأميره أُسامة ، ورفضوا الخروج معه والالتحاق بجيشه ، وقد تخلّف أبو بكر رغم كلّ ذلك متذرّعاً بالخلافة.

ومن الفعل مثلا : ما فعله رسول الله ﷺ مع المؤلّفة قلوبهم ، إذ عاملهم بالحُسنى وأعطاهم سهماً من الزكاة بأمر من الله تعالى.

ولكنّ أبا بكر حرمهم من ذلك الحقّ الذي نصّ عليه القرآن وفعله النبيّ ﷺ نزولا على رغبة عمر بن الخطّاب الذي قال لهم : لا حاجة لنا فيكم.

ومن الإقرار مثلا : ما أقرّه النبيّ ﷺ من كتابة أحاديثه ونشرها بين الناس ، ولكنّ أبا بكر أحرقها ومنع من نشرها والتحدّث بها.

أضف إلى ذلك أنّه كان يجهل كثيراً من أحكام القرآن الكريم ، فقد سُئل عن الكلالة التي نزل بحكمها القرآن ، فقال : إنّي سأقول فيها برأيي فإن يكُ

---

١ ـ صحيح البخاري ٤ : ٢١٠ ، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ.

٢ ـ صحيح البخاري ٤ : ٤٢ باب فرض الخمس ولفظه : « فغضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت ».

٣ ـ الملل والنحل للشهرستاني ١ : ٢٣.

صواباً فمن الله ، وإن يك خطأ فهو منّي ومن الشيطان [1].

كيف لا تعجب من خليفة المسلمين الذي يُسأل عن حكم الكلالة التي أوضحها الله في كتابه وبينها رسول الله ﷺ في سنّته ، فيترك الكتاب والسنّة ويقول فيها برأيه ، ثمّ يعترف بأنّ الشيطان قد يستحوذ على رأيه ، وهذا ليس بغريب على خليفة المسلمين أبي بكر ، فقد قال غير مرّة : « إنّ لي شيطاناً يعتريني » [2].

وقد قرّر علماء الإسلام بأنّ من قال في كتاب الله برأيه فقد كفر ، كما عرفنا بأنّ النبيّ ﷺ ما كان يقول برأي ولا بقياس.

أضف إلى ذلك أنّه كان يقول : « لا تحملوني على سنّة نبيّكم فإنّي لا أُطيقها » [3] فإذا كان أبو بكر لا يطيق سنّة النبيّ ﷺ ، فكيف يدّعي أتباعه وأنصاره أنّهم « أهل السنّة »؟!

ولعلّه لا يُطيقها لأنّها تذكّره بإنحرافه وبُعده عن صاحب الرسالة ، وإلاّ كيف نُفسّر قول الله تعالى : ﴿ **مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَج** ﴾ [4] وقوله : ﴿ **يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ [5] وقوله : ﴿ **لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ**

---

١ . سنن الدارمي ٢ : ٣٦٦ ، السنن الكبرى للبيهقي ٦ : ٢٢٣ ، تفسير ابن كثير ١ : ٤٧٠.

٢ . المصنّف لعبدالرزاق ١١ : ٣٣٦ ح٢٠٧٠١ ، كنز العمال ٥ : ٥٩٠ ح١٤٠٥٠ ، تاريخ دمشق ٣٠ : ٣٠٣ ، البداية والنهاية ٦ : ٣٣٤.

٣ . في مسند أحمد ١ : ١٤ بلفظ : « ولئن أخذتموني بسنّة نبيكم ﷺ ما أطيقها » ، وصرّح محقّق الكتاب العلاّمة أحمد محمّد شاكر بصحّته.

٤ . الحج : ٧٨.

٥ . البقرة : ١٨٥.

وُسْعَهَا ﴾ [1] وأخيراً قوله سبحانه وتعالى : ﴿ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [2].

فقول أبي بكر بأنّه لا يطيق سنّة النبيّ هو ردّ على هذه الآيات ، وإذا كان أبو بكر الخليفة الأوّل بعد النبيّ لا يطيق سنته في ذلك العهد ، فكيف يُطلبُ من مسلمي العصر الحاضر أن يُقيموا حكم الله بكتابه وسنّة نبيّه؟!

على أنّنا وجدنا أبا بكر يُخالف السنّة النبويّة حتّى في الأُمور الميسورة التي يقدر عليها فقراء الناس وجهالهم.

وقد ترك أبو بكر الأضحية التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعلُها ويؤكّد عليها ، وقد عرف كلّ المسلمين بأنّ الأضحية هي سنّة مستحبّة ومؤكّدة ، فكيف يتركها خليفة المسلمين؟!

قال الشافعي في كتاب الأُم وغيره من المحدّثين :

« إنّ أبا بكر وعمر (رضي الله عنهما) كانا لا يضحيان ، كراهية أنْ يُقتدى بهما فيظنّ من رآهما أنّها واجبة » [3].

إنّه تعليل باطل لا يقوم على دليل ، وكلّ الصحابة عرفوا من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّ الأضحية سنّة وليست واجبة.

وعلى فرض أنّ الناس ظنّوا أنّها واجبة فماذا يترتّبُ عن ذلك ، وقد رأينا عمر يبتدع صلاة التراويح وهي ليستْ سنّة ولا واجبة ، بل إنّ النبيّ نهى

---

١ . البقرة : ٢٨٦.

٢ . الحشر : ٧.

٣ . كتاب الأُم ٢ : ٢٤٦ ، وانظر السنن الكبرى للبيهقي ٩ : ٢٦٤.

عنها ، ومع ذلك فأغلب « أهل السنّة والجماعة » اليوم يظنّون أنّها واجبة.

ولعلّ أبا بكر وعمر بتركهم سنّة النبيّ في الأضحية أرادا أن يُوهمَا الناس بأنّ كلّ ما فعله رسول الله ﷺ ليس بواجب ويمكن تركه وإهماله.

وبذلك يستقيم قولهم : حسبنا كتاب الله يكفينَا ، ويستقيم أيضاً قول أبي بكر : لا تُحدّثوا عن النبيّ شيئاً ، وقولوا : بيننا وبينكم كتاب الله ، فأحلّوا حلاله وحرّموا حرامه.

وعلى هذا لو حاجج رجل أبا بكر بالسنّة النبويّة في الأضحية مثلا ، فسيكون جواب أبي بكر : لا تحدّثني عن النبيّ شيئاً ، وأرني الأضحية في كتاب الله!

وبعد هذا يَفهم الباحثُ لماذا بقيتْ سنّة النبيّ ﷺ عندهم مجهولة ومتروكة ، ولماذا بدّلوا أحكام الله ورسوله بآرائهم وقياسهم ، وما استحسنوه من أُمور تتماشى وأهواءهم.

وهذه الأمثلة التي أخرجناها هي غيضٌ من فيض لما فعله أبو بكر تجاه السنّة النبويّة الشريفة ، وما لقيتْ منه من إهانة وحرق وإهمال ، ولو شئنا لكتبنا في ذلك كتاباً مستقلاً.

فكيف يطمئنُّ المسلم إلى شخص هذا مبلغه من العلم ، وهذه علاقته بالسنّة النبويّة الشريفة ، وكيف يتسمّى أتباعه بـ « أهل السنّة »؟!

فأهل السنّة لا يهملونها ولا يحرقونها.

كلاّ ، بل أهل السنّة هم الذين يتّبعونها ويقدّسونها.

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ

رَّحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [1].

صدق الله العلي العظيم

٢ ـ عمر بن الخطّاب (الفاروق) :

عرفنا في أبحاث سابقة من كتبنا بأنّه كان بطل المعارضة للسنّة النبويّة الشريفة ، وأنّه الجريء الذي قال : إنّ رسول الله يهجر وحسبنا كتاب الله يكفينا ، وحسب قول الرسول الذي لا ينطق عن الهَوى ، فإنّ عمر هو الذي تسبّب في ضلالة من ضلّ في هذه الأُمّة [2].

وعرفنا بأنّه عمل على إهانة الزهراء وإيذائها ، فروّعَها وأدخل الرعب عليها وعلى صغارها عندما هجم على بيتها وهدّد بحرقه.

وعرفنا بأنّه عمل على جمع كلّ ما كتب من السنّة النبويّة فأحرقها ، ومنع الناس من التحدّث بأحاديث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد خالف عمر سنّة النبيّ في كلّ أدوار حياته وبمحضر النبيّ ، كما خالف سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في تسييره ضمن جيش أُسامة ، ولم يخرج معه بدعوى إعانة أبي بكر على أعباء الخلافة.

كما خالف القرآن والسنّة في منع سهم المؤلّفة قلوبهم.

---

١ ـ آل عمران : ٣١ ـ ٣٢.

٢ ـ دليل ذلك قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً » ، وقول ابن عبّاس : لو كتبَ ذلك الكتاب ما اختلف من الأُمّة اثنان ، ولما كان عمر هو الذي منع رسول الله من الكتاب واتّمه بالهجر كي لا يصرّ النبيّ على الكتابة ، عرفنا بأنّه تسبّب في الضلالة وحَرم الأُمّة الإسلامية من الهداية (المؤلّف).

كما خالف القرآن والسنّة في متعه الحجّ ، وكذلك في متعة النساء.

كما خالف القرآن والسنّة في الطلاق ثلاث فجعله طلقة واحدة.

كما خالف القرآن والسنّة في فريضة التيمّم ، وأسقط الصلاة عند فقد الماء.

كما خالف القرآن والسنّة في عدم التجسس على المسلمين فابتدعه.

كما خالف القرآن والسنّة في إسقاط فصل من الأذان وإبداله بفصل من عنده.

كما خالف القرآن والسنّة في عدم إقامة الحدّ على خالد بن الوليد ، وكان يتوعّده بذلك.

كما خالف السنّة النبويّة في النهي عن صلاة النافلة جماعة ، فابتدع التراويح.

كما خالف السنّة النبويّة في العطاء ، فابتدع المفاضلة وخلق الطبقيّة في الإسلام.

كما خالف السنّة النبويّة باختراعه مجلس الشورى وعهده لابن عوف.

والغريب أنّك تجد « أهل السنّة والجماعة » ينزلونه بعد كلّ هذا منزلة المعصومين ، ويقولون بأنّ العدل مات معه ، وبأنّه لما وُضع في قبره وجاءه الملكان ليسألانه ، فصاح بهما عمر : « من ربّكما؟ »! ويقولون بأنّه الفاروق الذي فرّق الله به الحقّ من الباطل.

أليس ذلك دليلا على الاستهزاء والسخرية من بني أُميّة وحكّامهم على الإسلام والمسلمين ، وبوضعهم أمثال هذه المناقب لشخص عُرف بالفظّ

الغليظ ، كما عُرف بمعارضته المستمرّة للرسول [1]. فكأن لسان حالهم يقول للمسلمين : لقد ولّى عهد محمّد بما فيه ، وأقبل عهدنا نحن لنُشرّع لكم من الدين ما نريد وما يعجبُنا ، فها أنتم أصبحتُم لنا عبيداً ، رغم أُنوفكم ورغم نبيّكم الذي فيه تعتقدون.

أليس هذا من قبيل ردّ الفعل والأخذ بالثّأر لتعود زعامة قريش بقيادة بني أُميّة الذين حاربوا الإسلام ونبيّ الإسلام؟

وإذا كان عمر بن الخطّاب يعمل على طمس السنن النبويّة ، ويسخر منها ويعارضُها حتى بحضور النبيّ نفسه ، فلا غرابة أن تُسلّم له قُريش قيادتها وتجعله زعيمها الأكبر ، لأنّه أصبح بعد ظهور الإسلام لسانَها الناطق وبطلها المعارض ، كما أصبح بعد وفاة النبيّ ﷺ قوّتها الضاربة ، وأملها العريض في تحقيق أحلامها وطموحاتها للوصول إلى السلطة وإرجاع عادات الجاهلية التي يعشقونها وما زالوا يحنّون إليها.

وليس من قبيل الصدفة أن نجد عمر بن الخطّاب يخالف السنّة النبويّة في خلافته ، ويعمل على تأخير مقام إبراهيم عن البيت إلى ما كان عليه أيام الجاهلية.

فقد أخرج ابن سعد في طبقاته وغيره من المؤرّخين :

إنّ النبيّ ﷺ لما فتح مكّة ألْصقَ مقام إبراهيم بالبيت ، كما كان على عهد

---

١ . أخرج مسلم في صحيحه ٤ : ٥٩ باب (إهلال النبيّ وهديه) أنّ ابن عبّاس وابن الزبير اختلفا في المتعتين فقال جابر بن عبد الله : فعلناهما مع رسول الله ﷺ ثمّ نهانَا عنهما عمر فلم نعدلهما.

إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لأنّ العرب في الجاهلية أخّروه إلى مكانه اليوم ، فلمّا ولّي عمر بن الخطّاب أخّره إلى موضعه الآن ، وكان على عهد النبيّ وأبي بكر ملصقاً بالبيت [1].

فهل ترى بربّك من مبرّر لعمر بن الخطّاب حتّى يعمد فيُميتَ سنّة النبيّ الذي أعاد ما فعله إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، فيُحيي عمر سنّة الجاهلية ، ويُعيد بناء المقام كما كان على عهدهم؟

فكيف لا تُقدّمه قريش ، وكيف لا تروي في فضائله ما يتعدّى الخيال ، حتّى إنّ صاحبه أبا بكر الذي تقدّمه في الخلافة لم يبلغ شأوَهُ وكان في نزعه ضعفٌ حسب ما يرويه البخاري ، ولكن عمر أخذها منه فلم يُرَ عبقرياً يفري فريه.

وهذا نزرٌ يسيرٌ من بدعه التي أحدثها في الإسلام ، وهي مخالفة كلّها لكتاب الله وسنّة رسوله ، ولو شئنا جمع البدع والأحكام التي قال فيها برأيه ، وحمل الناس عليها ، لكتبنَا في ذلك كتاباً مستقلا ، لولا توخّي الاختصار.

ولقائل أن يقول : كيف خالف عمر بن الخطّاب كتاب الله وسنّة رسوله ، والله تعالى يقول : ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُبِيناً** ﴾ [2]؟

وهذا ما يردّده أكثر الناس اليوم ، وكأنّهم يكذبون ولا يصدّقون أنّ عمر

---

١ . الطبقات الكبرى لابن سعد ٣ : ٢٨٤ ولفظه : « وهو أخّر المقام إلى موضعه اليوم ، كان ملصقاً بالبيت ».

٢ . الأحزاب : ٣٦.

ابن الخطّاب يفعلُ ذلك.

فنقول لهؤلاء : هذا ما أثبتَهُ له أولياؤه وأتباعه من « أهل السنّة والجماعة » الذين يُفضّلونه على النبيّ من حيث لا يشعرون.

فإذا كان ما قيل فيه كذباً ، فصحاحُهم كلّها تسقُطُ عن الاعتبار ، ولا حجّة لهم بعد ذلك على كلّ ما يعتقدون! على أنّ جلّ الأحداث التاريخية كتبتْ في عهد دولة « أهل السنّة والجماعة » الذين لا يُشكُّ في حبّهم واحترامهم وتقديرهم لابن الخطّاب.

وإذا كانتْ صحيحة . وذلك هو الواقع الذي لا مفرَّ منه . فعلى المسلمين اليوم أنْ يُراجعوا موقفهم ، ويعيدوا النظر في كلّ عقائدهم إنْ كانوا من « أهل السنّة والجماعة ».

وإنّك تجد أكثر المحقّقين اليوم لما أعيتهم الحيلة لردّ مثل هذه الروايات والأحداث التاريخية التي أجمع عليها العلماء والمحدّثون ، ولا يقدرون على تكذيبها ، فتراهم يتأوّلُون ويلتمسون بعض الأعذار الواهية التي لا تقوم على دليل علمي ، والبعض منهم أخذ يعدّد بدعه ويقلبها مناقب من مفاخرة التي يُشكر عليها.

وكأنّ الله ورسوله ما كانا يعرفان مصلحة المسلمين ، وغفلا عن تلك البدع . استغفر الله . ، فاكتشفها عمر بن الخطّاب ، فسنّها لهم بعد وفاة رسول الله ﷺ .

إنّه بهتانٌ عظيم وكفرٌ صريح ، نعوذ بالله من خطل الآراء وزلل الأهواء ، وإذا كان عمر هو زعيم وإمام « أهل السنّة والجماعة » ، فإنّي أبرأُ إلى الله من

تلك السنّة وتلك الجماعة.

وأسأله سبحانه أن يُميتني على سنّة خاتم النبيين وسيّد المرسلين سيّدنا محمّد ، وعلى منهاج أهل بيته الطّيبين الطّاهرين.

٣ ـ عثمان بن عفان (ذو النورين) :

وهو الخليفة الثالث الذي وصل الخلافة بتدبير عمر بن الخطّاب وعبد الرحمان بن عوف ، الذي أخذ عليه العهد والميثاق بأنْ يحكُمَ فيهم بكتاب الله وسنّة رسوله وسنّة الخليفتين.

وأنا شخصياً أصبحتُ أشكّ في الشرط الثاني الذي يتمثّل في الحكم بسنّة رسول الله ﷺ ؛ لأنّ عبد الرحمان بن عوف يعرف أكثر من غيره بأنّ الخليفتين أبا بكر وعمر لم يحكُما السنّة النبويّة ، وإنّما حكما باجتهادهما وآرائهما ، وأنّ السنّة النبويّة على عهد الشيخين كادت تكون معدومة تماماً لولا وقوف الإمام علي على إحيائها كلّما سمحتْ له الظّروف بذلك.

وأغلبُ الظنّ أنّه اشترط على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بأن يحكم فيهم بكتاب الله وسنّة الشيخين ، فرفض علي هذا العرض قائلا : لا أحكم إلاّ بكتاب الله وسنّة رسوله ، فخسر الخلافة لأنّه أراد إحياء سنّة النبيّ ﷺ ، وفاز بها عثمان لأنّه قبل أن يواصل درب أبي بكر وعمر اللذين صرّحَا غير مرّة بأنْ لا حاجة بالسنّة النبويّة ، وإنّما يكفي القرآن ليُحلّلوا حلاله ويُحرّموا حرامه.

ويزيدنا يقيناً صحّة ما ذهبنا إليه أنّ عثمان بن عفّان فهم من هذا الشرط أنّ عليه أن يجتهد برأيه في الأحكام كما فعل صاحباه ، وهي السنّة التي

سنّها الشيخان بعد النبيّ.

ولذلك نرى عثمان أطلق العنان لرأيه ، واجتهد أكثر من صاحبه ، حتّى أنكر عليه الصحابة ، وجاؤوا يلومون عبد الرحمان بن عوف قائلين له : هذا عمل يديك!

ولما كثُرتْ المعارضة والإنكار على عثمان ، قام في الصحابة خطيباً فقال لهم : « لماذا لم تنكروا على عمر بن الخطّاب اجتهاده ، ألأنّه كان يُخيفكم بدرته؟ ».

وفي رواية ابن قتيبة : قام عثمان خطيباً على المنبر لما أنكر الناس عليه فقال : أما والله يا معشر المهاجرين والأنصار لقد عبتم عليَّ أشياء ونقمتم عليَّ أموراً قد أقررتم لابن الخطّاب مثلها ، ولكنّه وقمكم وقمعكم ، ولم يجترئ أحدٌ يملأ بصره منه ولا يُشير بطرفه إليه ، أمَا والله لأنَا أكثر من ابن الخطّاب عدداً وأقرب ناصراً [1].

وأعتقد شخصيّاً بأنّ الصحابة من المهاجرين والأنصار لم ينكروا على عثمان اجتهاده ، فقد ألفوا الاجتهاد وباركوه من أوّل يوم ، ولكنّهم أنكروا عليه لما عزلهم وولّى المناصب والولايات الفساق من بني عمومته وقرابته ، الذين كانوا بالأمس القريب حرباً على الإسلام والمسلمين.

وقد سكت المهاجرون والأنصار على أبي بكر وعمر لأنّهما أشركاهم في الحكم ، وأعطياهم المناصب التي فيها المال والجاه.

أمّا عثمان فإنّه عزل أكثرهم ، وأعطى الأموال الطائلة إلى بني أُميّة بغير

---

١ . تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ١ : ٤٦.

حساب ، عند ذلك أنكروا عليه ، وأثاروا حوله الشبهات إلى أن قتلوه.

وهذه هي الحقيقة التي تنبّأ بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما قال لهم : « إنّي لا أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكنّي أخاف عليكم أنْ تنافسوا فيها » [1].

وقال الإمام علي عليه السلام : « كأنّهم لم يسمعوا قول الله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [2]. بلى والله لقد سمعوها ووعوها ، ولكنّهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها » [3].

فهذا هو الواقع ، أمّا أن نعتقد بأنّهم أنكروا عليه تغيير سنّة النبيّ ، فهذا ممّا لا سبيل إليه ، ولأنّهم لم ينكروا على أبي بكر وعمر ، فكيف ينكرونها عليه ، والمفروض أنّ عثمان بن عفّان أكثر عدداً وأقرب ناصراً من أبي بكر وعمر ، كما صرّح هو نفسه بذلك ، لأنّه زعيم بني أُميّة ، وبنو أُميّة أقرب للنّبي من تيم وعدي قبيلتي أبي بكر وعمر ، وأشدّ منهما قوّة ونفوذاً وأشرف منهما حسباً ونسباً.

ولأنّ الصحابة لم ينكروا على أبي بكر وعمر ، بل كانوا يقتدون بسنّتهما ، ويتركون سنّة النبيّ وهم يعلمون ، فلا يمكن أن ينكروا على عثمان ما أقرّوه لغيره.

والدّليل أنّهم حضروا في كثير من المواقف التي غيّر فيها عثمان سنّة

---

١ . صحيح البخاري ٢ : ٩٤ باب الصلاة على الشهيد ، السنن الكبرى للبيهقي ٤ : ١٤ ، صحيح ابن حبان ٧ : ٤٧٣.

٢ . القصص : ٨٣.

٣ . نهج البلاغة ١ : ٣٦ ، الخطبة : ٣.

النبيّ كإتمامه صلاة السفر ، ومنعه من التلبية ، وتركه التكبير في الصلاة ، ومنعه من التمتّع في الحجّ ، فلم ينكر عليه غير علي بن أبي طالب ، كما سنعرفه قريباً بحول الله.

والصحابة كانوا يعرفون سنّة النبيّ ، ويعمدون على مخالفتها من أجل إرضاء الخليفة عثمان.

أخرج البيهقي في سننه الكبرى عن عبد الرحمان بن يزيد قال : كنّا مع عبد الله بن مسعود ، فلمّا دخل مسجد منى قال : كم صلّى أمير المؤمنين (يعني عثمان) قالوا : أربعاً ، فصلّى أربعاً ، قال : فقلنا : ألم تُحدّثنَا أن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم صلّى ركعتين وأبا بكر صلّى ركعتين؟!

فقال : بلَى وأنا أحدّثكموه الآن ، ولكن عثمان كان إماماً ، فما أُخالفه والخلاف شرٌ [1].

إقرأ واعجب من هذا الصحابي ، وهو من أكابرهم عبد الله بن مسعود ، إذ يرى في خلاف عثمان شرّاً ، ويرى في خلاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلّ الخير!!

أفبعد هذا يقالُ : إنّهم أنكروا عليه عندما ترك السنّة النبويّة؟!

وروى سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمّد قال :

اعتلَّ عثمان وهو بمنى ، فأتى عليٌّ فقيل له : صلِّ بالنّاس.

فقال علي : إنْ شئتم ، ولكن أُصلّي لكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعني ركعتين!

---

١ ـ السنن الكبرى للبيهقي ٣ : ١٤٤ ، تاريخ دمشق ٣٩ : ٢٥٤.

فقالوا : لا إلاّ صلاة أمير المؤمنين عثمان أربعاً ، فأبى علي أنْ يصلّي بهم [1].

إقرأ واعجب من هؤلاء الصحابة وهم أُلوف مؤلّفة ؛ لأنّهم كانوا بمنى في موسم الحجّ ، كيف يرفضون صراحة سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يقبلون إلاّ بدعة عثمان؟!!

وإذا كان عبد الله بن مسعود يرى في خلاف عثمان شرّاً فيصلّي أربعاً ، رغم أنّه يروي عن النبيّ ركعتين ، فلعلّه فعل ذلك تقيّة خوفاً من هؤلاء الذين يُعدّون بالآلاف ، والذين لا يقبلون إلاّ ما فعله عثمان ، ضاربين بالسنّة النبويّة عرض الجدار.

ولا تنسَ بعد كلّ هذا أنْ تُصلّي وتُسلّم على النبيّ ، وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي رفض أنْ يُصلّي بهم إلاّ صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد أراد بذلك إحياء السنّة النبويّة التي خالفوها ، ولم يخشَ عليٌّ في ذلك لومة لائم ، ولا خاف من جموعهم ومؤامراتهم.

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أنّ عبد الله بن عمر قال : الصلاة في السفر ركعتان ، من خالف السنّة فقد كفَر [2].

وبهذا فقد كفّر عبد الله بن عمر الخليفة عثمان ، وكلّ الصحابة الذين تابعوه على بدعة إتمام الصلاة في السفر ، ومع ذلك فلنا عودة مع الفقيه عبد الله بن

---

١ . المحلّى لابن حزم ٤ : ٢٧٠.

٢ . المعجم الأوسط ٨ : ٢٤ ، كنز العمال ٧ : ٥٤٦ ح٢٠١٨٥ ، أحكام القرآن للجصاص ٢ : ٣١٩.

عمر لنحكم عليه بما حكم به على غيره.

كما أخرج البخاري في صحيحه قال : سمعتُ عثمان وعلياً ـ رضي الله عنهما ـ بين مكّة والمدينة ، وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما ، فلمّا رأى ذلك عليٌّ أهلّ بهما جميعاً قائلا : لبّيك عمرة وحجّة معاً ، فقال عثمان : تراني أنهى الناس عن شيء وتفعله أنتَ؟ فقال عليٌّ : لم أكن لأدع سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقول أحد من الناس [1].

ألا تعجب من خليفة المسلمين الذي يخالف صريح السنّة ، ولا يكتفي بذلك حتّى ينهى الناس عنها ، فلا ينكرُ عليه أحدٌ منهم إلاّ علي بن أبي طالب الذي لم يكن يدع سنّة رسول الله ولو قتل دون ذلك!!

فقل لي بربك ، هل تجدْ في أصحاب محمّد من يمثّل السنّة النبويّة بحقّ وحقيقة غير أبي الحسن علي عليه السلام ؟

ورغم سطوة الحاكم وشدّته ، ورغم تأييد الصحابة له ، فإنّ عليّاً لم يترك السنّة أبداً ، وهذه كتبهم وصحاحهم تشهد على صدق ما ذهبنا إليه من أنّه (سلام الله عليه) قد حاول بكلّ جهوده إحياء السنّة النبويّة ، وإرجاع الناس إلى أحضانها ، ولكن « لا رأي لمن لا يُطاع » ، كما قال هو بنفسه.

فلم يكن في ذلك العصر من يُطيعُه ويعمل بأقواله غير الشيعة الذين والُوه واتّبعوه وانقطعوا إليه في كلّ شيء.

وبهذا يتبيّن لنا جلياً بأنّ الصحابة لم ينكروا على عثمان تغييرهُ للسنّة النبويّة ، فقد عرفنَا من صحاحهم كيفَ أنّهم يُخالفون سنّة النبيّ ولا يُخالفونه

---

١ ـ صحيح البخاري ٢ : ١٥١ (كتاب الحجّ ، باب التمتّع والإقران).

في بدعه ، ولكنّهم ثارتْ ثائرتُهم عليه من أجل الدّنيا الدّنيئة لكسب المالِ والجاه والسلطان.

وهم الذين حاربوا عليّاً دون هوادة لأنّه لم يُولِّهم المناصبَ ، وطالبَهم أن يُرجعوا الأموال التي جمعوها بغير حقّ إلى بيت مال المسلمين ليستفيدَ منها المسَاكين.

لك الله يا أبا الحسن ، يا من حافظت على كتاب ربّك وسنّة ابن عمّك رسول الله ﷺ ، وكنتَ إمام المتّقين ، وناصرَ المستضعفين ، وكان شيعتك هم الفائزون ، إذ إنّهم تمسّكوا بكتاب الله وسنّة رسوله بالتفافهم حولك وانقطاعهم إليك.

فهل تُصدّق أيّها القارئ العزيز والباحث اللّبيب بعد كلّ ما مرّ عليك من أبحاث بأنّ أتباع عثمان بن عفّان هم أهل السنّة ، واتباعُ علي هم الروافض وأهل البدع؟!

فاحكم بما أراك الله إن كنتَ من المنصفين.

﴿ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ [1].

صدق الله العلي العظيم

٤ . طلحة بن عبيد الله :

إنّه من كبار الصحابة المشهورين ، وهو أحد الستة الذين رشّحهم عمر بن

---

١ . النساء : ٥٨.

الخطّاب للخلافة ، وقال فيه بأنّه مؤمن الرضى ، كافر الغضب ، يوماً إنسان ويوماً شيطان ، وهو أحد العشرة المبشّرين بالجنّة على زعم « أهل السنّة والجماعة ».

وعندما نبحثُ عن شخصية هذا الرجل في كتب التاريخ يتبيّنُ لنا بأنّه من عشّاق الدنيا ، من الذين غرّتهم وجرّتهم وراءها ، فباعوا دينهم من أجلها ، وخسروا أنفسهم ، وما ربحت تجارتهم ، ويوم القيامة يندمون [1].

هذا طلحة الذي كان يؤذي رسول الله ﷺ بقوله : « إن ماتَ رسول الله تزوجتُ عائشة فهي بنت عمي ، فبلغ رسول الله قوله فتأذّى من ذلك » [2].

ولما نزلتْ آية الحجاب واحتجب نساء النبيّ ﷺ قال طلحة : « أيحجبنا محمّد عن بنات عمّنا ويتزوّج نساءنا من بعدنا؟ فإن حدث به حدث لنزوجنّ نساءه من بعده » [3].

ولما تأذى رسول الله من ذلك نزل قول الله تعالى :

---

١ ـ جاء في الإمامة والسياسة لابن قتيبة عند ذكره لحرب الجمل أنّ الزبير كان لا يشكّ في ولاية العراق وطلحة في اليمن ، فلمّا استبان لهما أنّ عليّاً غير موليهما شيئاً أظهرا الشكاة.

وفي تاريخ الطبري ٣ : ٤٩١ أنّه جاء رجل إلى طلحة والزبير وهما في المسجد بالبصرة ، فقال : نشدتكما الله في مسيركما أعهد إليكما فيه رسول الله ﷺ شيئاً؟ فقام طلحة فلم يجبه ، فناشد الزبير ، فقال : لا ، ولكن بلغنا أنّ عندكم دراهم فجئنا نشارككم فيها.

٢ ـ الدر المنثور ٥ : ٢١٤ ، الطبقات الكبرى ٨ : ٢٠١ ، زاد المسير لابن الجوزي ٦ : ٢١٣.

٣ ـ الدر المنثور ٥ : ٢١٤.

﴿ ... وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيماً ﴾ [1].

وهذا طلحة الذي دخل على أبي بكر قبل وفاته عندما كتب عهده بالخلافة لعمر بن الخطّاب فقال له : ماذا تقول لربّك إذ ولّيتَ علينا فظّاً غليظاً؟ فشتمه أبو بكر بكلام بذيء [2].

ولكنّنا نجده بعد ذلك يسكُت ويرضى بالخليفة الجديد ، ويُصبح من أنصاره ، ويعمل على جمع الأموال وكسب العبيد ، خصوصاً بعد أن طمع في الخلافة ، واشرأبتّ عنقه إليها بعد أن رشّحه عمر بن الخطّاب لها.

وطلحة هو الذي خذل الإمام عليّاً ، وانحاز في صفّ عثمان بن عفّان لعلمه المسبق بأنّ الخلافة إذا آلتْ إلى علي فلا يبقى له فيها مطمع بعد ذلك ، وقد قال عليّ في ذلك : « فصغى رجلٌ منهم لضغنه ، ومال الآخر لصهره ، مع هن وهن ... ».

يقول الشيخ محمّد عبده في شرحه : « وكان طلحة ميالا لعثمان لصلات بينهما على ما ذكره بعض رواة الأثر ، وقد يكفي في ميله إلى عثمان انحرافه عن علي لأنّه تيمي ، وقد كان بين بني هاشم وبني تيم مواجد لمكان الخلافة في أبي بكر » [3].

لا شكّ بأنّ طلحة هو أحد الصحابة الذين حضروا بيعة الغدير ، وسمعوا

---

١ . الأحزاب : ٥٣.

٢ . نحوه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١ : ١٣ ، السنن الكبرى للبيهقي ٨ : ١٤٩ ، المصنّف لابن أبي شيبة ٧ : ٤٨٥ ح٤٦ ، الطبقات الكبرى ٣ : ٢٧٤.

٣ . شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده ١ : ٣٤.

قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « من كنتُ مولاه فهذا عليٌّ مولاه ».

ولا شكّ بأنّه سمع رسول الله يقول : « عليّ مع الحقّ والحقّ مع علي » ، وحضر يوم خيبر عندما أعطاه الراية وقال بأنّه يحبُّ الله ورسوله ويُحبّه الله ورسوله ، ويعرف أيضاً بأنّ عليّاً هو للنّبي بمنزلة هارون من موسى ، ويعرفُ الكثير والكثير.

ولكنّ الحقد الدفين والحسد ملأ قلبه ، فلم يعد يرى إلاّ التعصّب لقبيلته ، والانحياز إلى ابنة عمّه عائشة بنت أبي بكر التي كان يطمع في الزواج منها بعد النبيّ ، ولكن القرآن حال دون ذلك.

نعم ، لقد انضمّ طلحة إلى عثمان وبايعه بالخلافة لأنّه كان يُعطيه الصِّلات والهبات ، ولما اعتلى عثمان منصّة الخلافة أغدق على طلحة من أموال المسلمين بدون حساب [1] ، فكُثرتْ أمواله ومواشيه وعبيده حتّى بلغتْ غلّته من العراق وحده كلّ يوم ألف دينار.

يقول ابن سعد في طبقاته : لما ماتَ طلحة كانتْ تركتُه ثلاثين مليوناً من الدّراهم ، كان النقد منها مليونين ومائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار ، وكان سائرها عروضاً وعقاراً [2].

---

١ ـ ذكر الطبري ٣ : ٤٣٣ ، وابن أبي الحديد ٢ : ١٦١ ، وطه حسين في الفتنة الكبرى : ٣٤٤ بأنّ طلحة كان قد اقترض من عثمان خمسين ألفاً ، فقال له ذات يوم : قد تهيأ مالك فأرسل من يقبضه ، فقال عثمان : هو لك يا أبا محمّد معونة على مروءتك! ويقال : إنّ عثمان وصل طلحة بمائتي ألف أيضاً.

٢ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد ٣ : ٢٢٢ ، باختلاف ، المجموعة الكاملة لمؤلّفات طه حسين ٤ : ٣٤٤.

لكلّ ذلك طغَى طلحة وتجبّر ، وبدأ يؤلّب على صديقه الحميم عثمان ليُطيح به ويأخذَ مكانه.

ولعلّ عائشة أُمّ المؤمنين أطمعته في الخلافة ومنّته بها ؛ لأنّها هي الأُخرى عملت على إسقاط عثمان بكلّ جهودها ، وكانت لا تشكُّ في أنّ الخلافة ستؤول إلى ابن عمّها طلحة ، ولما بلغها مقتل عثمان وأنّ الناس قد بايعوا طلحة فرحتْ فرحاً شديداً وقالت : « بعداً لنعثل وسحقاً ، إيه ذَا الإصبع إيه أبا شبل ، إيه ابن عمّ لله أبوك ، أمَا إنّهم وجدوا طلحة لها كفؤاً » [1].

نعم ، هذا جزاء عثمان من طلحة ، بعدما أغناهُ غدر بهِ من أجل الطّمع في الخلافة وألّب عليه الناس ، وكان من أشدّ المحرّضين عليه حتّى منعه من شرب الماء أيام الحصار.

قال ابن أبي الحديد بأنّ عثمان كان يقول أيّام الحصار : ويْلي على ابن الحضرميّة « يعني طلحة » ، أعطيته كذا وكذا بهاراً [2] ذهباً ، وهو يروم دمي ويحرّض على نفسي ، اللّهمّ لا تمتّعهُ به ، ولقّه عواقب بغْيِه [3].

---

١ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ : ٢١٥ ، انساب الأشراف للبلاذري : ٢١٧ ، باختلاف.

٢ ـ البهار : شيءٌ يوذن به ، وهو ثلاثمائة رطل أُستمائة ألف مجمع البحرين ١ : ٢٥٧ ، مادة : بهر ، الصحاح للجوهري ٢ : ٥٩٩ ، مادة : بهر ، لسان العرب لابن منظور ٤ : ٨٤ ، مادة : بهر.

٣ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩ : ٣٥.

وقال الذهبي في ترجمة طلحة ١ : ٣٤ : (يحيى بن معين ، حدّثنا هشام .. سمعت علقمة بن وقاص الليثي قال : لما خرج طلحة والزبير وعائشة للطلب بدم عثمان

نعم ، هذا طلحة الذي انحاز لعثمان ، واختاره للخلافة من أجل إبعادها عن عليّ ، ولأنّ عثمان أعطاه الذّهب والفضّة ، وها هو اليوم يؤلّب عليه ، ويأمر الناس بقتله ، ويمنع دخول الماء إليه ، وعندما يأتون بجثّته يمنع من دفنه في مقابر المسلمين ، فيدفنُ في « حش كوكب » كانت اليهود تدفن فيه موتاهم [1].

عرّجوا على منصرفهم بذات عرق ، فاستصغروا عروة بن الزبير وأبا بكر عبد الرحمان فردّوهما ، قال : رأيت طلحة وأحبّ المجالس إليه أخلاها .. فقلت : يا أبا محمّد إنّي أراك وأحبّ المجالس إليك أخلاها إن كنت تكره هذا الأمر فدعه! فقال : يا علقمة لا تلمني ، كنّا أمس يداً واحدة على من سوانا ، فأصبحنا اليوم جبلين من حديد ، يزحف أحدنا إلى صاحبه ، ولكنّه كان منّي شيء في أمر عثمان ، ممّا لا أرى كفارته إلاّ سفك دمي وطلب دمه) وسند الرواية صحيح كما صرّح الذهبي في تلخيص المستدرك.

وعلّق الذهبي على هذه الرواية بقوله :

(قلت : الذي كان منه في حقّ عثمان تمغفل وتأليب ، فعله باجتهاد ..).

وفي نفس المصدر ١ : ٣٥ : (عن قيس قال : رأيت مروان بن الحكم حين رمى طلحة يومئذ بسهم ، فوقع في ركبته ، فما زال يسنح حتى مات.

رواه جماعة عنه ، ولفظ عبد الحميد بن صالح عنه : هذا أعان على عثمان ولا أطلب بثأري بعد اليوم.

قال خليقة بن خياط : حدّثنا من سمع جويرية بن أسماء .. عن عمّه : أنّ مروان رمى طلحة بسهم فقتله ، ثمّ التفت إلى أبان فقال : قد كفيناك بعض قتلة أبيك).

أقول : هذا الإمام الذهبي المحدّث الكبير يصف طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة بأنّه مغفل ، وأنّ فيه غفلة جعلته يؤلّب الناس على عثمان ، ثمّ بعد مقتل عثمان ألّب الناس على علي بن أبي طالب!!

١ . تاريخ الطبري ٣ : ٤٣٨.

ثمّ بعد ذلك نَرى طلحة أوّل من يُبايع الإمام عليّاً بعد مقتل عثمان ، ثمّ ينكُث بيعته ويلتحق بعائشة ابنة عمّه في مكّة ، وينقلب فجأةً للمطالبة بدم عثمان ، سبحان الله! هل يوجد بهتان أكبر من هذا؟!

بعض المؤرّخين يُعلّلُ ذلك بأنّ عليّاً رفض أن يُولّيه على الكوفة وما وراءها ، فنكث البيعة وخرج محارباً للإمام الذي بايعه بالأمس.

إنّها نفسيّة من غرق في الدنيا إلى أُمّ رأسه ، وباع آخرته ولم يعد يُشغله غير المنصب والجاه والمال.

يقول طه حسين :

« فكان طلحة إذن يمثّلُ نوعاً خاصاً من المعارضة ، رضِيَ مَا أتاحَ الرضى لَه الثراء والمكانة ، فلمّا طمع في أكثر من ذلك عارض حتى أهلك وهلكَ [1].

هذا هو طلحة الذي بايع بالأمس الإمام علياً ، يخرج بعد أيّام قليلة يجرُّ حرم رسول الله عائشة إلى البصرة ، فيقتل الأبرياء ، وينهب الأموال ، ويُثير الرعب في الناس حتى يشقّوا عصا الطّاعة لعلي ، ويقف بدون خجل يُحارب إمام زمانه الذي أعطاه عهد البيعة طائعاً مختاراً.

ومع ذلك فقد بعث إليه الإمام علي قبل المعركة ، فلقيه في الصفّ ، فسأله : « أمّا بايعتني؟ وما الذي أخرجك يا طلحة »؟

قال : الطلب بدم عثمان.

قال علي : « قتل الله أولانَا بدم عثمان ».

---

١ . المجموعة الكاملة لمؤلّفات طه حسين ٤ : ٣٤٥.

وفي رواية ابن عساكر ، قال له الإمام علي : « أُنشدك الله يا طلحة أسمعتَ رسول الله ﷺ يقول : من كنتُ مولاه فعلي مولاه ، اللّهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه »؟

قال : نعم.

فقال له : « فلم تُقاتلني »؟!

وكان جوابه : الطّلب بدم عثمان ، وكان ردّ علي : « قتل الله أولانا بدم عثمان » [1].

واستجاب الله دعوة علي فقُتل طلحة في اليوم نفسه ، قتله مروان بن الحكم الذي جاء به طلحة لمحاربة علي [2].

إنّه طلحة الفتنة والبهتان وتقليب الحقائق لا يراعي في ذلك إلاًّ ولا ذمّة ، ولا يفي بعهده ، ولا يسمع نداء الحقّ ، وقد ذكّره به الإمام علي ، وأقام عليه بذلك الحجّة ، ولكنّه أصرّ واستكبر وتمادى في غيّه ، فضلَّ وأضلَّ ، وقُتلَ بسبب فتنته خلق كثير من الأبرياء ، لم يشاركوا في مقتل عثمان ولا عرفوه مدّة حياتهم ، ولا خرجوا من البصرة.

نقل ابن أبي الحديد أنّه لما نزل طلحة البصرة أتاه عبد الله بن حكيم

---

١ . تاريخ دمشق ٢٥ : ١٠٨ ، باختلاف.

٢ . قال الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة مروان ٣ : ٤٧٩ : (قال ابن سعد : كانوا ينقمون على عثمان تقريب مروان وتصرّفه.

وقاتل يوم الجمل أشدّ قتال ، فلمّا رأى الهزيمة رمى طلحة بسهم فقتله ، فخرج يومئذ وحمل إلى بيت امرأة فداووه .. وكان يوم الحرة مع مسرف بن عقبة يحرّضه على قتال أهل المدينة).

التميمي لكُتب كان كتبها إليه فقال لطلحة :

يا أبا محمّد أما هذه كتبك إلينا؟

قال : بَلَى.

قال : فكتبتَ أمس تدعونا إلى خلع عثمان وقتله ، حتّى إذا قتلتهُ أتيتنا ثائراً بدمه ، فلعمري ما هذا رأيك ، إنّك لا تريد إلاّ هذه الدنيا ، مهلا إذا كان هذا رأيكَ فلِمَ قبلتَ من علي ما عرض عليك من البيعة ، فبايعته طائعاً راضياً ثمّ نكثتَ بيعتك ، ثمّ جئتَ لتدخلنا في فتنتك [1].

نعم ، هذه هي حقيقة طلحة بن عبيد الله عارية ، كما ذكرها أصحاب السنن والتواريخ من « أهل السنّة والجماعة » ، وبعد كلّ هذا فهم يقولون بأنّه من العشرة المبشّرين بالجنّة.

ويحسبون أنّ الجنة هي فندق هيلتون يدخلها أصحاب الملايين والسماسرة من رجال الأعمال ، فيلتقي فيها القاتل والمقتول ، والظالم والمظلوم ، ويلتقي فيها المؤمن والفاسق ، والبرّ والفاجر.

﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيم ﴾ [2].

﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ [3].

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لاَ يَسْتَوُونَ ﴾ [4].

---

١ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩ : ٣١٨.

٢ . المعارج : ٣٨.

٣ . ص : ٢٨.

٤ . السجدة : ١٨.

﴿ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ [1].

٥ . الزبير بن العوّام :

هو أيضاً من كبار الصحابة ومن المهاجرين الأوّلين ، وله قرابة قريبة من رسول الله ﷺ ، فهو ابن صفيّة بنت عبد المطّلب عمّة النبيّ.

وهو أيضاً زوج أسماء بنت أبي بكر أُخت عائشة ، وهو أحد الستة الذين رشحهم عمر بن الخطّاب للخلافة [2].

وهو أيضاً من المبشّرين بالجنّة على ما يقول « أهل السنّة والجماعة ».

ولا غرابة أن نجده دائماً في صحبة شبيهه طلحة ، فلا يذكر طلحة إلاّ ومعه الزبير ، ولا الزبير إلاّ ومعه طلحة.

وهو أيضاً من الذين تنافسوا في الدّنيا وملأوا منها البطون ، فقد بلغتْ تركته حسبما يذكره الطّبري ، خمسين ألف دينار ، وألف فرس ، وألف عبد ،

---

١ . السجدة : ١٩ . ٢٠.

٢ . لقد ابتكر عمر بن الخطّاب هذه الفكرة وهي من الدّهاء بمكان ، وذلك ليخلق معارضين لعلي ومنافسين له ؛ لأنّ الصحابة كلّهم كانوا على علم تامّ بأنّ الخلافة هي من حقّ عليّ وإنّما اغتصبتها قريش اغتصاباً ، ولما حاججتهم فاطمة الزهراء قالوا لها : لو سبق إلينا زوجك وابن عمّك ما عدلنا به أحداً ، فما رضي عمر بن الخطّاب أن تعود الخلافة بعد موته لصاحبها الشرعي فخلق له منافسين بهذه الطريقة ، فطمع كلّ منهم بالخلافة وحدّثتهم أنفسهم بالرئاسة فباعوا دينهم بدنياهم فما ربحت تجارتهم (المؤلّف).

وضياعاً كثيرة في البصرة وفي الكوفة وفي مصر وغيرها.

يقول طه حسين في ذلك :

« والناس يختلفون في مقدار ما قسّم على الورثة من تركة الزبير ، فالمقلّون يقولون : إنّ الورثة اقتسموا فيما بينهما خمسة وثلاثين مليوناً ، والمكثرون يقولون : إنّهم اقتسموا اثنين وخمسين مليوناً ، والمعتدلون يقولون : إنّهم اقتسموا أربعين مليوناً.

ولا غرابة في ذلك فقد كانت للزبير خطط في الفسطاط ، وخطط في الإسكندرية ، وخطط في البصرة ، وخطط في الكوفة ، وإحدى عشرة داراً في المدينة ، وكانت له بعد ذلك غلات وعروض أخرى » [1].

أمّا البخاري فيروي أنّه خلّف في تركته خمسين ألف ألف ومائتي ألف [2].

ونحن لا نقصد من هذا العرض محاسبة الصحابة عمّا اكتسبوه من عروض ، وما جمعوه من أموال قد تكون كلّها من حلال ، ولكن عندما نرى حرص الرجلين طلحة والزبير على الدنيا ، ونعلم بأنّهما نكثا بيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؛ لأنّه عزم على إرجاع الأموال التي اقتطعها عثمان إلى بيت مال المسلمين ، عند ذلك نشكّ في أمر الرجلين.

أضف إلى ذلك أنّ الإمام علياً عندما تولّى الخلافة بادرَ بإرجاع الناس

---

١ . الفتنة الكبرى لطه حسين (ضمن مجموعة المؤلّفات) ٤ : ٣٤٢.

٢ . صحيح البخاري ٤ : ٥٣ باب فرض الخمس ، باب بركة الغازي في ماله حيّاً وميّتاً.

إلى السنّة النبويّة ، وأوّل شيء فعله هو توزيع بيت المال ، فأعطى لكلّ واحد من المسلمين ثلاثة دنانير سواء كان عربياً أم أعجمياً ، وهو ما فعله النبيّ ﷺ طيلة حياته ، وأبطل علي بذلك بدعة عمر بن الخطّاب الذي فضلّ العربي على الأعجمي ، فأعطى للعربي ضعف الأعجمي.

ويكفي علي بن أبي طالب أن يعود بالناس إلى السنّة النبويّة حتى يثور عليه الصحابة الذين أُعجبوا بما ابتدعه عمر.

وهذا أمر أغفلناه في تعليل محبّة قريش وتقديسها لعمر ، وقد فضّلها على باقي المسلمين ، وبعث فيهم نعرة القومية العربيّة ، والقبليّة القريشيّة ، والطبقيّة البورجوازيّة.

فكيف يأتي علي بعد ربع قرن من وفاة النبيّ ليعود بقريش إلى ما كانت عليه زمن النبيّ الذي سوّى في العطاء ، فكان بلال الحبشي يقبض كالعبّاس عمّ النبيّ ، وقد كانت قريش منكرة على رسول الله ﷺ تلك المساواة ، وقد نجد خلال تصفّح السيرة بأنّهم كانوا يُعارضونه في أغلب الأوقات من أجل ذلك.

ومن أجل ذلك أيضاً ثارت ثورة طلحة والزبير على أمير المؤمنين علي لأنّه ساوى بينهم في العطاء ، ولم يعطهم ما طلبوا من الامارة ، ثمّ هو يريد محاسبتهم على الأموال التي جمعوها ليعود بالأموال المسروقة إلى الشعب المستضعف.

والمهم أن نعرف بأنّ الزبير عندما يئس أنْ يولّيه علي على البصرة ، وأن يفضّله على غيره ، وخاف أن يُحاسبه الخليفة الجديد على ثروته الخيالية ،

جاء مع صاحبه طلحة يستأذنان علياً في الخروج إلى العمرة ، وعرف علي نواياهما المبيتة فقال :

« والله ما أرادا العمرة ولكنّهما أرادا الغدرة » [1].

والتحقَ الزبير هو الآخر بعائشة بنت أبي بكر فهي أختُ زوجته ، وأخرجها هو وطلحة صوب البصرة ، ولما نبحتها كلاب الحوأب ، وأرادت الرجوع جاؤوها بخمسين رجلا جعلوا لهم جعلا وشهدوا زوراً لكي تواصل أُمّ المؤمنين عصيانها لربّها ولزوجها ، وتسير معهم الي البصرة ، لأنّهم عرفوا بدهائهم بأن تأثيرها في الناس أكبر من تأثيرهم ، فقد أوعزوا طيلة ربع قرن ، وأوهموا الناس بأنّها حبيبة رسول الله وابنة الصديق الحميراء التي عندها نصف الدين ، والعجيب في أمر الزبير أنّه هو الآخر خرج للطلب بدم عثمان كما يدّعي ، وقد اتهمه صلحاء الصحابة بأنّه هو الذي عمل على قتله.

فقد قال له الإمام علي عند مُقابلته له في ساحة المعركة : « أتطلب منّي دم عثمان وأنت قتلته »؟ [2]

وفي لفظ المسعودي قال له : « ويحك يا زبير ما الذي أخرجك »؟ قال : الطلب بدم عثمان ، قال علي : « قتل الله أولانا بدم عثمان » [3].

كما أخرج الحاكم في المستدرك ، قال : جاء طلحة والزبير إلى البصرة ، فقال لهم الناس : ما جاء بكم؟ قال : نطلب بدم عثمان ، فقال الحسين : أيا

---

١ . تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٨٠ ، الإرشاد للمفيد ١ : ٢٤٥.

٢ . تاريخ الطبري ٣ : ٥٢٠.

٣ . مروج الذهب ٢ : ٣٦٣ في معركة الجمل.

سبحان الله ، أفما كان للقوم عقول فيقولون والله ما قتل عثمان غيركم [1].

لقد فعل الزبير مثل صاحبه طلحة ، غدر بعثمان وحرّض على قتله ، ثمّ بايع الإمام عليّاً طائعاً ونكث البيعة والعهد ، وجاء إلى البصرة يطلب هو الآخر بدم عثمان!

ولما دخل البصرة شارك بنفسه في تلك الجرائم ، فقتلوا أكثر من سبعين رجلا من حرّاسه ، ونهبوا بيت المال ، يقول المؤرّخون بأنّهم كتبوا كتاب هدنة مع عثمان بن حنيف (والي البصرة) ، وتعاهدوا على احترامه حتى يقدم علي.

ثُمّ خانوا العهد والميثاق ، وهجموا على عثمان بن حنيف ، وهو يصلّي بالناس صلاة العشاء ، فكتفوهم وقتلوهم ، وأرادوا قتل عثمان بن حنيف والي علي ، فخافوا أن يسمع أخوه سهل بن حنيف والي المدينة فينتقم من أهلهم ، فضربوه ضرباً شديداً ونتفوا لحيته وشاربيه ، ثمّ هجموا على بيت المال فقتلوا من حراسه أربعين رجلا وحبسوا عثمان وأسرفوا في تعذيبه.

يقول طه حسين في شأن هذه الخيانة ، ويقصد طلحة والزبير :

« لم يكتف هؤلاء القوم بنكث البيعة التي أعطوها عليّاً ، وإنّما أضافوا إليها نكث الهدنة التي اصطلحوا عليها مع عثمان بن حنيف ، وقتلوا من قتلوا من أهل البصرة الذين أنكروا نقض الهدنة وحبس الأمير ، وغصب ما في بيت المال ، وقتل من قتلوا من حرسه » [2].

---

١ ـ المستدرك ٣ : ١١٨.

٢ ـ الفتنة الكبرى لطه حسين (ضمن مجموعة المؤلّفات) ٤ : ٤٦٥.

ولما أقبل عليّ إلى البصرة لم يقاتلهم ، بل دعاهم إلى كتاب الله فرفضوا وقتلوا من حمل إليهم القرآن ، ومع ذلك فقد ناداه الإمام هو الآخر ، وذكّره كما فعل مع طلحة ، إذ قال له :

« يا زبير أتذكر يوم مررت مع رسول الله ﷺ في بني غنم فنظر إليّ فضحك وضحكت إليه ، فقلت : لا يدع ابن أبي طالب زهوه ، فقال لك رسول الله ﷺ : صه ، إنّه ليس به زهو ولتقاتلنّه وأنت له ظالم » [1].

ذكر ابن أبي الحديد خطبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول فيها :

« اللهمّ إنّ الزبير قطع رحمي ، ونكث بيعتي ، وظاهر عليّ عدوّي ، فاكفنيه اليوم بما شئت » [2].

وقد جاء في نهج البلاغة للإمام علي قوله في طلحة والزبير : « اللهم إنّهما قطعاني وظلماني ، ونكثا بيعتي ، وألّبا الناس عليَّ ، فاحلل ما عقدا ، ولا تحكم لهما ما أبرما ، وأرهما المساءة فيما أملا وعملا ، ولقد استتبتهما قبل القتال ، واستأنيتُ بهما أمام الوقائع ، فغمطا النعمة وردّا العافية » [3].

وفي رسالة منه بعث بها إليهما قبل بدء القتال جاء فيها : « فارجعا أيّها

---

١ . تاريخ الطبري ٣ : ٥١٤ في وقعة الجمل ، الإمامة والسياسة ١ : ٩٢ ، الكامل لابن الأثير ٣ : ٢٤٠ ، وأخرج الحاكم في المستدرك ٣ : ٣٦٦ من طريق أبي حرب بن أبي الأسود الديلي قال : (شهدت الزبير خرج يريد علياً ، فقال له علي : أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول : تقاتله وأنت له ظالم؟

فقال : لم أذكر ، ثمّ مضى الزبير منصرفاً). وصحّحه الحاكم ، ووافقه الذهبي في التلخيص.

٢ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ٣٠٦ ، الكافي ٥ : ٥٤ ح٤.

٣ . نهج البلاغة شرح محمّد عبده ٢ : ٢١.

الشيخان عن رأيكما ، فإن الآن أعظم أمركما العار من قبل أن يجتمع العار والنار ، والسلام » [1].

وهذه هي الحقيقة المؤلمة ، وهذه هي نهاية الزبير ، ومهما يحاول بعض المؤرّخين إقناعنا بأنّه تذكّر حديث النبيّ الذي ذكره به علي فتاب واعتزل القتال ، وخرج إلى وادي السباع فقتله ابن جرموز ، فهذا لا يستقيم مع نبوءة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال له : « ستقاتل عليّاً وأنت له ظالم ».

ويقول بعض المؤرّخين بأنّه أراد الاعتزال عندما ذكره الإمام علي بالحديث ، ولكن ابنه عبد الله عيّره بالجبن ، فأخذته الحمية فرجع يقاتل حتى قتل.

وهذا أقرب للواقع وللحديث الشريف الذي فيه إخبار بالغيب من الذي لا ينطق عن الهوى.

ثمّ لو كان فعلا ندم وتاب ورجع عن غيّه وظلمه ، فلماذا لم يعمل بقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهمّ وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، وأخذل من خذله »؟

فلماذا لم ينصر علياً ولم يواله ولم يسترضه؟ وهب أنّ ذلك لا يمكنه فعله ، فهلاّ ركب في الناس الذين جاء بهم للحرب ، وأخبرهم بأنّه استبصر إلى الحقّ وتذكّر ما كان ناسياً ، وطلب منهم أنْ يكفّوا عن الحرب ، فيحقن بذلك دماء الأبرياء من المسلمين؟

لكن شيئاً من ذلك لم يقع ، فعرفنا بأنّ أُسطورة التوبة والاعتزال هي من

---

١ . نهج البلاغة شرح محمّد عبده ٣ : ١١١.

خيال الوضّاعين الذين بهرهم حقّ علي وباطل الزبير ، وبما أنّ صاحبه طلحة قتله مروان بن الحكم ، فاختاروا ابن جرموز لقتل الزبير غدراً حتى يتسنّى لهم التأويل في مصير طلحة والزبير ، فلا يحرموهم من دخول الجنّة ما دامت الجنّة من ممتلكاتهم يدخلون فيها من يشاؤون ويمنعون منها من يشاؤون.

ويكفينا دليلا على كذب الرواية ما جاء في رسالة الإمام علي ، ودعوتهما للرجوع عن الحرب وقوله : « فإن الآن أعظم أمركما العار من قبل أن يجمع العار والنار ».

ولم يحدث أحد أنّهما استجابا لندائه ، ولا امتثلا لأمره ، ولا ردّا على رسالته.

أضف إلى كلّ ذلك أنّ الإمام وقبل بدء المعركة دعاهم لكتاب الله كما قدّمنا ، فرفضوا الامتثال ، وقتلوا الشاب الذي حمل لهم القرآن ، عند ذلك استباح علي قتالهم.

وإنّك لتقرأ بعض المهازل عند المؤرّخين ، فتعرف أنّ البعض منهم لا يعرفون الحقّ ولا يفقهون ، مثال ذلك : يقول بعضهم بأنّ الزبير لما علم بأنّ عمّار بن ياسر جاء مع عليّ بن أبي طالب ، قال : يا جدع أنفاه ، يا قطع ظهراه ، ثمّ أخذه إفكل فجعل السلاح ينتفض في يده ، فقال أحد أصحابه : ثكلتني أُمي هذا الزبير الذي كنت أريد أن أموت معه أو أعيش معه؟

والذي نفسي بيده ما أخذ هذا ما أرى إلاّ لشيء قد سمعه أو رآه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (١).

---

١ . تاريخ الطبري ٣ : ٥٢١ ، أنساب الأشراف للبلاذري : ٢٥٧.

ويقصدون بوضع هذه الروايات بأنّ الزبير تذكّر حديث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم « ويح عمّار تقتله الفئة الباغية » فخاف وارتعش وارتعدت فرائصه خوفاً من أن يكون من الفئة الباغية!

ويريد هؤلاء أن يحتقروا عقولنا ويهزؤوا منّا ، لكن عقولنا كاملة وسليمة بحمد الله ولا نرضى منهم بذلك ، فكيف يخاف الزبير ويرتعد من حديث « عمّار تقتله الفئة الباغية » ولا يخاف ولا يرتعد من أحاديث كثيرة قالها النبيّ في علي بن أبي طالب؟ أكان عمّار عند الزبير أفضل وأشرف من علي؟!

ألم يسمع الزبير قول النبيّ : « يا علي لا يحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق » [1]؟ ألم يسمع قوله : « علي مع الحقّ والحقّ مع علي يدور معه حيث دار » [2] ، وقوله : « من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهمّ وال من والاه وعاد من

---

١ ـ مسند أحمد ١ : ٩٥ وصّرح الشيخ أحمد شاكر بصحته ، سنن الترمذي ٥ : ٣٠٦ ، السنن الكبرى للنسائي ٥ : ١٣٧ ح٨٤٨٧ ، صحيح مسلم ١ : ٦١.

٢ ـ المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ٢٦٠ ، تاريخ بغداد ١٤ : ٣٢٢ بلفظ « علي مع الحقّ والحقّ مع عليّ ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة » ، ومثله في تاريخ دمشق ٤٢ : ٤٤٩ ، وفي مجمع الزوائد ٧ : ٢٣٥ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (علي مع الحقّ أو الحقّ مع علي حيث كان) ، وتعقّبه الهيثمي بقوله : رواه البزار وفيه سعيد بن شعيب ولم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح.

أقول : وقع تصحيف في اسم الرواي فهو سعيد بن شعيب الحضرمي وهو ثقة لمن يرجع إلى ترجمته.

وفي مجمع الزوائد ٧ : ٢٣٥ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال عندما مرّ به علي عليه السلام : (الحقّ مع ذا ، الحقّ مع ذا) ، رواه أبو يعلى ورجاله ثقات.

عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله » [1] ، وقوله : « يا علي أنا حرب لمن

وفي تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٤١٨ : (عن محمّد بن منصور الطولي يقول : سمعت أحمد بن حنبل يقول : ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه).

قال الشيخ أبو بكر البيهقي : وهذا لأنّ أمير المؤمنين علياً عاش بعد سائر الخلفاء حتى ظهر له مخالفون وخرج عليه خارجون فاحتاج من بقي من الصحابة إلى رواية ما سمعوه في فضائله ومراتبه ومناقبه ومحاسنه ليردّوا ذلك عنه ما لا يليق به من القول والفعل ، وهو أهل كلّ فضيلة ومنقبة ومستحقّ لكلّ سابقة ومرتبة ، ولم يكن أحدٌ في وقته أحقّ بالخلافة منه ، وهو كما قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل (رحمه الله) فيما أخبرنا أبو عبد الله الحافظ في التاريخ ، نا علي بن عيسى وهو من ثقات شيوخ شيخنا ، نا أحمد بن مسلمة ، قال : سمعت أحمد بن سعيد الرباطي يقول : سمعت أحمد بن حنبل يقول : لم يزل علي بن أبي طالب مع الحقّ والحقّ معه حيث كان.

١ ـ حديث الغدير حديث صحيح متواتر ، صرّح بتواتره الذهبي في تذكرة الحفّاظ ٢ : ٧١٣ ، وسير أعلام النبلاء ٧ : ٥٧١ ، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤ : ٣٤٣ ، نظم المتناثر من الحديث المتواتر ، الكتاني : ١٩٤ ، قطف الأزهار المتناثرة ، السيوطي : ٢٧٧ ، وقال ابن حجر في الصواعق ١ : ١٠٦ « وقول بعضهم : إنّ زيادة « اللهمّ وال من والاه ... » مردود فقد ورد ذلك من طرق صحح الذهبي كثيراً منها ».

وفي مجمع الزوائد نقل عدّة طرق لهذا الحديث فذكر منها ٩ : ١٠٤ : (وعن عمرو ابن ذي مر وسعيد بن وهب وعن زيد بن بثيع قالوا : سمعنا علياً يقول : نشدت رجلا سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم غدير خمّ لما قام

فقام ثلاثة عشر رجلا فشهدوا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ ». قالوا : بلى يا رسول الله! قال : فأخذ بيد علي فقال : » من كنت مولاه فهذا مولاه اللهمّ وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وأحبّ من أحبّه ، وابغض

حاربك وسلم لمن سالمك » [1] ، وقوله : « لأعطينّ رايتي إلى رجل يحبّ الله

من يبغضه ، وأنصر من نصره ، وأخذل من خذله « ثمّ قال الهيثمي : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليقة وهو ثقة ، وذكر الحديث ابن حبان في صحيحه ١٥ : ٣٧٦ ، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣ : ١٠٩ وقال : « حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله » ، وأخرج الحديث مع زيادة : اللهمّ والِ من والاه وعادِ من عاده وانصر من نصره واخذل من خذله » ابن ديزل في كتابه (وقعة صفّين) بإسناد رجاله كلّهم ثقات كما نقل ذلك ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٣ : ٢٠٨.

١ . الأمالي للمفيد : ٢١٣ ح٤ ، وورد بلفظ الجمع في مسند أحمد ٢ : ٤٤٢ ، سنن الترمذي ٥ : ٣٦٠ ، المستدرك ٣ : ١٤٩ ، صحيح ابن حبّان ١٥ : ٤٣٤ ، أحكام القرآن للجصاص ١ : ٥٧١ ، تاريخ بغداد ٧ : ١٤٤ ، المصنّف لابن أبي شيبة ٧ : ٥١٢ ، المعجم الكبير للطبراني ٣ : ٤٠ ، تاريخ دمشق لابن عساكر ١٣ : ٢١٨ . ٢١٩ ، وروي الحديث بطريق ثالث بلفظ « أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم » أخرجه الحافظ عمرو بن شاهين في كتابه (فضائل سيّدة النساء ٢٩).

وهو من الأحاديث المعتبرة عند المحدّثين ، قال الحاكم في المستدرك بعد أن أخرجه وذكر له شاهداً : « هذا حديث حسن » ووافقه الذهبي في تلخيص المستدرك على ذلك.

وذكره التبريزي في مشكاة المصابيح ٣ : ١٧٣٥ والتي هي تلخيص لكتاب المصابيح للبغوي ، وقد ذكر البغوي في المصابيح أنّه إذا لم يشر إلى ضعف الحديث وكان موجوداً في كتب السنن فهو من الحسان عنده.

والخلاصة : إنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم جعلهم ميزاناً ومعياراً يعرف من خلاله حرب الإسلام والمحارب له ، فمن حاربهم فهو محارب للإسلام ومن ناصرهم فهو مناصر للإسلام ، فتكون حرب الجمل التي قادتها عائشة وطلحة والزبير حرب ضدّ الإسلام ، بنصّ كلام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والذي لا ينطق عن الهوى.

ورسوله ويحبّه الله ورسوله » [1] ، وقوله : « أنا قاتلتهم على تنزيل القرآن وأنت تقاتلهم على تأويله » [2] ، وقوله : « يا علي أعهد إليك بأن تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين » [3].

وقوله ... وقوله ... وآخرها حديث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى الزبير نفسه : « ستقاتله وأنت له ظالم » فأين الزبير من كلّ هذه الحقائق التي يعرفها كلّ الناس الأباعد الغرباء ، فكيف به وهو ابن عمّة النبيّ وابن عمّة علي؟

إنّها العقول المتحجّرة التي لم تقدر على دفع الأحداث التاريخية وما فيها من حقائق ، فتحاول بكلّ جهودها عبثاً أن تجد بعض الأعذار الواهية لكي تموّه على الناس ، وتوهمهم بأنّ طلحة والزبير من المبشرين بالجنّة.

﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [4].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾ [5].

٦ . سعد بن أبي وقاص :

وهو أيضاً من كبار الصحابة السابقين إلى الإسلام ، ومن المهاجرين

---

١ . راجع صحيح البخاري ٥ : ٧٦ (كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر) ، صحيح مسلم ٧ : ١٢٠ (كتاب الفضائل ، من فضائل علي).

٢ . مضى تخريجه في صفحات سابقة.

٣ . المستدرك للحاكم ٣ : ١٤٠ ، مسند أبي يعلى ١ : ٣٩٧ ح٥١٩ ، المعجم الكبير ٤ : ١٧٢ ، باختلاف.

٤ . البقرة : ١١١.

٥ . الأعراف : ٤٠.

الأوّلين الذين شهدوا بدراً ، وهو أحد الستّة الذين رشّحهم عمر بن الخطّاب للخلافة بعده ، وأحد العشرة المبشّرين بالجنّة على زعم « أهل السنّة والجماعة ».

وهو بطل القادسية في خلافة عمر بن الخطّاب ، ويقال : إنّ بعض الصحابة كانوا يشكّون ويطعنون في نسبه ويؤذونه بذلك ، ويروون أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أثبتَ نسبه فهو من بني زهرة.

وينقل ابن قتيبة في كتاب الإمامة والسياسة أنّ بني زهرة اجتمعوا بعد وفاة النبيّ إلى سعد بن أبي وقّاص وعبد الرحمن بن عوف ، فكانوا في المسجد الشريف مجتمعين ، فلمّا أقبل عليهم أبو بكر وأبو عبيدة قال لهم عمر : مالي أراكم حلقاً شتّى؟ قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعته الأنصار ، فقام سعد وعبد الرحمن ومن معهما من بني زهرة فبايعوا [1].

ويُروى أنّ عمر بن الخطّاب عزله عن الولاية ، ولكنّه أوصى الخليفة من بعده إن صُرفتْ الخلافة عن سعد أن يولّيَهُ ؛ لأنّه لم يعزله عن خيانة ، وقد نفّذ عثمان بن عفّان وصية عمر فولاّه على الكوفة.

ومن الملاحظ أنّ سعد بن أبي وقاص لم يترك ثروة كبيرة بالقياس الى أصحابه ، وبلغت تركته حسب الرواة ثلاثمائة ألف ، كما أنّه لم يشارك في قتل عثمان ، ولم يحرّض عليه كطلحة والزبير.

روى ابن قتيبة في تاريخه قال : كتب عمرو بن العاص إلى سعد بن أبي وقاص ، يسأله عن قتل عثمان ومن قتله؟

---

١ . تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ١ : ٢٨.

فكتب إليه سعد : إنّك سألتني مَن قتل عثمان؟ وإنّي أخبرك أنّه قُتِلَ بسيف سلّتْهُ عائشة ، وصقله طلحة ، وسمّه ابن أبي طالب ، وسكت الزبير وأشار بيده ، وأمسكنا نحن ولو شئنا دفعناه عنه ، ولكنّ عثمان غيّر وتغيّر ، وأحسن وأساء ، فإن كنّا أحسنّا فقد أحسنّا ، وإن أسأنا نستغفر الله ، وأخبرك أنّ الزبير مغلوب بغلبة أهله وبطلبه بذنبه ، وطلحة لو يجدُ أن يشقّ بطنه من حبّ الإمارة لشقّه ... [1].

ولكن الغريب في سعد بن أبي وقّاص أنّه تخلّف عن بيعة أمير المؤمنين علي ولم يُعينه ، وهو يعرف حقّ الإمام وفضله ، فقد روى بنفسه عدّة فضائل في علي ، منها ما أخرجه الإمام النسائي والإمام مسلم في صحيحيهما :

قال سعد : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في علي خصالا ثلاثاً ؛ لئن يكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليَّ من حمر النعم ، سمعته يقول : « إنّه منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي » ، وسمعته يقول : « لأعطينّ الراية غداً رجلا يحبّ الله ورسولَه ويُحبّهُ الله ورسولُه » ، وسمعته يقول : « أيّها الناس من وليّكم »؟ قالوا : الله ورسوله ثلاثاً ، ثمّ أخذ بيد علي فأقامه ثمّ قال : « من كان الله ورسوله وليّهُ فهذا وليه ، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه » [2].

---

١ . تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ١ : ٦٧.

٢ . خصائص الإمام النسائي ، ط / القاهرة : ٢٣ ح١٢ ، و ٦٣ ح٩٦ والمؤلّف لفّق بين الحديثين ، وورد الحديث في صحيح مسلم ٤ : ٣٠ ـ ٣٢ باب فضائل علي بن أبي طالب ولكن ليس فيه (أيها الناس من وليكم ..) ، وورد الحديث في سنن ابن ماجة ١ : ٥٦ عن سعد بن أبي وقاص قال : (قدم معاوية في بعض حجّاته فدخل

وفي صحيح مسلم قال سعد بن أبي وقاص : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لعلي : « أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيَّ بعدي » ، وسمعته يقول يوم خيبر : « لأعطينّ الراية رجلا يحبّ الله ورسولَه ، ويُحبّه الله ورسولُه » ، قال : فتطاولنا لها ، فقال : « ادعوا علياً .. » ولما نزلتْ هذه الآية ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ ﴾ [1] دعا رسول الله ﷺ عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : « اللّهمّ هؤلاء أهلي » [2].

فكيف يعرف سعد بن أبي وقّاص كلّ هذه الحقائق ثمّ يمتنع عن بيعته؟!

كيف يسمع سعد قول الرسول ﷺ : « من كان الله ورسوله وليه فعليٌّ وليُّه ، اللّهمّ والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه » والذي رواه هو بنفسه ثمّ لا يواليه لا ينصره؟!

كيف يغيب على سعد بن أبي وقّاص حديث الرسول ﷺ « مَن ماتَ

عليه سعد ، فذكروا علياً ، فنال منه ، فغضب سعد وقال : تقول هذا لرجل سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : « من كنت مولاه فعلي مولاه » ، وسمعته يقول : « أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي » ، وسمعته يقول : « لأعطين الراية اليوم رجلا يحب الله ورسوله ». وصرّح الشيخ الألباني في صحيحته ٤ : ٣٣٥ ح١٧٥٠ بصحّته.

فهذه المناقب مروية عن سعد بن أبي وقاص منفردة كما في خصائص النسائي ، ومجتمعة كما في سنن ابن ماجة وغيره ، وعليه فكلام عثمان الخميس في كتابه كشف الجاني : ١٨٤ عار عن الصحّة ، وإنكار للواضحات نتيجة التسرّع في ردّ فضائل أهل البيت عليهم السلام ، والتي تعتريه حدّة عند سماعها كما اعترت إمامه ابن تيمية من قبله.

١ . آل عمران : ٦١.

٢ . صحيح مسلم ٧ : ١٢٠ ، (كتاب الفضائل ، باب فضائل علي بن أبي طالب).

وليستْ في عنقه بيعة ماتَ ميتة جاهليّة » [1] الذي رواه عبد الله بن عمر ، فيموت سعد ميته جاهلية ناكباً عن بيعة أمير المؤمنين ، وسيّد الوصيّين ، وقائد الغرّ المحجلين؟!

يذكر المؤرخون بأنّ سعداً جاء إلى الإمام علي معتذراً فقال : والله يا أمير المؤمنين لاَ ريب لي في أنّك أحقَّ الناس بالخلافة ، وأنت أمينٌ على الدين والدّنيا ، غير أنّه سينازعك على هذا الأمر أُناسٌ ، فلو رغبت في بيعتي لك أعطني سيفاً له لسانٌ يقول لي : خذ هذا ودع هذا!

فقال له علي : « أترى أحداً خالف القرآن في القول أو العمل؟ لقد بايعني المهاجرون والأنصار على أن أعمل فيهم بكتاب الله وسنّة نبيّه ، فإن رغبتَ بايعتَ وإلاّ جلستَ في دارك ، فإنّي لستُ مكرهكَ عليه » [2].

أليس موقف سعد بن أبي وقاص غريباً؟! فهو يشهدُ بأن عليّاً لا ريب فيه ، وأنّه أحقّ الناس بالخلافة ، وأنّه أمينٌ على الدّين والدّنيا ، ثمّ بعد هذا يُطالبه بسيف ناطق كشرط على بيعته حتّى يعرف به الحقّ من الباطل؟!

أليس هذا تناقضاً يرفُضه العقلاء؟ وهل هذا إلاّ المحال الذي يطلبه مكابرٌ عرف الحقَّ من صاحب الرسالة ﷺ في أكثر من حديث روى هو بنفسه منها أكثر من خمسة؟!

ألم يكن سعد حاضراً بيعة أبي بكر وعمر وعثمان ، والتي حكموا في كلّ

---

١ ـ صحيح مسلم ٦ : ٢٢ (كتاب الامارة ، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن).

٢ ـ الفتوح لابن أعثم ١ : ٤٤٠ ، ذكر من فشل عن البيعة وقعد عنها.

منها بقتل مَن يتخلّف عنها خوفاً من الفتنة؟

وقد بايع سعدٌ لعثمان وانحاز إليه بدون شرط ، وسمع عبد الرحمان بن عوف يُهدّد علياً مسلِّطاً السيف فوق رأسه قائلا : فلا تجعل على نفسك سبيلا فإنّه السيف لا غير [1].

وكان حاضراً لما امتنع عليّ عن بيعة أبي بكر ، فهدّده عمر بن الخطّاب وقال له : بايع وإلاّ والله الذي لا إله إلاّ هو نضرب عنقك [2].

وهل جرّأ المتخلّفين عن البيعة ، والذين تطاولوا على وصيّ النبيّ أمثال عبد الله بن عمر ، وأُسامة بن زيد ، ومحمّد بن مسلمة ، إلاّ تخلّف سعد بن أبي وقّاص؟

وإنّك تلاحظ أنّ الاشخاص الخمسة الذين عيّنهم عمر بن الخطّاب لمنافسة علي في الخلافة قد لعبوا بالضبط الدور الذي رسمه لهم ابن الخطّاب ، وهو منع علي من الوصول إليها ، فهذا عبد الرحمان يختار للخلافة صهره عثمان ، ويهدّد عليّاً بالقتل إن لم يُبايع ، كلّ ذلك لأنّ عمر رجّح كفّة عبد الرحمان على الباقين ، وبعد موت عبد الرحمان بن عوف ومقتل عثمان ابن عفّان لم يبق من المنافسين لعلي في الخلافة إلاّ ثلاثة طلحة والزبير وسعد.

ولما رأى هؤلاء بأنّ المهاجرين والأنصار هرعوا للإمام علي وبايعوه ولم يلتفتوا لأيّ واحد منهم ، عند ذلك أضمروا له الشرّ وأرادوا به الهموم ،

---

١ ـ الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١ : ٤٥ في بيعة عثمان.

٢ ـ الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١ : ٣٠ في بيعة عليّ عليه السلام.

فحاربه طلحة والزبير ، وخذله سعد.

ولا تنسَ بأنّ عثمان بن عفّان لم يمت حتّى كوّنَ لعلي مُنافساً جديداً هو أخطر منهم جميعاً ، وأشدّ مكراً ودَهاء ، وأكثرهم عدّة وعدداً ، فقد مهّد له عثمان للاستيلاء على الخلافة بأنْ ضمّ له تحت ولايته التي دامت عشرين عاماً أهمّ الولايات ، والتي تجمع أكثر من ثلثي العائدات للدولة الإسلامية بأسرها.

وهذا المنافس هو معاوية الذي لم يكنْ له دينٌ ولا خلقٌ ، وليس له شغلٌ إلاّ الوصول إلى الخلافة بأيّ ثمن وعن أيّ طريق.

ومع ذلك فإنّ أمير المؤمنين عليّاً لم يجبر الناس على البيعة بالقوّة والإكراه ، كما فعل الخلفاء من قبله ، ولكنّه تقيّد (سلام الله عليه) بأحكام القرآن والسنّة ، ولم يغيّر ولم يبدّل أبداً ، ألم تقرأ قوله لسعد : « لقد بايعني المهاجرون والأنصار على أن أعمل فيهم بكتاب الله وسنّة نبيّه ، فإن رغبتَ بايعتَ وإلاّ جلست في دارك ، فإنّي لستُ مكرهك عليه ».

هنيئاً لك يابن أبي طالب ، يا من أحييتَ القرآن والسنّة بعدما أماتهما غيرك من قبلك ، فهذا كتاب الله ينادي : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً** ﴾ [1].

وقوله تعالى : ﴿ **أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ [2].

---

١ . الفتح : ١٠.

٢ . يونس : ٩٩.

فلا إكراه في الدّين ، ولا بيعة بالإكراه في الإسلام ، ولم يأمر الله نبيّه أن يقاتل الناس ليبايعوه.

وهذه سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته الشريفة تحدّثنا بأنّه لم يكره أحداً من الناس على بيعته أبداً ، ولكنّ الخلفاء والصحابة هم الذين سنّوا تلك البدعة ، وهدّدوا الناس بالقتل إنْ لم يدخلوا في بيعتهم!!

وإذا كانت فاطمة نفسها هُدِّدَتْ بالحرق إنْ لم يخرج المتخلّفون في بيتها للبيعة! وإذا كان علي نفسه وهو الذي نصّبه رسول الله للخلافة يسلّطون عليه السيف ، ويقسمون بالله ليقتلنّه إن لم يُبايع ، فلا تسأل عن بقية الصحابة المستضعفين ، أمثال عمّار وسلمان وبلال وغيرهم.

والمهم أنّ سعد بن أبي وقّاص امتنع عن بيعة عليّ ، كما امتنع عن سبّه لما أمره معاوية بذلك ، كما جاء في صحيح مسلم.

ولكن هذا لا يكفي سعداً ولا يضمن له الجنّة ؛ لأنّ مذهب الاعتزال الذي أسّسه تحت شعار : « أنا لستُ معك ولستُ ضدّك » لا يقبله الإسلام ولا يعترف به ، لأنّ الإسلام يقول : ليس بعد الحقّ إلاّ الضلال.

ولأنّ كتاب الله وسنّة رسوله قد رسما معالم الفتنة وأخبرا بها ووضعا لها حدوداً ، ليهلك مَن هلك عن بيّنة وينجوَ مَن نجا عن بيّنة.

وقد بيّن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلّ شيء بقوله في علي : « اللّهمّ والِ مَن والاه ، وعادِ مَن عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل مَن خذله ، وأدر الحقّ معه حيث دار » [1].

---

١ . الملل والنحل للشهرستاني ١ : ١٦٣ ، الصواعق المحرقة ١ : ١٠٦ ، السيرة الح

وقد بيّن الإمام علي الأسباب والدّوافع التي منعت سعداً من الانضمام إليه ، ورفضه بيعته عندما قال في الخطبة الشقشقية : « فصغى رجلٌ منهم لضغنه ».

ويقول الشيخ محمّد عبده في شرح هذا المقطع :

« كان سعد بن أبي وقّاص في نفسه شيء من علي (كرّم الله وجهه) من قبل أخواله ؛ لأنّ أُمّه حمنة بنت سفيان بن أُميّة بن عبد شمس ، ولعلي في قتل صناديدهم ما هو معروف ومشهور » [1].

فالحقد الدّفين والحسد أعمى بصيرة سعد ، فلم يعد يرى لعلي ما يراه لخصومه ، فقد نُقِلَ عنه أنّه لما ولاّه عثمان ولاية الكوفة خطب فيهم قائلا : « أطيعوا خير الناس أمير المؤمنين عثمان ».

فسعد بن أبي وقّاص كان هواه مع عثمان في حياته وحتى بعد مقتله ، وبذلك نفهمُ اتّهامه بالمشاركة في قتل عثمان عندما كتب لعمرو بن العاص بقوله : « إنّ عثمان قُتِلَ بسيف سلّتهُ عائشة وسمّه ابن أبي طالب ».

إنّه اتّهام باطلٌ يشهد التاريخ على كذبه ، فلم يكن لعثمان في محنته أكثر نُصحاً ومواساةً من علي ، لو كان له رأيٌ يُطاع.

والذي نستخلصه من مواقف سعد المتخاذلة ، هو بالضّبط ما وصفه به الإمام علي بأنّه صاحب ضغينة ، فهو رغم معرفته بحقّ علي إلاّ أن الضغينة

لبية ٣ : ٣٨٤ وفي ملحقات إحقاق الحقّ ٦ : ٢٩٢ عن إسعاف الراغبين والعقد الفريد ، وقد تقدّم ذكر مصادر الحديث سابقاً.

١ . شرح نهج البلاغة للشيخ محمّد عبده ١ : ٣٤.

والحقد وقفا حائلا بينه وبين الحقّ ، فبقي حائراً مُتحيّراً بين ضمير يوبّخه ويوقظ فيه شعلة الإيمان ، وبين نفس مريضة أقعدتها عاداتُ الجاهلية فصغتْ لضغنها ، وتغلّبتْ نفس سعد الأمّارة بالسّوء على ضميره ، فتردّتْ به وأقعدته عن نصرة الحقّ.

والدّليل على ذلك ما أخرجه المؤرّخون عن مواقفه المحيّرة ، ذكر ابن كثير في تاريخه قال :

« دخل سعد بن أبي وقّاص على معاوية بن أبي سفيان فقال له : مالك لم تُقاتل عليّاً؟

قال سعد : إنّي مرّتْ بي ريحٌ مظلمة فقلت : أخ ، أخ وانخت راحلتي حتّى انجلتْ عنّي ، ثمّ عرفتُ الطّريق فسرتُ.

فقال معاوية : ليسَ في كتاب الله أخ ، أخ ، ولكن قال الله تعالى : ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ** ﴾ [1] ، فوالله ما كنتَ مع الباغية على العادلة ، ولا مع العادلة على الباغية.

فقال سعد : ما كنت لأقاتل رجُلا قال له رسول الله : « أنت منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبيّ بعدي ».

فقال معاوية : مَن سمع هذا معك؟!

فقال : فلان وفلان وأُمّ سلمة ، فقام معاوية فسأل أُم سلمة ، فحدّثتهُ بما حدّث سعد ، فقال معاوية :

---

١ . الحجرات : ٩.

« لو سمعتُ هذا قبل هذا اليوم لكنتُ خادماً لعلي حتى يموت أو أموتُ » [1].

ونقل المسعودي في تاريخه مثل هذه المحاورة بين معاوية وسعد بن أبي وقّاص ، وذكر أنّ معاوية قال لسعد بعدما حدَّث بحديث المنزلة : ما كنتَ عندي قطّ ألأمَ منك الآن ، فهلاّ نصرته؟ ولِمَ قعدت عن بيعته؟ فإنّي لو سمعتُ من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مثل الذي سمعتَ فيه ، لكنت خادماً لعلي ما عشت [2].

وما رواه سعد بن أبي وقّاص لمعاوية في فضل علي هو حديث واحدٌ من بين مئات الأحاديث التي تصبّ كلّها في مصبّ واحد ، وتهدف كلّها إلى هدف واحد ، ألا هو أنّ علي بن أبي طالب هو الشخص الوحيد الذي يمثّل الرسالة الإسلامية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يقدرُ عليها غيره ، وما دام الأمر كذلك فجدير بكلّ المؤمنين الصالحين أن يخدموه طيلة حياتهم.

فليس قول معاوية بأنّه لو سمع مثل هذا الحديث قبل اليوم لكان خادماً لعلي ما عاش ، إلاّ حقّاً يفتخر به كلّ مؤمن ومؤمنة.

ولكن معاوية لم يقل ذلك إلاّ استهزاءً وسخريةً من سعد بن أبي وقّاص كي يشتمه باللؤم ويهينَه ؛ لأنّه أمتنع عن سبّ علي ولعنه ولن ينفّذ رغبته في ذلك.

وإلاّ فإنّ معاوية يعرف أكثر من حديث المنزلة في فضل ابن أبي طالب ، ويعرف أيضاً بأنّه أولى الناس بعد الرسول ، وذلك ما صرّح به في الرسالة

---

١ . تاريخ ابن كثير ٨ : ٨٣.

٢ . مروج الذهب ٣ : ١٥ ، في ذكر معاوية وأخباره.

التي بعث بها إلى محمّد بن أبي بكر ، والتي سيأتي ذكرها إن شاء الله قريباً.

وهل امتنع معاوية عن سب ولعن أمير المؤمنين عندما علم من سعد بذلك الحديث ، وأكّدته له أُمّ سلمة عندما سألها؟

كلاّ ، إنّه تمادى في غيّه أكثر ، وأخذته العزّة بالإثمّ ، فأصبح يلعن علياً وكلّ أهل بيته ، وحمل الناس على ذلك حتى شبّ عليه الصغير وهَرُمَ عليه الكبير ، وتواصل ذلك ثمانين عاماً أو أكثر.

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [1].

صدق الله العلي العظيم

٧ . عبد الرحمان بن عوف

كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو فسمّاه النبيّ ﷺ عبد الرحمان ، وهو من بني زهرة ، وهو ابن عمّ سعد بن أبي وقّاص.

هو من كبار الصحابة ومن المهاجرين الأوّلين ، وشهد مع النبيّ ﷺ المشاهد كلّها ، وهو أيضاً من الستّة الذين رشّحهم عمر بن الخطّاب للخلافة ، بل جعله رئيساً على مجلس الشورى والمقدّم عليهم جميعاً ، إذ قال : « وإذا اختلفتم فكونوا في الشقّ الذي فيه عبد الرحمان بن عوف ».

وهو أيضاً من العشرة المبشَّرين بالجنّة في اعتقاد « أهل السنّة والجماعة ».

---

١ . آل عمران : ٦١.

وعبد الرحمان بن عوف كما هو مشهورٌ من التجّار الكبار في قريش ، والذي ترك ثروة ضخمة وأموالا طائلة بلغت حسب نقل المؤرخين : ألف بعير ومائة فرس وعشرة آلاف شاة ، وأرضاً كانت تزرع على عشرين ناضحاً ، وخرجت كلّ واحدة من نسائه الأربع بنصيبها من المال الذي تركه ، فكان أربعة وثمانين ألفاً [1].

وعبد الرحمان بن عوف هو صهر عثمان بن عفّان ؛ لأنّه تزوّج أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وهي أُخت عثمان لأُمّه.

وقد عرفنا من خلال كتب التاريخ أنّه لعب دوراً كبيراً لإبعاد علي عن الخلافة بشرطه الذي اشترطه عليه في تحكيم سنّة الخليفتين أبي بكر وعمر ، لعلمه مسبقاً بأنّ عليّاً لا يقبلُ بذلك الشرط أبداً لأنّ سنّتهما مُخالفة للكتاب والسنّة النبويّة.

وهذا وحده يكفينا دليلا على تعصُّب عبد الرحمان للبدع الجاهلية ، وبُعده عن السنّة المحمّدية ، ومشاركته الفعّالة في المؤامرة الكبرى للقضاء على العترة الطّاهرة ، وإبقاء الخلافة في حوزة قريش تتحكّم فيها كيف شاءتْ.

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الأحكام ، باب كيف يُبايع الإمام الناس ، قال المسور : طرقني عبد الرحمان بعد هجيع من اللّيل ، فضرب الباب حتى استيقظتُ ، فقال : أراك نائماً فوالله ما اكتحلت هذه اللّيلة بكبير نوم ، انطلق فادع الزبير وسعداً فدعوتهما له فشاورهُما ، ثمّ دعاني فقال : أدع لي

---

١ . راجع الطبقات الكبرى ٣ : ١٣٦ ، مروج الذهب ٢ : ٣٥٠.

عليّاً فدعوته فناجاه حتّى ابهارّ اللّيل ، ثمّ قام عليٌّ من عنده وهو على مطمع ، وقد كان عبد الرحمان يخشى من علي شيئاً ، ثمّ قال : ادع لي عثمان فدعوته فناجاه حتّى فرّق بينهما المؤذّنُ بالصبح.

فلمّا صلّى للنّاس من الصبح ، واجتمع أُولئك الرهطُ عند المنبر ، فأرسل إلى مَن كان حاضراً من المهاجرين والأنصار ، وأرسل إلى أُمراء الأجناد وكانوا وافوا تلك الحجّة مع عمر ، فلمّا اجتمعوا تشهّد عبد الرحمان ثمّ قال : أمّا بعد يا علي إنّي قد نظرت في أمر الناس فلم أرَهم يَعدلونَ بعثمان ، فلا تجعلن على نفسك سبيلا ، ثمّ قال مخاطباً لعثمان : أُبايعك على سنّة الله ورسوله والخليفتين من بعده ، فبايعه عبد الرحمان وبايعه الناسُ المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون [1].

والباحث يفهم من هذه الرواية التي أخرجها البخاري بأنّ المؤامرة قد دُبِّرَتْ بليل ، ويفهم أيضاً الدّهاء الذي يتمتّع به عبد الرحمان بن عوف ، وأن اختيار عمر له لم يكن عفوياً.

تأمّل في قول الراوي وهو المسور : فدعوت له عليّاً فناجاه ثمّ قام عليّ من عنده وهو على مطمع.

وهذا يدلّنا على أنّ عبد الرحمان بن عوف هو الذي أطمع علياً في الخلافة ، حتّى لا ينسحبَ عليٌّ من الشورى المزيّفة ، ويتسبّب لهم في انقسام الأُمّة مرّة أُخرى ، كما وقع عقيب بيعة أبي بكر في السقيفة. ويؤكّد صحّة هذا الاحتمال قول المسور : « وقد كان عبد الرحمان يخشى من عليّ شيئاً ».

---

١ . صحيح البخاري ٨ : ١٢٣ (كتاب الأحكام ، باب كيف يبايع الإمام الناس).

من أجل ذلك لعبَ عبد الرحمان دور المراوغ المخادع ، فطمأن عليّاً في اللّيل وهنّأه بالخلافة ، ولما أصبح وحشر أُمراء الأجناد وحضر رؤوس القبائل وزعماء قريش ، عند ذلك انقلب عبد الرحمان ليفاجئ علياً بأنّ الناس لا يعدلُون بعثمان ، وأنّ عليه أن يقبل ، وإلاّ سيجعل على نفسه سبيلا (يعني يقتلونه إنْ رفض البيعة لمن اختاروه وهو عثمان بن عفان).

وإنّ الباحث ليفهم ذلك بوضوح خصوصاً عندما يقرأ هذه الفقرة الأخيرة من الرواية ، يقول المسور : « فلمّا اجتمعوا تشهّد عبد الرحمان ثمّ قال : أمّا بعد يا علي إنّي نظرتُ في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان ، فلا تجعل على نفسك سبيلا ».

فلماذا يوجّه عبد الرحمان خطابه إلى علي وحده من بين الحاضرين ، ولماذا لم يقل مثلا : أما بعد يا علي ويا طلحة ويا زبير؟!

من أجل ذلك فهمنا بأنّ الأمر دُبّر بليل ، وأن الجماعة كانوا متّفقين من البداية على عثمان وإبعاد علي عنها.

ولنا أنْ نجزم بأنّهم جميعاً كانوا يخشون من عليّ لو وصل إلى الخلافة أن يعود بهم إلى العدالة والمساواة ، ويحيي لهم سنّة النبيّ ، ويُميت بدعة ابن الخطّاب في المفاضلة ، خصوصاً وأنّ عمر بن الخطّاب قد أشار قبل موته إلى ذلك وحذّرهم من خطر علي عليهم ، فقال : « لو ولّوها الأجلح لحملهم على الجادة » [1] ، والجادة هي السنّة النبويّة التي لا يحبّها عمر ولا تحبّها

---

١ ـ الطبقات الكبرى ٣ : ٣٤٢ ، كنز العمال ١٢ : ٦٨٠ ح٣٦٠٤٤ وصحّحه عن اللالكائي في السنّة.

قريش عامّةً ، ولو كانوا يحبّون سنّة النبيّ لولّوا علياً ، ولحملهم عليها ولردّهم إليها ، فهو نائبها والقائم عليها.

وكما قدّمنا في بحث طلحة والزبير وسعد بأنّهم زرعوا الشوك وحصدوا الخسران والندامة.

فلننظر إلى عبد الرحمان بن عوف وما آل إليه تدبيره ، يقول المؤرخون بأنّ عبد الرحمان بن عوف ندم أشدّ الندم لما رأى عثمان خالفَ سنّة الشيخين ، وأعطى المناصب والولايات إلى أقاربه وحاباهم بالأموال الطّائلة ، فدخل عليه وعاتبهُ وقال : إنّما قدّمتُك [1] على أن تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر ، فخالفتهما وحابيتَ أهل بيتك وأوطأتهم رقاب المسلمين.

فقال عثمان : إنّ عمر كان يقطع قرابته في الله وأنا أصل قرابتي في الله ، قال عبد الرحمان : لله عليَّ أن لا أكلّمك أبداً ، فلم يكلمه حتّى ماتَ وهو هاجر لعثمان ، ودخل عليه عثمان عائداً له في مرضه ، فتحوّل عنه إلى الحائط ولم يكلّمه [2].

وبهذا يكون الله سبحانه قد استجاب دعاء الإمام علي في عبد الرحمان ، كما استجابه في طلحة والزبير فقتلا من يومهما.

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج : إن علياً غضب يوم الشورى ، وعرف ما دبّره عبد الرحمان بن عوف فقال له :

---

١ ـ قوله إنّما قدّمتك يدلّ على الاستبداد برأيه ولم يكن عن مشورة ولا عن اختيار النّاس له كما يزعمون.

٢ ـ تاريخ أبي الفداء ١ : ٣٣٢ ، في مقتل عمر ، العقد الفريد لابن عبد ربه المالكي ٥ : ٥٥ ما نقم الناس على عثمان.

« والله ما فعلتها إلاّ لأنّك رجوتَ منه ما رجَا صاحبكما من صاحبه ، دقَّ الله بينكما عطر منشم » [1].

ويقصد الإمام علي بأنّ عبد الرحمان طمع أن يستخلفه عثمان من بعده كما فعل أبو بكر بعمر ، وقد قال له علي : « أحلب حلباً لك شطره واشدد له اليوم ليردّه عليك غداً » [2].

أما عطر منشم الذي دعا به علي عليهما فهو مَثلٌ سائر يقال : أشأم من عطر منشم ، وهو يدلّ على النفور والمقاتلة.

واستجاب الله دعاء الإمام ، فلم تمض سنوات قليلة حتّى ضرب الله بينهم العداوة والبغضاء ، وإذا بعبد الرحمان يُعادي صهره ، ولا يكلّمه حتّى الموت ، ولا يأذن له بالصّلاة على جنازته.

ويتجلّى لنا أيضاً من هذا البحث الوجيز أنّ عبد الرحمان بن عوف هو رأس من رؤوس قريش الذين عملوا على طمس السنّة النبويّة وإبدالها ببدع الخليفتين.

كما يتجلّى لنا بأنّ الإمام علياً عليه السلام هو الوحيد الذي ضحّى بالخلافة وما فيها ، من أجل الحفاظ على السنّة المحمّدية التي جاء بها أخوه وابن عمّه محمّد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وأنتَ أيّها القارئ الكريم لا شكّ بأنّك عرفت « أهل السنّة والجماعة » على حقيقتهم ، كما عرفت بنفسك من هم أهل السنّة ، فالمؤمن غرّ كريم ،

---

١ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ١٨٨.

٢ . المصدر السابق ٦ : ١١ ، الإمامة والسياسة ١ : ٢٩.

ولكنّه لا يُلدغ من جحر مرّتين.

٨ . عائشة بنت أبي بكر (أُمّ المؤمنين) :

هي زوج النبيّ ﷺ وأُمّ المؤمنين ، تزوّجها النبيّ ﷺ في السنة الثانية أو الثالثة للهجرة ، وتوفّي عنها وهي ابنة ثماني عشرة سنة على أشهر الأقوال المرويّة.

وتجدر الإشارة بأنّ كلّ امرأة تزوّجها رسول الله ﷺ تحمل هذا اللّقب ، فيقال أُمّ المؤمنين خديجة ، أُمّ المؤمنين حفصة ، وأُمّ المؤمنين مارية ... إلخ.

أقول هذا لأنّي فوجئت خلال حديثي مع كثير من الناس بأنّهم لم يفهموا معنى الأُمومة التي لُقّبَ بها أزواج النبيّ ﷺ .

وبما أنّ حديث « أهل السنّة » كلّه عن عائشة إذا تحدّثوا عن أزواج النبيّ ﷺ ، وأغلب الأحاديث النبويّة ينقلونها عن عائشة ، ونصف الدين يأخذونه عن الحميراء عائشة ؛ فكأنّهم فهموا من كلمة « أُمّ المؤمنين » أنّها فضيلة تخصّها من بين سائر أزواجه عليه الصلاة والسلام وعلى آله.

والحال أنّ الله حرّم على المؤمنين الزواج بنساء النبيّ بعد وفاته بقوله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيماً** ﴾ [١] وقال أيضاً : ﴿ **النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ...** ﴾ [٢].

وقد سبق أن أشرنا بأنّ النبيّ ﷺ تأذّى من قول طلحة لما سمعه يقول :

---

١ . الأحزاب : ٥٣.

٢ . الأحزاب : ٦.

إذا مات محمّد تزوّجت عائشة بنت عمّي.

فأراد الله سبحانه أنْ يقول للمؤمنين بأنّ نساء النبيّ حرامٌ عليكم نكاحهنّ كحرمة أُمّهاتكم.

مع العلم بأنّ عائشة كانت عقيماً فلم تحمل ولم تخلّف ، وكانت من أكبر الشخصيات التي عرفها تاريخ المسلمين ، إذ إنّها لعبتْ أكبر الأدوار في تقريب البعض من الخلافة وإبعاد البعض عنها ، وعملت على تزكية قوم وإقصاء آخرين.

وشاركت في الحروب ، وقادت المعارك والرجال ، وكانت تبعث بالرسائل لرؤساء القبائل ، وتأمر وتنهى ، وتعزل أُمراء الجيوش وتؤمّر آخرين ، وكانت قطب الرحى في معركة الجَمَل ، وعمل طلحة والزبير تحت قيادتها.

ونحن لا نريدُ الإطالة في سرد أدوار حياتها ، فقد وافَيْنا البحث عنها في كتاب « فاسألوا أهل الذكر » فعلى الباحثين مراجعته إن أرادوا معرفة ذلك.

ولكنّ الذي يهمّنا في هذا البحث هو اجتهادها وتغييرها لسنّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، ولابدّ من إبراز بعض الأمثلة لكي نفهم من خلال سلسلة هؤلاء « العظماء » الذين هم مفخرة « أهل السنّة والجماعة » ، والذين يقتدون بهم ويقدّمونهم على الأئمّة الطاهرين من عترة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم .

وليس ذلك في الحقيقة إلاّ نزعة قبليّة عملتْ على محق السنّة النبويّة ، وطمس معالمها وإطفاء نورها ، لولا وقوف علي والأئمة من ولده لما وجدنا اليوم من سنّة النبيّ شيئاً يُذكر.

وكما عرفنا بأنّ عائشة لم تمتثل لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم تقم لها وزناً ،

وقد سمعتْ من زوجها أحاديث كثيرة في حقّ علي إلاّ أنّها أنكرتها وعملتْ بعكسها.

وعصتْ أمر الله وأمر رسوله لها بالذّات ، وخرجت فقادتْ حرب الجمل المشؤومة التي انتهكت فيها المحارم ، وقتلت الأبرياء ، وخانت العهد في الكتاب الذي كتبتهُ مع عثمان بن حنيف ، وعندما جاؤوها بالرّجال مكتّفين أمرتْ بضرب أعناقهم صبراً ، وكأنّها لم تسمع قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » [1].

ودعنا من الحروب والفِتن التي أشعلت نارها أُمّ المؤمنين ، وأهلكت بها الحرث والنسلَ ، وهيا بنا إلى تأوّلها هي الأُخرى والقول برأيها في دين الله ، وإذا كان مجرّد الصحابي له رأي وقوله حجّة ، فكيف بمن يؤخذ نصف الدّين عنها؟!

أخرج البخاري في صحيحه من أبواب صلاة التطوع عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة (رضي الله عنها) قالت : الصلاة أوّل ما فرضتْ ركعتان ، فأُقرّتْ صلاة السفر وأُتمّتْ صلاة الحضر ، قال الزهري : فقلتُ لعروة : ما بالُ عائشة تتمّ؟

قال : تأوّلتْ ما تأوّل عثمان [2].

أفلا تعجب كيف تترك أُمّ المؤمنين زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم سنّة رسول الله التي

---

١ . صحيح البخاري ٨ : ٩١ (كتاب الفتن ، باب ظهور الفتن). وصحيح مسلم ١ : ٥٨ (كتاب الإيمان ، باب لا ترجعوا بعدي كفاراً).

٢ . صحيح البخاري ٢ : ٣٦ (كتاب الكسوف ، باب صلاة التطوع) ، صحيح مسلم ٢ : ١٤٣ (كتاب صلاة المسافر).

روتها بنفسها وصحّحتها ، ثمّ تتبع بدعة عثمان بن عفّان ، والتي كانت تحرّض على قتله بدعوى أنّه غيّر سنّة النبيّ وأبلاها قبل أن يُبلى قميصه؟!

نعم ، ذلك ما وقع في عهد عثمان ، ولكنّها غيّرت رأيها في عهد معاوية بن أبي سفيان ، وما أسرع أن تغيّر أُمّ المؤمنين رأيها ، فقد حرّضتْ على قتل عثمان ، ولكنّها لما عرفتْ بأنّهم قتلوه وبايعوا عليّاً ، غيّرت رأيها وبكتْ على عثمان بكاءً شديداً ، وخرجتْ للطلب بدمه هي أيضاً.

والمفهوم من الرواية أنّها أتمّت صلاة السفر ، وجعلتها أربع ركعات بدلا من ركعتين في زمن معاوية الذي كان حريصاً على إحياء بدع ابن عمّه ووليّ نعمته عثمان بن عفان.

والناس على دين ملوكهم ، وكانت عائشة من أُولئك الناس الذين صالحوا معاوية بعد العداء ، فهو الذي قتل أخاها محمّد بن أبي بكر ، ومثّل به أشنع مثلة.

ومع ذلك فإنّ المصالح الدنيوية المشتركة تجمع الأعداء وتوحّد الأضداد ، لذلك تقرّب إليها معاوية وتقرّبتْ إليه ، وأصبح يبعث لها بالهدايا والعطايا والأموال الطائلة.

يقول المؤرّخون : إنّ معاوية لما قدم المدينة دخل على عائشة لزيارتها ، فلمّا قعد قالتْ له : يا معاوية أَأَمنتَ أنّ أُخبّئ لك من يقتلُك بأخي محمّد بن أبي بكر؟

فقال معاوية : إنّما دخلتُ بيت الأمان.

فقالت : أما خشيتَ الله في قتل حجر بن عدي وأصحابه؟

فقال : إنّما قتلهم من شهد عليهم [1].

وروي أيضاً أنّ معاوية كان يبعث لها بالهدايا والثياب وأشياء توضع في أسطوانها ، وبعث لها مرّة بمائة ألف دفعة واحدة [2].

كما بعث لها مرّة أُخرى وهي بمكّة طوقاً قيمته مائة ألف ، كما قضى معاوية كلّ ديون عائشة التي بلغتْ ثمانية عشر ألف دينار ، وكلّ ما كانت تعطيه للنّاس [3].

وقد قدّمنا في كتاب « فاسألوا أهل الذكر » أنها أعتقت في يوم واحد أربعين رقبة تكفيراً عن نذرها [4].

كما أنّ الولاة والأمراء من بني أُميّة كانوا يوصلونها ، ويبعثون لها بالهدايا والأموال أيضاً [5].

وإذا بحثنا عن هذا التقارب بين عائشة ومعاوية قلنا : متى كان البعد والعداء حتّى نقول بالتّقارب ، فأبو بكر هو الذي شارك معاوية في الحكم وولاّه على الشام بعد موت أخيه ، ومعاوية يشعر دائماً بفضل أبي بكر عليه ، فلولاه لم يكن معاوية يحلم يوماً بالوصول إلى الخلافة.

ثمّ إنّ معاوية يلتقي مع الجماعة في مؤامراتهم الكبرى لمحق السنّة والقضاء على العترة ، وقد تقاسموا تلك المهمّة فأحرقوا السنّة وتركوا له

---

١ ـ تاريخ الطبري ٤ : ٢٠٨ ، ونحوه البداية والنهاية ٨ : ٦٠.

٢ ـ تاريخ ابن كثير ٨ : ١٤٥.

٣ ـ تاريخ ابن كثير ٨ : ١٤٥.

٤ ـ صحيح البخاري ٧ : ٩٠ من (كتاب الآداب ، باب الهجرة).

٥ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦ : ٧٧.

القضاء على العترة ، فأتمّ معاوية ما أوكل إليه حتّى أجبر الناس على لعن العترة ، وبمؤامرته خرج الخوارج على الإمام علي ، وبمؤامرته قُتِل علي ، وبمؤامرته قتل الحسن بن علي وقد دَسّ له السمّ ، وقضى يزيد ابنه من بعده على بقية العترة.

فليس بين معاوية وعائشة عداء ، حتى قولها : (أأمنتَ أن أُخبئ لك من يقتلك بأخي محمّد بن أبي بكر) لم يكن إلاّ مداعبة ، وإلاّ فإنّها لا تحبّ ابن الخثعمية محمّد بن أبي بكر ، والذي كان يحارب ضدّها مع علي ويستحلّ قَتْلها.

ثمّ هي تلتقي مع معاوية في بغض أبي تراب إلى أبعد الحدود ، وبحقد يفوق التصوّر والخيال.

ولا أدري أيّهما المتفوّق في ذلك ، أهو الذي حاربه وسبّه ولعنه وعمل على إطفاء نوره ، أم هي التي عملت على إبعاده عن الخلافة ، وحاربتْه وعملتْ على محو اسمه ، فكانت لا تذكر اسمه ، ولما بلغها خبر قتله سَجدتْ شكراً لله؟ [1]

---

١ ـ ورد في مقاتل الطالبيين لأبي الفرج : ٥٥ : « لما أن جاء عائشة قتل عليّ سجدت » ، وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس ٦ : ٢٢٨ : (ولكن عائشة لا تطيب له نفساً) بعدما ذكرت مرض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وخروجه متوكّئاً على شخصين أحدهما الفضل وقد ذكرته عائشة والآخر لم تذكره ، فقال ابن عباس بأن الشخص الآخر هو علي بن أبي طالب ، لكن عائشة لا تحبّ ذكره ؛ لأنّها لا تطيب له نفساً. والحديث صحيح الإسناد ، وخرجّه الشيخ الألباني في إرواء الغليل ١ : ١٧٧ معلّقاً عليه بقوله : (وسنده صحيح).

وقد بقيَ بغضها لولده من بعده إلى أن منعتْ أن يُدفن الإمام الحسن بجانب جدّه ، وخرجتْ تصيحُ راكبة على بغلة تستنفر بني أُميّة وتستعين بهم على بني هاشم قائلة : لا تدخلوا بيتي من لا أحبّ ، وأرادتْ أنْ تشعل حرباً أُخرى ، حتى قال لها بعض أقاربها : « ألا يكفينا يوم الجَمَل الأحمر حتّى يُقال يوم البغلة الشهباء » [1].

وهي بلا شكّ واكبتْ مسيرة كبيرة من حكم بني أُميّة ، وسمعتهم يلعنون عليّاً وأهل البيت على المنابر ، فما أنكرت ذلك ولا نهتْ عنه ، ولعلّها كانتْ تشجّع على ذلك من طرف خفي.

فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده قال : جاء رجلٌ فوقع في علي وعمّار عند عائشة ، فقالت : أمّا علي فلستْ قائلة لك فيه شيئاً ، وأمّا عمّار فإنّي سمعتُ النبيّ يقول فيه : « لا يُخيّر بين أمرين إلاّ اختار أرشدهما » [2].

فلا نستغرب إذاً من عائشة إذا أماتتْ سنّة النبيّ ، وأحيتْ بدعة عثمان في إتمام الصلاة لإرضاء معاوية ، وحكّام بني أُميّة الذين كانوا يتبعونها في حلّها وفي ترحالها ، ويمجّدونها ويأخذون الدّين عنها.

كما أنّ عائشة كانتْ تفتي لهم برضاعة الكبير ، وكانت ترى أنّ الرجال يمكنهم أن يرضعوا من النساء ، فيصبحوا بذلك من محارمهنّ [3].

---

١ ـ تهذيب التهذيب ٦ : ١٠ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٢٥.

٢ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦ : ١١٣ ، تاريخ دمشق ٤٣ : ٤٠٧.

٣ ـ قد وفينا البحث في هذه المهزلة في كتاب (لأكون مع الصادقين) في باب خلاف عائشة مع بقية أزواج النبيّ (المؤلّف).

وما أخرجه الإمام مالك في موطّئه تقشعرّ منه جلود المؤمنين والمؤمنات ، إذ يقول بأنّها كانتْ تبعث بالرّجال إلى أُختها أُمّ كلثوم وإلى بنات أخيها ، فيرضعوا منهنّ وتستبيح أمّ المؤمنين عائشة بعد تلك الرضاعة مقابلتهم بدون حجاب [1] ، لأنّهم على رأيها أصبحوا من مَحارمها!

وما علينا إلاّ أن نتصوّر أحد المسلمين يُفاجئ زوجته مع أحد الرجال ، وهو يُداعب ثدييها بالرّضاعة فتقول زوجتُه : إنّي أرضعه لكي يُصبح ابني ويدخُل علينا بدون حرج.

وما على الزوج المسكين إلاّ أن يتحمّل بدعة عائشة ، ولا يجد في نفسه حرجاً ممّا قضيت ويسلّم تسليماً.

وأنا أُلْفِتُ الباحثين والمحقّقين إلى هذه الطّامة ، فهي وحدها كافيه للكشف عن الحقيقة ولمعرفة الحقّ من الباطل.

وبهذا يتبينُ لنا بأنّ « أهل السنّة والجماعة » يعبدون الله بنصوص ما أنزل بها من سلطان ، بدون تمحيص ولا تثبيت ، ولو تبيّنوا تلك البدع لنفرتْ نفوسهم منها وتركوها طائعين.

هذا ما لامسته شخصياً عند بعض « علماء السنّة » المتحرّرين الذين عندما اطّلعوا على حديث رضاعة الكبير ، استغربوا وذهلوا وأكّدوا بأنّهم لم يسمعوا به أبداً.

وهذه ظاهرة سارية عند « أهل السنّة والجماعة » فكثير من الأحاديث

---

١ ـ موطأ مالك ٢ : ٦٠٦ باب رضاعة الكبير ، ولفظه : « فكانت تأمر أُختها أُمّ كلثوم بنت أبي بكر وبنات أخيها أن يرضعن من أحبت أن يدخل عليها من الرجال ... ».

التي يحتجّ بها الشيعة موجودة في صحاحهم ، وهم يجهلونها ويكفّرون مَن يقول بها.

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوح وَاِمْرَأَةَ لُوط كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ [1].

٩ . خالد بن الوليد :

خالد بن الوليد بن المغيرة من بني مخزوم ، الملقّب عند « أهل السنّة والجماعة » بسيف الله.

أبوه من أكبر الأثرياء الذين لا يقدّر ثراؤهم بقيمة ، يقول عبّاس محمود العقّاد : كان أغنى أبناء زمانه في صفوف الثراء المعروفة بينهم كافّة ، الذهب والفضّة ، والبساتين والكروم ، والتجارة والعروض ، والخدم والجواري والعبيد ، وسمّي من أجل ذلك بالوحيد [2].

وأبوه هذا هو الوليد بن المغيرة الذي نزل فيه القرآن يتوعّده بالنار وبئس القرار ، فقال تعالى في شأنه : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَمْدُوداً * وَبَنِينَ شُهُوداً * وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً * سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ *

---

١ . التحريم : ١٠.

٢ . عبقرية خالد ، عباس العقّاد : ٢٤.

إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ... ﴾ [1].

ويروى أنّ الوليد جاء للنبي ﷺ يُغريه بالأموال ليترك الدين الجديد ، فأنزل الله فيه : ﴿ وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاّف مَهِين * هَمَّاز مَشَّاء بِنَمِيم * مَنَّاع لِلْخَيْرِ مُعْتَد أَثِيم * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيم * أَن كَانَ ذَا مَال وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ * سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾ [2].

وكان الوليد يعتقد بأنّه أحقّ وأولى بالنبوّة من محمّد ، فكان يقول : أينزل القرآن والنبوّة على محمّد الفقير ، وأُترك أنا كبير قريش وسيّدها؟

وعلى هذه العقيدة تربّى خالد بن الوليد حاقداً على الإسلام ، وعلى نبيّ الإسلام الذي سفّه أحلام أبيه ، وقوّض عرشه ، فشارك خالد في الحروب كلّها ضد رسول الله ﷺ .

ولا شكّ بأنّ خالداً كان يُشارك أباه في اعتقاده بأنّه أولى بالنبوّة من محمّد الفقير اليتيم ، ولأنّ خالداً كأبيه من عظماء قريش إنْ لم يكن أعظمهم على الإطلاق ، فلو نزل القرآن والنبوّة على أبيه لكان لخالد منهما النصيب الأوفر ، ولورث النبوّة والملك كما ورث سليمان داود.

وقد سجّل الله سبحانه اعتقادهم هذا بقوله :

﴿ وَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُل مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيم ﴾ [3].

---

١ . المدثر : ١١ . ٢٦.

٢ . القلم : ١٠ . ١٦.

٣ . الزخرف : ٣٠ . ٣١.

فلا غرابة أنْ يعمل كلّ ما في وسعه للقضاء على محمّد ودعوته ، وقد رأيناه يجهّزُ جيشاً كبيراً بما أتاح له الثراء في غزوة أُحُد ، ويكمنُ للنبي ﷺ محاولا القضاء عليه ، وقد حاول أيضاً عام الحديبيّة أن يغتال النبيّ ﷺ ، ولكنّ الله سبحانه أفشل مخططاته كلّها فباءت بالفشل ، ونصر نبيَّه في المواطن كلّها.

ولما عرف خالد كغيره من عظماء قريش بأنّ رسول الله ﷺ لا يُقهر ، ورأى الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، عند ذلك استسلم للأمر الواقع وفي نفسه حسرة ، فكان إسلامه متأخّراً إلى السنّة الثامنة للهجرة ، وقبل فتح مكة بأربعة شهور.

ودشّن خالد إسلامه بمخالفة أوامر الرسول ﷺ حيث نهاهم عن القتال ، فدخل خالد إلى مكّة يوم الفتح بعدما قتلَ أكثر من ثلاثين رجلا أغلبهم من قُريش ، وكان النبيّ ﷺ أوصاهم بأن لا يقتلوا أحداً.

ومهما اعتذر المعتذرون عن خالد بأنّه صُدَّ عن الدّخول إلى مكّة ، وبأنّهم شهروا في وجهه السلاح ، فهذا لا يُبيح له القتال بعد نهي النبيّ عنه ، وكان بوسعه أن يرجع إلى باب آخر فيدخله بدون قتال ، كما فعل الآخرون ، أو أن يبعث للنّبي ﷺ يستشيره في قتال الذين منعوه الدخول.

ولكن شيئاً من ذلك لم يكن ، واجتهد خالد برأيه مقابل النصّ الذي سمعه من رسول الله ﷺ .

وما دمنا نتحدّث عن الاجتهاد مقابل النصّ ، والذي أصبح له أنصار ومؤيّدون ، أو قُل : أصبحتْ له مدرسة قائمة تخرَّجَ منها عُظماء الصحابة

والمشرّعون ، وسُمّيتْ فيما بعد بمدرسة الخلفاء ، لابدّ لنا من الإشارة هنا بأنّ الاجتهاد بهذا المعنى هو معصيةُ الله ورسوله لا غير ، ولأنّنا أَلِفْنا اصطلاح الاجتهاد مقابل النصّ فأصبح وكأنّه أمرٌ مشروع ، وفي الحقيقة يجب أن نقول : وعصى خالدٌ أمر النبيّ بدل أن نقول : واجتهد خالد برأيه مقابل النصّ ، كما علّمنا القرآن عندما قال : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ [1] ، لأنّ الله نهاه عن الأكل من الشجرة ولأنّ آدم أكلَ منها ، فلا تقول : فاجتهد آدمُ برأيه مقابل النصّ.

ويجب على المسلم أن يقف عند حدّه ، ولا يقول برأيه في مسألة وردَ فيها أمرٌ أو نهيٌ منَ الله أو من رسوله ؛ لأنّ ذلك هو الكفر الصريح.

قال الله للملائكة : ﴿ اسْجُدُوا لآدَمَ ﴾ ، فهذا أمر ، ﴿ فَسَجَدُوا ﴾ ، وهذا إيجابٌ وامتثال وطاعة ، ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ ﴾ [2] إلاّ إبليس فإنّه اجتهد برأيه فقال : أنا خيرٌ منه فكيف أسجد له؟ وهنا عصيانٌ وتمرّد ، بقطع النظر عمّن هو خير ، آدم أمْ إبليس؟

ولذلك قرّر سبحانه : ﴿ مَا كَانَ لِمُؤْمِن وَلا مُؤْمِنَة إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ [3].

وإلى هذا أشار الإمام جعفر الصادق عندما قال لأبي حنيفة : « لا تقسْ فإنّ الشريعة إذا قيستْ مُحِقَتْ ، وإنّ أوّل من قاسَ إبليس عندما قال : أنا خيرٌ

---

١ . طه : ١٢١.

٢ . طه : ١١٦.

٣ . الأحزاب : ٣٦.

منه خلقتني من نار وخلقته من طين » [1].

وقوله : « إنّ الشريعة إذا قيستْ مُحِقَّتْ » هو أحسن تعبير للدّلالة على فساد القياس ، فلو استعمل الناس آراءهم المختلفة مقابل النصوص ، فلا ولن يبق للشريعة أثر ، ولو اتّبع الحقُّ أهواءهم لفسدت السماوات والأرض.

ونعود بعد هذا العرض الوجيز للاجتهاد لنقول في هذه المرّة بأنّ خالد بن الوليد عصى أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرّةً أُخرى ، عندما بعثه إلى بني جذيمة يدعوهم إلى الإسلام ولم يأمره بقتال.

فذهب إليهم وأوقع فيهم وغدر بهم بعدما أعلنوا إسلامهم وقتلهم صبراً ، حتّى أتّهمه عبد الرحمان بن عوف ـ الذي حضر معه تلك الوقعة ـ بأنّه إنّما قتلهم ليثأر لعمّيه اللذين قتلهما بنو جذيمة [2].

ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتلك الوقعة الشنيعة تبرّأ إلى الله ممّا صنع خالد ثلاث مرّات ، ثمّ أرسل إليهم علي بن أبي طالب بأموال كثيرة ، فودّى لهم كلّ الدّماء التي أهرقها خالد.

ومهما يعتذر المعتذرون من « أهل السنّة والجماعة » عن خالد بن الوليد ،

---

١ ـ نحوه في الكافي ١ : ٥٨ ح٢٠.

٢ ـ أخرج اليعقوبي في تاريخه ٢ : ٦١ أنّ عبد الرحمان بن عوف قال : والله لقد قتل خالد القوم وهم مسلمون ، فقال خالد : إنّما قتلتهم بأبيك عوف بن عبد عوف ، فقال له عبد الرحمان : ما قتلت بأبي ولكنّك قتلت بعمّك الفاكه بن المغيرة.

أُنظر رعاك الله : إنّ خالداً لم ينكر قتله للقوم وهم مسلمون بل اعترف بأنّه قتلهم بعوف والد عبد الرحمان ، فهل يحقّ في دين الله أن يقتل قومٌ برجل واحد؟ وهل يجوز قتل المسلمين برجل كافر؟!

فإنّ صفحات تاريخه حافلة بالمآسي والمعاصي لكتاب الله وسنّة رسوله ، ويكفي الباحث أن يقرأ تاريخه وما فعله في اليمامة أيام أبي بكر ، وغدره بمالك بن نويرة وقومه ، وكيف قتلهم صبراً وهم مسلمون ، ودخل بزوجة مالك ونكحها في ليلتها ، ولم يراعِ في ذلك شرع الإسلام ولا مروءة العرب.

حتّى إنّ عمر بن الخطّاب مع تساهله في الأحكام إلاّ أنّه شنّع عليه ، وسمّاه عدوّ الله ، وتوعّده بالرجم.

وعلى الباحثين أن يراجعوا التاريخ بعين البصيرة ، ومن وجهة النقد البنّاء الذي يوصلهم إلى الحقيقة بكلّ تجرّد وحياد ، ولا تأخذهم العصبيّة المذهبيّة ، فيقوّموا الأشخاص من خلال الأحاديث المكذوبة على النبيّ ﷺ ، لأنّ « أهل السنّة والجماعة » ـ وهم بنو أُميّة في الواقع ـ يمسحونَ الأحداث التاريخية بحديث واحد يضعونه من عندهم ؛ ليقطعوا به الطّريق على الباحثين فلا يصلون إلى الحقيقة.

وما أسهل أن يقول أحدهم : قال رسول الله لخالد بن الوليد : « مرحباً بسيف الله » ، فيأخذ هذا الحديث المكذوب مأخذه من نفوس المسلمين الأبرياء الذين يُحسنُون الظّن ، ولا يعرفون خفايا الأُمور ودسائس الأمويين ، فيتأوّلُون بعد هذا الحديث الموضوع كلّ ما يقال في خالد من حقائق ويلتمسون لها أعذاراً.

وهذا ما يُسمّى بالتأثير النفسي على الأشخاص ، وهو الدّاء العضال الذي يحجب الإنسان عن الحقّ ، ويقلب الواقع تماماً.

خذ لذلك مثلا أبا طالب عمّ النبيّ ﷺ قيل : إنّه مات على الكفر ، وإنّ

النبيّ قال فيه : « أبو طالب في ضحضاح من نار يغلي منها دماغه ».

ومن أجل هذا الحديث المكذوب يعتقد « أهل السنّة والجماعة » بأنّ أبا طالب مشرك وهو في النار ، ولا يتقبّلون بعد ذلك التحليل العقلي الذي يوصلهم إلى الحقيقة ، وبهذا الحديث تُنسف كلّ حياة أبي طالب وجهاده في سبيل الإسلام من أجل دعوة ابن أخيه ، حتّى عاداه قومه وعاداهم ، إلى أن رضي بالحصار في شعب مكّة لمدّة ثلاث سنين مع ابن أخيه يأكل خلالها أوراق الشجر ، وتنسفُ كلّ مواقفه البطوليّة ، وأشعاره العقائديّة في نصرة دعوة النبيّ ، وكذلك يُعفَى كلّ ما فعله النبيّ في حقّ عمّه ، وكيف غسّله وكفّنه في قميصه ، ونزل في قبره ، وسمّى ذلك العام بعام الحزن وقال : « والله ما نالت منّي قريش إلاّ بعد موت أبي طالب ، وإنّ الله أوحى إليَّ أن أخرج منها فقد مات ناصرك » [1] ، فهاجر من مكّة في يومه.

---

١ . تلفيق بين حديثين أوله في تاريخ دمشق ٦٦ : ٣٣٨ ، والثاني في البحار ٢٢ : ٢٦١. وقد كتب العلماء من السنّة والشيعة كتباً عديدة لإثبات إيمان أبي طالب عليه السلام وأنّ السياسة الأمويّة هي التي كفرّته لا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولا دينه الحنيف ، ومن تلك المؤلّفات كتاب (أسنى المطالب في نجاة أبي طالب) للعالم الشافعي الكبير أحمد بن زيني دحلان ، قال في مقدّمة كتابه : ١٥ : (فيقول العبد الفقير خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام ، كثير الذنوب والآثام ، المرتجى من ربّه الغفران أحمد بن زيني دحلان : قد وقفت على تأليف جليل للعلاّمة النبيل مولانا السيّد محمّد بن رسول البرزنجي المتوفّى سنة ألف ومائة وثلاثة في نجاة أبوي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وذيّله في آخره بخاتمة أبي طالب عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأثبت نجاته.

وأقام أدلّة على ذلك وبراهين من الكتاب والسنّة وأقوال العلماء يحصل لمن تأملها أنّه ناج بيقين ، مع بيان معان صحيحة للنصوص التي تفضي خلاف ذلك

وخذ لذلك مثلا أبا سفيان بن حرب والد معاوية ، قيل : إنّه أسْلم بعد فتح مكّة ، وقال النبيّ فيه : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمنٌ » [1].

ومن أجل هذا الحديث الذي ليس فيه فضلٌ ولا فضيلة يعتقد « أهل السنّة والجماعة » بأنّ أبا سفيان أسلم وحَسُنَ إسلامه وهو في الجنّة ، لأنّ الإسلام يجبُّ ما قبله.

ولا يتقبّلون بعد ذلك التحليل العقلي الذي يوصلهم إلى الحقيقة ، وبهذا الحديث أيضاً يُعفى كلّ ما فعله أبو سفيان تجاه صاحب الرسالة ودعوته ، وتُنسى كلّ الحروب التي قادَها وموّلها للقضاء على محمّد ، ويُنسى حقده وبغضه للنّبي حتّى إنّه لما جاؤوا به وقالوا له أسلم وإلاّ ضربنا عنقك قال : أشهد أنّ لا إله إلاّ الله ، فقالوا : قل : أشهد أنّ محمّداً رسول الله ، فقال : أمّا هذه ففي نفسي شيء منها.

وكان إذا اجتمع بالنّبي بعد استسلامه يقول في نفسه : بأيّ شيء غلبني هذا؟ فيقول له النبيّ ﷺ بالله غلبتك يا أبا سفيان [2].

فهذان مَثَلان ضربتهما من واقعنَا الإسلامي ، حتّى يتبيّنَ للباحثين مفعول

حتى صارت جميع النصوص صريحة في نجاته وسلك في ذلك مسلكاً ما سبقه إليه أحد بحيث ينقاد لأدلّته كلّ من أنكر نجاته وجحد.

وكلّ دليل استدلّ به القائلون بعدم نجاته قلبه عليهم وجعله دليلا لنجاته ، وتتبعّ كلّ شبهة تمسّك بها القائلون بعدم النجاة وأزال ما اشتبه عليهم بسببها وأقام دليلا على دعواه) إلى آخر كلامه.

١ ـ صحيح مسلم ٥ : ١٧١.

٢ ـ بغية الباحث : ٢٨٤ ح٩٤٣.

التأثير النفسي على الناس وكيف يحجُبُهم عن الحقّ ، ومن هذا نفْهمُ بأنّ « أهل السنّة والجماعة » غلّفُوا الصحابة بهالة من الأحاديث المكذوبة ، أكسبتهُم حصانةً وقداسة في نفوس الغافلين ، فلم يعودوا يتقبّلون فيهم نقد الناقدين ولومة اللاّئمين.

وإذا اعتقد المسلمُ بأنّ هؤلاء بشَّرَهم رسو الله بالجنّة ، فلا يتقبّل بعد ذلك فيهم أيّ قول ، وكل ما فعلوه يهون ويلتمس لهم فيه أعذارٌ أو تأويلاتٌ ، هذا إذا لم يغلق الباب من أوّله.

ولذلك وضعوا لكلِّ واحد من كُبرائهم لقباً نسبوه للرسول ﷺ ؛ فهذا صديقٌ ، وهذا فاروقٌ ، وهذا ذو النورين ، وهناك حبّ رسول الله ، وهناك حواري رسول الله ، وهناك حبيبة رسول الله ، وهناك أمين الأُمّة ، وهناك راوية الإسلام ، وهناك كاتب الوحي ، وهناك صاحب النعلين ، وحجام الرسول ، وسيف الله المسلول ، وغير ذلك.

وكلّها في الحقيقة لا تُسمن ولا تغني من جوع في ميزان الحقّ عند الله ، إنْ هي إلاّ أسماءٌ سمّيتموها أنتم وأباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، إنّما الذي ينفعُ عند الله ويضرّ هو الأعمال.

والتاريخ هو خير شاهد على الأعمال ، وبها نُقيّم شخصية الإنسان وقيمته ، ولا نقيّم الإنسانَ ممّا يقالُ فيه كذباً وبهتاناً.

وهي بالضبط مقولة الإمام علي : « اعرف الحقّ تعرف أهله » [1] وبما أنّنا درسنا التاريخ ، وعرفنا ما فعله خالد بن الوليد ، وعرفنا الحقّ من الباطل ؛ فلا

---

١ . روضة الواعظين : ٣١.

يمكن لنا أن نسمّيه سيف الله.

ويحقّ لنا أن نسأل متى لقّبه رسول الله بذلك ، هل سمّاه سيف الله عندما قتل أهل مكّة يوم الفتح ، وقد عرفنا بأنّه ﷺ نهاه عن القتال؟! أمْ عندما بعثه مع سرية زيد بن حارثة إلى مؤتة وقال : إذا قتل زيد ، فجعفر بن أبي طالب ، وإذا قتل جعفر فعبد الله بن رواحة ، ولم يعيّنه حتّى في المرتبة الرابعة لقيادة الجيش ، وبعد مقتل الثلاثة لاذ خالد بالفرار من المعركة بمن بقي من الجيش؟!

أم لقّبه بسيف الله عندما خرج معه إلى غزوة حنين التي صحبه فيها اثني عشر ألف مقاتل ، فأعطى الأدبار وولى هارباً تاركاً رسول الله في المعركة ، ومعه اثنا عشر رجلا؟

وإذا كان الله يقول : ﴿ **وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَال أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَة فَقَدْ بَاءَ بِغَضَب مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾ [1].

فكيف يسمحُ لسيفه بالهروب؟ إنّه حقّ أمر عجيب!

وأنا أعتقد أنّ خالداً لم يكن يعرف هذا اللّقب في حياة النبيّ أصلا ، ولم يقله رسول الله أبداً ، وغاية ما هناك أنّ أبا بكر هو الذي أعطى لخالد هذا الوسام عندما بعثه لإسكات الثائرين عليه من أجل الخلافة ، وفعل بهم ما فعل ، ونقم عليه عمر بن الخطّاب وقال لأبي بكر : « إنّ سيف خالد لرهقاً » وهو أعرف الناس به وأقربهم إليه ، عند ذلك قال أبو بكر لعمر : إنّ خالداً

---

١ . الأنفال : ١٦.

سيفٌ من سيوف الله سلّه على أعدائه ، إنّه تأوّل فأخطأ [1]!! ومن هنا جاء هذا اللّقب.

وأخرج الطبري في الرياض النضرة أنّه كان في بني سليم ردّة ، فبعث إليهم أبو بكر خالد بن الوليد ، فجمع رجالا منهم في الحضائر وأضرم عليهم النار فأحرقهم ، فبلغ ذلك عمر بن الخطّاب ، فأتى أبا بكر فقال : تدع رجُلا يعذّب بعذاب الله عزّ وجلّ؟

فقال أبو بكر : والله لا أشم سيفاً سلَّهُ الله على عدوه حتّى يكون هو الذي يشيمه ، ثمّ أمره فمضى من وجهه إلى مسيلمة [2].

ومن هنا سمّى « أهل السنّة والجماعة » خالداً بـ « سيف الله المسلُول » ولو أنّ خالداً عصى أمرَ الرسول ، وحرق الناس بالنّار ضارباً بالسنّة عرض الجدار.

فقد أخرج البخاري في صحيحه أنّ رسول الله ﷺ قال : « إنّ النار لا يُعذِّب بها إلاّ الله » [3] ، وقوله أيضاً : « لا يعذّب بالنار إلاّ ربّها » [4].

وقد قدّمنا أنّ أبا بكر كان يقول قبل موته : يا ليتني لم أحرق الفجاءة السلمي! [5]

ونحن نقول : يا ليتَ سائلا يسأل عمر بن الخطّاب ويقول له : إذا كنتَ

---

١ ـ تاريخ الطبري ٢ : ٥٠٣ ، الإصابة ٥ : ٥٦١.

٢ ـ الطبقات الكبرى ٧ : ٣٩٦ ، تاريخ دمشق ١٦ : ٢٤٠.

٣ ـ صحيح البخاري ٤ : ٧ (كتاب الجهاد والسير ، باب الخروج في رمضان).

٤ ـ السنن الكبرى للبيهقي ٩ : ٧٢ ، مسند أحمد ٣ : ٤٩٤ ، سنن أبي داود ١ : ٦٠٣.

٥ ـ تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٣٧ ، شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ : ٤٧.

تعرف أنّه لا يعذِّب بالنار إلاّ الله ، فلماذا أقسمتَ غداة وفاة الرسول لتحرقنّ بيت الزهراء بمن فيها أو يخرجوا للبيعة ، ولولا تسليم علي وأمره الجماعة بالخروج للبيعة لنفّذت فيهم مُرادك؟!

وإن الشكّ يُداخلني بعض الأوقات فاستبعد أن يكون عمر يُعارضُ أبا بكر فلا يلتفتُ إليه وإلى معارضته ، فهذا غريبٌ! وقد رأينا أبا بكر لا يقفُ بوجه عمر ولا يثبت أمام معارضته حتّى قال له غير مرّة : « لقد قلتُ لك بأنّك أقوى منّي على هذا الأمر فغلبتني »[1]! ومرّة أُخرى لما اشتكى إليه المؤلّفة قلوبهم فِعْلَ عمر بالكتاب الذي كتبه إليهم وأنّه بصق فيه ومزّقه ، وسألوه : أأنت الخليفة أم عمر؟ فقال : بل هو إن شاء الله[2]!!

ولذلك أقول : لعلّ المعارض لَه في أفعال خالد البَشِعة هو علي بن أبي طالب ، ولكنّ المؤرّخين الأوّلين والرواة كانوا كثيراً ما يتحاشون ذكر اسمه فأبدلوه بعمر ، كما وردت بعض الروايات المسندة إلى أبي زينب أو إلى رجل ، ويقصدون به علياً ولا يصرّحون بذلك.

وليس هذا إلاّ مجرّد احتمال ، أو أنّنا نقبل قول بعض المؤرّخين بأنّ عمر ابن الخطّاب كان يبغض خالداً ، ولا يطيق رؤيته لأنّه يغار منه ، فقد استهوى خالد قلوب الناس بما حقّقه من انتصارات ، ويُقال بأنّ خالداً صارع عُمر في الجاهلية فغلبه وكَسَر رجله.

والمهمّ أنّ عمر عزل خالداً يوم تولّى الخلافة ، ولكن لم يُقم عليه الحدّ

---

١ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢ : ٥٩.

٢ . النص والاجتهاد : ٤٣ ، عن الجوهرة النيرة على مختصر القدوري : ١٦٤.

بالرّجم كما توعّده بذلك.

والنتيجة : إنّ خالد بن الوليد وعمر بن الخطّاب كانا مترادفين في الشدّة والغطرسة ، كلّ منهما فظّ غليظ القلب ، عمل كلٌ منهما على مخالفة السنّة النبويّة وعصيان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وبعد وفاته ، كما كان كلّ منهما يبغضُ وصيّ النبيّ ويعمل على إبعاده ، وقد تآمر خالد مع عمر وأبي بكر على اغتيال علي عقيب وفاة النبيّ [1] ، ولكنّ الله سبحانه وتعالى نجّاهُ منهم ليقضيَ أمراً كان مفعولا.

ومرّة أُخرى يتّضح لنا بعد دراسة شخصيّة خالد بن الوليد الذي يتغنّى به « أهل السنّة والجماعة » بأنّهم أكثر بُعداً عن السنّة النبويّة ، وهم يقتدون بمن خالفها ونبذها وراء ظهره ، ولم يراع لها ولا لكتابِ الله حرمة ولا احتراماً.

١٠ . أبو هريرة الدوسي :

هو من الصحابة المتأخّرين عن الإسلام ، وعلى حسب ترتيب الطّبقات لابن سعد ، فهو يُعدّ من الطبقة التاسعة أو العاشرة.

قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في آخر السنة السابعة للهجرة ، وبذلك يقول المؤرّخون بأنّ صحبته للنّبي صلى الله عليه وآله وسلم لم تتجاوز ثلاث سنين [2] على أكثر تقدير ، ومنهم من ينزل بتلك الصحبة إلى أقلّ من سنتين باعتبار أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعثه مع ابن الحضرمي إلى البحرين ، فتُوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو بالبحرين.

---

١ . بحار الأنوار ٣٠ : ٣٠٧.

٢ . صحيح البخاري ٤ : ١٧٥ في ما رواه أبو هريرة عن نفسه ، باب علامات النّبوة.

ولم يكن أبو هريرة من الّذين عُرِفوا بجهاد أو شجاعة ، ولا من أُولئك الدّهاة المفكّرين ، ولا من الفقهاء الحافظين ، ولم يكن يعرف القراءة والكتابة ، وقدم على رسول الله ﷺ على ملء بطنه ، كما صرّح هو بذلك [1] ، وكما فهم النبيّ منه ذلك عندما أسكنه في أهل الصفة ، وكلّما جيء للنّبي بصدقة من الأكل بعث بها إليهم ، وكان كما يروي هو عن نفسه كثير الجوع ، فيعترض طريق الصحابة ويمثل دور المصروع ، طمعاً في أن يدخلوه إلى بيوتهم ويُطعمُوه.

ولكنّه اشتهر بكثرة الأحاديث التي يرويها عن رسول الله ﷺ ، فبلغَت مرويّاتُه ما يقرب من ستّة آلاف حديث ، وهذا ما ألفتَ نظر المحقّقين إليه ، ولأنّه مع قلّة الصحبة روى أحاديث ووقائع لم يحضرها أبداً.

وجمع بعض المحقّقين مجموع مرويّات الخلفاء الراشدين ، والعشرة المبشّرين ، وأُمّهات المؤمنين ، وأهل البيت الطّاهرين ، فلم تبلغ كلّها عشر معشار ما رواه أبو هريرة بمفرده ، مع العلم بأنّ من هؤلاء علي بن أبي طالب الذي صاحب النبيّ ثلاثين عاماً.

ومن ثمّ توجّهت إلى أبي هريرة أصابع الاتّهام ، ووصفته بالكذب والوضع والتدليس ، وقالوا بأنّه أوّل راوية أثُّم في الإسلام [2].

---

١ ـ صحيح البخاري ٣ : ٢ (كتاب البيوع) و ٣ : ٧٤ (كتاب المساقاة).

٢ ـ روى الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢ : ٦٠٨ بسنده قال : (سمعت الشعبي يقول : كان أبو هريرة يدلّس). وفي هامش المصدر المذكور ذكر محقّق الكتاب عن الأعمش أنّه قال : (كان

ولكنّ « أهل السنّة والجماعة » يُلقّبونه بـ « راوية الإسلام » ويحترمونه كثيراً ويحتجّون به ، ولعلّ البعض منهم يعتقد بأنّه أعلم من علي ، وذلك لحديث يرويه هو عن نفسه قال : قلتُ : يا رسول الله إنّي أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه قال : « أبسط رداءَك » ، فبسطته قال : فغرف بيديه ثمّ قال : « ضمّهُ » فضممتُه ، فما نسيت شيئاً بعدها [1].

وأكثر أبو هريرة الرواية عن رسول الله ﷺ حتّى ضربه عمر بن الخطّاب بالدرّة وقال له : قد أكثرتَ من الرواية وأحر بك أن تكون كاذباً على رسول الله [2]. وذلك لرواية رواها أنّ الله خلق السماوات والأرض والخلق فعدّ سبعة أيّام ، فلمّا سمع بذلك عمر دعاه وطلب منه إعادة الحديث ، فلمّا أعاده ضربه عمر وقال : يقول الله في ستّة أيام وأنت تقول في سبعة؟ فقال أبو هريرة : علّني سمعته من كعب الأحبار ، فقال عمر : ما دمتَ لا تفرّق بين أحاديث النبيّ وكعب الأحبار فلا تحدّث.

كما يُروي أنّ الإمام علي بن أبي طالب قال : ألا إنّ أكذب الأحياء على

إبراهيم صيرفياً في الحديث أجيؤه بالحديث ، قال : فكتب مما أخذته عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : كانوا يتركون أشياء من أحاديث أبي هريرة ..).

١ ـ صحيح البخاري ١ : ٣٨ من (كتاب العلم ، باب حفظ العلم) وكذلك ٤ : ١٨٨.

٢ ـ أنظر كتاب أبي هريرة لمحمود أبو رية المصري : ١٠٣. وفي سير أعلام النبلاء ٢ : ٦٠٠ ـ ٦٠٢ : (عن السائب بن يزيد سمع عمر يقول لأبي هريرة : لتتركن الحديث عن رسول الله ﷺ أو لألحقنك بأرض دوس .. عن ابن عجلان : إنّ أبا هريرة كان يقول : إنّي لأُحدّث أحاديث لو تكلّمت بها زمن عمر لشجّ رأسي .. وعن أبي هريرة قال : ما كنا نستطيع أن نقول : قال رسول الله ﷺ حتى قبض عمر ـ رض ـ كنا نخاف سياطه).

رسول الله أبو هريرة الدّوسي [1].

كما أنّ عائشة أُمّ المؤمنين كذّبتهُ عدّة مرّات في عدّة أحاديث كان يرويها عن رسول الله ، فأنكرت عليه مرّةً وقالتْ له : متى سمعتَ رسول الله ﷺ يقول ذلك؟

فقال لها : لقد شغلك عن حديث رسول الله ﷺ المرآة والمكحلة والخضاب ، ولما أصرّتْ على تكذيبه وشهّرتْ به ، وتدخّل مروان بن الحكم وتثبّت من صحّة الحديث ، اعترف عند ذلك أبو هريرة وقال : إنّي لم أسمعه من رسول الله ﷺ وإنّما سمعته من الفضل بن العبّاس [2].

وفي هذه الرواية بالخصوص اتهمه النظام ، وقال فيه : لقد استشهد أبو هريرة بالفضل بن العبّاس بعد موته ، ونسبَ الحديث إليه ليوهم الناسَ بأنّه سمعه منه [3].

كما قال ابن قُتيبة في كتابه « تأويل مختلف الحديث » : كان أبو هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ كذا وكذا ، وإنّما سمعه من غيره [4].

كما أنّ الذّهبي أخرج في كتابه « أعلام النبلاء » بأنّ يزيد بن إبراهيم سمع شعبة بن الحجّاج يقول : كان أبو هريرة مدلّساً [5].

وجاء في كتاب « البداية والنهاية » لابن كثير أنّ يزيد بن هارون سمع

---

١ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ : ٦٨.

٢ . صحيح البخاري ٢ : ٢٣٢ (كتاب الصوم ، باب الصائم يصبح جنباً).

٣ . عن النظام ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ٣٣.

٤ . تأويل مختلف الحديث : ٤٨.

٥ . سير أعلام النبلاء ٢ : ٦٠٨.

شعبة يقول فيه ذلك أيضاً يعني كان مدلّساً ، وكان يروي ما سمعه من كعب الأحبار ومن رسول الله ﷺ ولا يميّز بين هذا وهذا [1].

كما أنّ أبا جعفر الإسكافي قال : أبو هريرة مدخولٌ عند شيوخنا غير مرضي الرواية [2].

وقد اشتهر أبو هريرة في حياته من بين الصحابة بالكذب والتدليس ، والإكثار من الأحاديث الموضوعة ، حتّى إنّ بعضهم كان يستهزئ به ويطلب منه وضع الأحاديث لما يريد.

فقد رُوِيَ أنّ رجلا من قريش لبسَ جبّةً جديدة وأخذ يتبختَرُ فيها ، ومرّ بأبي هريرة فقال له : يا أبا هريرة إنّك تكثر الحديث عن رسول الله ﷺ فهل سمعته يقول في حلتي هذه شيئاً؟

فقال أبو هريرة : سمعت أبا القاسم يقول : إنّ رجلا ممّن كان قبلكم بينما كان يتبختَرُ في حُلّته إذ خسف الله به الأرض ، فهو يتجلجلُ فيها حتى تقوم الساعة ، فوالله ما أدري لعلّه كان من قومك ورهطك [3].

وكيف لا يشكّ الناسُ في روايات أبي هريرة إذا كانت متناقضة ، فقد يروي حديثاً ثمّ يروي نقيضه ، وإذا عارضوه واحتجّوا عليه بما رواه سابقاً ، يعرضُ عنهم أو يَرطن بالحبشيّة [4].

وكيف لا يتّهمونه بالكذب والوضع ، وقد شهد هو على نفسه بأنّه يُحدِّث

---

١ ـ البداية والنهاية ٨ : ١١٧.

٢ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ : ٦٧.

٣ ـ البداية والنهاية ٨ : ١١٦ ، صحيح ابن حبان ١٢ : ٤٩٧.

٤ ـ صحيح البخاري ٧ : ٣١ (كتاب الطب ، باب لا هامة).

من جُعبته وينسبه للنّبي صلى الله عليه وآله وسلم .

أخرج البخاري في صحيحه أنّ أبا هريرة قال : قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : أفضل الصدقة ما ترك غنىً ، واليد العليا خيرٌ من اليد السُّفلى ، وابدأ بمن تعول ، تقول المرأة : إمّا أن تُطعمني وإمّا أن تُطلِّقني ، ويقول العبد : أطعمني واستعملني ، ويقول الابن : أطعمني إلى من تدَعُني ، فقالوا : يا أبا هريرة سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟!

فقال : لا ، هذا من كيس أبي هريرة [1].

أُنظر كيف يبدأ الحديث بقوله : قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، ثمّ بعد ذلك عندما يُنكرُون عليه ويستفهمونه يعترف بوضعه ويقول : هو من كيس أبي هريرة!

فهنيئاً لأبي هريرة بهذا الكيس المليء بالأكاذيب والأساطير ، والذي وجد له رواجاً عند معاوية وبني أُميّة ، واكتسب من ورائه الجاه والسلطان ، والأموال والقصور ، فقد ولاّه معاوية ولاية المدينة المنوّرة ، وبنى له قصر العقيق ، وزوّجه من المرأة الشريفة التي كان أبو هريرة يخدمها.

وإذا كان أبو هريرة وزير معاوية المقرّب ، فليس ذلك لفضله ولا لشرفه أو علمه ، ولكنّه كان يجد عنده الأحاديث التي يريدها ويروّجها ، وإذا كان بعض الصحابة يتلكّأون في لعن أبي تراب ويجدون في ذلك حرجاً ، فإنّ أبا هريرة لعن علياً في عقر داره وعلى مسمع من شيعته.

روى أبن ابي الحديد قال : لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام

---

١ . صحيح البخاري ٦ : ١٩٠ (كتاب النفقات ، باب وجوب النفقة على الأهل والعيال).

الجماعة جاء إلى مسجد الكوفة ، فلمّا رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ، ثمّ ضربَ صلعتَه وقال : يا أهل العراق أتزعمون أنّي أكذب على رسول الله وأُحرق نفسي بالنّار ، والله لقد سمعتُ رسول الله يقول : إن لكلّ نبي حرماً وإنّ حرمي بالمدينة ما بين عير إلى ثور ، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وأشهد أنّ عليّاً قد أحدثَ فيها.

فلمّا بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولاّه المدينة [1].

ويكفينا دليلا أنّه كان والياً على المدينة من قبل معاوية ، ولا شكّ في أنّ المحقّقين والباحثين الأحرار سيشكّون في كلّ من تولّى عدوّ الله ورسوله وعادى وليّ الله ورسوله.

ولا شكّ في أنّ أبا هريرة لم يصل إلى ذلك المنصب الرفيع ـ وهو ولاية المدينة عاصمة الإسلام ـ إلاّ للخدمات التي أسداها لمعاوية وحكّام بني أُميّة.

وسبحان مقلّب الأحوال فقد جاء أبو هريرة إلى المدينة عُرياناً ليس له إلاّ نمرة يسترُ بها عورتَه ، ويستجدي المارّة ليسدّوا رمقه ، والقمل يجري فوق جلده ، وإذا به فجأة يُصبح والي المدينة المنورة ، يسكن قصر العقيق ، وعنده الأموال والخدم والعبيد ، ولا يتكلّم الناس إلاّ بإذنه!!

كلّ ذلك من بركات كيسه ، فلا تنسَ ولا تتعجَب ، فإنّك ترى اليومَ نفس المسرحيّات تتكرّر والتاريخ يعيد نفسه ، فكم من مُعدم جاهل تقرّب إلى

---

١ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ : ٦٧.

الحاكم وانخرط في الحزب ، فأصبح سيّداً مُهاباً يُقيم الدّنيا ويُقعِدُها ، يصول ويجولُ ، وتحت تصرّفه الأموال التي لا تخضع للحساب ، والسيّارات التي لا تخضعُ للرّقابة ، والمأكولات التي لا تُباع في الأسواق ، ومع كلّ ذلك فهو لا يُحسن الكلام حتى بلغته ، ولا يفهم من معاني الحياة غير بطنه وفرجه ، غاية ما هنالك أنّ له كيساً مثل كيس أبي هريرة مع وجود الفارق طبعاً ، ولكنّ الهدف واحد هو إرضاء الحاكم ، والترويج له لدعم ملكه ، وتثبيت عرشه ، والقضاء على أعدائه.

وقد كان أبو هريرة يحبّ الأمويّين ويحبّونه من زمن عثمان بن عفّان زعيمهم ، فكان رأيه في عثمان مخالف لكلّ الصحابة من المهاجرين والأنصار ، فهو يكفّر الصحابة الذين شاركوا في قتل عثمان وألّبوا عليه.

ولا شكّ بأنّه كان يتّهم علي بن أبي طالب بقتل عثمان ، ونفهم ذلك من حديثه في مسجد الكوفة ، وقوله بأنّ علياً أحدث في المدينة ، ويلعنه على لسان النبيّ والملائكة والناس أجمعين.

ولذلك ينقلُ ابن سعد في طبقاته أنّه لما ماتَ أبو هريرة سنة ٥٩ كان ولد عثمان بن عفان يحملون سَريره حتّى بلغوا البقيع حفظاً بما كان من رأيه في عثمان [١].

وإنّ لله في خلقه شؤوناً ، إذ يموت عثمان بن عفّان سيّد قريش وعظيمها مقتولا ويذبح ذبح النعاج وهو خليفة المسلمين الذي لقّبوه بذي النورين ، والذي تستحي منه الملائكة كما يزعمون ، ولا يُغسّل ولا يكفّن ، ويعطّل دفنه

---

١ . طبقات ابن سعد ٤ : ٣٤٠.

ثلاثة أيام ثمّ يدفن في مقبرة اليهود ، ويموت أبو هريرة الدّوسي في العزّ والجاه ، وقد كان مُعدماً ولا يعرف أحدٌ قومَه ولا عشيرته ، وليس له في قريش قرابة ، فيحمله أولاد الخليفة الذين أصبحوا في عهد معاوية ولاة الأُمور ويدفنونه في بقيع رسول الله!!

وهلمّ بنا الآن إلى أبي هريرة لنعرف موقفه من السنّة النبويّة.

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال : حفظتُ عن رسول الله ﷺ وعاءين ، فأمّا أحدُهما فبثثتهُ ، وأمّا الآخر فلو بثثته قُطِعَ هذا البلعوم [1].

وإذا قلنا في الأبحاث السابقة : إنّ أبا بكر وعمر قد أحرقا السنّة النبويّة المكتوبة ، ومنعا المتحدّثين من نقلها ، فها هو أبو هريرة يفصِحُ بهذا الحديث عن المكنون ويؤكّد ما ذهبنا إليه ، ويعترف بأنّه ما كان يحدّث إلاّ بما يروق الخلفاء الحاكمين.

وعلى هذا الأساس فإنّ أبا هريرة كان يملكُ كيسين أو وعاءين ، أحدهما كان يبثّه وهو الذي تحدّثنا عنه وفيه ما يشتهيه الحاكمون.

وأمّا الوعاء الثاني الذي كتمهُ أبو هريرة ، ولم يحدّث به خوفاً من أن يقطع بلعومه ، فهو الذي يحوي الأحاديث الصحيحة للنبي ﷺ.

ولو كان أبو هريرة ثقةً ما كان ليكتُمَ الأحاديث الحقيقية ، ويبثّ الأوهام والأكاذيب لتأييد الظّالمين ، وهو يعلم بأنّ الله لعن من يكتم البيّنات.

فقد أخرج له البخاري قوله : إنّ الناس يقولون : أكثرَ أبو هريرة ، ولولا

---

١ ـ صحيح البخاري ١ : ٣٨ (كتاب العلم ، باب حفظ العلم).

آيتان في كتاب الله ما حدّثت حديثاً ، ثمّ يتلو : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَالْهُدى مِنْ بَعْدِ ما بَيَّنّاهُ لِلنّاسِ فِي الْكِتابِ أُولئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاّعِنُونَ . إلى قوله . الرَّحِيمُ ﴾ [1] ، وإنّ إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم ، وإنّ أبا هريرة كان يلزم النبيّ بشبع بطنه ، ويحضر ما لا يحضرون ، ويحفظ ما لا يحفظون [2].

فكيف يقول أبو هريرة : لولا آيتان في كتاب الله ما حدّثتُ حديثاً ، ثمّ يقول هنا حفظت عن رسول الله وعاءين ، فأمّا أحدُهما فبثثته وأمّا الوعاء الثاني لو بثثتُه قُطِعَ هذا البلعوم! وهل هذه إلاّ شهادة منه بأنّه كتم الحقّ رغم الآيتين في كتاب الله؟!

وإذا كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه : « ارجعوا إلى أهليكم فعلّموهم » [3] ، وقال : « ربّ مُبلّغ أوعى من سامع » [4] ، وأخرج البخاري أنّ النبيّ حرّض وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ، ويخبروا به مَن ورائهم [5].

فهل لنا أن نتساءل ، وهل للباحثين أن يتساءلوا : لماذا يُقتلُ الصحابي عندما يتحدّث بحديث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ويُقطع منه البلعوم؟!

فلابدّ أنّ هناك سرّاً لا يُحبُّ الخلفاء إفشاءَهُ ، وقد أشرنا إلى ذلك السرّ في

---

١ . البقرة : ١٥٩ . ١٦٠.

٢ . صحيح البخاري ١ : ٣٨ (كتاب العلم ، باب حفظ العلم).

٣ . صحيح البخاري ١ : ٣٠ (كتاب العلم ، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد).

٤ . صحيح البخاري ١ : ٢٤ (كتاب العلم ، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس).

٥ . صحيح البخاري ١ : ١٩ (كتاب الخمس ، باب أداء الخمس من الإيمان).

الأبحاث السابقة من كتاب « فاسألوا أهل الذكر » ، ونوجز هنا بأنّه يتعلّق بالنّص على خلافة علي.

وليس اللّوم على أبي هريرة ، فقد عرف قدره وشهد على نفسه بأنّ الله لعنه ولعنه اللاّعنون إذ كتم حديث النبيّ.

ولكنّ اللّوم على « أهل السنّة والجماعة » الذي يجعلون من أبي هريرة راوية السنّة ، وهو يشهد بأنّه كتمها ، ويشهد بأنّه دلّسها وكذب عليها ، ويشهد أيضاً بأنّها اختلطتْ عليه ، فلم يعرف حديث النبيّ من حديث غيره.

وهذا كلّه من أحاديث واعترافات صحيحة جاءت في صحيح البخاري وغيره من صحاح « أهل السنّة والجماعة ».

كيف يطمئنُّون لرجل طعن في عدالته أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأتّهمه بالكذب فقال : « إنّه أكذب الأحياء على النبيّ » [1] ، واتّهمه عمر بن الخطّاب وضربه وهدّده بالنّفي ، كما طعنتْ فيه عائشة وكذّبته عدّة مرّات ، وطعن فيه كثير من الصحابة وردّوا أحاديثه المتناقضة ، فكان يعترف مرّة ، ويرطن بالحبشيّة أُخرى ، وطعن فيه كثير من علماء الإسلام ، واتّهموه بالكذب والتدليس والتكالب على موائد معاوية وذهبه وفضّته.

فكيف يصحّ بعد كلّ هذا أن يصبح أبو هريرة راوية الإسلام ، ويأخذون عنه أحكام الدّين؟!

وقد أكّد بعض العلماء المحقّقين بأنّ أبا هريرة هو الذي أدخل في الإسلام عقائد اليهود والإسرائيليات التي ملأت كتب الحديث ، أو أنّ كعب

---

١ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ : ٦٨.

الأحبار اليهودي هو الذي أدخلها عن طريقه وبواسطته ، فجاءت روايات تشبيه الله وتجسيمه ونظرية الحلول ، والأقوال المنكرة في الأنبياء كلّها عن أبي هريرة.

فهل يثوب « أهل السنّة والجماعة » إلى رشدهم ليعرفوا عمّن يأخذون السنّة الحقيقيّة ، وإذا ما سألوا فنقول لهم : تعالوا إلى باب مدينة العلم والأئمّة من بنيه ، فهم حفظة السنّة ، وهم أمان الأُمّة ، وهم سفينة النجاة ، وهم أئمّة الهدى ومصابيح الدّجى ، وهم العروة الوثقى وحبل الله المتين.

١١ ـ عبد الله بن عمر :

هو من مشاهير الصحابة الذين كان لهم دورٌ كبير في سير الأحداث التي وقعت في زمن الخلفاء الثلاثة وفي عهد بني أُميّة ، ويكفي أنّ أباه عمر بن الخطّاب ليكون عند « أهل السنّة والجماعة » معظّماً ومحبوباً ، فهم يعدّونه من أكبر الفقهاء ومن حفّاظ « الأحاديث النبويّة » ، حتّى إنّ الإمام مالكاً اعتمد عليه في أكثر أحكامه ، كما أنّه أشبع كتاب الموطّأ من أحاديثه.

وإذا تصفّحنا كتب « أهل السنّة والجماعة » وجدناها حافلة بذكره والثناء عليه.

غير أنّنا عندما نقرأ ذلك بعين الباحث البصير يتبيّن لنا بأنّه كان بعيداً عن العدالة ، وعن الصدق ، وعن السنّة النبويّة ، وعن الفقه وعلوم الشريعة.

وأوّل ما يُلفتُ انتباهنا هُو عداؤه الشديد وبغضُه لسيّد العترة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وصل به إلى حدّ الوقيعة فيه واعتباره من سوقة الناس.

وقد قدّمنا فيما سبقَ بأنّه روّج أحاديث مكذوبة ، مفادُها أنّهم كانوا يُفاضلون على عهد النبيّ ﷺ وعلى مسمع منه بأنّ أفضل الناس أبو بكر ثمّ عمر ثمّ عثمان ثمّ الناس بعد ذلك سواء ، فسمع ذلك النبيّ ولا ينكره [1].

وهو كما ترى كذبٌ مفضوح يضحك منه العقلاء ، وقد بحثنا عن حياة عبد الله بن عمر في حياة النبيّ ﷺ فوجدناه شاباً صغيراً لم يبلغ الحلم ، ولم يكن له مع أهل الحلّ والعقد شأنٌ يذكر ولا رأيٌ يُسمع ، وقد تُوفّي رسول الله ﷺ وعبد الله بن عمر في التاسعة عشر من عمره على أحسن التقادير.

فكيف يقول والحالُ هذه : كنّا نُفاضِلُ في عهد النبيّ؟ اللّهمّ إلاّ إذا كان ذلك حديث الصبيان فيما بينهم من أولاد أبي بكر وعثمان وإخوته هو ، ومع ذلك فلا يصحّ أن يُقال كان النبيّ ﷺ يسمع ذلك فلا ينكرهُ! فدلّ ذلك على كذب الحديث وسوء النوايا.

أضف إلى ذلك أنّ النبيّ ﷺ لم يأذن لعبد الله بن عمر بالخروج معه إلاّ في غزوة الخندق ، وما بعدها من الغزوات إذ بلغ عمره خمسة عشر عاماً [2].

فلا شكّ أنّه حضر غزوة خيبر التي وقعتْ في السنة السابعة للهجرة النبويّة ، ورأى بعينيه هزيمة أبي بكر ، وكذلك هزيمة أبيه عمر ، وسمع بلا شكّ قول الرسول ﷺ عند ذلك : « لأعطين الراية غداً إلى رجل يحبُّ الله

---

١ ـ صحيح البخاري ٤ : ٢٠٣ (كتاب بدء الخلق ، باب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ).

٢ ـ صحيح البخاري ٣ : ١٥٨ (كتاب الشهادات باب بلوغ الصبيان) ، وكذلك صحيح مسلم (كتاب الإمارة ، باب سن البلوغ).

ورسولَه ، ويُحبّهُ الله ورسوله ، كرّاراً ليس فرّاراً ، امتحن الله قلبه للإيمان » ، ولما أصبح أعطاها لقاطع اللذّات ، ومفرّق الجماعات ، ومُفرّج الكُربات ، وصاحب الكرامات ، أسد الله الغالب علي بن أبي طالب [1].

وقد أبانَ حديث الراية هذا فضل علي ، وفضائله على سائر الصحابة ، وعلوّ مقامه عند الله ورسوله ، وفوزَه بمحبّة الله ورسوله ، ولكنّ بغض عبد الله ابن عمر شاء أن يجعل عليّاً من سوقة الناس!

وقد قدّمنا بأنّ « أهل السنّة والجماعة » عملوا بهذا الحديث الذي أوحاه إليهم سيّدهم عبد الله بن عمر ، فلم يعدّوا علي بن أبي طالب ضمن الخلفاء الراشدين ، كلاّ ولم يعترفوا بخلافته إلاّ في زمن أحمد بن حنبل كما أثبتناه ، عندما افتضحوا في عهد كثُر فيه الحديث والمحدّثون ، وبدأت أصابع الاتّهام تتوجّه إليهم ، وتُوصمهم بالنّصْبِ والبغض لأهل البيت النبوي ، وقد عرف المسلمون كلّهم بأنّ بغض علي من أكبر علامات النفاق.

عند ذلك اضطرّوا للقول بخلافة علي ، وألحقوه بركب الراشدين ، وتظاهروا بمحبّة أهل البيت زوراً وبهتاناً.

وهل من سائل يسأل ابن عمر : لماذا اختلف المسلمونَ كلّهم أو جلّهم بعد وفاة النبيّ ﷺ في من يستحقّ الخلافة ومن هو أولى بها ، فاختلفوا في

---

١ ـ ذكر حديث الراية كلّ من البخاري في صحيحه ٥ : ٧٦ (كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر) ، ومسلم في صحيحه ٥ : ١٩٥ (كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل علي (رضي الله عنه)) ، وابن ماجة في سننه ١ : ٤٥ ح١٢١ ، وأحمد في مسنده ١ : ٩٩ ، والترمذي في سننه ٥ : ٣٠٢.

علي وأبي بكر فقط ، ولم يكن لأبيه عمر ولا لابن عفّان سوق رائجة في ذلك العهد؟

وهل من سائل يسأل ابن عمر : إذا كان النبيّ ﷺ يقرّك على رأيك ، فلا يعدل بأبي بكر أحداً ثمّ عمر ثمّ عثمان ، فلماذا ولّى عليهم قبل وفاته بيومين شابّاً لا نبات بعارضيه أصغر منك سنّاً ، وأمرهم بالسّير تحت امرته وقيادته؟ أتراه يهجُر كما قال أبُوك؟

وهل من سائل يسأل ابن عمر : لماذا قال المهاجرون والأنصار غداة بيعة أبي بكر لفاطمة الزهراء : « والله لو أنّ زوجك وابن عمّك سبق إلينا قبل أبي بكر ما كنّا نعدل به أحداً » [1] ، وهو اعتراف من كبار الصحابة بأنّهم لا يعدلون بعلي أحداً ، لولا ما سبقت بيعتهم التي سمّوها فلتةً ، فما هي قيمة رأي عبد الله بن عمر المراهق المغرور الذي لا يعرف كيف يطلّق زوجته من آراء كبار الصحابة؟

وأخيراً هل من سائل يسأل عبد الله بن عمر : لماذا اختار جلّ الصحابة علي بن أبي طالب للخلافة بعد مقتل عمر وقدّموه على عثمان ، لولا رفضه شرط ابن عوف في الحكم بسنّة الشيخين [2].

ولكنّ عبد الله بن عمر تأثّر بأبيه ، فقد عاش خلافة أبي بكر ، وخلافة عمر وخلافة عثمان ، وهو يرى علي بن أبي طالب مُبعداً ، ليس له في الجماعة مجلسٌ ، ولا في الحكومة منصبٌ ، وقد تحوّلتْ عنه وجوه الناس

---

١ ـ الإمامة والسياسة ١ : ٢٩.

٢ ـ مسند أحمد ١ : ٧٥.

بعد وفاة ابن عمّه ﷺ وزوجته سيّدة النساء ، وليس عنده ما يطمع الناس فيه.

ولا شكّ في أنّ عبد الله بن عمر كان أقرب الناس لأبيه ، فكان يسمع آراءه ، ويعرف أصدقاءه وأعداءه ، فشبّ على ذلك البغض والحقد والكراهية لعلي خاصّة ولأهل البيت عامّة ، وترعرع وكبر على ذلك ، حتّى إذا رأى يوماً عليّاً وقد بايعه المهاجرون والأنصار بعد مقتل عثمان ، فكبر ذلك عليه ولم يتحمّله ، وأظهر المكنون من حقده الدّفين ، فرفض أن يُبايع إمام المتّقين ووليّ المؤمنين ، ولم يتحمّل البقاء في المدينة فخرج إلى مكّة مدّعياً العمرة.

ونرى بعد ذلك عبد الله بن عمر يعمل كلّ ما في وسعه لتثبيط الناس ، وفكّ عزائمهم ليحجموا عن نصرة الحقّ ، ومقاتلة الفئة الباغية التي أمر الله بمقاتلتها حتّى تفيء إلى أمر الله ، فكان من الخاذلين الأوّلين لإمام زمانه المفترض الطّاعة.

وبعد مقتل الإمام علي وتغلّب معاوية على الإمام الحسن بن علي وانتزاع الخلافة منه ، خطب معاوية في الناس قائلا : « إنّي لم أقاتلكم لتصلّوا أو تصوموا وتحجّوا ، ولكنْ قاتلتكم لأتأمّر عليكم وقد أعطاني الله ذلك ».

نرى عبد الله بن عمر يُسارع عند ذلك إلى بيعة معاوية بدعوى أنّ الناس اجتمعوا عليه بعد ما كانوا متفرّقين!

وأنا أعتقد بأنّه هو الذي سمّى ذلك العام بعام الجماعة ، فهو وأتباعه من بني أُميّة أصبحوا « أهل السنّة والجماعة » من ذلك الوقت وحتّى قيام الساعة.

وهل من سائل يسأل ابن عمر ، ومن يقول بمقالته من « أهل السنّة والجماعة » متى حصل الإجماع على خليفة في التاريخ كالذي حصل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب؟ فخلافة أبي بكر كانت فلتةً وقى الله شرّها ، وقد تخلّف عنها كثير من الصحابة.

وخلافة عمر كانت بدون مشورة بل بعهد من أبي بكر ، ولم يكن للصّحابة فيها رأي ولا قولٌ ولا عمل.

وخلافة عثمان كانت بالثّلاثة الذين اختارهم عمر ، بل تمّتْ باستبداد عبد الرحمان بن عوف وحده.

أمّا خلافة علي فكانت ببيعة المهاجرين والأنصار له بدون فرض ولا إكراه ، وكتب ببيعته إلى الآفاق ، فاذعنوا كلّهم إلاّ معاوية من الشام [1].

---

١ . ابن حجر في فتح الباري ٧ : ٥٨. وقد وقع الدكتور إبراهيم الرحيلي في كتابه الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال : ١٧٠ في خطأ جسيم بسببه العمى المقيت الذي يصم الآذان ويعمي العيون إذ قال : « ونحن لا نعلم أي أقواله نصدّق ، دعواه بأنّ أهل السنّة لم يعترفوا بخلافة علي حتّى زمن أحمد بن حنبل ، أم القول بأنّهم أجمعوا على خلافته وأذعنوا لها من أوّل يوم بدون فرض ولا إكراه؟! ».

وفي الواقع لا يوجد تضارب في كلام المؤلّف ، بل كلامه مستقيم غاية الاستقامة ، حيث ذكر في الصفحات السابقة أنّ بيعة علي بن أبي طالب عليه السلام قبلها الجمع حتّى طلحة والزبير . وإن نكثا بعد ذلك . ولم يقبلها إلاّ نزر يسير من الصحابة العثمانيين والطلقاء الذين في الشام ، وهي أعظم بيعة في التاريخ الإسلامي ، إذ لم تحصل لأبي بكر ولا لعمر ولا لعثمان وإنما حصلت لعلي بن أبي طالب عليه السلام

وكان من المفروض على ابن عمر و « أهل السنّة والجماعة » أن يقتلوا معاوية بن أبي سفيان الذي شقّ عصا الطاعة وطلب الخلافة لنفسه ، وذلك حسب الروايات التي أخرجوها في صحاحهم من أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما [1].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم كما جاء في صحيح مسلم وغيره : « مَن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليعطِه إن استطاع ، فإنْ جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر » [2].

ولكنّ عبد الله بن عمر عكس الآية تماماً ، وبدلا من الامتثال لحديث النبيّ وأوامره ، ومقاتلة معاوية وقتله لأنّه نازع خليفة المسلمين وأشعل نار الفتنة ، نراه يمتنع عن بيعة علي التي أجمع عليها المسلمون ، ويبايع معاوية الذي شقّ عصا الطّاعة ، ونازع الإمام ، وقتل الأبرياء ، وتسبّب في فتنة بقيت

فقط ، وأمّا رفض بعض الصحابة العثمانيين لها فهذا لا يؤثّر في المقام ولا يجعل كلام المؤلّف متناقضاً ؛ لأنّ بيعة أبي بكر وعمر وعثمان واجهت معارضة كبيرة من أجلاّء الصحابة ، ووقع بسببها القتال وإراقة الدماء ، وأمّا رفض الخلفاء والملوك والأُمراء من بني أُميّة وبني العباس لبيعة علي بن أبي طالب ورفضهم تسميته بالخليفة فهذا لا يؤثر ولا يجعل كلام المؤلّف متناقضاً ، لأنّ هؤلاء الأمراء والملوك جاءوا بعد شهادة علي بن أبي طالب عليه السلام ، فرفضهم متأخر لا يؤثر على خلافته وبيعته المتقدّمة ولا يجعل كلام المؤلّف متناقضاً لمن تدبّر قليلا.

١ ـ صحيح مسلم ٦ : ٢٣ (كتاب الامارة ، باب إذا بويع لخليفتين) ، سنن البيهقي ٨ : ١٤٤.

٢ ـ مسند أحمد ٢ : ١٦١ ، صحيح مسلم ٦ : ١٨ (كتاب الامارة ، باب إذا بويع الخليفتان) ، سنن أبي داود ٢ : ٣٠١.

آثارها إلى اليوم.

ولذلك أعتقد بأنّ عبد الله بن عمر قد شارك معاوية في كلّ ما ارتكبه من جرائم وموبقات وآثام ، لأنّه شيّد ملكه ، وأعانه على التسلّط والاستيلاء على الخلافة التي حرّمها الله ورسوله على الطلقاء وأبناء الطّلقاء ، كما ورد ذلك في الحديث الشريف.

ولم يكتفِ عبد الله بن عمر بذلك فحسب ، بل سارع لبيعة يزيد بن معاوية ، يزيد الخمور والفجور ، والكفر والفسوق ، الطّليق ابن الطّليق ، واللّعين ابن اللّعين.

وإذا كان عمر بن الخطّاب كما ذكره ابن سعد في طبقاته يقول : « لا تصلح الخلافة لطليق ، ولا لولد طليق ، ولا لمسلمة الفتح » [1] ، فكيف يخالف عبد الله أباه في هذا المبدأ الذي سطّره من قبل؟! وإذا كان عبد الله بن عمر يخالف كتاب الله وسنّة رسوله في أمر الخلافة ، فلا نستغربُ أن يعمل بعكس رأي أبيه.

ثمّ هل لنا أن نسأل عبد الله بن عمر : أيّ إجماع وقع على بيعة يزيد بن معاوية ، وقد نبذه صلحاء الأُمّة وبقيّة المهاجرين والأنصار ، ومنهم سيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين بن علي ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عبّاس ، وكلّ من سار معهم ورأى رأيهم؟

والمعروف أنّه هو نفسه كان من المعارضين لبيعة يزيد في البداية ، ولكنّ

---

١ . الطبقات الكبرى لابن سعد ٣ : ٣٤٢ ، تاريخ دمشق ٥٩ : ١٤٥ ، أُسد الغابة ٤ : ٣٨٧.

معاوية عرف كيف يستميلهُ ، فأرسل إليه مائة ألف درهم فقبلها ، فلمّا ذكر له البيعة لابنه يزيد قال ابن عمر : هذا ما أراد؟ إنّ ديني إذن عليّ لرخيص [1].

نعم ، لقد باع عبد الله بن عمر دينه بثمن رخيص ، كما شهد بذلك على نفسه ، وهرب من بيعة إمام المتّقين ، وأسرع لبيعة إمام الباغين معاوية ، وإمام الفاسقين يزيد ، وكما تحمّل أوزار تلك الجرائم التي سبّبها حكم معاوية الظّالم ، فإنّه يتحمّل بلا شكّ أوزار جرائم يزيد ، وعلى رأسها انتهاك حُرمة رسول الله ، وقتل ريحانته سيّد شباب أهل الجنّة ، وعترة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، والصالحين من أبناء الأُمّة الذين قتلهم في كربلاء وفي وقعة الحرّة.

ولم يكتفِ عبد الله بن عمر بهذا الحدّ من البيعة إلى يزيد فحسب ، بل عمل على حمل الناس عليها وردّهم إليها ، وخوّف كلّ من تحدّثه نفسه بالخروج عليها.

فقد أخرج البخاري في صحيحه وغيره من المحدّثين ، بأنّ عبد الله بن عمر جمع ولده وحشمه ومواليه ، وذلك عندما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية فقال لهم : إنّا بايعنا هذا الرجل على بيعة الله ورسوله [2] ، وإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إنّ الغادر ينصبُ له لواء يوم القيامة فيقال : هذه غدرة فلان ، وإنّ من أعظم الغدر بعد الإشراك بالله أن يبايع رجلٌ رجلا على بيع الله

---

١ . الغدير ١٠ : ٢٣٠ عن الطبري ٦ : ١٦٩ ، والكامل لابن الأثير ٣ : ٢١٤ وفي البداية والنهاية ٩ : ٥ مختصراً.

٢ . هل أمر الله ورسوله ببيعة الفسّاق والمجرمين؟ أمّ أنّه أمر ببيعة أوليائه الصالحين فقال : (إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) (المؤلّف).

ورسوله ثمّ ينكث بيعته [1] ، ولا يخلعنّ أحدٌ منكم يزيد ، ولا يشرفنّ أحدٌ منكم في هذا الأمر فيكون صيلماً بيني وبينه [2].

ولقد قوي بطش يزيد بموالاة عبد الله بن عمر له ، وتحريضه الناس على بيعته ، فجهّز جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة من أكابر الفاسقين ، وأمره بالسّير إلى مدينة الرسول ، وأباح له أن يفعل فيها ما يشاء ، فقتل عشرة آلاف من الصحابة ، وسبى نساءهم وأموالهم ، وقتل سبعمائة من حفاظ القرآن على ما يذكره البلاذري ، وهتك الحرمات من الحرائر المسلمات ، حتى ولدن من سفاح أكثر من ألف مولود ، وأخذ منهم البيعة على أنّهم كلّهم عبيد لسيّده يزيد.

أفلم يكن عبد الله بن عمر شريكه في كلّ ذلك إذ عمل على دعمه وتأييده؟ أترك الاستنتاج في ذلك إلى الباحثين!

ولم يقف عبد الله بن عمر عند هذا الحدّ ، بل تعدّاهُ إلى بيعة مروان بن الحكم الوزغ اللّعين ، والطّليق الفاجر الذي حارب عليّاً ، وقتل طلحة ، وفعل الأفاعيل ، من حرق بيت الله الحرام ورميها بالمنجنيق حتّى هدم ركنها ، وقتل

---

١ . ليت ابن عمر قال هذا لطلحة والزبير اللذين نكثا بيعتهما لعلي وحارباه ، وليت « أهل السنّة والجماعة » عملوا بهذا الحديث في تقسيم الرجال! وإذا كان نكث البيعة من أعظم الكبائر الذي تأتي بعد الإشراك ، فما هو مصير طلحة والزبير اللذين لم ينكثا البيعة فقط ولكنّهما هتكا الأعراض وقتلا الأبرياء ونهبا الأموال وخانا العهد؟؟؟ (المؤلّف).

٢ . صحيح البخاري ٨ : ٩٩ (كتاب الفتن ، باب إذا قال عند قوم شيئاً ثمّ خرج فقال بخلافه) ، مسند أحمد ٢ : ٩٦ ، سنن البيهقي ٨ : ١٥٩.

فيها عبد الله بن الزبير ، وأعمال أخرى يندى لذكرها الجبين.

ثمّ يذهب ابن عمر في البيعة أشواطاً ، ويذهب إلى بيعة الحجّاج بن يوسف الثقفي الزنديق الأكبر ، الذي كان يستهزئ بالقرآن ، ويقول : ما هو إلاّ رجز الأعراب ، ويفضّل على رسول الله سيّده عبد الملك بن مروان!! الحجّاج الذي عرف بوائقهُ الخاص والعام ، حتّى قال المؤرّخون بأنّه انتقض كلّ أركان الإسلام.

ذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخه أنّ رجلين اختلفا في الحجّاج قال أحدهما : هو كافر ، وقال الثاني : بل هو مؤمن ضالّ ، ولما تعاندا سألاَ الشعبي عنه فقال : إنّه مؤمن بالجُبتِ والطّاغوت وكافر بالله العظيم [1].

هذا الحجّاج المجرم المنتهك لما حرّم الله ، والذي يذكر المؤرّخون بأنّه أسرف في القتل والتعذيب ، والتمثيل بصلحاء الأُمّة والمخلصين ، وخصوصاً منهم شيعة آل محمّد ، فإنّهم لاقوا منه ما لم يُلاقوه من غيره.

يقول ابن قتيبة في تاريخه بأنّ الحجّاج قتل في يوم واحد بضع وسبعين ألفاً ، حتّى سالتْ الدماء إلى باب المسجد وإلى السكك [2].

ويقول الترمذي في سننه : أحصى ما قتلَ الحجّاجُ صبراً ، فوجد مائة وعشرون ألفاً [3].

---

١ . تاريخ ابن عساكر ١٢ : ١٨٧ ، البداية والنهاية ٩ : ١٥٧ ، المصنّف لابن أبي شيبة ٧ : ٢١٧.

٢ . تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ٢ : ٤٠.

٣ . سنن الترمذي ٣ : ٣٣٩ ، تاريخ دمشق ١٢ : ١٨٤ ، تاريخ الطبري ٥ : ١٨٣ ، البداية والنهاية ٩ : ١٥٦.

ويقول ابن عساكر في تاريخه بعد ذكر من قتلهم الحجاج : ووجد في سجنه بعد موته ثمانون ألفاً منهم ثلاثون ألف امرأة [1].

وكان الحجّاج يشبّه نفسه بربّ العزّة والجلالة ، فإذا مرّ قرب السجن وسمع نداء المسجونين واستغاثتهم له يقول لهم : اخسأوا فيها ولا تكلّمون.

هذا الحجّاج الذي تنبّأ به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل وفاته فقال : إنّ في ثقيف كذّاباً ومُبيراً. والغريب أنّ راوي هذا الحديث هو عبد الله بن عمر نفسه [2]!

نعم ، لقد ترك عبد الله بن عمر بيعة خير البشر بعد النبيّ ، ولم ينصره ولم يصلّ وراءه ، فأذلّه الله سبحانه وذهب إلى الحجّاج يقول : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « مَنْ مات وليست في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية ». فاحتقره الحجّاج اللّعين وأعطاه رجله قائلا : إنّ يدي مشغولة ، فبايعه [3].

---

١ ـ تاريخ ابن عساكر ١٢ : ١٨٥ ، البداية والنهاية ٩ : ١٥٦. وأضاف ابن كثير قائلا : (قال الاصمعي : ثنا أبو صم ، عن عبّاد بن كثير ، عن قحدم قال : أطلق سليمان بن عبد الملك في غداة واحدة أحداً وثمانين ألف أسير كانوا في سجن الحجّاج ، وقيل إنه لبث في سجنه ثمانون ألفاً منهم ثلاثون ألف امرأة ، وعرضت السجون بعد الحجّاج فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً لم يجب على أحد منهم قطع ولا صلب ..).

٢ ـ مسند أحمد ٢ : ٨٧ ، ٩١ ، البداية والنهاية ٦ : ٢٦٥ ، وقال النووي في شرح مسلم ١٦ : ١٠٠ : (واتفق العلماء على أنّ المراد ... بالمبير الحجّاج بن يوسف ..). وقال في فيض القدير شرح الجامع الصغير ٢ : ٦٠٠ بعدما ذكر ما ذكره النووي قال : (وقال ابن العربي : الحجّاج ظالم معتدي ملعون على لسان المصطفى (صلى الله عليه وسلم) من طرق خارج عن الإسلام عندي).

٣ ـ راجع النصّ والاجتهاد : ٥٩٩.

وكان يصلّي خلف الحجّاج الزنديق ، وخلْف واليه نجدة بن عامر رأس الخوارج [1].

ولا شكّ بأنّ عبد الله بن عمر اختار الصلاة وراء هؤلاء لأنّهم كانوا مشهورين بشتم ولعن علي بعد كلّ صلاة ، فكان ابن عمر يشفي غليله ، ويروي حقده الدّفين ، وهو يسمعُ ذلك فيرتاح قلبه ويهدأ روعه.

ولذلك نجد مذهب « أهل السنّة والجماعة » يفتون بالصّلاة وراء البرّ والفاجر ، وراء المؤمن والفاسق ، وذلك استناداً لما فعله سيّدهم وفقيه مذهبهم عبد الله بن عمر في صلاته وراء الحجّاج الزنديق والخارجي نجدة بن عامر.

أمّا ما قاله الرسول ﷺ : « يؤمُّ القوم أقرؤهم لكتاب الله ، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنّة ، فإن كانوا في السنّة سواء فأقدمهم هجرة ، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سلماً » [2] فيضربُ به عرض الجدار.

وليستْ هذه الخصال الأربعة : حفظ القرآن ، وحفظ السنّة ، وقدم الهجرة ، وقدم الإسلام ، ولا واحدة منهنّ توجد في هؤلاء الذين بايعهم ابن عمر وصلّى بإمامتهم ، لا معاوية ولا يزيد ، ولا مروان ولا الحجّاج ، ولا نجدة الخارجي.

وهذه طبعاً من السنن النبويّة التي خالفها عبد الله بن عمر ، وضرب بها عرض الجدار ، وعمل بعكسها تماماً ، إذ أنّه ترك سيّد العترة الطاهرة علياً

---

١ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد ٤ : ١١٠ ط ليدن ، والمحلّى لابن حزم ٤ : ٢١٣.

٢ ـ صحيح مسلم ٢ : ١٣٣ (كتاب الطهارة باب من أحق بالإمامة) ، سنن الترمذي ١ : ١٤٩ ، سنن أبي داود ١ : ١٤٠.

الذي اجتمعت فيه كلّ هذه الخصال وأكثر منها ، فنبذه وراء ظهره ، ويمّم وجهه شطر الفسّاق والخوارج والملحدين أعداء الله ورسوله ، واقتدى بصلاتهم!

وكم لعبد الله بن عمر فقيه « أهل السنّة والجماعة » من مخالفات لكتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولو شئنا لجمعنا في ذلك كتاباً مستقلاً ، ولكنْ يكفينا ذكر بعض الأمثلة من كُتبهم وصحاحِهم حتّى تكون حجّتنا بالغة.

خلاف عبد الله بن عمر للكتاب والسنّة :

قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ **فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ** ﴾ [1] ، وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « يا علي أنت تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين » [2].

فيخالف عبد الله بن عمر نُصوص القرآن والسنّة النبويّة ، كما يخالف إجماع الأُمّة من المهاجرين والأنصار الذين قاتلوا مع أمير المؤمنين ، ويقول

---

١ . الحجرات : ٩.

٢ . المستدرك ٣ : ١٣٩ ، كنز العمال ١١ : ٣٢٧ ح٣١٦٤٩ ، تاريخ دمشق ٤٢ : ٤٦٨. ويؤيّد هذا الحديث حديث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والذي قال فيه : (إنّ منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن كما قاتلت على تنزيله ، فاستشرفنا وفينا أبو بكر وعمر! فقال : لا ، ولكنّه خاصف النعل ، يعني عليّاً (رضي الله عنه)) راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة : ٥ : ٦٣٩ ، ح٢٤٨٧ حيث نجد تخريج الحديث فيها.

وهذا الحديث يشهد بصحّة حديث المتن ، وأنّ الحروب التي قامت زمن خلافة الإمام علي كانت باطلة وظالمة في حقّ علي ، وأنّها كانت لأجل تشويه صورة القرآن الكريم ، وتفسيره بحسب أهوائها الدنيوية.

برأيه : لا أُقاتل في الفتنة وأُصلي وراء من غلب [1].

كما ذكر ابن حجر بأنّ عبد الله بن عمر كان من رأيه ترك القتال في الفتنة ، ولو ظهر أنّ إحدى الطائفتين مُحقّة والأُخرى مُبطلة [2].

عجيبٌ والله أمر عبد الله بن عمر الذي يرى الحقّ مع طائفة ويرى الباطل مع الأُخرى ، ثمّ لا يتحرّك لنصرة الحقّ على الباطل ، ولا لردْع الباطل حتى يفيء إلى أمر الله ، ويصلّي وراء الغالب ولو كان باطلا!! وهو ما وقع فعلا من ابن عمر.

فقد تغلّبَ معاوية وقهر الأُمّة ، وتولّى عليها رغم أنفها ، فجاء ابن عمر فبايعه وصلّى خلفَه ، رغم ما فعله معاوية من جرائم وبوائق تفوق التصوّر ، ولا تخفى على ابن عمر.

وقد تغلّب أهل الباطل من أئمّة الجور بكثرتهم على أهل الحقّ وهم أئمّة أهل البيت فأُبعدوا ، وقام الطلقاء والفسّاق والمجرمون الضالّون يحكمون الأُمّة بالقوّة والقهر.

فترك ابن عمر الحقّ بكامله ، فلم يُسجّل له التاريخ صحبة ولا مودّة لأهل البيت ، وقد عاصر منهم خمسة أئمّة ، فلم يصلّ وراء واحد منهم ، ولم يروِ عن واحد منهم حديثاً ، ولم يحدّث ولم يعترف لواحد منهم بفضل ولا فضيلة.

---

١ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد ٤ : ١٤٩.

٢ ـ فتح الباري لابن حجر ١٣ : ٤٠.

وقد عرفنا في فصل الأئمة الاثني عشر من هذا الكتاب [1] رأيه في الخلفاء الاثني عشر على حدّ زعمه ، فقد صحّح خلافة أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، ومعاوية ، ويزيد ، والسفّاح ، وسلام ، والمنصور ، وجابر ، والمهدي ، والأمين ، وأمير العصب ، قال : هؤلاء الاثنا عشر كلّهم من بني كعب بن لؤي ، كلّهم صالح لا يوجد مثله.

فهل ترى في هؤلاء واحداً من أئمّة الهدى من عترة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، والذين وصفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنّهم سفينة النجاة وأعدال القرآن؟!

ولذلك فإنّك لا ترى لهم وجوداً عند « أهل السنّة والجماعة » ، ولا يوجد في قائمة أئمّتهم وخلفائهم الذين يقتدون بهم واحد من أئمّة أهل البيت عليهم السلام [2].

---

١ ـ راجع موضوع (الخلفاء الراشدون عند أهل السنة).

٢ ـ قال الدكتور إبراهيم الرحيلي في كتابه الانتصار للصحب والآل : ١٧٢ بأنّ هذا الكلام ينافي ما ذكره المؤلّف في كتابه فسألوا أهل الذكر : ١٦٤ « من اتفاق المسلمين على مودّة أهل البيت عليهم السلام » فإذا كان المسلمون متّفقون على مودّة أهل البيت عليهم السلام فكيف يأتي هنا ويقول بأنّ أهل السنّة لم يقتدوا بأهل البيت ، ولا يوجود إمام من أئمة أهل البيت في قائمة أئمة أهل السنّة؟!.

والجواب : إن الدكتور الرحيلي نسي المسألة الأساسيّة التي افترق بها الشيعة عن السنّة ، وهو بذلك نسي حتّى ردّه الذي كتبه ردّاً على الدكتور التيجاني ، ولا بأس بعرضها للدكتور الرحيلي حتّى يكون على بيّنة منها لذلك نقول : إنّ المسلمين عموماً وبلا استثناء متّفقون على وجوب مودّة أهل البيت عليهم السلام ؛ لأجل النصوص القرآنية والسنّة والنبويّة الصريحة الآمرة بذلك ، وهذا لم يختلف عليه المسلمون ، ومن خالف ذلك وذهب إلى بعض أهل البيت عليهم السلام فيعدونه ناصبياً

باصطلاح العلماء ، أو منافقاً بتعبير النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لأنّ علي لا يحبّه إلاّ مؤمن ولا يبغضه إلاّ منافق. وعليه فالمسلمون متّفقون على وجود مودّة أهل البيت وحبّهم وعدم إيذائهم.

ولكن الخلاف وقع في وجوب الاتباع وعدمه فالشيعة ذهبوا إلى وجود اتباع أهل البيت عليهم السلام والأخذ عنهم والردّ إليهم ؛ لأجل حديث الثقلين المتواتر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والقائل فيه : « إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي » وحدّد لنا أهل البيت بآية التطهير وحديث الكساء الذي رواه مسلم ، وعليه التزمت الشيعة بلزوم الرجوع إلى القرآن والعترة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام لفهم معالم الدين.

بينما أهل السنّة لم يلتزموا بذلك ، وتركوا أهل البيت عليهم السلام وقالوا : لا يجب اتباعهم ، والواجب المودّة فقط ، ورجعوا في معالم دينهم إلى أئمة المذاهب من غير أهل البيت عليهم السلام ، كمالك وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل والشافعي وسفيان الثوري وابن عيينة والأوزاعي وغيرهم ممّا يطول عدّه ، ولا تجد إماماً من أئمّة أهل البيت عليهم السلام يرجعون إليه ويأخذون فقههم ودينهم منه.

قال ابن القيّم الجوزية وهو يبيّن الفقهاء الذين نشروا العلم وأخذ عنهم : « والدين والفقه والعلم انتشر في الأُمّة عن أصحاب ابن مسعود ، وأصحاب زيد بن ثابت ، وأصحاب عبد الله بن عمر ، وأصحاب عبد الله بن عباس ، فعلم الناس عامته عن أصحاب هؤلاء الأربعة.

فأمّا أهل المدينة فعلمهم عن أصحاب زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر.

وأمّا أهل مكّة فعلمهم عن أصحاب عبد الله بن عباس.

وأمّا أهل العراق فعلمهم عن أصحاب عبد الله بن مسعود » أعلام الموقعين ١ : ٢١.

وقال ابن تيميّة : « .. فليس في الأئمة الأربعة ولا غيرهم من أئمة الفقهاء من يرجع إليه [يعني علي بن أبي طالب] في فقهه ... » منهاج السنّة ٧ : ٥٢٩.

فباعد أهل السنّة أنفسهم عن أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأخذوا علومهم من غيرهم ،

هذه حال عبد الله بن عمر في مخالفة الكتاب والسنّة.

أمّا جهله بهما فحدّث ولا حرج ، فمنها جهله بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم رخّص للنّساء إذا كنّ محرمات أن يلبسن الخفّين ، وكان ابن عمر يفتي بحرمة ذلك [1].

ومنها أنّه كان يكري مزارعه على عهد رسول الله ، وعهد أبي بكر وعمر وعثمان ، وعهد معاوية حتى حدَّثه أحد الصحابة في آخر خلافة معاوية بأن رسول الله حرَّمه [2].

نعم ، هذا هو فقيه « أهل السنّة والجماعة » لا يعرف حرمة كراء المزارع ، ولا شكّ بأنّه كان يفتي بجواز ذلك طوال هذه المدّة المذكورة من عهد النبيّ إلى آخر خلافة معاوية قرابة خمسين عاماً.

ومنها ما أنكرته عليه عائشة من فتواه بأن القُبلة توجب الوضوء ، أو فتواه بأن الميت يُعذَّب ببكاء الحيّ عليه ، وكذلك في أذان الصبح ، وفي قوله بأنّ الشهر تسعة وعشرون يوماً ، كما عارضته في عدّة مسائل أُخرى.

ومنها ما أخرجه الشيخان البخاري ومسلم في صحيحهما : قيل لعبد الله

بل وصل الأمر بهم إلى الرواية عن النواصب أعداء أهل البيت عليهم السلام ، وترك الرواية عن العترة الطاهرة ، فهذا البخاري يروي عن عمران بن حطّان الناصبي وحريز بن عثمان الرحبي الناصبي وعكرمة البربري الناصبي وغيرهم. ويترك الرواية عن صادق أهل البيت وعميد العترة الطاهرة في زمانه الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام ، بل ويطعنون فيه بطعون يتمزّق القلب عند سماعها.

١ ـ سنن أبي داود ١ : ٤١١ ، سنن البيهقي ٥ : ٥٢ ، مسند أحمد ٢ : ٢٩.

٢ ـ صحيح البخاري ٣ : ٧٢ (كتاب الوكالة ، باب من أحيا أرضاً مواتاً) ، صحيح مسلم ٥ : ٢١ (كتاب المزارع ، باب كراء الأرض).

ابن عمر : إنّ أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من تبع جنازة فله قيراط من الأجر.

فقال ابن عمر : أكثر أبو هريرة علينا ، فصدّقت عائشة أبا هريرة وقالت : سمعت رسول الله ﷺ يقوله ، فقال ابن عمر : لقد فرَّطنا في قراريط كثيرة [1].

وتكفينا شهادة عمر بن الخطّاب في ابنه عبد الله عندما قال له أحد المتملّقين ، وهو على فراش الموت : استخلف عبد الله بن عمر ، فقال له : كيف استخلف عليهم من لا يعرف كيف يطلِّق زوجته؟ [2] فهذا هو ابن عمر ولا أحد يعرفه أكثر من أبيه.

وأمّا الأحاديث المكذوبة التي خدم بها سيّده معاوية فكثيرة جداً ، ونذكر منها على سبيل المثال قوله : قال رسول الله ﷺ : يطلع عليكم رجل من أهل الجنة فطلع معاوية ، ثمّ قال من الغد : يطلع عليكم رجل من أهل الجنّة ، فطلع معاوية ، ثمّ قال من الغد مثل ذلك فطلع معاوية.

وقوله : لما نزلت آية الكرسي قال رسول الله ﷺ لمعاوية : أكتبها ، فقال معاوية : ما لي بكتبها إن كتبتها؟ قال : لا يقرأها أحد إلاّ كُتب لك أجرها.

وقوله : أما إنّ معاوية يبعث يوم القيامة وعليه رداء من نور الإيمان [3].

وأنا لا أدري لماذا لم يُلحق « أهل السنّة والجماعة » سيّدهم معاوية كاتب الوحي بالعشرة المبشّرين بالجنّة وسيّدهم ابن عمر يؤكّد ثلاث مرات ،

---

١ . صحيح البخاري ٢ : ٨٢ (كتاب الجنائز ، باب فضل اتباع الجنائز) ، صحيح مسلم ٣ : ٥١ (كتاب الجنائز ، باب فضل الصلاة على الجنائز واتباعها).

٢ . فتح الباري ٧ : ٥٤ ، نيل الأوطار ٦ : ١٦٤.

٣ . راجع الغدير ١٠ : ٦٩.

وفي ثلاثة أيام متوالية أنّ معاوية من أهل الجنّة؟! وإذا كان الناس يبعثون يوم القيامة حفاة عراة فإنّ معاوية أفضل منهم جميعاً ، إذ يبعث وعليه رداء من نور الإيمان!! إقرأ واعجب!!

هذا هو عبد الله بن عمر ، وهذا مبلغه من العلم ، وهذا فقهه وخلافه للكتاب والسنّة النبويّة ، وهذا هو عداؤه لأمير المؤمنين ، والأئمّة الطاهرين من عترة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا هو ولاؤه وتزلّفه لأعداء الله ورسوله وأعداء الإنسانية.

فهل يتبصر « أهل السنّة والجماعة » اليوم بهذه الحقائق ، ويعلمون بأنّ السنّة المحمّدية لا توجد إلاّ عند أتباع العترة الطاهرة وهم الشيعة الإمامية؟

﴿ لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [1].

صدق الله العلي العظيم

١٢ ـ عبد الله بن الزبير :

أبوه الزبير بن العوّام الذي قُتل في حرب الجمل ، وتسمّى في السنّة النبويّة حرب الناكثين ، وأُمّه أسماء بنت أبي بكر بن أبي قحافة ، وخالته عائشة أُمّ المؤمنين بنت أبي بكر وزوج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو من أكبر المناوئين للإمام عليّ عليه السلام والمبغضين له.

ولعلّه كان يفتخر بخلافة جدّه أبي بكر وبخالته عائشة ، فورث منهما ذلك الحقد وشبَّ عليه ، فكان الإمام عليّ عليه السلام يقول للزبير : « قد كنا نعدّك من

---

١ ـ الحشر : ٢٠.

بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء ففرّق بيننا وبينك » [1].

والمشهور في التاريخ أنّه كان في حرب الجمل من العناصر البارزة والقادة المباشرين ، حتى إنّ عائشة قدّمته ليؤم الناس في الصلاة بعدما عزلت طلحة والزبير ؛ لأنّهما اختلفا ورغب كلّ واحد منهما فيها.

ويقال أيضاً : إنّه هو الذي جاء لخالته عائشة بخمسين رجلا يشهدون زوراً بأنّ المكان ليس بـ (ماء الحوأب) ، فواصلت معهم طريقها [2].

وعبد الله هو الذي عيّر أباه بالجبن واتهمه بالخوف لما عزم على اعتزال المعركة ، بعدما ذكّره الإمام علي عليه السلام بحديث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وإعلامه بأنّه سيقاتل علياً وهو له ظالم ، حتّى إن أباه لما أكثر هو تعييره قال له : مالك أخزاك الله من ولد ما أشأمك [3].

ويقال : إنّه ما زال يُعيّر أباه ويهيّجه حتى حمل على جيش عليّ فقُتل ، وبهذا يصدق عليه قول أبيه « ما أشأمك من ولد ».

وهذه هي الرواية التي اخترناها لأنّها أقرب للواقع ولنفسية الزبير الحاقدة وابنه عبد الله ابن السوء ، فلا يمكن للزبير أن ينسحب من المعركة بتلك السهولة ، ويترك وراءه طلحة وأصحابه ومواليه وعبيده الذين جاء بهم إلى البصرة ، ويترك أُمّ المؤمنين أُخت زوجته وقد أشرفت على الهلاك ، ولو سلَّمنا بأنّه تركهم فهم لا يتركونه ، وبالخصوص ابنه عبد الله الذي عرفنا

---

١ ـ أنساب الأشراف للبلاذري : ٢٥٥ ، تاريخ الطبري ٣ : ٥١٩.

٢ ـ الإمامة والسياسة ١ : ٨٢ ، المعيار والموازنة للاسكافي : ٥٦.

٣ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ : ١٦٦.

عزمه وشدّة حزمه.

ويذكر المؤرّخون بأنّ عبد الله بن الزبير كان يشتم علياً ويلعنه ويقول : جاءكم الوغد اللئيم ، يقصد علياً عليه السلام !! وخطب في أهل البصرة يستنفر الناس ويحرّضهم على القتال فقال : أيّها الناس إنّ علياً قتل الخليفة بالحقّ عثمان مظلوماً ، ثمّ جهَّز الجيوش ليستولي عليكم ويأخذ مدينتكم ، فكونوا رجالا تطالبون بثأر خليفتكم ، واحفظوا حريمكم ، وقاتلوا عن نسائكم وذراريكم ، وأحسابكم وأنسابكم ، ألا وإنّ علياً لا يرى في هذا الأمر أحداً سواه ، والله لئن ظفر بكم ليهلكن دينكم ودنياكم [1].

وقد بلغ من بغضه لبني هاشم عامة ولعليّ عليه السلام خاصة أنّه ترك الصلاة على محمّد أربعين جمعة ويقول : إنّه لا يمنعني من ذكره إلاّ أن تشمخ رجال بآنافها [2].

وإذا كان حقده وبغضه يصل به إلى ترك الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فلا لوم عليه ولا يستغرب منه أن يكذب على الناس ، ويتهم الإمام علياً عليه السلام ويرميه بكلّ قبيح ، وقد سمعت خطبته في أهل البصرة وقوله لهم : والله لئن ظفر بكم ليهلكن دينكم ودنياكم.

إنّه كذب مفضوح ، وبهتان عظيم من عبد الله بن الزبير الذي لا يعرف الحقّ إلى قلبه سبيلا.

---

١ . تاريخ المسعودي ٥ : ١٦٣.

٢ . تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٦١ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ : ٦٢ ، مروج الذهب ٣ : ٧٩.

والشاهد على ذلك أنّ عليّ بن أبي طالب ظفر بهم ، وانتصر عليهم ، وأسَرَ الأغلبية منهم ، وفيهم عبد الله بن الزبير نفسه ، ولكنّه عفا عنهم جميعاً وأطلق سراحهم ، وأكرم عائشة بأن سترها وأرجعها إلى بيتها في المدينة ، كما منع أصحابه من أخذ الغنائم وسبي النساء والأطفال ، والإجهاز على جريح ، حتى سبَّب له ذلك تمرّد بعض الجيش عليه والتشكيك في أمره.

فعلي عليه السلام هو محض السنّة النبويّة ، وهو العارف بكتاب الله ولا أحد يعرفه سواه ، فقد ثارت ثائرة بعض المنافقين المندسين في جيشه وألَّبوا عليه ، وقالوا : كيف يبيح لنا قتالهم ويحرّم علينا سبي نسائهم؟

واغترَّ بهذا القول كثير من المقاتلين غير أنّه (سلام الله عليه) احتجّ عليهم بكتاب الله وقال لهم : اقترعوا على من يأخذ منكم أُمّه عائشة! وعند ذلك أدركوا أنّه على الحقّ ، فقالوا نستغفر الله لقد أصبت وأخطأنا.

فقول عبد الله بن الزبير كذب وبهتان مبين ؛ لأنّ بغضه لعليّ عليه السلام أعمى بصره وبصيرته وأخرجه عن الإيمان ، ولم يتُب ابن الزبير بعد ذلك ، ولم يتّخذ من تلك الحرب دروساً ومواعظ يستفيد منها.

كلاّ إنّه قابل الحسنة بالسيئة ، وازداد حقده وبغضه لبني هاشم ، ولسيّد العترة الطاهرة ، وعمل كلّ ما في وسعه لإطفاء نورهم والقضاء عليهم.

فقد روى المؤرّخون بأنّه وبعد مقتل الإمام علي عليه السلام قام يدعو لنفسه بإمارة المؤمنين ، والتف حوله بعض الناس وقويت شوكته ، فعمل على سجن محمّد بن الحنفية ، ولد الإمام علي عليه السلام ، وكذلك الحسن بن علي ومعهم سبعة عشر رجلا من بني هاشم ، وأراد أن يحرقهم بالنار فجمع على باب الحبس

حطباً كثيراً وأضرم عليهم النار ، ولولا وصول جيش المختار في الوقت المناسب فأطفأ النار واستنقذهم لبلغ فيهم ابن الزبير مراده [1].

وبعث إليه مروان بن الحكم جيشاً بقيادة الحجّاج ، فحاصره وقتله وصلبه في الحرم.

وهكذا انتهت حياة عبد الله بن الزبير ، كما انتهت حياة أبيه من قبل ، كلّ منهما أحبّ الدنيا وحرص على الإمارة ، وأراد البيعة لنفسه وقاتل من أجلها ، وهلك وأهلك ، ومات مقتولا دونها ولم يبلغ مناه.

ولعبد الله بن الزبير أراء في الفقه أيضاً ، وهي ردّ فعل منه لمخالفة فقه أهل البيت الذين يبغضهم ، ومن أشهرها قوله بحرمة زواج المتعة.

فقد قال مرّة لعبد الله بن عباس : يا أعمى البصر لئن فعلتها لأرجمنك بالحجارة.

ورد عليه ابن عباس : أنا أعمى البصر ، أما أنت فأعمى البصيرة ، وإذا أردت معرفة حليّة المتعة فاسأل عنها أُمّك! [2]

ولا نريد الإطالة في هذا الموضوع الذي كثر فيه الكلام ، وإنّما أردنا إبراز مخالفة ابن الزبير لأهل البيت في كلّ شيء حتى في الأُمور الفقهية التي ليس له فيها قدم راسخة.

---

١ ـ تاريخ المسعودي ٣ : ٧٦ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٦١.

٢ ـ أعمى البصر ؛ لأنّ عبد الله بن عبّاس كفّ بصره في كبره ، وأمّا قوله : فاسأل عنها أُمّك فيقال : إنّ الزبير تزوّج أسماء بزواج متعة ، وإن عبد الله نفسه ولد من المتعة. ويقال : إن عبد الله رجع إلى أُمّه فقالت له : ألم أنهك عن ابن عباس فهو أعلم الناس بمثالب العرب (المؤلّف).

وقد ذهب كلّ هؤلاء بخيرهم وشرّهم ، وتركوا الأُمّة المنكوبة تمخر في بحر من الدماء وتغرق في بحر الضلالة ، والأغلبية منهم لا يعرفون الحقّ من الباطل ، وقد صرَّح بذلك طلحة والزبير ، وكذلك سعد بن أبي وقاص.

ولكنّ الوحيد الذي كان على بيّنة من ربّه ولم يشكّ في الحقّ طرفة عين ، هو عليّ بن أبي طالب (سلام الله عليه) الذي كان يدور الحقّ معه حيث توجّه ودار.

فهنيئاً لمن اتبعه واقتدى به ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له : « أنت يا عليّ وشيعتك هم الفائزون يوم القيامة » [1].

﴿ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [2].

صدق الله العلي العظيم

---

١ ـ الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدّين السيوطي ٦ : ٣٧٩ في سورة البيّنة باختلاف.

٢ ـ يونس : ٣٥.

السنّة النبويّة لا تخالف القرآن عند الشيعة

بعد البحث والتنقيب في عقيدة الطرفين من الشيعة و « أهل السنّة والجماعة » وجدنا بأنّ الشيعة يرجعون في كلّ أحكامهم الفقهيّة إلى كتاب الله والسنّة النبويّة لا غير.

ثمّ هم يرتّبون القرآن في المرتبة الأُولى ، والسنّة النبويّة في المرتبة الثانية ، ونعني بذلك أنّهم يخضعون السنّة للمراقبة ويعرضونها على كتاب الله العزيز ، فما وافق منها كتاب الله قبلوه وعملوا به ، وما خالف كتاب الله تركوه ولم يقيموا له وزناً [1].

والشيعة يرجعون في ذلك إلى ما قرَّره أئمة أهل البيت عليهم السلام رواية عن جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال : « إذا جاءكم حديث عنّي فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافق كتاب الله فاعملوا به ، وما خالف كتاب الله فاضربوا به عرض الجدار » [2].

وقد قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام عدّة مرّات : « ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف » [3].

---

١ . هذا هو لعمري المنطق السليم الذي يقطعُ الطّريق على كلّ المحدّثين الذين اشتهروا بتدليس الحديث ونسبته للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو منه بريء (المؤلّف).

٢ . تفسير أبي الفتوح ٣ : ٣٩٢ باختلاف يسير.

٣ . الكافي ١ : ٦٩ ح٤.

وقال في أصول الكافي بأنّ النبيّ ﷺ خطب الناس بمنى فقال : « أيّها الناس ، ما جاءكم عنّي يوافق كتاب الله فأنا قلته ، وما جاءكم عنّي يخالف كتاب الله فلم أقله » [1].

وعلى هذا الأساس المتين بنى الشيعة الإماميّة فقههم وعقائدهم ، فمهما بلغ الحديث من صحّة الإسناد ، فلابدّ أن يزنوه بهذا الميزان ، ويعرضوه على الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

والشيعة الإماميّة هي الفرقة الوحيدة بين الفرق الإسلامية الأُخرى التي اشترطت هذا الشرط ، وبالخصوص في باب تتعارض فيه الروايات والأخبار.

قال الشيخ المفيد في كتابه المسمّى بـ « تصحيح الاعتقاد » : « وكتاب الله تعالى مقدَّم على الأحاديث والروايات ، وإليه يتقاضى في صحيح الأخبار وسقيمها ، فما قضى به فهو الحقّ دون سواه » [2].

وبناءً على هذا الشرط ، وهو عرض الحديث على كتاب الله تعالى ، تميّز الشيعة عن « أهل السنّة والجماعة » في كثير من الأحكام الفقهية ، وكذلك في كثير من العقائد.

والباحث يجد في كلّ أحكام الشيعة وعقائدهم مصداقاً في كتاب الله ، خلافاً لما هو عند « أهل السنّة والجماعة » فالمتتبع قد يجد عندهم عقائد وأحكاماً تخالف صريح القرآن الكريم ، ستعرف ذلك وسنوافيك ببعض

---

١ . الكافي ١ : ٦٩ ح٥.

٢ . تصحيح الاعتقاد : ٤٤.

الأدلّة على ذلك قريباً إن شاء الله.

وبناءً على ذلك يفهم المتتبع أيضاً بأنّ الشيعة لم يصحِّحوا أيّ كتاب من كتب الحديث عندهم ، أو يعطوه قدسية تجعله بمثابة القرآن ، كما هو الحال عند « أهل السنّة والجماعة » الذين يصحّحون كلّ الأحاديث التي رواها البخاري ومسلم ، رغم أنّ فيهما مئات الأحاديث التي تتناقض مع كتاب الله.

ويكفيك أن تعرف بأنّ كتاب الكافي عند الشيعة رغم جلالة قدر مؤلّفه محمّد بن يعقوب الكليني وتبحّره في علم الحديث ، إلاّ أن علماء الشيعة لم يدّعوا يوماً بأنّ ما جمعه كلّه صحيح [1] ، بل هناك من علمائهم من طرح أكثر من نصفه وقال بعدم صحتها ، بل إنّ مؤلّف (الكافي) لا يقول بصحّة كلّ الأحاديث التي جمعها في الكتاب [2].

---

١ ـ سوى شرذمة من الإخباريين المتعبدين بحرفية النصوص من غير فحص وتدقيق.

٢ ـ ولذا لما شكى إليه بعض إخوانه ـ في رسالة كتبها ـ أشكل عليه من الحقائق لاختلاف الأخبار ، وطلب منه تدوين كتاب يجمع فيه جميع فنون علم الدين بالآثار الصحيحة ، لم يقل في جوابه بأنّي دوّنت لك ذلك وكلّ ما أوردته صحيح لا مرية فيه ، بل ذكر له بأنّ الأئمة عليهم السلام وضعوا قواعد لحلّ اختلاف الأخبار كالعرض على القرآن ، وأنّه سيعمل على هذا المنهاج ، لكن مع هذا لم يدّع توفيقه مائة بالمائة لتدوين الآثار الصحيحة فقط ، ولذا اعترف بالتقصير وقال له : « وقد يسّر الله تأليف ما سألت وأرجو أن يكون بحيث توخّيت ، فمهما كان من تقصير فلم تقصر نيتنا في إهداء النصيحة ... » ، مضافاً إلى أنّ الشيخ الكليني في كتابه (الكافي) عقد باباً بعنوان (الأخبار المتعارضة) أو (الأخبار المختلفة) وبيّن فيه أن الأئمة عليهم السلام أمروا بالرجوع في هذه الحالة إلى القرآن أو المشهور أو غير ذلك.

ولعلّ كلّ ذلك ناتج عن سيرة الخلفاء عند كلّ فرقة منهم ، فـ « أهل السنّة والجماعة » اقتدوا بأئمة يجهلون أحكام القرآن والسنّة ، أو يعرفونها ولكنّهم اجتهدوا بآرائهم ، وخالفوا تلك النصوص لعدّة أسباب أوضحنا البعض منها في أبحاث سابقة.

أمّا الشيعة فإنّهم اقتدوا بأئمة العترة الطاهرة الذين هم عدل القرآن وترجمانه ، لا يخالفونه ولا يختلفون فيه.

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَة مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَة مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [1].

صدق الله العلي العظيم

وهذا دليل على أنّه لا يشهد بصحة كتابه ولا يؤمن به ، إذ لو كان كلّ ما في الكتاب صحيحاً فلا معنى لعقد باب التعارض والاختلاف بين الأخبار ، فهذا شاهد آخر على عدم اعتقاد المؤلّف بصحة جميع ما في الكتاب.

ثمّ لو سلّمنا جدلا بأنّ الكليني اعترف بصحّة جميع ما أورده في الكافي ، لكن يبقى شيء واحد وهو أنّ اصطلاح الصحيح يختلف عند المتقدّمين والمتأخّرين من علمائنا ، فعند المتقدّمين هو كلّ حديث حصل الوثوق بصدوره عن المعصوم وإن لم يكن الراوي عدلا إمامياً ، فلذا نرى الكليني كثيراً ما يروي عن الفطحية والزيدية والواقفية ، وأمّا الصحيح عند المتأخّرين ما رواه العدل الإمامي عن العدل الإمامي.

١ . هود : ١٧.

السنّة والقرآن عند « أهل السنّة والجماعة »

بعد ما عرفنا بأنّ الشيعة الإمامية يقدِّمون القرآن على السنّة ، ويجعلونه القاضي عليها والمهيمن ، فـ « أهل السنّة والجماعة » على العكس تماماً يقدِّمون السنّة على القرآن ، ويجعلونها قاضية ومهيمنة عليه.

ونستنتج من هذا بأنّهم سمّوا أنفسهم بـ « أهل السنّة » من أجل هذا المبدأ الذي ارتأوه ، وإلاّ لماذا لم يقولوا بأنّهم أهل القرآن والسنّة ، وخصوصاً أنّهم يروون في كتبهم بأنّ النبيّ قال : « تركت فيكم كتاب الله وسنّتي »؟

ولأنّهم أهملوا القرآن وجعلوه في المرتبة الثانية ، وتمسكوا بالسنّة المزعومة وجعلوها في المرتبة الأُولي ، فهمنا من ذلك السبب الرئيسي لقولهم بأنّ السنّة قاضية على القرآن.

وهذا منهم أمر عجيب ، وأعتقد بأنّهم اضطروا إلى ذلك اضطراراً عندما وجدوا أنفسهم يقومون بأعمال مخالفة لما جاء في القرآن ، وقد ألفوها بعدما فرضها عليهم الحكّام الذين أطاعوهم ، ولتبرير تلك الأعمال وضعوا لها أحاديث نسبوها للنبي ﷺ كذباً ، ولما كانت تلك الأحاديث تتعارض مع أحكام القرآن ، قالوا بأن السنّة قاضية على القرآن ، أو أنّها تنسخ القرآن.

وأضرب لذلك مثلا واضحاً يفعله المسلم مرّات عديدة في كلّ يوم ، ألا وهو الوضوء قبل الصلاة ، فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا**

بِرُؤُوسِكُم وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ ﴾ [1].

ومهما قيل ، وبقطع النظر عن قراءة النصب والجر ، وقد قدمنا بأنّ الفخر الرازي ـ وهو من أشهر علماء « أهل السنّة والجماعة » في اللغة العربية ـ قال بوجوب المسح في القراءتين [2].

وقال ابن حزم أيضاً : سواء قُرئ بخفض اللام أو بفتحها هي على كلّ حال عطف على الرؤوس ، إمّا على اللفظ وإمّا على الوضع ، ولا يجوز غير ذلك [3].

ولكن الفخر الرازي بعد اعترافه بأنّ القرآن نزل بوجوب المسح في القراءتين ، نراه يتعصَّب لمذهبه السنّي ، فقال : ولكنّ السنّة جاءت بالمسح ناسخة للقرآن [4].

وهذا المثل من السنّة المزعومة القاضية على القرآن أو الناسخة له ، يوجد له أمثلة كثيرة عند « أهل السنّة والجماعة » فكم من حديث موضوع يُبطلون به حكماً من أحكام الله بدعوى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نسخه.

ونحن لو تمعنَّا في آية الوضوء التي نزلت في سورة المائدة ، وإجماع المسلمين على أنّ سورة المائدة هي آخر ما نزل من القرآن ، ويقال : إنّها نزلت قبيل وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بشهرين فقط ، فكيف ومتى نسخ النبيّ حكم

---

١ ـ المائدة : ٦.

٢ ـ التفسير الكبير للفخر الرازي ٤ : ٣٥٠ ، سورة المائدة : ٦.

٣ ـ المحلّى لابن حزم ٢ : ٥٦.

٤ ـ التفسير الكبير للفخر الرازي ٤ : ٣٠٦ باختلاف.

الوضوء يا ترى؟! وقد قضى النبيّ ﷺ ثلاثة وعشرين سنة وهو يتوضّأ بالمسح ويفعل ذلك مرّات في كلّ يوم ، فهل يعقل أنّه وقبل شهرين من وفاته عندما نزل عليه قوله سبحانه : ﴿ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ عمد إلى غسل رجليه معارضة لكتاب الله؟! إنّه كلام لا يصدّق.

ثمّ كيف يُصدّق الناس هذا النبيّ الذي يدعوهم لكتاب الله والعمل به قائلا لهم : إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ، ثمّ يعمل هو بعكسه؟! فهل هذا معقول أو يقبله العقلاء؟ أم سيقول له المعارضون والمشركون والمنافقون : إذا كنت أنت تعمل بخلافه ، فكيف تأمرنا نحن باتباعه؟! وسوف يجد النبيّ ﷺ عند ذلك نفسه محرجاً ولا يقدر على دفع حجّتهم ، ولذلك نحن لا نصدّق بهذا الادعاء الذي يرفضه النقل والعقل ، وكلّ من له دراية بالكتاب والسنّة لا يصدّقه.

ولكن « أهل السنّة والجماعة » . والذين هم في الحقيقة حكّام بني أُميّة ومن جرى وراءهم ، كما عرفنا بذلك في أبحاث سابقة . عمدوا لوضع الأحاديث على لسان النبيّ ليصححوا بذلك آراء واجتهادات أئمة الضلالة ، ويكسبوها شرعيّة دينية أولا ، وليعللوا اجتهادات هؤلاء في مقابل النصوص ، بأنّ النبيّ نفسه قد اجتهد مقابل النصوص القرآنية ونسخ منها ما شاء ، فيصبح بذلك أهل البدع يستمدّون شرعيّة مخالفتهم للنصوص اقتداء بالرسول كذباً وبهتاناً.

وقد قدّمنا في بحث سابق بالأدلّة والحجج القويّة أنّ رسول الله ﷺ ما قال يوماً برأي ولا بقياس ، وإنّما كان ينتظر نزول الوحي لقوله تعالى :

﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ ﴾ [1].

أليس هو القائل مبلّغاً عن ربّه : ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَات قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآن غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْم عَظِيم ﴾ [2].

أوَلم يهدِّده ربّه بأشدّ التهديد لو حاول أن يتقوَّل على الله كلمة واحدة ، فقال جلّ وعلا : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُمْ مِنْ أَحَد عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ [3].

فهذا هو القرآن ، وهذا هو النبيّ الذي كان خلقه القرآن ، ولكن « أهل السنّة والجماعة » [4] ، ولشدّة عداوتهم لعليّ بن أبي طالب وأهل البيت عليهم السلام ، كانوا يخالفونهم في كلّ شيء ، حتى أصبح شعارهم هو مخالفة عليّ وشيعته في كلّ شيء ، حتى لو كانت سنّة نبوية ثابتة عندهم [5].

ولما كان المشهور عن الإمام عليّ عليه السلام الجهر بالبسملة حتى في الصلاة السريّة من أجل إحياء السنّة النبويّة ، فقد عمل بعضهم على القول بكراهتها في الصلاة ، وكذلك بالنسبة للقبض والسدل ، ودعاء القنوت ، وغير ذلك من

---

١ . صحيح البخاري ٨ : ١٤٨ (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة ، باب ما كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يسأل ممّا لم ينزل عليه الوحي فيقول لا أدري). النساء : ١٠٥.

٢ . يونس : ١٥.

٣ . الحاقة : ٤٤ . ٤٧.

٤ . ونقصد بهم الأوائل الذين عادوا علياً وأولاده من بعده والذين أسّسوا مذهب « أهل السنّة والجماعة » (المؤلّف).

٥ . قد فصّلنا في ذلك وأخرجنا تصريحاتهم من كتبهم وأقوال أئمّتهم في كتاب « مع الصادقين » فليراجع (المؤلّف).

الأُمور التي تخصّ الصلاة اليومية.

ولذلك كان أنس بن مالك يبكي ويقول : والله ما أجد شيئاً ممّا أدركت عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قالوا : وهذه الصلاة؟ قال : لقد غيرتم فيها ما غيرتم [1].

والغريب أنّ « أهل السنّة والجماعة » يسكتون عن هذه الاختلافات ؛ لأنّ مذاهبهم الأربعة يختلفون فيما بينهم ، فلا يرون بذلك بأساً ، بل يقولون بأنّ اختلافهم رحمة.

ولكنّهم يشنّعون على الشيعة إذا خالفوهم في أية مسألة ، فتصبح تلك الرحمة نقمة ، ولا يقبلون إلاّ آراء أئمتهم ، مع أنّ أئمتهم لا يساوون أئمة العترة الطاهرة في علم ، ولا في عمل ، ولا في فضل ، ولا في شرف.

وكما ذكرنا في « غسل الرجلين » ورغم أنّ كتبهم تشهد بأنّ المسح هو الذي نزل به القرآن ، وهو أيضاً سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم [2] ، ولكنّهم لا يقبلون من الشيعة شيئاً من ذلك ، ويتهمونهم بتأويل القرآن والخروج عن الدين!!

والمثل الثاني الذي لابدّ من ذكره أيضاً ، هو نكاح المتعة الذي نزل به القرآن وأقرّته السنّة النبويّة ، ولكنّهم لتبرير اجتهاد عمر بن الخطّاب الذي حرَّمه ، اختلقوا حديثاً مكذوباً نسبوه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأخذوا يشنّعون على الشيعة لإباحتهم هذا النكاح ، استناداً لما رواه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، أضف إلى ذلك أنّ صحاحهم تشهد بأنّ الصحابة فعلوه في عهد رسول الله ،

---

١ ـ صحيح البخاري ١ : ١٣٤ (كتاب الصلاة ، أبواب سترة المصلي) ، ولفظه : أليس ضيّعتم ما ضيّعتم فيها؟

٢ ـ الطّبقات الكبرى لابن سعد ٦ : ٢٧٤ ، عن ابراهيم النخعي ، وانظر المعجم الكبير للطبراني ١٠ : ٧١ ح٩٩٨٢.

وعهد أبي بكر ، وشطر من عهد عمر قبل أن يحرمه ، ويشهدون أيضاً بأنّ الصحابة اختلفوا فيه بين محلِّل ومحرِّم.

والأمثلة في هذه المواضيع ـ التي ينسخون فيها النصّ القرآني بحديث مكذوب ـ كثيرة جدّاً ، وقد ضربنا منها مثلين ، والقصد هو رفع الستار عن مذهب « أهل السنّة والجماعة » ، وإطلاع القارئ بأنّهم يقدِّمون الحديث على القرآن ، ويقولون صراحة بأنّ السنّة قاضية على القرآن.

فهذا الإمام الفقيه عبد الله بن مسلم بن قتيبة محدّث وفقيه « أهل السنّة والجماعة » متوفّى سنة ٢٧٦ هجرية يقول بصراحة : « السنّة قاضية على الكتاب ، وليس الكتاب بقاض على السنّة » [١].

كما ذكر صاحب كتاب مقالات الإسلاميين الإمام الأشعري ، وهو إمام « أهل السنّة والجماعة » في الأصول [٢] : « إن السنّة تنسخ القرآن وتقضي عليه ، وأن القرآن لا ينسخ السنّة ولا يقضي عليها » [٣].

وذكر ابن عبد البر بأنّ الإمام الأوزاعي ، وهو من كبار أئمة « أهل السنّة والجماعة » ، قال : « إنّ القرآن أحوج إلى السنّة من السنّة إلى القرآن ... » [٤].

---

١ ـ سنن الدارمي ١ : ١٤٥.

٢ ـ كيف لا يكون إمامهم وهو الذي أطاح بالمعتزلة ألدّ أعداء أهل السنّة ، وفي ذلك يقول ابن الصيرفي من كبار الأئمة الشافعية : « كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله الأشعري فحجرهم في أقماع السمسم » (تاريخ الإسلام للذهبي ٢٤ : ١٥٥).

٣ ـ مقالات الإسلاميين : ٤٧٩ ، وقد ذكر اختلاف أهل السنّة في نسخ القرآن بالسنّة إلى ثلاثة أقوال ، أحدها ما ذكره المؤلّف في المتن.

٤ ـ جامع بيان العلم : ٤٢٩ (باب ٦٥ ، موضع السنّة من الكتاب).

فإذا كانت هذه أقوالهم تشهد على عقيدتهم ، فمن الطبيعي جدّاً أن يتناقض هؤلاء مع ما يقوله أهل البيت من عرض كلّ حديث على كتاب الله ووزنه عليه ؛ لأنّ القرآن هو القاضي على السنّة ، ومن الطبيعي أيضاً أن يرفضوا هذه الأحاديث ، ولا يعترفوا بها ولو رواها أئمة أهل البيت ؛ لأنّها تنسف مذهبهم نسفاً.

فقد ذكر البيهقي في كتاب دلائل النبوة بأنّ الحديث الذي رُوي عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو قوله : « إذا جاءكم الحديث عنّي فاعرضوه على كتاب الله » ، قال البيهقي : هذا حديث باطل لا يصحّ ، وهو ينعكس على نفسه بالبطلان ، فليس في القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن [1].

وصرّح ابن عبد البر نقلا عن عبد الرحمان بن مهدي بأنّ الحديث الذي روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال : « ما أتاكم عنّي فاعرضوه على كتاب الله ، فإن وافق كتاب الله فأنا قلته ، وإن خالف كتاب الله فلم أقله » ، هذه الألفاظ لا تصحّ عنه عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه ، وقال بأنّ هذا الحديث وضعه الزنادقة والخوارج [2].

أُنظر إلى هذا التعصّب الأعمى الذي لم يترك لهم سبيلا للتحقيق العلمي والخضوع للحقّ ، فأصبحوا يسمون رواة هذا الحديث ـ وهم أئمة الهدى من العترة الطاهرة ـ بالزنادقة والخوارج ، ويتهمونهم بوضع الحديث!

وهل لنا أن نسألهم : ما هو هدف الزنادقة والخوارج من وضع هذا

---

١ ـ دلائل النبوة ١ : ٢٧ ، فصل في قبول الأخبار.

٢ ـ جامع بيان العلم : ٤٢٨ ، (باب ٦٥ ، موضع السنّة من الكتاب).

الحديث الذي يجعل كتاب الله ـ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ مرجعاً لكلّ شيء؟

والعاقل المنصف يميل إلى هؤلاء الزنادقة والخوارج الذين يُعظّمون كتاب الله ، ويجعلونه في المرتبة الأُولى للتشريع ، أحسن له من الميل إلى « أهل السنّة والجماعة » الذين يقضون على كتاب الله بأحاديث مكذوبة ، وينسخون أحكامه ببدع مزعومة.

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً ﴾ [1].

فالذين يسمّونهم زنادقة وخوارج هم أهل بيت النبوة ، أئمة الهدى ومصابيح الدجى ، الذين وصفهم جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنّهم أمان الأُمّة من الاختلاف ، فإذا خالفتهم قبيلة صارت حزب إبليس ، وذنبهم الوحيد هو أنّهم تمسّكوا بسنّة جدّهم ، ورفضوا ما سواها من البدع البكرية ، والعمرية ، والعثمانية ، والمعاوية ، واليزيدية ، والمروانية ، والأموية ، وبما أنّ السلطة الحاكمة بيد هؤلاء المذكورين ، فمن الطبيعي أن يشتموا المعارضين لهم بأنّهم خوارج كانت وزنادقة ، وأن يحاربوهم وينبذوهم ، ألم يُلعن علي وأهل البيت على منابرهم ثمانين عاماً؟ ألم يُقتل الحسن بسمّهم ، والحسين وذريته بسيوفهم؟

ودعنا من الرجوع إلى مأساة أهل البيت الذين لم تنته مظلمتهم بعد ، ولنعد إلى هؤلاء الذين يسمّون أنفسهم « أهل السنّة والجماعة » ، والذين ينكرون حديث عرض السنّة على القرآن ، فلماذا لم يسمّوا أبا بكر

---

١ ـ الكهف : ٥.

« الصديق » من الخوارج أو من الزنادقة؟ وهو الذي أحرق الأحاديث وخطب في الناس قائلا : « أنّكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها ، والناس بعدكم أشدّ اختلافاً ، فلا تحدّثوا عن رسول الله شيئاً ، فمن سألكم فقولوا : بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه » [1].

ألم يُقدّم أبو بكر القرآن علي السنّة؟ بل جعله المصدر الوحيد ، ورفض السنّة بدعوى أنّ الناس يختلفون فيها؟!

ولماذا لم يسمّوا عمر بن الخطّاب من الخوارج أو من الزنادقة ، وهو الذي رفض السنّة النبويّة من أوّل يوم عندما قال : حسبنا كتاب الله ، يكفينا! وقد أحرق هو أيضاً كلّ ما جمعه الصحابة من الأحاديث والسنن على عهده [2] ، ولم يقف عند ذلك الحدّ حتى نهى الصحابة عن إفشاء الحديث [3].

ولماذا لم يسمّوا أُمّ المؤمنين عائشة ـ التي يؤخذ عنها نصف الدين ـ بأنّها من الخوارج ومن الزنادقة ، فهي التي اشتهرت بعرض الحديث على القرآن ، فكانت كلّما بلغها حديث لا تعرفه عرضته على كتاب الله وأنكرته إذا عارض القرآن ، فقد أنكرت على عمر بن الخطّاب حديث : إنّ الميّت يُعذّب في قبره ببكاء أهله عليه ، وقالت : حسبكم القرآن ، فإنّه يقول : ولا تزرُ وازرة وزرَ أخرى [4].

---

١ ـ الذهبي في تذكرة الحفّاظ ١ : ٣ وهو مرسل صحيح من مراسيل أبي مليكة.

٢ ـ الطبقات الكبرى ٥ : ١٨٨ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ٥٩.

٣ ـ الذهبي في تذكرة الحفاظ ١ : ٦.

٤ ـ صحيح البخاري ٢ : ٨١ (كتاب الجنائز ، باب قول النبيّ : يعذّب الميّت ببعض

كما أنكرت حديث عبد الله بن عمر الذي روى بأنّ النبيّ ﷺ قام على القليب وفيه قتلى بدر من المشركين ، فقال لهم ما قال ، ثمّ التفت إلى أصحابه فقال : « إنّهم ليسمعون ما أقول ».

فكذَّبت عائشة أن يكون الأموات يسمعون وقالت : إنّما قال رسول الله ﷺ : « إنّهم ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حقّ » ، ثمّ استشهدت على كذب الحديث بعرضه على القرآن ، فقرأت قوله سبحانه : ﴿ **إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى** ﴾ (١) ، ﴿ **وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ** ﴾ (٢) (٣).

وأنكرت أحاديث كثيرة كانت في كلّ مرّة تعرضها على كتاب الله ، فقالت لمن حدَّث بأنّ محمّداً رأى ربّه : لقد قفَّ شعري ممّا قلت ، أين أنت من ثلاث من حدّثكهنّ بها فقد كذب : من حدّثك أنّ محمّداً رأى ربّه فقد كذب ، ثمّ قرأت قوله تعالى : ﴿ **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ (٤) ، وقرأت : ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ** ﴾ (٥).

ومن حدّثك أنّه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثمّ قرأت قول الله : ﴿ **وَمَا**

بكاء أهله عليه) ، وكذلك صحيح مسلم ٣ : ٤٣ ، (كتاب الجنائز ، باب الميّت يعذّب ببكاء أهله عليه).

١ ـ النمل : ٨٠.

٢ ـ فاطر : ٢٢.

٣ ـ صحيح البخاري ٥ : ٩ باب دعاء النبيّ ﷺ على كفّار قريش ، وكذلك صحيح مسلم ٣ : ٤٤ باب الميت يعذب ببكاء أهله.

٤ ـ الأنعام : ١٠٣.

٥ ـ الشورى : ٥١.

تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً ﴾ [1].

ومن حدَّثك أنّه كتم فقد كذب ، ثمّ قرأت قوله تعالى : ﴿ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ ﴾ [2] [3].

كذلك كان أبو هريرة راوية أهل السنّة عندهم ، كان كثيراً ما يحدّث الحديث ثمّ يقول : فاقرأوا إن شئتم قوله تعالى ، فيعرض حديثه على كتاب الله حتى يصدّقه المستمعون.

فلماذا لا يسمّي « أهل السنّة والجماعة » كلّ هؤلاء من الخوارج والزنادقة ، فهم يعرضون الأحاديث التي يسمعونها على كتاب الله ، ويكذّبون ما خالف منها القرآن؟! إنّهم لا يجرأون علي ذلك.

أمّا إذا تعلّق الأمر بأئمة أهل البيت ، فإنّهم لا يتورّعون بأن يشتموهم بكلّ نقيصة ، ولا ذنب لهم سوى عرض الحديث على كتاب الله ، كي يفتضح أُولئك الوضّاعون والمدلّسون الذين يسعون لتعطيل أحكام الله وإبطالها بأحاديث مكذوبة.

لأنّهم يدركون تماماً أنّه لو عرضت أحاديثهم على كتاب الله ، فسوف لن يوافق كتاب الله على تسعة أعشار منها ، والعشر العاشر الذي يؤيّده كتاب الله لأنّه من أقوال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، يؤولون بعضه على غير ما أراده الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

---

١ . لقمان : ٣٤.

٢ . المائدة : ٦٧.

٣ . صحيح البخاري ٦ : ٥٠ (كتاب التفسير ، تفسير سورة النجم) ، صحيح مسلم ١ : ١١٠ (كتاب التفسير ، باب معنى قوله الله عزّ وجل ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾) ، مسند أحمد ٦ : ٤٩.

كتأويلهم حديث : « الخلفاء من بعدي اثنا عشر كلّهم من قريش » ، وحديث : « تمسّكوا بسنّة الخلفاء الراشدين بعدي » ، وكقوله : « اختلاف أُمّتي رحمة » ، وغيرها من الأحاديث الشريفة والتي يقصد بها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أئمة العترة الطاهرة ، ولكنّهم صرفوها إلى خلفائهم الغاصبين ، وإلى بعض الصحابة المنقلبين.

وحتى الألقاب التي يضفونها على الصحابة كتسمية أبي بكر بـ « الصديق » ، وعمر بـ « الفاروق » ، وعثمان بـ « ذي النورين » ، وخالد بـ « سيف الله » ، والحال أنّ كلّ هذه الألقاب هي لعليّ على لسان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : « الصدّيقون ثلاثة : حبيب النجار مؤمن آل يس ، وحزقيل مؤمن آل فرعون ، وعليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو أفضلهم » [1].

وعليّ نفسه كان يقول : « أنا الصدّيق الأكبر ، ولا يقولها بعدي إلاّ كذّاب » [2] ،

---

١ ـ الجامع الصغير للسيوطي ٢ : ١١٥ ح٥١٤٩ ، كنز العمال ١١ : ٦٠١ ح٣٢٨٩٧ ، الدر المنثور ٥ : ٢٦٢ ، تاريخ دمشق ٤٢ : ٣١٣.

٢ ـ المستدرك للحاكم ٣ : ١١١ ، المصنّف لابن أبي شيبة ٧ : ٤٩٨ ح٢١ ، كتاب السنّة لابن أبي عاصم : ٥٨٤ ح١٣٢٤ ، السنن الكبرى للنسائي ٥ : ١٠٧ ، أمّا عباد بن عباد لله راوي الحديث فقد أورده العجلي في معرفة الثقات ٢ : ١٧ ووثّقه ، وكذلك ذكره ابن حبان في كتابه الثقات ٥ : ١٤١. وابن ماجة في سننه ١ : ٥٥ ، وعلّق العلاّمة البوصيري في كفاية الحاجة بقوله : (انفرد به ابن ماجة عن الكتب التسعة ، قال في الزوائد : هذا إسناد صحيح ، رجاله ثقات).

ومع وجود هؤلاء العلماء المصحّحين لهذا الحديث تجد عثمان الخميس في كتابه كشف الجاني : ١٩٠ يصف الحديث بالوضع معتمداً على ابن الجوزي ، في كتابه الموضوعات!!

وإذا رجعنا إلى ترجمة ابن الجوزي نجد أنّ العلماء قالوا في حقّه : إنّه كثير الخطأ والأوهام في ما يصنّفه ؛ إذ كان يفرغ من الكتاب ولا يعتبره ، وقد استدرك عليه الذهبي كتابه الموضوعات تحت عنوان (تلخيص الموضوعات) وقال في ترجمته في السير ٢١ : ٣٨١ : « وكتب إلى أبي بكر بن طوخان ، أخبرنا الإمام موفّق الدين قال : ابن الجوزي إمام أهل عصره في الوعظ ، وصنّف في فنون العلم تصانيف حسنة ، وكان صاحب فنون ، كان يصنّف في الفقه ويدرس وكان حافظاً للحديث ، إلاّ أنّنا لم نرض تصانيفه في السنّة ولا طريقته فيها ، وكان العامة يعظّمونه ، وكانت تنفلت منه في بعض الأوقات كلمات تنكر عليه في السنّة ، فيستفتى عليها ويضيق صدره من أجلها ».

وقال الحافظ سيف الدين ابن المجد : هو كثير الوهم ، فإنّ في مشيخته مع صغرها أوهاماً ، قال في حديث أخرجه البخاري عن محمّد المثنى ، عن الفضل بن هشام ، عن الأعمش! وإنّما هو عن الفضل بن مساور عن أبي عوانة عن الأعمش.

وقال في آخر : أخرجه البخاري ، عن عبد الله بن منير ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، وبينهما أبو النظر ، فاسقطه.

وقال في حديث : أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمّد الاثرم ، وإنما هو محمّد بن أحمد.

وقال في آخر : أخرجه البخاري عن الأويسي عن إبراهيم عن الزهري ، وإنّما هو عن إبراهيم بن مسعد ، عن صالح ، عن الزهري.

وقال في آخر : حدّثنا قتيبة ، حدّثنا خالد بن إسماعيل ، وإنّما هو حدّثنا حاتم.

وفي آخر : حدّثنا أبو الفتح محمّد بن علي العشاري ، وإنّما هو أبو طالب.

وقال : حميد بن هلال عن عفان بن كاهل ، وإنّما هو هضاب بن كاهل.

قال : أخرجه البخاري عن أحمد بن أبي إياس ، وإنما هو آدم.

وفي وفاة يحيى بن ثابت ، وابن خضير ، وابن المقرب ذكر ما خولف فيه.

قلت (يعني الذهبي) : هذه عيوب وحشة في جزئين.

قال السيف : سمعت ابن نقطة يقول : قيل لابن الأخضر : ألا تجيب عن بعض أوهام ابن الجوزي؟ قال : إنّما تتبع على من قلّ غلطه ، فأمّا هذا فأوهامه كثيرة.

ثمّ قال السيف : ما رأيت أحداً يعتمد عليه في دينه وعلمه وعقله راضياً عنه.

قال : وقال جدّي : كان أبو المظفّر بن حمدي ينكر على أبي الفرج كثيراً كلمات يخالف فيها السنّة.

قال السيف : وعاتبه أبو الفتح ابن المنّي في أشياء ، ولما بان تخليطه أخيراً رجع عنه أعيان أصحابنا وأصحابه.

وكان أبو إسحاق العقلي يكاتبه وينكر عليه ».

وقال الذهبي في السير ٢١ : ٣٧٨ : « قرأت بخطّ محمّد بن عبد الجليل الموقاني : إنّ ابن الجوزي شرب (البلاذر) فسقطت لحيته .. قال : وكان كثيراً الغلط في ما يصنّفه ، فإنّه كان يفرغ من الكتاب ولا يعتبره.

قلت (يعني الذهبي) : هكذا هو ، له أوهام وألوان من ترك المراجعة ، وأخذ العلم من صحف .. ».

قال الإمام السندي في شرحه على سنن ابن ماجه في شرحه للحديث ١ : ٨٥ : « قوله : « أنا الصدّيق الأكبر » هو للمبالغة من الصدق ، وتصديق الحقّ بلا توقّف من باب الصدق ، ولا يكون عادة إلاّ من غلب عليه الصدق ..

قال : كأنه أراد بقوله : « الصدّيق الأكبر » إنّه أسبق إيماناً من أبي بكر أيضاً.

وفي الإصابة في ترجمة علي : هو أوّل الناس إسلاماً في قول كثير من أهل العلم. قوله : « صلّيت قبل الناس بسبع سنين » ولعلّه أراد به أنّه أسلم صغيراً ، وصلّى في سن الصغر وكلّ من أسلم من معاصريه ما أسلم في سنّه. بل أقل ما تأخر معاصره عن سنّه سبع سنين فصار كأنه صلى قبلهم سبع سنين وهم تأخروا عنه بهذا القدر. فكان من حكم بالوضع حكم عليه لعدم ظهوره معناه ، لا لأجل خلل في إسناده. وقد ظهر معناه بما ذكرنا ».

وهو الفاروق الأعظم الذي فرّق الله به الحقّ من الباطل [1] ، ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنّ حبّه إيمان وبغضه نفاق [2] ، وأنّ الحقّ يدور معه حيث دار [3]؟

وأمّا « ذو النورين » [4] ، فهو عليه السلام ، والد الحسن والحسين عليهما السلام سيّدي شباب أهل الجنّة ، وهما نوران من صلب النبوة.

وأمّا « سيف الله » فهو الذي قال فيه جبريل عليه السلام يوم أحد : « لا فتى إلاّ عليّ ولا سيف إلاّ ذوالفقار » [5].

وهو بحقّ سيف الله الذي سلّه على المشركين فقتل أبطالهم ، وجندل

ومنه تعرف أنّ المضعّفين له لم يضعّفوه لخلل في سنده ، وإنّما لما ادعوه من وجود النكارة في متنه حيث أطلق على نفسه الصديق الأكبر وأنّه صلّى قبل الناس بسبع سنين! وهذا خلاف ما عليه القوم من سبق إيمان أبي بكر وأنّه الصديق الأكبر.

إلاّ أنّه بما ذكرناه وذكره علماء السنّة يتّضح أنّ الحديث صحيح سنداً ، ولا نكارة في متنه ؛ لأنّ الكثير من علماء أهل السنّة ذهب إلى إسلام علي بن أبي طالب قبل أبي بكر ، وعليه فتندفع جميع التوهمات التي ذكرت.

١ . الاحتجاج ١ : ٢٠٤ ، اليقين لابن طاووس : ٤٩٩.

٢ . صحيح مسلم في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام .

٣ . سنن الترمذي ٥ : ٢٩٧ ، المستدرك للحاكم ٣ : ١٢٥ وصحّحه ، المعجم الأوسط ٦ : ٩٥.

٤ . سمّى أهل السنّة والجماعة عثمان بذي النورين ، ويعلّلون ذلك بأنّه تزوّج رقيّة وأُمّ كلثوم بنتي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والصحيح أنّهما ربيبتاه ، وعلى فرض أنّهما بنتاه فكيف تكونان نورين ولم يحدّث النبيّ لهما بفضيلة واحدة ، ولماذا لا تكون فاطمة التي قال في حقّها « سيّدة نساء العالمين » هي النور ، ولماذا لم يسمّوا علياً بذي النور ، على هذا الأساس؟ (المؤلّف).

٥ . نظم درر السمطين للزرندي : ١٢٠ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ٢١٧.

شجعانهم ، وهشَّم أنوفهم ، حتى أذعنوا للحق وهم كارهون ، وهو سيف الله ؛ لأنّه لم يهرب من معركة أبداً ، ولم يخشَ من مبارزة قط ، وهو الذي فتح خيبر وقد عجز عنها أكابر الصحابة ورجعوا منهزمين.

لقد قامت السياسة من أوّل خلافة على عزله وتجريده من كلّ فضل وفضيلة ، ولما جاء معاوية للحكم ذهب أشواطاً بعيدة فعمل على لعن علي وانتقاصه ، وعلى رفع شأن مناوئيه ، ونسب إليهم كلّ فضائله وألقابه زوراً منه وبهتاناً ، ومن يقدر في ذلك العهد على تكذيبه أو معارضته؟ وقد وافقوه على سبِّه ولعنه والبراءة منه ، وقد قلَّب أتباعه من « أهل السنّة والجماعة » كلّ الحقائق ظهراً على عقب ، فأصبح عندهم المنكر معروفاً والمعروف منكراً ، وأصبح علي وشيعته هم الزنادقة والخوارج والروافض ، فاستباحوا بذلك لعنهم وقتلهم ، وأصبح أعداء الله ورسوله وأهل بيته هم « أهل السنّة »! فاقرأ واعجب ، وإن كنت في شك من هذا فابحث ونقِّب.

﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴾[1].

صدق الله العلي العظيم

---

١ . هود : ٢٤.

الأحاديث النبويّة عند « أهل السنّة » متناقضة

لعلّ الباحث يجد كثيراً من السنن التي تُنسب إلى النبيّ ﷺ هي في الحقيقة ليست إلاّ بدعاً ابتدعها بعضُ الصحابة بعد وفاته ، وألزموا الناس بها وحملوهم عليها قهراً ، حتى اعتقد أُولئك المساكين أنّها من أفعال النبيّ وأقواله.

ولذلك جاءت تلك البدع في أغلبها متناقضة ومتعارضة مع القرآن ، فاضطرّ علماؤهم للتأويل ، والقول بأنّ الرسول ﷺ فعل هذا مرّة ، وفعل ذاك أُخرى ، كقولهم بأنّه صلّى مرّة بالبسملة وأُخرى صلّى بدون البسملة ، ومرّة مسح رجليه في الوضوء وأُخرى غسلهما ، ومرّة قبض يديه في الصلاة وأُخرى أسدلها ، حتى ذهب البعض منهم للقول بأنّه فعل ذلك متعمّداً للتخفيف على أُمّته حتى يختار كلّ واحد منهم ما يناسبه من العمل.

إنه كذبٌ يرفضه الإسلام الذي بنى عقائده على كلمة التوحيد وتوحيد العبادة حتى في المظهر واللباس ، فلم يسمح للمحرم وقت الحجّ أن يلبس ما يريد لا شكلا ولا لوناً ، ولم يسمح للمأموم إلاّ أن يتبع إمامه في حركاته وسكناته من قيام وركوع وسجود وجلوس.

كما أنّه كذبٌ لأنّ الأئمة الطاهرين من أهل البيت يرفضون تلك الروايات ، ولا يقبلون بالاختلاف في العبادات شكلا ومضموناً.

وإذا رجعنا إلى تناقض الأحاديث عند « أهل السنّة والجماعة » فهي كثيرة

جدّاً تفوق الحصر ، وسوف نعمل على جمعها في كتاب خاصّ إن شاء الله.

وكالعادة وبإيجاز نذكر هنا بعض الأمثلة ؛ ليتبيّن للباحث على أيّ أساس بنى « أهل السنّة والجماعة » مذهبهم وعقيدتهم.

فقد جاء في صحيح مسلم [1] ، وفي شرح الموطأ لجلال الدين السيوطي عن أنس بن مالك قال : صلّيت خلف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان ، فلم أسمع أحداً منهم يقرأ : بسم الله الرحمان الرحيم.

وفي رواية أنّ رسول الله ﷺ كان لا يجهر بقراءة بسم الله الرحمان الرحيم ، قال : وقد روى هذا الحديث عن أنس ، قتادة ، وثابت البناني وغيرهما ، وكلّهم أسنده وذكر فيه النبيّ ﷺ إلاّ أنّهم اختلف عليهم في لفظه اختلافاً كثيراً ، مضطرباً ومتدافعاً ، فمنهم من يقول فيه : كانوا لا يقرأون بسم الله الرحمان الرحيم ، ومنهم من يقول : كانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمان الرحيم ، ومنهم من يقول : كانوا يجهرون ببسم الله الرحمان الرحيم ، ومنهم من قال : كانوا لا يتركون بسم الله الرحمان الرحيم ، ومنهم من قال : كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله ربِّ العالمين.

قال : وهذا اضطراب لا تقوم معه حجّة لأحد من الفقهاء [2].

أمّا إذا أردت معرفة السرّ الحقيقي لهذا التناقض والاضطراب من نفس

---

١ ـ صحيح مسلم ٢ : ١٢ باب حجّة من قال : لا يجهر بالبسملة.

٢ ـ تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك ١ : ١٠٣. ونحن نقول : الحمدُ لله أن شهد شاهدٌ من أهلها على أضطراب الأحاديث عندهم وتناقضها وأنّه ـ كما اعترف ـ لا تقوم لأحد من فقهائهم حجّة ، إنّما الحجّة قائمة مع أئمة الهدى الأطهار الذين لم يختلفوا في شيء (المؤلّف).

الراوي ، وهو أنس بن مالك الذي كان يلازم النبيّ ﷺ لأنّه حاجبه ، فتراه مرّة يروي بأنّهم (رسول الله والخلفاء الثلاثة) كانوا لا يقرأون بسم الله الرحمان الرحيم ، ومرّة بأنّهم لا يتركونها!!

إنّما هو الواقع الأليم المؤسف الذي اتبعه أكثر الصحابة في نقل الحديث وروايته ، حسبما تقتضيه المصلحة السياسية وحسبما يرضي الأمراء.

فلا شكّ بأنّه روي عدم القراءة لبسم الله الرحمان الرحيم ، عندما عمل بنو أُميّة وحكّامهم على تغيير كلّ سنّة للنبي ﷺ كان عليّ بن أبي طالب يتمسّك بها ويعمل على إحيائها.

فقد قامت سياستهم على مخالفته في كلّ شيء والعمل بضدّه ، حيث اشتهر ـ سلام الله عليه ـ بأنّه كان يبالغ في الجهر بالبسملة حتى في الصلاة السرية.

وهذا ليس ادّعاء منّا أو من الشيعة ، فنحن لم نعتمد في كلّ ما كتبنا إلاّ على كتب « أهل السنّة والجماعة » وتصريحاتهم.

وقد ذكر الإمام النيسابوري في تفسير غرائب القرآن ، وبعد ذكره للروايات المتناقضة عن أنس بن مالك قال : « وفيها تهمة أُخرى ، وهي أنّ علياً (رضي الله عنه) كان يبالغ في الجهر بالتسمية ، ولما كان زمن بني أُميّة بالغوا في المنع من الجهر سعياً منهم في إبطال آثار عليّ بن أبي طالب ، فلعلّه إنّما خاف منهم فلهذا اضطربت أقواله » [1].

---

١ ـ تفسير غرائب القرآن للنيسابوري بهامش تفسير الطبري ١ : ٧٩ ، تفسير الفخر الرازي ١ : ٢٠٦.

كما صرّح الشيخ أبو زهرة ما يقارب هذا المعنى إذ قال : « لا بد أن يكون للحكم الأموي أثر في اختفاء كثير من آثار علي عليه السلام في القضاء والإفتاء ؛ لأنّه ليس من المعقول أن يلعنوا عليّاً فوق المنابر ، وأن يتركوا العلماء يتحدّثون بعلمه ، وينقلون فتاواه وأقواله للناس ، وخصوصاً ما يتصل بأساس الحكم الإسلامي » [1].

والحمد الله الذي أظهر الحقّ على لسان بعض علمائهم ، فاعترفوا بأنّ عليّاً كان يبالغ في الجهر ببسم الله الرحمان الرحيم.

ونستنتج بأنّ الذي دعاه ـ سلام الله عليه ـ أن يبالغ في الجهر بالتسمية ، هو أنّ الخلفاء الذين سبقوه تركوها إمّا عمداً أو سهواً واقتدى بهم الناس ، فأصبحت سنّة متبعة وهي بلا شكّ مبطلة للصلاة إذا ما تركت عمداً ، وإلاّ لما بالغ الإمام عليّ عليه السلام في الجهر بها حتى في الصلاة السرية.

ثمّ إنّنا نشمُّ من روايات أنس بن مالك التزلّف لإرضاء بني أُميّة الذين أطروه وأغدقوا عليه الأموال ، وبنوا له القصور ؛ لأنّه من المناوئين لعليّ عليه السلام هو الآخر ، ويظهر بغضه لأمير المؤمنين عليه السلام من قصة الطير المشوي عندما قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « اللهمّ ائتني بأحبّ الخلق إليك يأكل معي هذا الطير » ، فجاء علي يستأذن فرده أنس ثلاث مرّات ، ولما عرف النبيّ في المرة الرابعة قال لأنس : « ما حملك على ما فعلت »؟ قال أنس : رجوت أن

---

١ ـ الشيخ أبو زهرة في كتاب الإمام الصادق : ٢٨٥ ، نقلا عن وضوء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم للشهرستاني ١ : ١٩٣.

يكون واحداً من الأنصار [1].

ويكفي هذا الصحابي أن يسمع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يدعو ربّه بأن يأتيه بأحبّ الخلق إليه ، ويستجيب الله لدعاء رسوله فيأتيه بعليّ عليه السلام ، ولكنّ بغض أنس له يحمله على الكذب ، فيردّ عليّاً مدّعياً بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في حاجة له ، ويتكرّر منه الكذب ثلاث مرّات متوالية ؛ لأنّه لم يقبل أن يكون عليّ عليه السلام أحبّ الخلق إلى الله بعد رسوله ، ولكن عليّاً اقتحم الباب في المرّة الرابعة ودخل ، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « ما حبسك عنّي يا علي »؟ قال : « جئتك فردّني أنس ثلاث مرات » ، قال : « ما حملك على ذلك يا أنس »؟ قال : يا رسول الله سمعت دعاءك ، فأحببت أن يكون رجلا من قومي.

والتاريخ بعد ذلك يحدّثنا بأنّ أنس بقي على بغضه للإمام عليه السلام طيلة

---

١ . هذا الحديث معروف بحديث الطير ، وله طرق عديدة ومتكاثرة جدّاً عن جمع كبير من الصحابة ، منهم علي بن أبي طالب وابن عباس وسفينة وأبي سعيد الخدري وأنس وغيرهم ، وأخرجه جمع كبير من الحفّاظ والمحدّثين! فقد أخرجه الحاكم في المستدرك ٣ : ١٣٠ وقال : (صحيح على شرط الشيخين) ثمّ قال : (وقد رواه عن أنس جماعة من أصحابه زيادة على ثلاثين نفساً ، ثمّ صحّت الرواية عن علي وأبي سعيد الخدري وسفينة) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ١٢٦ وقال : (رجال الطبراني رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة) ، كما صحّح الحديث الحافظ ابن حجر العسقلاني في (أجوبة الحافظ ابن حجر عن أحاديث المصابيح) المطبوع في آخر كتاب المشكاة ٣ : ١٧١٩. وأخرجه أحمد في فضائل الصحابة ٢ : ٥٦٠ ، والترمذي في السنن ٥ : ٣٠٠ ، والبزاز في المسند ٩ : ٢٨٧ ، والطبراني في الأوسط ٢ : ٢٠٧ ، وأبو نعيم في (مسند أبي حنيفة) ١ : ٢٣٤ ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٣ : ٣٩٠ ، تاريخ دمشق ٤٢ : ٢٥٢ ، والمناقب للخوارزمي : ١١٥.

حياته ، وهو الذي استشهده عليّ يوم الرحبة بحديث الغدير ، فكتم الشهادة ودعا عليه الإمام عليه السلام فلم يقم من مجلسه إلاّ أبرص ، فكيف لا يصبح أنساً من المناوئين لعلي عليه السلام وهو يبغضه ويتقرَّب إلى أعدائه بالبراءة منه.

لكلّ ذلك جاءت روايته في خصوص البسملة تفوح بالولاء لمعاوية بن أبي سفيان إذ يقول : « صلّيت خلف النبيّ وأبي بكر وعمر وعثمان » ويعني بذلك أنّه ما كان يقبل بالصلاة وراء عليّ ، وهو بالضبط ما كان يريده معاوية وأتباعه من رفع ذكر الخلفاء الثلاثة ، وطمس ذكر علي عليه السلام وعدم التحدّث باسمه.

وبما أنّه ثبت من طريق أئمة العترة الطاهرة وشيعتهم بأنّ علياً عليه السلام كان يجهر بالبسملة في الفاتحة والسورة التي بعدها ، كما ثبت أيضاً من طريق « أهل السنّة والجماعة » بأنّه كان يبالغ في الجهر بالبسملة حتى في الصلاة السرية ، فثبت بذلك أنّها هي السنّة النبويّة الصحيحة ، فمن تركها فقد ترك الواجب وأبطل صلاته ؛ لأنّ مخالفة السنّة هو الضلال ، فما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا.

ولنا بعد هذا عدّة مآخذ على روايات الصحابة التي تخالف سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وعدّة أمثلة ذكرنا البعض منها في أبحاث سابقة ، وسنذكر البعض الآخر في أبحاث لاحقة ، والمهم في كلّ ذلك أن نعرف بأنّ « أهل السنّة والجماعة » يقتدون بأقوال وأفعال الصحابة :

أوّلا : لإيمانهم بأنّ أقوالهم وأفعالهم هي سنّة ملزمة.

ثانياً : لاشتباههم في أنّ ما قاله الصحابة وما فعلوه لا يخالف السنّة

النبويّة ؛ لأنّ الصحابة كانوا يحكمون بآرائهم وينسبون ذلك للنبي ﷺ ، حتى يتمكّنوا من التأثير في النفوس ويأمنوا معارضة المعارضين.

وإذا كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام هو المعارض الوحيد الذي حاول بكلّ جهوده في أيام خلافته إرجاع الناس للسنّة النبويّة بأقواله وأفعاله وقضائه ، ولكن بدون جدوى ؛ لأنّهم شغلوه بالحروب الطاحنة ، فلم ينتهِ من حرب إلاّ وأشعلوا له حرباً أُخرى ، ولم ينته من حرب الجمل حتى أسعروا حرب صفين ، ولم ينته من صفين حتى أشعلوا حرب النهروان ، ولم ينتهِ منها حتى اغتالوه في محراب الصلاة.

وجاء معاوية للخلافة وكان همّه الوحيد هو إطفاء نور الله ، فعمل بكلّ جهوده للقضاء على سنّة النبيّ التي أحياها الإمام عليّ عليه السلام ، وأرجع الناس لبدع الخلفاء ، وخصوصاً البدع التي سنّها هو لهم ، وعمل على سبِّ عليّ عليه السلام ولعنه حتى لا يذكره ذاكر إلاّ بما هو مشين.

يذكر المدائني أنّ بعض الصحابة جاء إلى معاوية فقال له : « يا أمير المؤمنين ، إنّ عليّاً عليه السلام مات وليس هناك شيء تخافه ، فلو رفعت هذا اللعن عنه؟ فقال معاوية : لا والله حتى يهرم عليه الكبير ويشيب عليه الصغير ». يقول المدائني : فمكثوا على ذلك (بنو أُميّة) دهراً ، وعلَّموه إلى صبيانهم في الكتاتيب ، وإلى نسائهم وخدمهم ومواليهم [1].

وقد نجح معاوية في مخطّطه نجاحاً كبيراً ، إذ أبعد الأُمّة الإسلاميّة (إلاّ

---

١ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ : ١٥٧.

القليل منها) عن وليّها وقائدها الحقيقي ، وجرَّهم إلى معاداته والبراءة منه ، وألبس لهم الباطل بالحقّ ، وجعلهم يعتقدون بأنّهم هم « أهل السنّة » ، وأنّ من والى عليّاً واتّبعه فهو خارجي وصاحب بدعة.

وإذا كان الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وما أدراك ، يُلعن فوق المنابر ويتقرَّب إلى الله بسبّه ولعنه ، فما بالك بالشيعة الذين اتبعوه ، فقد منعوا عطاءهم ، وحرّقوا عليهم ديارهم ، وصلبوهم على جذوع النخل ، ودفنوهم أحياء ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

إنّ معاوية في نظري هو حلقة من سلسلة المؤامرة الكبرى وفصل من فصولها ، ولكنّه نجح أكثر من غيره في طمس الحقائق وتقليبها ظهراً على عقب ، وأرجع الأُمّة إلى الجاهليّة الأُولى في لباس الإسلام.

وتجدر الإشارة بأنّه كان أدهى ممّن سبقه من الخلفاء ، فكان ممثلا بارعاً يجيد التمثيل ، فيبكي في بعض الأحيان حتى يؤثّر في الحاضرين ، فيعتقدون أنّه من الزهاد العباد المخلصين ، ويقسو ويتجبّر أحياناً أُخرى حتى يخيل إلى الحاضرين أنّه من أكبر الملحدين ، ويظنّ البدوي بأنّه رسول الله!

ولابدّ لإتمام البحث أن نعرف من خلال رسالة محمّد بن أبي بكر التي وجهها إليه وردّه عليها مدى مكره ودهائه ، كما سنعرف من خلال الرسالتين حقائق لا غنى للباحثين من الوقوف عليها.

كتاب محمّد بن أبي بكر إلى معاوية

من محمّد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر :

سلام على أهل طاعة الله ، ممّن هو سلم لأهل ولاية الله ، أمّا بعد :

فإنّ الله بجلاله وعظمته ، وسلطانه وقدرته ، خلق خلقه بلا عبث منه ولا ضعف في قوّته ، ولا حاجة به إلى خلقهم ، لكنّه خلقهم عبيداً وجعل منهم غوياً ورشيداً ، وشقياً وسعيداً ، ثمّ اختار على علم فاصطفى وانتخب منهم محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم ، فاختصه برسالته ، واختاره لوحيه ، وائتمنه على أمره ، وبعثه رسولا ومبشراً ونذيراً ، مصدّقاً لما بين يديه من الكتب ، ودليلا على الشرائع ، فدعا إلى سبيل أمره بالحكمة والموعظة الحسنة.

فكان أوّل من أجاب وأناب وأمن وصدق وأسلم وسلم ، أخوه وابن عمّه علي بن أبي طالب عليه السلام ، صدَّقه بالغيب المكتوم ، وآثره على كلّ حميم ، ووقاه بنفسه كلّ هول ، وواساه بنفسه في كلّ خوف ، وحارب حربه وسالم سلمه ، فلم يبرح مبتذلا لنفسه في ساعات الأزل ومقامات الروع ، حتى برز سابقاً لا نظير له في جهاده ، ولا مقارب له في فعله.

وقد رأيتك تساميه ، وأنت أنت ، وهو هو السابق المبرز في كلّ خير ، أوّل الناس إسلاماً ، وأصدق الناس نيّة ، وأفضل الناس ذريّة ، وخير الناس زوجة ، وأفضل الناس ابن عمّ ، أخوه الشاري لنفسه يوم مؤتة ، وعمّه سيّد الشهداء

يوم أحد ، وأبوه الذاب عن رسول الله ﷺ وعن حوزته ، وأنت اللعين ابن اللعين ، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله الغوائل ، وتجهدان في إطفاء نور الله ، تجمعان على ذلك الجموع ، وتبذلان فيه المال ، وتؤلّبان عليه القبائل.

على هذا مات أبوك ، وعلى ذلك خلفته ، والشاهد عليك بذلك من تدني ، ويلجأ إليك من بقية الأحزاب ، ورؤساء النفاق والشقاق لرسول الله ﷺ ، والشاهد لعليّ مع فضله المبين وسابقته القديمة أنصاره الذين معه الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن ، ففضَّلهم وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار ، فهم معه كتائب وعصائب يجالدون حوله بأسيافهم ، ويهرقون دماءهم دونه ، يرون الحقّ في اتباعه والشقاء في خلافه.

فكيف ـ يا لك الويل ـ تعدل نفسك بعليّ ، وهو وارث رسول الله ﷺ ووصيّه وأبو ولده ، وأوّل الناس له اتباعاً وأقربهم به عهداً ، يخبره بسرّه ، ويطلعه على أمره ، وأنت عدوّه وابن عدوه؟!

فتمتّع في دنياك ما استطعت بباطلك ، وليمددك ابن العاص في غوايتك ، فكأنّ أجلك قد انقضى ، وكيدك قد وهى ، وسوف يتبيّن لك لمن تكون العاقبة العليا!

واعلم أنّك إنّما تكايد ربّك الذي قد أمنت كيده ، وآيست من روحه ، وهو لك بالمرصاد ، وأنت منه في غرور. والسلام على من اتبع الهدى [1].

* * *

---

١ ـ مروج الذهب للمسعودي ٣ : ١١ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ : ١٨٨ ، أنساب الأشراف للبلاذري : ٣٩٣.

وهذه الرسالة التي كتبها محمّد بن أبي بكر فيها حقائق دامغة لكلّ باحث عن الحقيقة ، فهي تصف معاوية بأنّه ضالّ مضلّ ، وأنّه لعين ابن لعين ، وأنّه يعمل كلّ ما في وسعه لإطفاء نور الله ، ويبذل الأموال لتحريف الدين ، ويبغي لدين الله الغوائل ، وأنّه عدوّ لله ولرسوله ، ويعمل بالباطل بإعانة عمرو بن العاص.

كما وأنّ الرسالة تكشف عن فضائل ومزايا عليّ بن أبي طالب عليه السلام التي لم يسبقه إليها سابق ، ولا يلحقه إليها لاحق.

والحقّ أنّ لعليّ بن أبي طالب عليه السلام من الفضائل والمزايا أكثر ممّا عدّده محمّد بن أبي بكر بكثير ، ولكنّ الذي يهمّنا في هذا الباب هو ردّ معاوية بن أبي سفيان على هذه الرسالة ، لتعرف أيّها الباحث عن الحقيقة خفايا ودسائس التاريخ ، وتكتشف من خلالها خيوط المؤامرة التي أبعدت الخلافة عن صاحبها الشرعي ، وتسبّبت في انحراف الأُمّة ، فإليك الردّ :

ردّ معاوية على محمّد بن أبي بكر

من معاوية بن صخر إلى الزاري على أبيه محمّد بن أبي بكر.

سلام على أهل طاعة الله.

أما بعد :

فقد أتاني كتابك ، تذكر فيه ما الله أهله في عظمته وقدرته وسلطانه ، وما أصفى به رسول الله ﷺ ، مع كلام كثير ألَّفته ووضعته لرأيك فيه تضعيف ، ولأبيك فيه تعنيف.

ذكرك فيه فضل ابن أبي طالب ، وقديم سوابقه وقرابته من رسول الله ﷺ ، ونصرته له ومواساته إياه في كلّ هول وخوف ، فكان احتجاجك عليَّ وفخرك بفضل غيرك لا بفضلك ، فأحمد رباً صرف هذا الفضل عنك وجعله لغيرك.

فقد كنّا وأبوك معنا في حياة نبينا نعرف حقّ ابن أبي طالب لازماً لنا ، وفضله مبرزاً علينا ، فلمّا اختار الله لنبيّه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ما عنده ، وأتمّ له ما وعده ، وأظهر دعوته ، وأفلج حجّته ، وقبضه الله إليه ـ صلوات الله عليه ـ ؛ كان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزّه حقّه وخالفه على أمره ، على ذلك اتفقا واتسقا.

ثمّ إنّهما دعواه إلى بيعتهما فأبطأ عنهما وتلكّأ عليهما ، فهما به الهموم ، وأرادا به العظيم ، ثمّ إنّه بايعهما وسلم لهما ، وأقاما لا يشركانه في أمرهما ،

ولا يطلعانه على سرّهما ، حتى قبضهما الله ، وانقضى أمرهما ، ثمّ قام ثالثهما عثمان فهدى بهديهما وسار بسيرتهما ، فعبته أنت وصاحبك حتى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي ، فطلبتما له الغوائل حتى بلغتما فيه مناكما.

فخذ حذرك يا بن أبي بكر ، فسترى وبال أمرك ، وقس شبرك بفترك تقصر عن أن توازي أو تساوي من يزن الجبال حلمُهُ ، ولا تلين على قسر قناته ، ولا يدرك ذو مدى أناته.

أبوك مهَّد له مهاده ، وبنى ملكه وشاده ، فإن يك ما نحن فيه صواباً فأبوك أوله ، وإن يكن جوراً فأبوك استبدّ به ونحن شركاؤه ، فبهديه أخذنا وبفعله اقتدينا ، ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب ، ولسلّمنا إليه ، ولكنا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا ، فاحتذينا مثاله ، واقتدينا بفعاله ، فعبْ أباك بما بدالك أو دع ، والسلام على من أناب ورجع من غوايته وتاب [1].

* * *

ونستنتج من هذا الردّ بأنّ معاوية لا ينكر فضائل علي بن أبي طالب ومزاياه ، ولكنّه تجرّأ عليه احتذاء بأبي بكر وعمر ، ولولاهما لما استصغر شأن عليّ عليه السلام ، ولا تقدّم عليه أحد من الناس ، كما يعترف معاوية بأنّ أبا بكر هو الذي مهَّد لبني أُميّة ، وهو الذي بنى ملكهم وشاده.

ونفهم من هذه الرسالة بأنّ معاوية لم يقتدِ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يهتدِ بهديه ، عندما اعترف بأنّ عثمان هدى بهدي أبي بكر وعمر وسار بسيرتهما.

---

١ . مروج الذهب للمسعودي ٣ : ١٢ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ : ١٨٩ ، أنساب الأشراف : ٣٩٦.

وبذلك يتبيّن لنا بوضوح بأنّهم جميعاً تركوا سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم واقتدى بعضهم ببدعة بعض ، كما أنّ معاوية لم ينكر بأنّه من الضالين الذين يعملون بالباطل ، وأنّه لعين ابن لعين على لسان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم .

ولتعميم الفائدة لا بأس بذكر الرسالة التي ردَّ بها يزيد بن معاوية على ابن عمر ، وهي على اختصارها ترمي نفس المرمى.

فقد أخرج البلاذري في تاريخه قال :

لما قتل الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام ، كتب عبد الله بن عمر رسالة الى يزيد بن معاوية جاء فيها :

أمّا بعد ، فقد عظمت الرزّية ، وجلَّت المصيبة ، وحدث في الإسلام حدث عظيم ، ولا يوم كيوم قتل الحسين.

فكتب إليه يزيد :

أمّا بعد ، يا أحمق ، فإنّا جئنا إلى بيوت منجدة ، وفرش ممهدة ، ووسائد منضدة ، فقاتلنا عنها. فإن يكن الحقّ لنا فعن حقّنا قاتلنا ، وإن كان الحقّ لغيرنا فأبوك أوّل من سنَّ هذا ، واستأثر بالحقّ عليه أهله [1].

* * *

وفي ردّ معاوية على ابن أبي بكر ، كما في رد يزيد على ابن عمر ، نجد نفس المنطق ونفس الاحتجاج ، وهو لعمري أمر ضروري يقرّه الوجدان ، ويدركه كلّ عاقل ، ولا يحتاج في الحقيقة إلى شهادة معاوية وابنه يزيد.

فلولا استبداد أبي بكر وعمر على عليّ ، لما وقع ما وقع في الأُمّة

---

١ . بحار الأنوار ٤٥ : ٣٢٨ عن البلاذري.

الإسلاميّة ، ولو تمكَّن علي من الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحكم المسلمين ، لتواصلت خلافته إلى سنة أربعين للهجرة أعني ثلاثون عاماً بعد النبيّ [1] ، وهي مدّة كافية لإرساء قواعد الإسلام بكلّ أُصوله وفروعه ، ولتمكَّن عليه السلام من تطبيق كتاب الله وسنّة رسوله بدون تحريف ولا تأويل.

ولو وليها بعد وفاته سيّدا شباب أهل الجنّة الإمام الحسن والإمام الحسين ، وأولادهم المعصومين بقية الأئمة عليهم السلام ، لتواصلت خلافة الراشدين ثلاثة قرون ، ولم يكن بعدها للكافرين والمنافقين والملحدين تأثير ولا وجود ، ولكانت الأرض غير الأرض والعباد غير العباد ، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

يبقي هناك دائماً اعتراض من بعض « أهل السنّة والجماعة » على هذا الاحتمال وذلك من وجهين :

الأوّل : إنّهم يقولون بأنّ ما وقع هو الذي اختاره الله وأراده ، ولو أراد الله أن يقود المسلمين عليّ والأئمة من ولده عليهم السلام لكان ذلك ، وهم يردّدون دائماً « الخير فيما اختاره الله ».

الثاني : إنّهم يقولون : لو تولّى علي الخلافة مباشرة بعد النبيّ ، وأعقبه الحسن والحسين لأصبحت الخلافة وراثية يرثها الأبناء على الأباء ، وهذا لا يقرّه الإسلام الذي ترك الأمر شورى بين الناس.

وإجابة على ذلك ولرفع الالتباس نقول :

أوّلا : ليس هناك دليل واحد على أنّ ما وقع هو الذي اختاره الله وأراده ،

---

١ . لأنّ أبا بكر وعثمان توفّوا في حياة الإمام علي (المؤلّف).

بل الأدلّة على عكسه ثابتة في الكتاب والسنّة ، فمن الكتاب مثلا قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكات مِنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ وَلكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١).

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢).

وكذلك قوله تعالى : ﴿ مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللّهُ شَاكِراً عَلِيماً ﴾ (٣).

وقوله : ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (٤).

وكلّ هذه الآيات البيّنات تفيد بأنّ الانحراف سواء كان على مستوى الأفراد أو الجماعات أو الأُمم ، هو من عند أنفسهم وليس من عند الله.

ومن السنّة النبويّة مثلا : قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « تركت فيكم كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً » ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً » ، وقوله : « ستفترق أُمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النار إلاّ واحدة ». وكلّ هذه الأحاديث الشريفة تفيد بأنّ ضلالة الأُمّة كانت بسبب انحراف الأُمّة ، وعدم قبولها لما اختاره الله لها.

ثانياً : هب إنّ الخلافة الإسلامية كانت بالوراثة ، فليست هي الوراثة التي

---

١ . الأعراف : ٩٦.

٢ . المائدة : ٦٦.

٣ . النساء : ١٤٧.

٤ . الرعد : ١١.

يفهمونها بأن يستبد الحاكم على رعيّته ، فيولي عليهم ابنه قبل وفاته ويسمّيه ولي العهد ، ولو كان الوالد والولد فاسقين ، بل هي وراثة إلهية من اختيار ربِّ العالمين الذي لا يعزب عن علمه مثقال حبّة من خردل ، والتي تخصّ نخبة صالحة اصطفاها الله وأورثها الكتاب والحكمة لتكون للناس أئمة ، فقال : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [1].

مع أنّ قولهم بأنّ الإسلام لا يقرّ الوراثة وإنّما ترك الأمر شورى ، هو مغالطة لا يقرّها الواقع والتاريخ ، فقد وقعوا بالضبط في النظام الوارثي الممقوت ، ولم يتولّ على الأُمّة بعد علي عليه السلام إلاّ الظالمين الغاصبين الذين أورثوها لأبنائهم الفسقة رغم أنف الأُمّة.

فأيّهما الأفضل أن يتوارثها الفساق الذين يحكمون بأهوائهم ولا يخضعون إلاّ لشهواتهم؟ أو يتوارثها الأئمة الطاهرين الذين اصطفاهم الله وأذهب عنهم الرجس ، وأورثهم علم الكتاب ليحكموا بين الناس بالحق ، ويهدوهم سواء السبيل ، ويدخلوهم جنات النعيم ، من باب قول الله : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾ [2]؟

وما أظنّ العاقل يختار إلاّ الثاني إن كان من المسلمين! وما دمنا الآن نقول بالأمر الواقع ولا يفيدنا التحسّر على ما فات ، فلنعد إلى الموضوع فنقول :

---

١ . الأنبياء : ٧٣.

٢ . النمل : ١٦.

ولما دفع أبو بكر وعمر أمير المؤمنين عن منصبه في الخلافة وتقمصاها ، وصغَّرا بذلك شأن عليّ وفاطمة وأهل البيت عليهم السلام وأهانوهم ، عند ذلك سهل الأمر على معاوية ويزيد وعبد الملك بن مروان وأضرابهم أن يفعلوا ما فعلوه.

ولولا أنّهما مهَّدا لمعاوية ، ومكَّنا له في البلاد حتى بقي والياً في الشام وحدها أكثر من عشرين عاماً ولم يعزل أبداً ، ونال معاوية هيبة ، وأوطأ رقاب الناس حتى دانوا له بكلّ ما يريد ، ثمّ جعل الخلافة لابنه من بعده الذي وجد ـ كما صرّح بنفسه ـ بيوتاً منجدة ، وفرشاً ممهدة ، ووسائد منضدة ، فمن الطبيعي أن يقاتل من أجلها ، وأن يقتل ريحانة النبيّ ولا يبالي ، فقد رضع بغض أهل البيت في حليب أُمّه ميسون ، وترعرع في حجر أبيه على سبهم ولعنهم ، فلا غرابة أن يصدر منه الذي صدر أو أكثر من ذلك.

وقد اعترف بعض الشعراء بهذه الحقيقة إذ يقول :

لولا حدودٌ صوارم أمضى مضاربها الخليفة
لنشرت من أسرار آل محمّد جملا ظريفة
وأريتكم أنّ الحسين أُصيب يوم السقيفة

ويفهم الباحث المتتبّع بأنّ دولة بني أُميّة كلّها قامت بفضل أبي بكر وعمر ، وكذلك دولة بني العباس وغيرها من الدول ، ولذلك نجد هؤلاء قد بذلوا كلّ ما في وسعهم للتنويه بأبي بكر وعمر ، وخلق الفضائل لهم وإثبات أحقيتهم في الخلافة ، لأنّهم أدركوا بأنّ شرعيّتهم في الخلافة لا تتمّ إلاّ بتصحيح خلافتهما والقول بعدالتهما.

وفي المقابل نراهم جميعاً فعلوا بأهل البيت الأفاعيل لا لشيء إلاّ لأنّهم أصحاب الخلافة الشرعية ، وهم وحدهم الذين يهددون كيانهم ودولتهم.

وهذا بديهي عند العقلاء الذين عرفوا الحقّ ، وأنت ترى إلى يومنا هذا أنّ بعض الدول الإسلاميّة يحكمها ملوك ليس لهم من الفضل أو الفضيلة شيء ، سوى أنّهم أولاد ملوك وسلاطين وأُمراء ، كما كان يزيد أميراً لأنّ والده معاوية كان ملكاً وملك الأُمّة بالقوّة والقهر.

فلا يعقل أن يحبّ ملوك السعودية وأُمراؤها أهل البيت ومن تشيّع لهم.

كما لا يعقل أن يبغض ملوك السعودية وأُمراؤهم معاوية ويزيد ، وما سنّ لهم دستور ولاية العهد غيرهما ، وبدستور معاوية ويزيد وكلّ أُمراء بني أُميّة وبني العباس يستمدّ الملوك المعاصرون شرعيّتهم وبقاءهم.

ومن هنا أيضاً جاء تقديس الخلفاء الثلاثة ، وتفضيلهم والقول بعدالتهم والدفاع عنهم ، وعدم السماح بنقدهم أو التكلّم فيهم ؛ لأنّهم أساس كلّ الحكومات التي وجدت وستوجد من يوم السقيفة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ويفهم على هذا الأساس أيضاً لماذا اختاروا لأنفسهم اسم « أهل السنّة والجماعة » ، ولغيرهم اسم الروافض أو الزنادقة ؛ لأنّ عليّاً وأهل بيته عليهم السلام وشيعته رفضوا خلافتهم ولم يبايعوهم ، واحتجوا عليهم في كلّ مناسبة ، فعمل الحكّام على انتقاصهم ، وتصغير شأنهم وتحقيرهم ، وسبهم ولعنهم ، وقتلهم وتشريدهم.

وإذا لقي أهل البيت ـ الذين تعلّق أجر الرسالة في القرآن بمودّتهم ـ هذه

الإهانة وهذا التقتيل ، فلا غرابة أن يلاقي شيعتهم ومن والاهم واهتدى بهديهم كلّ تنكيل وتوهين ، وتحقير وتكفير ، ويصبح المحقّ هو المنبوذ المعادي المتروك ، ويصبح المبطل هو القدوة والسيّد المحترم الذي تجب طاعته.

فالذي والى عليّاً وشايعه هو صاحب بدعة وفتنة ، والذي والى معاوية وشايعه هو صاحب سنّة وجماعة.

والحمدُ لله الذي وهبنا من العقل ما نميّز به الحقّ من الباطل ، والنور من الظلمات ، والأبيض من الأسود ، إنّ ربّي على صراط مستقيم.

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ * وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاء وَلا الأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاء وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [1].

صدق الله العلي العظيم

---

١ . فاطر : ١٩ . ٢٢.

الصحابة عند شيعة أهل البيت

وإذا بحثنا موضوع الصحابة بتجرّد وبدون عواطف ، نجد أنّ الشيعة أنزلوهم بمنازل القرآن والسنّة النبويّة وما أوجبه العقل ، فلم يكفّروهم بمجموعهم كما فعل الغلاة ، ولم يقولوا بعدالتهم جميعاً كما فعل « أهل السنّة والجماعة ».

يقول الإمام شرف الدين الموسوي في هذا الموضوع : « إنّ من وقف على رأينا في الصحابة علم أنّه أوسط الآراء ، إذ لم نفرّط فيه تفريط الغلاة الذين كفَّروهم جميعاً ، ولا أفرطنا إفراط الجمهور الذين وثّقوهم جميعاً ، فإنّ الكاملية ومن كان في الغلو على شاكلتهم قالوا بكفر الصحابة كافّة ، وقال « أهل السنّة » بعدالة كلّ فرد ممّن سمع النبيّ أو رآه من المسلمين مطلقاً ، واحتجوا بحديث (كلّ من دبَّ أو درج منهم أجمعين أكتعين).

أمّا نحن وإن كانت الصحبة بمجرّدها عندنا فضيلة جليلة ، لكنّها بما هي من حيث هي غير عاصمة ، فالصحابة كغيرهم من الرجال فيهم العدول وهم عظماؤهم وعلماؤهم ، وفيهم البغاة ، وفيهم أهل الجرائم من المنافقين ، وفيهم مجهول الحال ، فنحن نحتجّ بعدولهم ، ونتولاهم في الدنيا والآخرة.

أما البغاة على الوصي وأخي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وسائر أهل الجرائم ، كابن هند ، وابن النابغة ، وابن الزرقاء ، وابن عقبة ، وابن أرطأة وأمثالهم ، فلا كرامة لهم ولا وزن لحديثهم ، ومجهول الحال نتوقّف فيه حتى نتبيّن أمره.

هذا رأينا في حملة الحديث من الصحابة ، والكتاب والسنّة هما بيِّنتنا على هذا الرأي ، كما هو مفصّل في مظانّه من أُصول الفقه ، لكنّ الجمهور بالغوا في تقديس كلّ من يسمّونه صحابياً حتى خرجوا عن الاعتدال ، فاحتجّوا بالغثّ منهم والسمين ، واقتدوا بكلّ مسلم سمع من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أو رآه اقتداءً أعمى ، وأنكروا على من يخالفهم في هذا الغلو ، وخرجوا في الإنكار على كلّ الحدود.

وما أشدّ إنكارهم علينا حين يروننا نردّ حديث كثير من الصحابة مصرّحين بجرحهم ، أو بكونهم مجهولي الحال ، عملا بالواجب الشرعي في تمحيص الحقائق الدينية ، والبحث عن الصحيح من الآثار النبويّة.

وبهذا ظنّوا الظنون ، فاتهمونا بما اتهمونا رجماً بالغيب ، وتهافتاً على الجهل ، ولو ثابت إليهم أحلامهم ، ورجعوا إلى قواعد العلم ؛ لعلموا أنّ أصالة العدالة في الصحابة ممّا لا دليل عليها ، ولو تدبّروا القرآن الحكيم لوجدوه مشحوناً بذكر المنافقين منهم ، وحسبك منه سورة التوبة والأحزاب ... » [1] إنتهى كلام شرف الدين.

ويقول الدكتور حامد حفني داود ، أُستاذ كرسي الأدب العربي ، ورئيس قسم اللغة العربية بجامعة عين شمس بالقاهرة : » أمّا الشيعة فيرون أنّ الصحابة كغيرهم تماماً ، لا فرق بينهم وبين من جاء بعدهم من المسلمين إلى يوم القيامة ، وذلك من حيث خضوعهم لميزان واحد هو ميزان العدالة الذي توزن به أفعال الصحابة ، كما توزن به أفعال من جاء بعدهم من الأجيال ،

---

١ . أجوبة مسائل جار الله : ١٤.

وأنّ الصحبة لا تُعطي لصاحبها منقبة إلاّ إذا كان أهلا لهذه المنقبة ، وكان لديه الاستعداد للقيام برسالة صاحب الشريعة صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنّ منهم المعصومين كالأئمة الذين نعموا بصحبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كعلي وابنيه عليهما السلام .

ومنهم العدول ، وهم الذين أحسنوا الصحبة لعلي بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى.

ومنهم المجتهد المصيب ، ومنهم المجتهد المخطئ ، ومنهم الفاسق ، ومنهم الزنديق وهو أقبح من الفاسق وأشدّ نكالا ، ويدخل في دائرة الزنديق المنافقون والذين يعبدون الله على حرف ، كما أنّ منهم الكفّار ، وهم الذين لم يتوبوا من نفاقهم والذين ارتدّوا بعد الإسلام.

ومعنى هذا أنّ الشيعة ـ وهم شطر عظيم من أهل القبلة ـ يضعون جميع المسلمين في ميزان واحد ، ولا يفرّقون بين صحابي وتابعي ومتأخّر ، وأنّ الصحبة في ذاتها ليست حصانة يتحصّن بها من درجة الاعتقاد.

وعلى هذا الأساس المتين أباحوا لأنفسهم ـ اجتهاداً ـ نقد الصحابة ، والبحث في درجة عدالتهم ، كما أباحوا لأنفسهم الطعن في نفر من الصحابة أخلّوا بشروط الصحبة ، وحادوا عن محبة آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم .

كيف لا ، وقد قال الرسول الأعظم : « إنّي تاركٌ فيكم ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا ؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ».

وعلى أساس من هذا الحديث ونحوه ، يرون أنّ كثيراً من الصحابة خالفوا هذا الحديث باضطهادهم لآل محمّد ، ولعنهم لبعض أفراد هذه العترة ،

ومن ثمّ فكيف يستقيم لهؤلاء المخالفين شرف الصحبة ، وكيف يوسموا بسمة العدالة؟!

ذلك هو خلاصة رأي الشيعة في نفي صفة العدالة عن بعض الصحابة ، وتلك هي الأسباب العلميّة الواقعيّة التي بنوا عليها حججهم «.

هذا ويعترف الدكتور حامد حفني داود في موضع آخر بأنّ نقد الصحابة وتجريحهم ليس هو بدعاً من الشيعة وحدهم ، إذ يقول : » وقديماً تعرَّض لها المعتزلة فيما تعرّضوا له من مسائل العقيدة ، ولم يكتفوا في ما تعرّضوا له بعامّة الصحابة بل تعرّضوا للخلفاء أنفسهم ، وكان لهم في ذلك خصوم ومؤيّدون.

وقد كان موضوع نقد الصحابة قاصراً في القرون الأُولى على الراسخين في العلم ، وبخاصة علماء المعتزلة ، وسبقهم في هذا الاتجاه رؤوس الشيعة وزعماؤهم المتعصبين لآل محمّد.

وسبق أن أشرت في غير هذا الموضع أنّ علماء الكلام وشيوخ المعتزلة كانوا عالة على زعماء الشيعة منذ القرن الهجري الأوّل ، وعليه فقضيّة نقد الصحابة إنّما هي وليدة التشيّع لآل محمّد ، ولكنّها كانت وليدة التشيّع لا لذات التشيّع ، بل لأنّ المتشيّعين لآل محمّد عرفوا بتبحّرهم في علوم العقائد بسبب ما نهلوا من موارد أئمة آل البيت ، وهم المصدر الأصيل والمعين الفياض الذي نهلت منه الثقافات الإسلامية منذ صدر الإسلام إلى اليوم » [1].

---

١ .كتاب الصحابة في نظر الشيعة الإمامية لأسد حيدر ، تقديم الدكتور حامد حفني : ٧ وما بعدها.

انتهى كلام الدكتور حامد داود.

وأنا أعتقد بأنّ الباحث عن الحقيقة لابدّ له من فتح باب النقد والتجريح ، وإلاّ سيبقى محجوباً عنها ، بالضبط «كأهل السنّة والجماعة » الذين بالغوا في القول بعدالة الصحابة وعدم البحث في أحوالهم ، فبقوا بعيدين عن الحقّ إلى يومنا هذا.

الصحابة عند « أهل السنّة والجماعة »

أمّا « أهل السنّة والجماعة » فقد بالغوا في تنزيه الصحابة ، والقول بعدالتهم جميعاً بدون استثناء ، وخرجوا بذلك على حدود العقل والنقل عندما أنكروا على من ينتقد أحداً منهم ، أو يقول بعدم عدالته فضلا عن تفسيقهم ، وإليك طرفاً من أقوالهم لتعرف بُعدهم عن مفاهيم القرآن ، وما ثبت في السنّة النبويّة الصحيحة ، وما أثبته العقل والوجدان :

هذا الإمام النووي يقول في شرح صحيح مسلم : « إنّ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كلهم هم صفوة الناس وسادات الأُمّة ، وأفضل ممّن بعدهم ، وكلّهم عدول قدوة لا نخالة فيهم ، وإنّما جاء التخليط ممّن بعدهم ، وفيمن بعدهم كانت النخالة » [1].

وهذا يحيى بن معين يقول : « كلّ من شتم عثمان أو طلحة أو أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ دجّال لا يكتَب عنه ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » [2].

وهذا الذهبي يقول : « من الكبائر سبُّ أحد من الصحابة ، فمن طعن فيهم أو سبّهم ، فقد خرج من الدين ومرق من ملّة المسلمين » [3].

---

١ ـ شرح النووي على مسلم ١٢ : ٢١٦.

٢ ـ تهذيب التهذيب ١ : ٤٤٧ ، تاريخ بغداد ٧ : ١٤٥.

٣ ـ الكبائر للذهبي : ٢٣٦ ـ ٢٣٧ (الكبيرة السبعون في سب الصحابة).

وسُئل القاضي أبو يعلى عمّن شتم أبا بكر؟ فقال : كافر ، قيل : فيصلّى عليه؟ قال : لا ، فقيل : كيف يصنع به وهو يشهد أن لا إله إلاّ الله؟ قال : لا تمسّوه بأيديكم ، ادفعوه بالخشب حتى تواروه في حفرته [1].

ويقول الإمام أحمد بن حنبل : « خير الأُمّة بعد النبيّ ﷺ أبو بكر ، وعمر بعد أبي بكر ، وعثمان بعد عمر ، وعليّ بعد عثمان ، وهم خلفاء راشدون مهديّون ، ثمّ أصحاب رسول الله ﷺ بعد هؤلاء الأربعة خير الناس ، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم ، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص ، فمن فعل ذلك فقد وجب تأديبه وعقوبته ليس له أن يعفو عنه ، بل يعاقبه ويستتيبه ، فإن تاب قُبل منه ، وإن ثبت أعاد عليه العقوبة وخلَّده في الحبس حتى يموت أو يُراجع » [2].

وقال الشيخ علاء الدين الطرابلسي الحنفي : « من شتم أحداً من أصحاب النبيّ ﷺ أبا بكر أو عمر أو عثمان أو علياً أو معاوية أو عمرو بن العاص ، فإن قال : كانوا على ضلال وكفر قُتل ، وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكّل نكالا شديداً [3].

وينقل الدكتور حامد حفني داود أقوال « أهل السنّة والجماعة » باختصار ، فيقول : « يرى أهل السنّة أنّ الصحابة كلّهم عدول ، وأنّهم جميعاً مشتركون في العدالة وإن اختلفوا في درجاتها ، وأنّ من كفَّر صحابياً فهو كافر ، ومن

---

١ ـ الصارم المسلول : ٥٧٠.

٢ ـ راجع الغدير ١٠ : ٢٦٨.

٣ ـ معين الحكّام فيما يتردّد بين الخصمين من الأحكام : ٢٢٨ ، عنه الغدير ١٠ : ٢٩٨.

فسَّقه فهو فاسق ، وأنّ من طعن في صحابي فكأنّما طعن على رسول الله ﷺ .

ويرى جهابذة أهل السنّة أيضاً أنّه يجوز الخوض في ما جرى بين علي (رضي الله عنه) ومعاوية من أحداث التاريخ.

وأنّ من الصحابة من اجتهد وأصاب وهو علي ومن نحا نحوه ، وأنّ منهم من اجتهد وأخطأ مثل معاوية وعائشة (رضي الله عنها) ومن نحا نحوهما ، وأنّه ينبغي . في نظر أهل السنّة . الوقوف والإمساك عند هذا الحكم دون التعرّض لذكر المثالب.

ونهوا عن سب معاوية باعتباره صحابياً ، وشدّدوا النكير على من سبَّ عائشة باعتبارها أُمّ المؤمنين الثانية بعد خديجة ، وباعتبارها حبّ رسول الله.

وما زاد على ذلك فينبغي ترك الخوض فيه ، وإرجاء أمره إلى الله سبحانه ، وفي ذلك يقول الحسن البصري وسعيد بن المسيب : « تلك أُمور طهَّر الله منها أيدينا وسيوفنا فلنطهّر منها ألسنتنا ».

هذه خلاصة آراء أهل السنّة في عدالة الصحابة ، وفي ما ينبغي أن نقف منهم » [1].

انتهى كلامه.

وإذا أراد الباحث أن يتوسّع في معرفة الصحابة ، ومَن المقصودون بهذا المصطلح على رأي « أهل السنّة والجماعة » ، فسيدرك بأنّهم يعطون هذا الوسام الشرفي لكلّ من رأى النبيّ!

---

١ . الصحابة في نظر الشيعة الإمامية لأسد حيدر ، تقديم حامد حفني : ٨ . ٩.

يقول البخاري في صحيحه : « من صحب رسول الله ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه » [1].

ويقول أحمد بن حنبل : « أفضل الناس بعد صحابة الرسول من البدريين كلّ من صحبه سنة أو شهراً أو يوماً ، أو رآه ، وله من الصحبة على قدر ما صحبه » [2].

وقال ابن حجر في كتاب « الإصابة في تمييز الصحابة » : « كلّ من روى عن النبيّ حديثاً أو كلمة ، أو رآه وهو مؤمن به فهو من الصحابة ، ومن لقي النبيّ مؤمناً به ومات على الإسلام ، طالت مجالسته معه أو قصرت ، روى عنه أو لم يروِ ، غزا أو لم يغزُ ، من رآه ولم يجالسه ومن لم يره لعارض » [3].

والأغلبية الساحقة من « أهل السنّة والجماعة » يرون هذا الرأي ، ويعدّون من الصحابة كلّ من رأى النبيّ ﷺ أو وُلد في حياته وإن لم يدرك ولم يعقل ، وليس أدلّ على ذلك من عدهم محمّد بن أبي بكر من الصحابة ، وقد توفّي رسول الله ﷺ ولمحمّد بن أبي بكر من العمر ثلاثة أشهر فقط.

ولذلك نرى ابن سعد يقسّم الصحابة إلى خمس طبقات في كتابه المشهور بطبقات ابن سعد.

وهذا الحاكم النيسابوري صاحب كتاب « المستدرك » يجعلهم اثنتي عشرة طبقة كالآتي :

---

١ ـ صحيح البخاري ٤ : ١٨٨ (كتاب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ ، الباب الأول).

٢ ـ الكفاية للخطيب البغدادي : ٦٩.

٣ ـ الإصابة لابن حجر ١ : ١٥٨.

الطبقة الأُولى : هم الذين أسلموا بمكّة قبل الهجرة كالخلفاء الراشدين.

الطبقة الثانية : هم الذين حضروا دار الندوة.

الطبقة الثالثة : هم الذين هاجروا إلى الحبشة.

الطبقة الرابعة : هم الذين حضروا العقبة الأُولى.

الطبقة الخامسة : هم الذين حضروا العقبة الثانية.

الطبقة السادسة : هم الذين هاجروا للمدينة بعد هجرة الرسول إليها.

الطبقة السابعة : هم الذين شهدوا بدراً.

الطبقة الثامنة : هم الذين هاجروا بعد بدر وقبل الحديبية.

الطبقة التاسعة : هم الذين شهدوا بيعة الرضوان.

الطبقة العاشرة : هم الذين هاجروا بعد الحديبية وقبل فتح مكّة ، أمثال خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهم.

الطبقة الحادية عشر : هم الذين سمّاهم النبيّ ﷺ بالطلقاء.

الطلقة الثانية عشر : هم صبيان وأطفال الصحابة الذين ولدوا في حياة النبيّ ﷺ أمثال محمّد بن أبي بكر.

« فأهل السنّة والجماعة » متّفقون على عدالة الصحابة أجمعين ، والمذاهب الأربعة يقبلون رواياتهم بدون تردّد ، ولا يسمحون بنقدها ولا الطعن فيها.

وناهيك أنّ رجال الجرح والتعديل الذين أخذوا على أنفسهم نقد المحدّثين والرواة لفرز الأحاديث وتنقيتها ، ولكنّهم إذا وصلوا إلى الصحابي مهما كانت طبقته ومهما كان عمره عند وفاة النبيّ ﷺ ، فهم يتوقّفون عند

ذلك ولا يطعنون بروايته ، مهما أُثير حولها من شبهات ومهما تعارضت مع العقل والنقل ، ويقولون بأنّ الصحابة لا يخضعون للنقد والتجريح وكلّهم عدول!

وهذا لعمري تكلّف ظاهر ينفر منه العقل ، ويشمئز منه الطبع ، ولا يقرّه العلم ، ولا أعتقد بأنّ المثقّفين من الشباب يقبلون هذه البدع المضحكة.

ولست أدري ولا أحد يدري من أين استمدّ « أهل السنّة والجماعة » هذه الأفكار الغريبة عن روح الإسلام الذي قام على الدليل العلمي والحجّة البالغة ، وليتني أعلم ، وليت واحداً منهم يقنعني بدليل واحد من كتاب أو سنّة أو منطق على عدالة الصحابة المزعومة!

ولكنّنا بحمد الله عرفنا اللغز من تلك الآراء المزيفة ، وسنشرحها في الفصل القادم ، فعلى الباحثين أن يكتشفوا بدورهم بعض الأسرار التي مازالت تنتظر الجرأة والشجاعة.

فصل الخطاب في تقييم الأصحاب

لا شكّ أنّ الصحابة بشر غير معصومين عن الخطأ ، وهم كسائر الناس العاديين يجب عليهم ما يجب على كلّ الناس ، ويحقّ لهم ما يحقّ لكلّ الناس ، وإنّما لهم فضل الصحبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا احترموها ورعوها حقّ رعايتها ، وإلاّ فإنّ العذاب يكون مضاعفاً ؛ لأنّ عدل الله سبحانه اقتضى أن لا يعذّب البعيد القاصي كالقريب الداني ، فليس الذي سمع من النبيّ مباشرة ، ورأى نور النبوة ، وشهد المعجزات ، وتيقّن منها وحظي بتعاليم النبيّ نفسه ، كمن عاش في زمن ما بعد النبيّ لم يره ولم يسمع منه مباشرة.

والعقل والوجدان يفضّلان رجلاً يعيش في زماننا ، ويقيم على احترام الكتاب والسنّة وتنفيذ تعاليمهما ، على صحابي عاش مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبه ، ولما يدخل الإيمان في قلبه وأسلم استسلاماً ، أو صاحبه على البرّ والتقوى طيلة حياته ولكنّه ارتدّ وانقلب بعد وفاته.

وهذا ما يقرّره كتاب الله وسنّة رسوله إضافة للعقل والوجدان ، وكلّ من له دراية بالقرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة ، لا يرتاب في هذه الحقيقة ولا يجد عنها محيصاً.

ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ **يَا نِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَة مُبَيِّنَة يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً** ﴾ [1].

---

١ . الأحزاب : ٣٠.

فالصحابة فيهم المؤمن الذي استكمل إيمانه ، وفيهم ضعيف الإيمان ، وفيهم الذي لم يدخل الإيمان قلبه ، وفيهم التقي الزاهد ، وفيهم المتهوّر الذي لا يعرف غير مصلحته ، وفيهم العادل الكريم ، وفيهم الظالم اللئيم ، وفيهم أهل الحقّ المؤمنين ، وفيهم البغاة الفاسقون ، وفيهم العلماء العاملون ، وفيهم الجهلة المبتدعون ، وفيهم المخلصون ، وفيهم المنافقون والناكثون والمارقون والمرتدون.

وإذا كان القرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة والتاريخ أقروا هذه الأُمور ، وأوضحوها بأجلى بيان ، فيصبح قول « السنّة والجماعة » بأنّ الصحابة كلّهم عدول قولا هراء لا عبرة به ولا قيمة ؛ لأنّه يعارض القرآن والسنّة ، ويعارض التاريخ والعقل والوجدان ، فهو محض التعصّب ، وهو قول بلا دليل وكلام بلا منطق.

وقد يتعجّب الباحث في هذه الأُمور من عقليّة « أهل السنّة والجماعة » الذين يخالفون العقل والنقل والتاريخ.

ولكن عندما يقرأ الباحث الأدوار التي لعبها الأمويون ، وكذلك الأساليب التي اتبعها العباسيون لتركيز هذه العقيدة ، أعني احترام الصحابة وعدم انتقادهم والقول بعدالتهم يزول عجبه ، ولا يساوره أدنى شكّ في أنّهم إنّما منعوا الحديث في الصحابة ؛ لكيلا يصل إليهم النقد والتجريح لأفعالهم الشنيعة التي ارتكبوها تجاه الإسلام ونبي الإسلام والأُمّة الإسلامية.

وإذا كان أبو سفيان ، ومعاوية ، ويزيد ، وعمرو بن العاص ، ومروان بن الحكم ، والمغيرة بن شعبة ، وبسر بن أرطأة ، كلّهم من الصحابة ، وقد تولّوا

أمارة المؤمنين وحكموهم ، فكيف لا يمنعون الخوض في نقد الصحابة ، وكيف لا يختلقون لهم روايات مكذوبة تقول بعدالتهم جميعاً لكي تشملهم تلك الفضائل ، ولا يتجرّأ أحد على نقدهم أو ذكر أفعالهم.

ومن يفعل ذلك من المسلمين يسمّوه كافراً وزنديقاً ، ويُفتوا بقتله وعدم تغسيله وتكفينه ، وإنّما يدفع بخشبة حتى يوارى في حفرته ـ كما تقدّم ذكره ـ ، وكانوا إذا أرادوا قتل الشيعة اتهموهم بسبّ الصحابة ، ومعنى سب الصحابة عندهم هو نقدهم وتجريحهم في ما فعلوه ، وهذا وحده يكفي للقتل والتنكيل.

بل وصل الحدّ إلى أبعد من ذلك ، ويكفي أن يتساءل أحد عن مفهوم الحديث حتى يلاقي حتفه ، فإليك الدليل :

أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه قال : ذكر عند هارون الرشيد حديث أبي هريرة : إن موسى لقي آدم فقال له : أنت آدم الذي أخرجتنا من الجنّة؟ فقال رجل قرشي كان في المجلس : أين لقي آدم موسى؟! فغضب الرشيد وقال : النطع والسيف ، زنديق يطعن في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [1].

وإذا كان هذا الرجل بلا شكّ من الأعيان ؛ لأنّه يحضر مجلس الرشيد يلاقي الموت بقطع رأسه بالسيف ، لمجرّد تساؤله عن المكان الذي لقي فيه آدم موسى ؛ فلا تسأل عن الشيعي الذي يقول بأنّ أبا هريرة كذّاب ، استناداً لتكذيب الصحابة له وعلى رأسهم عمر بن الخطّاب.

ومن هنا يفهم الباحث كلّ التناقضات التي جاءت في الأحاديث ،

---

١ ـ تاريخ بغداد ١٤ : ٨ ، سير أعلام النبلاء ٩ : ٢٨٨.

والمنكرات والمستحيلات والكفر الصريح ، ومع ذلك سجّلت بأنّها صحيحة ، وأُلبست ثوب القداسة والتنزيه.

كلّ ذلك لأنّ النقد والتجريح كانا ممنوعين ويجران إلى الموت والهلاك ، بل إنّ الذي يتساءل عن بعض المعاني ليصل إلى الحقيقة ويشمُّ منه رائحة التفتيش والتنقيب فهو مقتول لا محالة ، ليكون مثالا لغيره ، فلا يجرؤ أحد بعده أن يتكلّم.

وقد موَّهوا على الناس بأنّ الذي يطعن في حديث أبي هريرة أو أحد الصحابة حتى العاديين منهم ، بأنّه طعن على رسول الله ﷺ ، وبذلك وضعوا هالة على الأحاديث الموضوعة التي اختلقها بعض الصحابة بعد النبيّ ﷺ فأصبحت من المسلّمات.

وكنت كثيراً ما احتجّ على بعض علمائنا بأنّ الصحابة لم يكن عندهم هذا التقديس ، بل كانوا أنفسهم يشكّكون في حديث بعضهم إذا تعارض حديثه بما يخالف القرآن ، وبأنّ عمر بن الخطّاب ضرب أبا هريرة بالدرّة ونهاه عن الحديث واتهمه بالكذب ، إلى غير ذلك ، فكانوا يردّون علي دائماً بأنّ الصحابة من حقّهم أن يقولوا في بعضهم ما شاؤوا ، أمّا نحن فلسنا في مستواهم حتى نرّد عليهم أو ننتقدهم.

أقول : يا عباد الله ، إنّهم تقاتَلوا وكفَّر بعضهم بعضاً وقتل بعضهم بعضاً؟!

يقولون : كلّهم مجتهدون ، للمصيب منهم أجران وللمخطئ أجر واحد ، وليس لنا نحن أن نخوض في شؤونهم.

ومن المؤكّد أنّ هؤلاء ورثوا هذه العقيدة من آبائهم وأجدادهم سلفاً عن خلف ، فهم يردّدونها ترديد الببغاء بدون تدبّر ولا تمحيص.

وإذا كان إمامهم الغزالي نفسه قد اتخذ هذا الرأي وبثّه في الناس ، فأصبح بذلك حجّة الإسلام والمسلمين ، فقد قال في كتابه « المستصفى » : « والذي عليه السلف وجماهير الخلف أنّ عدالة الصحابة معلومة بتعديل الله عزّ وجلّ إياهم وثنائه عليهم في كتابه ، وهو معتقدنا فيهم » [1].

وأنا أتعجّب من الغزالي ومن « أهل السنّة والجماعة » عموماً على استدلالهم بالقرآن على عدالة الصحابة ، وليس في القرآن آية واحدة تدلّ على ذلك ، بل في القرآن آيات كثيرة تنفي عدالتهم ، وتفضح سرائرهم وتكشف نفاقهم.

وقد أفردنا فصلا كاملا لهذا الموضوع في كتابنا « فاسألوا أهل الذكر » من صفحة ١١٣ إلى صفحة ١٧٢ ، فمن أراد مزيد البحث والوقوف على تلك الحقائق ، فليرجع للكتاب المذكور ليعرف قول الله وقول الرسول فيهم.

ولكي يعرف الباحث بأنّ الصحابة لم يكونوا يحلمون يوماً بالمنزلة التي اخترعها لهم « أهل السنّة والجماعة » ، فما عليه إلاّ قراءة كتب الحديث ، وكتب التاريخ التي طفحت بأفعالهم الشنيعة وتكفير بعضهم ، وكيف أنّ الكثير منهم كان يشكّ في نفسه إن كان من المنافقين.

فها هو البخاري يخرج في صحيح بأنّ ابن مليكة أدرك ثلاثين من أصحاب النبيّ ﷺ كلّهم يخاف النفاق على نفسه ، وما منهم أحد يقول : إنّه على إيمان جبرئيل [2].

---

١ . المستصفى : ١٣٠.

٢ . صحيح البخاري ١ : ١٧ (كتاب الإيمان ، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله).

وها هو الغزالي نفسه يخرج في كتابه بأنّ عمر بن الخطّاب كان يسأل حذيفة بن اليمان إن كان رسول الله سمّاه في جملة المنافقين الذين أعلمه بأسمائهم [1].

ولا عبرة لقول من يقول بأنّ المنافقين ليسوا من الصحابة ، إذا عرفنا أنّ المصطلح الذي اتفقوا عليه هو ما سمعناه آنفاً أنّ كلّ من رأى رسول الله مؤمناً به فهو صحابي حتى لو لم يجالسه.

وقولهم : مؤمناً به ، فيه أيضاً تكلّف ؛ لأنّ كلّ الذين صاحبوا النبيّ نطقوا بالشهادتين [2] ، وقبل النبيّ ﷺ منهم ذلك الإسلام الظاهري وقال : « أمرتُ

---

١ ـ إحياء علوم الدّين للغزالي ١ : ١١٤ ، (كتاب العلم ، الباب السادس في آفات العلم).

٢ ـ التعريف الذي ذكره للصحابي وهو من رأى النبيّ ﷺ مؤمناً به وإن كان لا يشمل المنافقين ويخرجهم من الصحبة ، لكنّه تعريف بلا دليل ومستند يستند عليه ، وذلك لأنّ النبيّ ﷺ قد أطلق لفظ الصحبة على المنافقين ، فأطلق على عبد الله بن أُبي بأنّه صاحبي وعلى ذو الخويصرة كذلك أنّه من أصحابي ، فعليه استعمال النبيّ ﷺ للفظ الصحبة عامّ يشمل المنافقين منهم وغير المنافقين ، فتعريف الصحبة بتعريف لا يشمل المنافقين مخالف للسنّة النبويّة والأحاديث الشريفة المستعملة للفظ الصحبة في الأعمّ من ذلك.

إن قلت : إنّ هذا التعريف اصطلاح خاصّ يستعمله المحدّثون فيما بينهم ويصطلحون عليه.

قلت : الاصطلاح على شيء لا بأس به ، لكنّه في هذا الاصطلاح الخاصّ الذي يستخدمه المحدّثون وغيرهم إيهام وتغرير للقارئ ، حيث إنّهم يستخدمون لفظ الصحابة في خصوص غير المنافقين منهم ، ثمّ بعد ذلك يحكمون بعدالة عموم الصحابة بما يشمل المنافقين وغيرهم ، وهذا تغرير بالقارئ وإخفاء للحقيقة.

أن أحكم بالظاهر والله يتولّى السرائر »[1] ولم يقل في حياته لواحد منهم :

ثمّ إنّ هناك صحابة في قلوبهم مرض وفي نفوسهم ريب كما صرّح القرآن بذلك ؛ وصدع به في أكثر من مكان ومورد ، فقال مخاطباً زواجات النبيّ ﷺ في سورة الأحزاب ٣٢ : ﴿ يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَد مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلا مَعْرُوفاً ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلاء دِينُهُمْ ﴾ الأنفال ٤٩ ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً ﴾ الأحزاب ١٢ ، وقال تعالى : ﴿ لَئِنْ لَمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾ الأحزاب ٦٠ ، إلى غير ذلك من الآيات المصرّحة بوجود أناس من الصحابة ليسوا بالقليلين مرضى القلوب والنفوس ، وأنّ الإيمان لم يخالط قلوبهم ونفوسهم ، وأنّ هؤلاء كانوا يتربّصون بالمؤمنين الدوائر وكانوا يتّهمون الرسول ﷺ ويطعنون فيه ، وأن الله سبحانه وتعالى حذّرهم ووعدهم في كثير من آياته ، وحذّر النبيّ ﷺ منهم ومن تصرّفاتهم ، فبعد ذلك لا يستطيع مكابر أن ينكر ذلك ويقول بأنّ الصحابة كلّهم عدول وكلهم مؤمنين وأنّ المنافقين ليسوا منهم.

فنقول : سلّمنا بخروج المنافقين من الصحابة ، لكن مرضى القلوب من الصحابة وداخلين فيهم ، وهؤلاء نرى ذمّهم وتوبيخهم ووعيد الله عليهم في آيات كثيرة من القرآن الكريم ، فبعد ذلك لا يمكن القول بعدالة هؤلاء أيضاً ، وللتوسّع أكثر يرجع إلى كتاب الصحبة والصحابة بين الإطلاق اللغوي والتقييد الشرعي للكاتب السلفي حسن فرحان المالكي ، فقد بحث المسألة بشكل مفصّل.

١ ـ فتح المعين ، الميباري الهندي ٤ : ٢٧٢ ، كشف الخفاء للعجلوني ١ : ١٩٢ وقال : « قال في اللآلئ : هو غير ثابت بهذا اللفظ ، ولعلّه مروي بالمعنى من أحاديث صحيحة ذكرتها في الأقضية من الذهب الابريز. وقال في المقاصد : اشتهر بين الأُصوليين والفقهاء ، بل وقع في شرح مسلم للنووي في قوله (صلى الله عليه وسلم) : إنّي لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشقّ بطونهم ما نصّه : معناه أنّي أُمرت بالحكم بالظاهر والله يتولّى السرائر كما قال النبيّ ﷺ ».

أنت منافق فلا أقبل منك إسلامك!

ولذلك أيضاً نجد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يسمّي المنافقين ـ بـ « أصحابي » ـ وهو يعلم نفاقهم ، وإليك الدليل :

أخرج البخاري بأنّ عمر بن الخطّاب طلب من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يضرب عنق عبدالله بن أُبيّ المنافق فقال : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق! فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « دعه لا يتحدّث الناس بأنّ محمّداً يقتل أصحابه » [1].

وقد يحاول بعض العلماء من « أهل السنّة والجماعة » إقناعنا بأنّ المنافقين كانوا معروفين فلا نخلطهم بالصحابة ، وهذا أمر مستحيل لا سبيل إليه ، بل المنافقون هم من جملة الصحابة الذين لا يعلم خفاياهم إلاّ الله سبحانه ، وقد كانوا يصلّون ويصومون ويعبدون الله ، ويتقرَّبون إلى النبيّ بكلّ الوسائل ، وإليك الدليل :

أخرج البخاري في صحيحه بأنّ عمر بن الخطّاب طلب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرّة أُخرى أن يأذن به بضرب عنق ذي الخويصرة عندما قال للنبي : أعدل! ولكنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لعمر : « دعه فإنّ له أصحاباً يحقّر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » [2].

---

١ ـ صحيح البخاري ٦ : ٦٥ ، (كتاب فضائل القرآن ، سورة المنافقين).

٢ ـ صحيح البخاري ٤ : ١٧٩ (كتاب بدء الخلق ، باب كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم تنام عينه ولا ينام قلبه) ، صحيح مسلم ٣ : ١١٢ (كتاب الزكاة ، باب ذكر الخوارج وصفاتهم).

ولست مبالغاً إذا قلت بأنّ أكثريّة الصحابة لم يكونوا بعيدين عن النفاق بما قرّره كتاب الله في العديد من الآيات ، وبما قرّره رسول الله في العديد من الأحاديث.

فمن كتاب الله قوله تعالى : ﴿ بَلْ جَاءهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ [1].

وقوله : ﴿ الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً ﴾ [2].

وقوله : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ ﴾ [3].

وقوله : ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ﴾ [4].

وتجدر الإشارة بأنّ بعض العلماء من « أهل السنّة والجماعة » يحاولون جهدهم تغطية الحقائق ، فيفسّرون « الأعراب » بأنّهم ليسوا من الصحابة ، وإنّما هم سكان البادية من أطراف الجزيرة العربية.

ولكنّنا وجدنا عمر بن الخطّاب عندما أشرف على الموت أوصى إلى الخليفة من بعده قائلا : وأُوصيه بالأعراب خيراً فإنّهم أصل العرب ومادة الإسلام [5].

فإذا كان أهل العرب ومادة الإسلام هم أشدّ كفراً ونفاقاً ، وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليهم حكيم ، فلا قيمة لقول « أهل السنّة والجماعة » بأنّ الصحابة كلّهم عدول.

---

١ . المؤمنون : ٧٠.

٢ . التوبة : ٩٧.

٣ . التوبة : ١٠١.

٤ . التوبة : ١٠١.

٥ . صحيح البخاري ٤ : ٢٠٦ (كتاب المناقب ، باب مناقب المهاجرين).

ولمزيد البيان ، وحتى يتحقّق الباحث بأنّ الأعراب هم أنفسهم عامة الصحابة ، فقد جاء في القرآن الكريم بعد ذكر الأعراب أشدّ كفراً ونفاقاً ، قال سبحانه : ﴿ **وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [1].

أمّا ما قرّره رسول الله ﷺ في السنّة النبوية الشريفة فقوله : « يؤخذ بأصحابي إلى النار ، فأقول : يا ربِّ هؤلاء أصحابي! فيقال : إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : سحقاً لمن بدل بعدي ولا أراه يخلص منهم إلاّ مثل همل النعم » [2].

إلى أحاديث أُخرى كثيرة ضربنا عنها صفحاً من أجل الاختصار ، وليس هدفنا البحث في حياة الصحابة لكي نطعن بعدالتهم ، فالتاريخ كفانا مؤونة ذلك ، وشهد على البعض منهم بالزنا ، وشرب الخمر ، وشهادة الزور ، والارتداد ، وارتكاب الجرائم بحقّ الأبرياء ، وخيانة الأُمّة ، ولكن نريد فقط أن نبرز بأن مقولة عدالة الصحابة كلّهم هي خرافة وهمية جاء بها « أهل السنّة والجماعة » ليستروا على سادتهم وكبرائهم من الصحابة الذين أحدثوا في دين الله ، وغيّروا أحكامه ببدع ابتدعوها ، ولنكشف ثانية بأنّ « أهل السنّة الجماعة » باعتناقهم عقيدة « عدالة الصحابة أجمعين » قد أظهروا هويّتهم الحقيقية ، ألا وهي مودّة المنافقين ، والاقتداء ببدعهم التي أحدثوها ليرجعوا بالناس إلى الجاهلية.

---

١ ـ التوبة : ٩٩.

٢ ـ صحيح البخاري ٧ : ٢٠٩ (كتاب الرقاق ، باب الحوض) بألفاظ مختلفة.

وبما أنّ « أهل السنّة والجماعة » قد حرَّموا على أتباعهم نقد الصحابة وتجريحهم ، وأغلقوا في وجوههم باب الاجتهاد ، وذلك من عهد الخلفاء الأمويين ، وعهد اختلاق المذاهب ، وورث الأتباع هذه العقيدة وأورثوها إلى أبنائهم جيلا بعد جيل وبقي « أهل السنّة والجماعة » حتى يوم الناس هذا يمنعون من الخوض في الصحابة ويترضّون عليهم جميعاً ، ويكفّرون من ينتقد واحداً منهم.

وخلاصة القول : أنّ الشيعة أتباع أهل البيت ينزّلون الصحابة منازلهم التي يستحقّونها ، فيترضّون على المتّقين منهم ، ويتبرّأون من المنافقين والفاسقين أعداء الله ورسوله ، وبذلك فهم وحدهم أهل السنّة الحقيقية ؛ لأنّهم أحبّوا حبيب الله ورسوله من الصحابة ، وتبرّأوا من أعداء الله ورسوله الذين كانوا السبب الرئيسي في ضلال الأغلبية الساحقة من المسلمين.

مخالفة أهل السنّة والجماعة للسنن النبويّة

في هذا الفصل لابدّ لنا أن نكشف للباحث بصفة إجماليّة عن مخالفة « أهل السنّة والجماعة » لمعظم السنن النبويّة ، كما نوضح في المقابل بأنّ الشيعة هم الذين تمسّكوا بالسنن النبويّة ، ولذلك حقّ لنا أن نسمّي هذا الكتاب بعنوان « الشيعة هم أهل السنّة ».

ونريد في هذا الفصل طرح أُمهات المسائل التي تبيّن للباحثين بمزيد اليقين بأنّ « أهل السنّة والجماعة » قد خالفوا تعاليم الإسلام في كلّ ما قرّره القرآن والرسول صلى الله عليه وآله وسلم في سنّته الشريفة ، وتسبَّبوا في ضلال من ضلّ من الأُمّة ، وانتكاس المسلمين وبالتالي في تخلفهم ومعاناتهم.

وحسب اعتقادي أنّ سبب الضلالة يرجع إلى عامل رئيسي ، ألا وهو حبّ الدنيا ، ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة » [1] وحبّ الدنيا يتمثّل في حبّ السلطة والوصول إلى الحكم ، ومن أجل الحكم دمّرت الشعوب ، وخرّبت الأوطان والبلدان ، وأصبح الإنسان أخطر من الوحوش الضارية ، وهو ما أشار إليه صلى الله عليه وآله وسلم عندما قال لأصحابه : « إنّي لا أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكنّي أخاف عليكم أن تنافسوا فيها » [2].

---

١ . الجامع الصغير للسيوطي ١ : ٥٦٦ ح٣٦٦٢ ، كنز العمال ٣ : ١٩٢ ح٦١١٤.

٢ . صحيح البخاري (كتاب الكسوف ، باب في الجنائز) و ٤ : ١٧٦ (كتاب بدء الخلق ، باب علامات النبوة في الإسلام) ٢ : ٩٤ ، ٧ : ١٧٣ (كتاب الرقاق).

لكلّ ذلك لابدّ من دراسة موضوع الخلافة والإمامة ، أو ما نسمّيه اليوم نظام الحكم الإسلامي ، فهو الطامّة الكبرى والبائقة العظمى التي جرَّت على الإسلام وأهله المصائب والمتاعب ، والضلالة والهلاك.

١ . نظام الحكم في الإسلام

يرى « أهل السنّة والجماعة » بأنّ رسول الله ﷺ لم ينصّ على أحد ، وترك الأمر شورى بين الناس ليختاروا من شاؤوا ، فهذه هي عقيدتهم في الخلافة ، وقد أطبقوا على ذلك من يوم وفاة النبيّ ﷺ وإلى اليوم.

والمفروض أن يعمل « أهل السنّة والجماعة » بهذا المبدأ الذي يؤمنون به ، ويدافعون عنه بكلّ جهودهم ، غير أنّ البحث يوقفنا على أنّهم عملوا عكس ما يعتقدون ، وبقطع النظر عن بيعة أبي بكر التي سمّوها هم أنفسهم بأنّها فلتة وقى الله المسلمين شرّها ، فإنّ أبا بكر هو الذي اخترع فكرة ولاية العهد في الإسلام ، فعهد قبل وفاته بالخلافة لصاحبه عمر بن الخطّاب.

كما عهد عمر بن الخطّاب عند موته إلى عبد الرحمان بن عوف ، ليختار واحداً من الخمسة الذين رشّحهم ، ويأمره بضرب أعناق المخالفين الذين يشقّون عصا الطاعة.

ولما وصل معاوية للخلافة طبّق هذا المبدأ (ولاية العهد) خير تطبيق ، إذ عيّن وليّاً لعهده ابنه يزيد ، وعيّن يزيد وليّاً لعهده ابنه معاوية ، وبقيت الخلاقة من ذلك الوقت يتداولها الطلقاء وأبناؤهم جيلا بعد جيل ، فكلّ خليفة يعهد لولده أو أخيه أو أحد أقاربه ، كذلك فعل الخلفاء في الدولة العباسية منذ قيامها إلى أن تلاشت ، وكذلك فعل خلفاء الدولة العثمانية من قيامها إلى أن ولّى عصر الخلافة واضمحل في عهد كمال أتاتورك في القرن الحالي.

وبما أنّ « أهل السنّة والجماعة » يمثّلون تلك الخلافة ، أو أنّ تلك الحكومات المتعاقبة تمثّل « أهل السنّة والجماعة » في كلّ بقاع الدنيا ، وعلى مرّ التاريخ الإسلامي ، فإنّك ترى اليوم في السعودية ، وفي المغرب والأردن ، وفي كلّ دول الخليج كلّهم يعملون بنظرية ولاية العهد التي ورثوها عن « سلفهم الصالح » ، وكلّهم يمثلون « أهل السنّة والجماعة ».

وعلى فرض صحّة النظرية التي يعتقدونها ، وهي أنّ النبيّ ﷺ ترك الأمر شورى والقرآن يقرّ الشورى ، فإنّهم خالفوا القرآن والسنّة ، وقلبوا نظام الشورى « الديمقراطي » إلى نظام ولاية العهد الملكي الاستبدادي.

أمّا على فرض أنّ النبيّ ﷺ نصّ على علي بن أبي طالب ، كما يقول بذلك الشيعة ، فإنّ « أهل السنّة والجماعة » خالفوا صريح السنّة النبويّة وخالفوا القرآن ؛ لأنّ رسول الله لا يفعل شيئاً إلاّ بإذن ربه.

ولذلك تراهم يشعرون بفساد هذه النظرية « الشورى » ؛ لأنّ الخلفاء الأولين لم يطبّقوها ولم يعملوا بها ، كما يشعرون بفساد نظرية « ولاية العهد » أيضاً ، فتراهم يبرّرون ذلك بأحاديث « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثمّ ملك عضوض » ، وكأنّهم يريدون إقناع غيرهم بما اقتنعوا به من أنّ الملك لله يضعه حيث يشاء ، وأنّ الملوك والسلاطين ولاَّهم الله سبحانه على رقاب الناس ، فتجب بذلك طاعتهم وعدم الخروج عليهم.

وهذا بحث طويل يجرّنا إلى القضاء والقدر الذي بحثناه في كتاب « مع الصادقين » ولا نريد الرجوع إليه ، ونكتفي بأن نعرف بأنّ « أهل السنّة

والجماعة » يسمّون أيضاً بـ « القدريّة » لقولهم بذلك [1].

والنتيجة هي أنّ « أهل السنّة والجماعة » يؤمنون بولاية العهد ويعتبرونها خلافة شرعيّة ، لا لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر بها ، أو أنّه عيَّن ولياً لعهده ، فهم ينكرون ذلك أشدّ الإنكار ، ولكن لأنّ أبا بكر عهد إلى عمر ، وعمر عهد إلى الستّة ، ومعاوية عهد إلى يزيد ، وهكذا.

ولم يقل أحد من العلماء عندهم ، ولا أحد من أئمة المذاهب الأربعة ، بأنّ الحكم الأموي أو الحكم العباسي أو الخلافة العثمانية هي غير شرعيّة ، بل نراهم يسارعون إلى البيعة والتأييد وتصحيح خلافتهم ، بل ذهب أكثرهم للقول بشرعيّة الخلافة لكلّ من تغلَّب عليها بالقوّة والقهر ، ولا يهمهم إن كان براً أم فاجراً ، تقياً أم فاسقاً ، عربياً قرشياً أم تركياً وكردياً.

يقول الدكتور أحمد محمود صبحي في هذا الصدد : « موقف أهل السنّة

---

١ ـ لما كثر الكلام حول أفعال العباد وكيفيّة ارتباطها بالله تعالى وانشقّت الأُمة الإسلامية إلى جبرية وعدليّة ، حاولت كلّ فرقة إطلاق لقب « القدريّة » على الأُخرى ، لما له من الذمّ على لسان صاحب الشريعة صلى الله عليه وآله وسلم ولكنّ الأوفق إطلاق لقب القدريّة على من قال بأنّ أفعال العباد مخلوقة لله تعالى ، وذلك لأنّ الاسم إنّما يشتقّ من الشيء المثبت لذلك الشيء ، كما يسمّى من أثبت إلهاً ثانياً بالثنوي ، ومن أثبت جسماً لله تعالى بالمجسّم ، ولو اشتقّ اسم الشيء لنافيه لكان الموحّد ثنوياً والمنزه مجسمياً.

هذا بالاضافة إلى ما رواه السيّد ابن طاووس في الطرائف : ٣٤٤ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنّه قال : « لعنت القدريّة على لسان سبعين نبياً « ، قيل : ومن القدريّة يا رسول الله؟ فقال : » قوم يزعمون أنّ الله قدّر عليهم المعاصي وعذّبهم عليها ».

فالمؤلّف يقصد هنا هذا المعنى من القدريّة المستلزم للجبر ، وهو ما عليه غالب أهل السنّة وإن حاولوا تنزيه أنفسهم من وصمة الجبر بنظرية الكسب.

في مسألة الخلافة هو التسليم بالأمر الواقع ، دون تأييد أو خروج عليه » [1].

ولكنّ الواقع أنّ « أهل السنّة » يؤيّدون أيضاً ، فقد ذكر أبو يعلى الفرّاء عن الإمام أحمد بن حنبل قوله : « إنّ الخلافة تثبت بالغلبة والقهر ، ولا تفتقر إلى العقد ».

وقال في رواية عبدوس بن مالك العطّار : « من غلب بالسيف حتى صار خليفة وسمّي أمير المؤمنين ، فلا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً براً كان أم فاجراً ». واحتجّ بقول عبد الله بن عمر : « نحن مع من غلب » [2].

وبذلك أصبح « أهل السنّة والجماعة » رهينة هذه البدعة ـ بدعة ولاية العهد ـ فهم يبايعون الغالب والمتغلّب بقطع النظر عن ورعه وتقواه وعلمه (براً كان أم فاجراً) ، والدليل على أنّ أغلب الصحابة الذين قاتلوا مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم معاوية بن أبي سفيان في عدّة غزوات ، بايعوه فيما بعد على أنّه أمير للمؤمنين ، كما قبلوا بخلافة مروان بن الحكم الذي سمّاه رسول الله « الوزغ » [3] وطرده من المدينة وقال : « لا يساكنني حياً ولا ميتاً » [4].

بل قبلوا بخلافة يزيد بن معاوية ، وبايعوه بإمارة المؤمنين ، ولما ثار عليه الحسين سبط النبيّ قتلوه وأهل بيته ؛ لتثبيت ملك يزيد وتصحيح خلافته ، وذهب علماؤهم إلى القول بأنّ الحسين قتل بسيف جدّه ، ومنهم من يكتب

---

١ ـ نظرية الإمامة لمحمود صبحي : ٢٣.

٢ ـ راجع معالم المدرستين للعسكري ١ : ١٤٨ عن الأحكام السلطانية : ٧ ـ ١١.

٣ ـ المستدرك ٤ : ٤٧٩ وصححّه.

٤ ـ راجع الغدير ٨ : ٢٤٣ عن أنساب الأشراف.

حتى اليوم كتباً على حقائق « أمير المؤمنين يزيد بن معاوية » كلّ ذلك تأييداً منهم لخلافة يزيد ، وإدانة الحسين ؛ لأنّه خرج عليه.

وإذا عرفنا كلّ هذا ، فليس أمامنا إلاّ الاعتراف بأنّ « أهل السنّة والجماعة » قد خالفوا السنّة التي نسبوها إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وهي قولهم بأنّه ترك الأمر شورى بين المسلمين.

أمّا الشيعة فقد تمسّكوا في مبدأ الإمامة بقول واحد وهو « النصّ من الله ورسوله على الخليفة » ، فالإمامة عندهم لا تصحّ إلاّ بالنصّ ، ولا تكون إلاّ للمعصوم والأعلم والأتقى والأفضل ، فلا يجوز عندهم تقديم المفضول على الفاضل ، ولذلك نراهم رفضوا خلافة الصحابة أولا ، كما رفضوا خلافة « أهل السنّة والجماعة » ثانياً.

وبما أنّ النصوص التي يدّعيها الشيعة في شأن الخلافة لها وجود فعلي ومصداق حقيقي في صحاح « أهل السنّة والجماعة » ، فليس أمامنا إلاّ الاعتراف بأنّ الشيعة هم الذين تمسكوا بالسنّة النبويّة الصحيحة.

وسواء أقلنا بأنّ الأمر شورى أم هو بالنصّ في شأن الخلافة ؛ فإنّ الشيعة وحدهم على حقّ ؛ لأنّ الشخص الوحيد الذي تعيّن بالنصّ وبالشورى معاً هو علي بن أبي طالب ، ولا قائل من المسلمين شيعياً كان أم سنياً يقول بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشار إلى ولاية العهد من قريب أو بعيد.

ولا قائل من المسلمين سنياً كان أم شيعياً يقول بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه : تركت أمركم شورى ، فاختاروا من شئتم لخلافتي.

ونحن نتحدّى العالمين أن يأتونا بحديث واحد من هذا القبيل ، فإن لم

يفعلوا ولن يفعلوا ، فليرجعوا إلى السنّة النبويّة الثابتة ، والتاريخ الإسلامي الصحيح لعلّهم يرشدون.

أم أنّهم يقولون بأنّ رسول الله ﷺ أهمل هذا الأمر الخطير ، ولم يبيّن معالمه ليدخل أُمّته في صراع دائم وفتنة عمياء ، تمزّق وحدتهم وتفرّق شملهم ، وتنحرف بهم عن صراط الله المستقيم ، ونحن نرى اليوم بأنّ الفاسقين من الحكّام الجائرين يفكّرون في مصير شعوبهم من بعد خلافتهم فيعمدون إلى تعيين خلف لهم في حالة الشغور ، فكيف بمن أرسله الله رحمة للعالمين؟!

٢ . القول بعدالة الصحابة يخالف صريح السنّة

إذا نظرنا إلى أفعال النبيّ ﷺ وأقواله تجاه الصحابة ، نجده قد أعطى كلّ ذي حقّ حقّه ، فهو يغضب لله ويرضى لرضاه ، وكلّ صحابي خالف أمر الله سبحانه تبرأ منه الرسول ﷺ ، كما تبرأ ممّا صنع خالد بن الوليد في قتله بني جذيمة ، وكما غضب على أُسامة عندما جاءه ليشفع للمرأة الشريفة التي سرقت ، فقال قولته المشهورة : « ويلك ، أتشفع في حدّ من حدود الله؟ والله لو سرقت فاطمة بنت محمّد لقطعت يدها ، إنّما أهلك من كان قبلكم ؛ لأنّهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الوضيع أقاموا عليه الحدّ » [١].

ونجده ﷺ أحياناً يبارك ويترضّى على بعض أصحابه المخلصين ، ويدعو لهم ويستغفر لهم ، كما نجده يلعن البعض منهم الذين يعصون أوامره ، ولا يقيمون لها وزناً أحياناً أُخرى ، مثل قوله : « لعن الله من تخلَّف عن جيش أُسامة » [٢] وذلك عندما طعنوا في تأميره ، ورفضوا الالتحاق بجيشه بحجّة أنّه صغير السنّ.

كما نجده ﷺ يوضّح للناس ولا يتركهم يغترّوا ببعض الصحابة المزيّفين ، فيقول في أحد المنافقين : « إنّ له أصحاباً يحقّر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من

---

١ . سنن النسائي ٨ : ٧٤ ، وكذلك في السنن الكبرى ٤ : ٣٣٤ ح٧٣٨٨.

٢ . الملل والنحل للشهرستاني ١ : ٢٣.

الدين كما يمرق السهم من الرمية ».

وقد يتوقّف فلا يصلّي على أحد الصحابة الذين استشهدوا في غزوة خيبر ضمن جيش المسلمين ، ويكشف على حقيقته ويقول : « إنّه غلّ في سبيل الله » [1] ، ولما فتّشوا متاعه وجدوا فيه خرزاً من خرز اليهود.

ويحدّثنا المحدّثون [2] أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عطش في غزوة تبوك ، فقال المنافقون : إنّ محمّداً يخبر بأخبار السماء ، ولا يعلم الطريق إلى الماء ، فنزل جبريل وأخبره بأسمائهم ، وأخبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بهم سعد بن عبادة ، فقال له سعد : إن شئت ضربت أعناقهم ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يتحدّث الناس أنّ محمّداً يقتل أصحابه ، ولكن نحسن صحبتهم ما أقاموا معنا » [3].

وقد سار فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما أشار به القرآن الكريم في حقّهم ، فقد رضي الله عن الصادقين منهم ، وغضب على المنافقين والمرتدّين والناكثين منهم ، ولعنهم في العديد من الآيات المحكمات ، وقد وافينا البحث لهذا الموضوع في كتاب « فاسألوا أهل الذكر » في فصل « القرآن الكريم يكشف حقائق بعض الصحابة » ، فمن أراد التحقيق فعليه بالرجوع إلى الكتاب المذكور.

---

١ ـ مسند أحمد ٤ : ١١٤ ، سنن ابن ماجة ٢ : ٩٥٠ ح٢٨٤٨ ، سنن أبي داود ١ : ٦١٤ ح٢٧١٠.

٢ ـ سعد بن عبادة : ١٦.

٣ ـ قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يتحدّث الناس أنّ محمّداً يقتل أصحابه ، ولكن نحسنُ صحبتهم ... » فيه دليل واضحٌ على أنّ المنافقين هم من الصحابة ، فقول « أهل السنّة والجماعة » بأنّ المنافقين ليسوا من الصحابة مردود عليهم ؛ لأنّه ردٌّ على رسول الله الذي يُسمّيهم أصحابه (المؤلّف).

ويكفينا مثل واحد من أعمال بعض الصحابة المنافقين التي كشفها الله سبحانه وفضح أصحابها ، وكانوا اثني عشر رجلا من الصحابة تذرَّعوا ببعد المسافة ، وأن الوقت لا يسعهم للحضور مع النبيّ ، فبنوا مسجداً لأداء الصلاة في وقتها ، فهل ترى إخلاصاً ووفاءً أكبر من هذا؟ أن يصرف العبد أموالا طائلة لبناء مسجد حرصاً منه على أداء فريضة الصلاة في وقتها ، وفي جماعة يجمعهم مسجد واحد؟

ولكن الله سبحانه الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، والذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، علم سرائرهم وما تخفي صدورهم ، فأوحى إلى رسوله بأمرهم ، وأطلعه على نفاقهم بقوله : ﴿ **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنا إِلاَّ الْحُسْنى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ** ﴾ [1].

وكما أنّ الله لا يستحي من الحقّ فكذلك رسوله ﷺ ، كان يقول لأصحابه صراحة بأنّهم سيتقاتلون على الدنيا ، وأنّهم سيتبعون في الضلالة سنن اليهود والنصارى شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، وأنّهم سينقلبون بعده على أدبارهم ويرتدون ، وأنّهم يوم القيامة سيدخلون إلى النار ، ولا ينجو منهم إلاّ القليل الذي عبَّر عنه النبيّ ﷺ بهمل النعم ، وأنّهم وأنّهم ...

فكيف يحاول « أهل السنّة والجماعة » إقناعنا بعد كلّ هذا بأنّ الصحابة كلّهم عدول ، وأنّهم في الجنّة جميعاً ، وأنّ أحكامهم ملزمة لنا ، وأنّ آراءهم

---

١ . التوبة : ١٠٧.

وبدعهم واجبة الاتباع ، وأنّ الطعن على أيّ واحد منهم مروق عن الدين يوجب القتل؟!

إنّه قول لا يقبله المجانين فضلا عن العقلاء ، إنّه قول زور وبهتان لفقه الأمراء والسلاطين ، والذين ساروا في ركابهم من علماء السوء المتطفّلين على العلم ، ونحن لا يمكن لنا قبول هذا القول أبداً مادامت لنا عقول ؛ لأنّه ردّ على الله ورسوله ، ومن ردّ قول الله وقول الرسول فقد كفر ، ولأنّه يصادم العقل والوجدان.

ونحن لا نلزم « أهل السنّة والجماعة » بالعدول عنه أو برفضه ، فهم أحرار في ما يعتقدونه ، وهم وحدهم المسؤولون عن نتائجه وعواقبه الوخيمة.

ولكن عليهم أن لا يكفّروا من يتبع القرآن والسنّة في عدالة الصحابة ، فيقول للمحسن منهم : أحسنت ، ويقول للمسيء منهم : أخطأت وأسأت ، ويتولّى أولياء الله ورسوله منهم ، ويتبرّأ من أعداء الله ورسوله منهم أيضاً.

وبهذا يتبيّن لنا أيضاً بأنّ « أهل السنّة والجماعة » خالفوا صريح القرآن وصريح من سبّ صحابياً ، إذا قلت له : كيف لا تكفّر معاوية وكلّ الصحابة الذين اتّبعوه على سبّ ولعن عليّ من فوق المنابر؟ فسيجيبك حتماً كما هو معروف : ﴿ **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما كَسَبَتْ وَلَكُمْ ما كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمّا كانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [1].

---

١ . البقرة : ١٣٤.

٣ . النبيّ يأمر المسلمين بالاقتداء بعترته وأهل السنّة يخالفونه

لقد أثبتنا في ما سبق من أبحاث بأنّ حديث النبيّ ﷺ الذي عُرف بحديث الثقلين ، وهو قوله : « تركت فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وأن اللطيف الخبير أنبأني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ».

وأثبتنا بأنّ هذا الحديث هو حديث صحيح متواتر أخرجه الشيعة ، كما أخرجه « أهل السنّة والجماعة » في صحاحهم ومسانيدهم ، والمعروف بأنّ « أهل السنّة والجماعة » نبذوا أهل البيت وراء ظهورهم [1] ، وولّوا وجوههم شطر أئمة المذاهب الأربعة الذين فرضتهم السلطات الجائرة والتي حظيت بدورها بتأييد وبيعة « أهل السنّة والجماعة ».

وإذا شئنا التوسّع في البحث لقلنا بأنّ « أهل السنّة والجماعة » هم الذين حاربوا أهل البيت النبوي بقيادة الحكّام الأمويين والعباسيين ، ولذلك لو فتشت في عقائدهم وكتب الحديث عندهم ، فسوف لا تجد لفقه أهل البيت شيئاً عندهم يذكر ، وسوف تجد كلّ فقههم وأحاديثهم منسوبة لأعداء أهل البيت ، من النواصب والمحاربين لهم ، كعبد الله بن عمر ،

---

١ . ولنا أن نقول بأنّ أهل السنّة والجماعة قد لعنوهم وحاربوهم وقتلوهم ، هذا إذا فهمنا بأنّ زعيم أهل السنّة هو معاوية ، وما جرّأ معاوية عليهم إلاّ أبو بكر وعمر وعثمان ، كما اعترف معاوية نفسه بذلك (المؤلّف).

وعائشة ، وأبي هريرة ، وغيرهم.

فنصف الدين عندهم يؤخذ عن عائشة الحميراء ، وفقيه أهل السنّة هو عبد الله بن عمر ، راوية الإسلام عندهم هو أبو هريرة شيخ المضيرة ، والطلقاء وأبناء الطلقاء هم القضاة والمشرّعون في دين الله عندهم.

والدليل أنّ « أهل السنّة والجماعة » لم يكن لهم وجود معروف بهذا الاسم ، ولكنّهم كانوا في مجموعهم المعارضين لأهل البيت من يوم السقيفة ، وهم الذين تآمروا على انتزاع الخلافة من أهل البيت ، والعمل على إقصائهم عن المسرح السياسي للأُمة.

وتكوَّنت فرقة « أهل السنّة والجماعة » كردِّ فعل على الشيعة الذين تكتلوا وراء أهل البيت وانقطعوا إليهم ، وقالوا بإمامتهم اتباعاً للقرآن والسنّة.

ومن الطبيعي أن يكون المعارضون للحقّ هم الأكثرية الساحقة من الأُمّة خصوصاً بعد الفتن والحروب ، أضف إلى ذلك أنّ أهل البيت لم يتمكّنوا من الحكم إلاّ أربعة أعوام ، وهي خلافة الإمام علي ، وقد أشغلوه فيها بالحروب الدامية.

أمّا « أهل السنّة والجماعة » المعارضون لأهل البيت ، فقد حكموا مئات السنين ، وامتدّ ملكهم وسلطانهم شرقاً وغرباً ، وكان لهم الحول والطول والذهب والفضّة ، فكان « أهل السنّة والجماعة » هم الغالبون ؛ لأنّهم الحاكمون ، وكان الشيعة بقيادة أهل البيت هم المغلوبون ؛ لأنّهم محكومون ومضطهدون بل مشرّدون ومقتولون.

ونحن لا نريد الإطالة في هذا الموضوع بقدر ما نريد الكشف عن خفايا

« أهل السنّة والجماعة » الذين خالفوا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته ، وفي تركته التي تضمن الهداية وتمنع من الضلالة ، أما الشيعة فقد تمسكوا بوصية النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم واقتدوا بعترته الطاهرة ، وتحمّلوا من أجل ذلك العناء والأتعاب.

والحقيقة أنّ هذا الخلاف والعصيان من « أهل السنّة والجماعة » وهذا القبول والرضى من الشيعة بخصوص الثقلين والتمسّك بهما معاً ، ظهرت معالمه من يوم الخميس الذي سُمّي يوم الرزية ، عندما طلب إليهم الرسول احضار الكتف والدواة ليكتب لهم ذلك الكتاب الذي يعصمهم من الضلالة ، فوقف عمر ذلك الموقف الخطير ، ورفض أمر النبيّ مدّعياً بأنّ كتاب الله يكفيهم ولا حاجة للعترة.

فكأنّ النبيّ يقول تمسّكوا بالثقلين : القرآن والعترة ، وعمر يردّ عليه : حسبنا ثقلا واحداً وهو القرآن ، ولا حاجة لنا بالثقل الثاني ، وهذا قوله بالضبط « حسبنا كتاب الله يكفينا ».

وقول عمر يمثّل موقف « أهل السنّة والجماعة » لأنّ قريش المتمثّلة في أبي بكر ، وعثمان ، وعبد الرحمان بن عوف ، وأبي عبيدة ، وخالد بن الوليد ، وطلحة بن عبيد الله ، كلّ هؤلاء وقفوا يؤيّدون عمر في موقفه ، قال ابن عباس : فمنهم من يقول ما قال عمر ، ومنهم من يقول : قربوا للرسول ليكتب الكتاب [1].

---

١ ـ مسند أحمد ١ : ٣٢٥ ، صحيح البخاري ٧ : ٩ (كتاب المرض والطب ، باب قول المريض : قوموا عنّي) ، ٨ : ١٦١ (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة ، باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لا تسألوا أهل الكتاب) ، صحيح مسلم ٥ : ٧٦ (كتاب الهبات ، باب الأمر بقضاء النذر).

ومن البديهي أنّ عليّاً وشيعته من ذلك اليوم تمسّكوا بوصيّة النبيّ ولو لم تُكتب ، وعملوا بالقرآن والسنّة معاً ، ولم يعمل أعداؤهم حتى بالقرآن الذي قبلوه في بداية الأمر ، ولكنّهم عطّلوا أحكامه عندما وصلوا إلى الحكم ، فاجتهدوا بآرائهم ونبذوا كتاب الله وسنّة رسوله وراء ظهورهم.

٤ . « أهل السنّة والجماعة » ومودّة أهل البيت

لا يشكّ أحد من المسلمين في أنّ الله سبحانه وتعالى جعل مودة أهل البيت عليهم السلام ضريبة على المسلمين مقابل منحهم الرسالة المحمّدية ، وما فيها من فضائل النعم ، فقال عزّ وجلّ : ﴿ قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ [١].

وقد نزلت هذه الآية الكريمة تفرض على المسلمين مودّة العترة الطاهرة ، وهم عليّ وفاطمة والحسن والحسين ، بشهادة أكثر من ثلاثين مصدراً من مصادر « أهل السنّة والجماعة » [٢] ، حتى قال الإمام الشافعي في ذلك :

يا أهل بيت رسول الله حبّكم فرض من الله في القرآن أنزله [٣]

فإذا كانت محبتهم نزل بها القرآن ، وجعلها فرض على أهل القبلة كافة ، كما اعترف بذلك الإمام الشافعي! وإذا كانت مودّتهم هي أجر الرسالة المحمّدية ، كما نطق صريح البيان ، وإذا كانت مودتهم عبادة يُتقرَّب بها إليه سبحانه ، فما بال « أهل السنّة والجماعة » لا يقيمون لأهل البيت وزناً ، ولا

---

١ . الشورى : ٢٣.

٢ . راجع في ذلك كتاب « مع الصادقين » للمؤلّف.

٣ . راجع الصواعق المحرقة ٢ : ٤٣٥ ، الآية الثانية من الآيات النازلة في أهل البيت عليهم السلام .

ينزّلونهم إلاّ دون منزلة الصحابة [1]؟

ولنا أن نسأل « أهل السنّة والجماعة » بل لنا أن نتحدّاهم أن يأتونا بآية قرآنية واحدة ، أو بحديث نبوي واحد يفرض على المسلمين مودّة أبي بكر أو عمر أو عثمان ، أو أيّ واحد من الصحابة؟!

كلاّ وأنّى لهم مثل ذلك ، فلا يوجد في كتاب الله ولا في سنّة رسوله شيء من ذلك ، بل يوجد في القرآن آيات عديدة تشير إلى منزلة أهل البيت الرفيعة ، وتفضّلهم على سائر العباد.

وفي السنّة النبويّة أحاديث كثيرة تفضّل أهل البيت وتقدّمهم على سائر المسلمين ، تقديم الإمام على المأموم والعالم على الجاهل.

ويكفينا من القرآن آية المودّة التي نحن بصدد ذكرها ، وآية المباهلة ، وآية الصلاة على النبيّ وآله ، وآية إذهاب الرجس والتطهير ، وآية الولاية ، وآية الاصطفاء ووراثه الكتاب.

ويكفينا من السنّة النبويّة حديث الثقلين ، وحديث السفينة ، وحديث المنزلة ، وحديث الصلاة الكاملة ، وحديث النجوم ، وحديث مدينة العلم ، وحديث الأئمة بعدي اثنا عشر.

ولا نريد القول بأنّ ثلث القرآن نزل في مدح أهل البيت عليهم السلام وذكر فضائلهم ، كما يقول بعض الصحابة كابن عباس ، ولا أن ندّعي بأنّ ثلث

---

١ . فـ « أهل السنّة والجماعة » كلّهم يقولون بتفضيل أبي بكر وعمر وعثمان على عليّ بن أبي طالب ، وإذا كان علي هو سيّد العترة وأفضل أهل البيت بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنّ أهل البيت عند « أهل السنّة والجماعة » يأتون بعد الصحابة الثلاثة المعروفين عندهم بالخلفاء الراشدين!! (المؤلّف).

السنّة النبويّة كلّه تنويه وتمجيد في أهل البيت ، وتوجيه الناس إلى فضلهم وفضائلهم ، كما ألمح لذلك الإمام أحمد بن حنبل.

ويكفينا من القرآن والسنّة ما أوردناه من صحاح « أهل السنّة والجماعة » للدلالة على تفضيل أهل البيت على من سواهم من البشر.

وبعد نظرة وجيزة إلى عقائد « أهل السنّة والجماعة » وإلى كتبهم وإلى سلوكهم التاريخي تجاه أهل البيت ، ندرك بدون غموض بأنّهم اختاروا الجانب المعاكس والمعادي لأهل البيت عليهم السلام ، وبأنّهم أشهروا سيوفهم لقتالهم ، وسخّروا أقلامهم لانتقاصهم والنيل منهم ، ولرفع شأن أعدائهم ومن حاربهم.

ويكفينا على ذلك دليلٌ واحدٌ يعطينا الحجّة البالغة ، وكما قدّمنا بأنّ « أهل السنّة والجماعة » لم يعرفوا إلاّ في القرن الثاني للهجرة كردٍّ فعل على الشيعة الذين والوا أهل البيت وانقطعوا إليهم ، فإنّنا لا نجد شيئاً في فقههم وعباداتهم وكلّ معتقداتهم يرجعون فيه إلى السنّة النبويّة المروية عن أهل البيت [1].

---

١ ـ وهب أنّهم كما يزعمون اليوم ويقولون : نحن أولى بعلي وأهل البيت من الشيعة ، فلماذا ترك علماؤهم وأئمّة المذاهب عندهم فقه أهل البيت وكان عندهم نسياً منسياً؟ واتّبعوا مذاهب ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ أَوْلَى النَاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ** ﴾ ، أمّا الذين لم يتّبعوه فليسوا أولى به كما لا يخفى (المؤلّف).

وقد قال ابن تيميّة الحراني في كتابه منهاج السنّة ٧ : ٥٢٩ : « فليس في الأئمة الأربعة ولا غيرهم من أئمة الفقهاء من يرجع إليه [يعني علي بن أبي طالب] في فقهه .. » فهذا تصريح واضح بأنّ أهل السنّة تركوا فقه الإمام علي عليه السلام الذي هو سيّد العترة الطاهرة.

وقال ابن قيم الجوزيّة في أعلام الموقعين ١ : ٢١ في كلامه حول انتشار العلم وعمّن مأخذه ، ونفي وجود أي دور لعلي بن أبي طالب عليه السلام : « والدين والفقه والعلم انتشر في الأُمّة عن أصحاب ابن مسعود ، وأصحاب زيد بن ثابت ، وأصحاب عبد الله بن عمر ، وأصحاب عبد الله بن عباس ، فعلم الناس عامته عن أصحاب هؤلاء الأربعة ، فأمّا أهل المدينة فعلمهم عن أصحاب زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر ، وأمّا أهل مكّة فعلمهم عن أصحاب عبد الله بن عباس ، وأمّا أهل العراق فعلمهم عن أصحاب عبد الله بن مسعود ».

فنفى وجود علم لعلي بن أبي طالب عليه السلام أو تلامذة حملت علمه وأدته إلى الناس ، ولأجل هذا الحيف الذي صدر من ابن القيّم الجوزيّة في حقّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، والذي لازم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم طيلة حياته وبقي بعده مدّة غير قليلة .. لأجل ذلك علّق الإمام محمّد أبو زهرة على هذا الكلام قائلا :

« ثمّ إنّ هناك عليّ بن أبي طالب الذي مكث نحواً من ثلاثين سنة بعد أن قبض الله تعالى رسوله إليه ، يفتي ، ويرشد ويوجّه ، وقد كان غواصّاً طالباً للحقائق ، وقد أقام في الكوفة نحو خمس سنوات ، ولابدّ أنّه ترك فيها فتاوى وأقضية وكان فيها المنفرد بالتوجيه والارشاد ، وأنّه عرف بغزارة في العلم كرم الله وجهه ، وعمق وانصراف إلى الإفتاء في مدّة الخلفاء قبله ، والمشاركة في كلّ الأُمور العميقة التي تحتاج إلى فحص وتقليب للأُمور من كلّ وجوهها ، مع تمحيص وقوّة واستنباط.

وإنّه يجب علينا أن نقرّ هنا أنّ فقه علي وفتاويه وأقضيته لم ترو في كتب السنّة بالقدر الذي يتّفق مع مدّة خلافته ، ولا مع المدّة التي كان منصرفاً فيها إلى الدرس والإفتاء في مدّة الراشدين قبله. وقد كانت حياته كلّها للفقه وعلم الدين ، وكان أكثر الصحابة اتصالاً برسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقد رافق الرسول وهو صبيّ قبل أن يبعث عليه السلام ، واستمرّ معه إلى أن قبض الله تعالى رسوله إليه ، ولذا كان يجب أن يذكر له في كتب السنّة أضعاف ما هو مذكور فيها.

وإذا كان لنا أن نعرف السبب الذي من أجله اختفى عن جمهور المسلمين بعض مرويّات عليّ وفقهه ، فإنّا نقول : إنّه لابدّ أن يكون للحكم الأموي أثر في اختفاء الكثير من آثار علي في القضاء والإفتاء ؛ لأنّه ليس من المعقول أن يلعنوا عليّاً فوق المنابر وأن يتركوا العلماء يتحدّثون بعلمه ، وينقلون فتاويه وأقواله للناس ، وخصوصاً ما كان يتصل منها بأُسس الحكم الإسلامي.

والعراق الذي عاش فيه عليّ رضي الله عنه وكرّم الله وجهه ، وفيه انبثق علمه ، كان يحكمه في صدر الدولة الأموية ووسطها حكّام غلاظ شداد ، لا يمكن أن يتركوا آراء علي تسري في وسط الجماهير الإسلاميّة ، وهم الذين يخلقون الريب والشكوك حوله ، حتى إنّهم يتخذون من تكنية النبي (صلى الله عليه وسلم) له (بأبي تراب) ذريعة لتنقيصه ، وهو (رضي الله عنه) كان يطرب لهذه الكنية ، ويستريح لسماعها ؛ لأنّ النبي (صلى الله عليه وسلم) قالها في محبّة ، كمحبّة الوالد لولده ».

ثمّ يعرّج بعد ذلك على قضيته الأخيرة التي ذكرها ، وهي ترك تراث الإمام علي العلمي من قبل المحدّثين ، فهل كلّ الأُمّة تركته ، أم أنّ هناك من حفظ تراثه العلمي؟

يقول أبو زهرة مجيباً على هذا التسائل : « ولكن هل كان اختفاء أكثر آثار علي (رضي الله عنه) وعدم شهرتها بين جماهير المسلمين سبيلا لاندثارها وذهابها في لجة التاريخ إلى حيث لا يعلم بها أحد؟!

إنّ عليّاً (رضي الله عنه) قد استشهد وقد ترك وراءه من ذريته أبراراً أطهاراً كانوا أئمة في علم الإسلام ، وكانوا ممّن يقتدى بهم ، ترك ولديه من فاطمة الحسن والحسين ، وترك روّاد الفكر محمّد بن الحنفية ، فأودعهم (رضي الله عنه) ذلك العلم وقد قال ابن عبّاس : (إنّه ما انتفع بكلام بعد كلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كما انتفع بكلام عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه).

لقد قام أُولئك الأبناء بالمحافظة على تراث أبيهم الفكري ، وهو إمام الهدى ، فحفظوه من الضياع ، وقد انتقل معهم إلى المدينة لما انتقلوا إليها بعد

استشهاده (رضي الله عنه).

وقد يقول قائل : إنّه قد يكون في الاستتار مجال للتزييد؟

ونقول في الإجابة عن هذا : إنّ التزيد لا يمكن أن يكون من رجال أهل البيت الكريم ، الذي اشتهر رجاله بالصدق في القول والعمل والإخلاص وفي كلّ شؤون دينهم ؛ فهل يتصوّر التزيد من الحسين أو علي زين العابدين أو الباقر أو الصادق؟! إنّ ذلك لا يتصوّر ، ولا يمكن أن يفرضه عالم مسلم مهما تكن نحلته ». الإمام الصادق للإمام محمّد أبو زهرة : ١٢٦ ـ ١٢٨.

فإذا كان فقه عليّ بن أبي طالب عليه السلام محفوظاً عند أبنائه الحسن والحسين وعلي ابن الحسين والباقر والصادق ، فلماذا تركتهم الأُمّة ولم ترجع إليهم في الأخذ بفقه علي عليه السلام ؟!

ولماذا تركهم الإمام أبو زهرة نفسه وولّى وجهه شطر الأئمة من أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ولم يضمّ إليهم الإمام جعفر بن محمّد الصادق ، ويجعله عدلهم ومساوياً لهم في الأخذ على الأقلّ؟

ولماذا ولّوا وجوههم شطر النواصب والخوارج؟ أمثال عمران بن حطّان وعكرمة البربري ، وجرير بن عثمان الحمصي ، وحصين بن نمير الواسطي ، وإسحاق بن سويد العدوي والوليد بن كثير بن يحيى المدني ، وقيس بن أبي حازم .. وغيرهم الكثير الذي أخرجت لهم الصحاح كالبخاري ومسلم ، وتركت سادة أهل البيت أمثال جعفر الصادق ومحمّد الباقر وغيرهم؟!

وهناك استفهامات كثيرة يعجز أحفاد الأمويين الإجابة عنها واقناع المسلمين بأسبابها.

وقد توهّم الدكتور إبراهيم الرحيلي في كتابه الانتصار للصحب والآل : ١٦٨ تناقض المؤلّف في كلامه ؛ إذ قال تحت عنوان تناقضات المؤلّف : (قوله في كتابه الشيعة هم أهل السنّة : « ويكفينا على ذلك دليل واحد يعطينا الحجّة البالغة ، وكما قدّمنا بأنّ أهل السنّة والجماعة لم يعرفوا إلاّ في القرن الثاني للهجرة كردّ فعل

ورغم أنّ أهل البيت أدرى بما فيه ، فهم ذرّية المصطفى وعترته ، ورغم أنّهم لم يسبقهم أحد في علم ولا في عمل ، وأنّهم واكبوا مسيرة الأُمّة طوال ثلاثة قرون ، وتداولوا الإمامة الروحية والدينية عبر الأئمة الاثني عشر الذين لم يخالف منهم واحد رأي الثاني ؛ فإننا نجد « أهل السنّة والجماعة » يتعبّدون بالمذاهب الأربعة التي لم تخلق إلاّ في القرن الثالث للهجرة ، والتي يخالف فيها بعضهم رأي البعض الآخر ، ومع ذلك نبذوا أهل البيت وراء ظهورهم ، ووقفوا منهم موقف العداء ، بل وحاربوا كلّ من تشيَّع لهم ، ولا زالوا يحاربونهم حتى يوم الناس هذا.

على الشيعة الذين والوا أهل البيت وانقطعوا إليهم ، فإنّنا لا نجد شيئاً في فقههم وعباداتهم وكلّ معتقداتهم يرجعون فيه إلى السنّة النبويّة المروية عن أهل البيت » يعارض هذا قوله في الكتاب نفسه : « وإذا شئنا التوسّع في البحث لقلنا بأنّ « أهل السنّة والجماعة » هم الذين حاربوا أهل البيت النبوي ... ولذلك لو فتشت في عقائدهم وكتب الحديث عندهم فسوف لا تجد لفقه أهل البيت شيئاً عندهم يذكر ».

قال الرحيلي : ففي النصّ الأوّل يدّعي أنّ كلّ معتقدات أهل السنّة وفقههم ترجع إلى أهل البيت!! وفي النصّ الثاني يناقض ذلك تماماً ويزعم أنّ أهل السنّة أخذوا كلّ معتقداتهم ... من أعداء أهل البيت ..).

هذا ما ذكره الرحيلي ، وهو يثير العجب حيث إنّ المؤلّف نفى في النصّ الأوّل رجوع أهل السنّة إلى أهل البيت وقال : « .. لا نجد شيئاً في فقههم يرجعون فيه إلى السنّة النبويّة المروية عن أهل البيت ». وكذلك في النصّ الثاني نفى رجوع أهل السنّة في الأُصول والفروع لأهل البيت ، فكيف يتفوّه الرحيلي بهذا الكلام ويدّعي التناقض على المؤلّف مع أنّه لا تناقض إلاّ في مخيّلته التي أعماها التعصّب المقيت!!

وإذا أردنا دليلا آخر ، فما علينا إلاّ أن نحلّل موقف « أهل السنّة والجماعة » من ذكرى يوم عاشوراء ، ذلك اليوم المشؤوم الذي هُدم فيه ركن الإسلام بقتل سيّد شباب أهل الجنّة ، والعترة الطاهرة من ذرّية المصطفى ، والنخبة الصالحة من أصحابه المؤمنين.

أوّلا : نلاحظ أنّهم يقفون من قتلة الحسين موقف الراضي الشامت المعين ، ولا يستغرب منهم ذلك ، فقتلة الحسين كلّهم من « أهل السنّة والجماعة » ، ويكفي أن نعرف بأنّ قائد الجيش الذي ولاّه ابن زياد لقتل الحسين هو عمر بن سعد بن أبي وقاص.

ولذلك فـ « أهل السنّة والجماعة » يترضّون على الصحابة أجمعين بما فيهم قتلة الحسين والذين شاركوهم ، ويوثّقون أحاديثهم ، بل وفيهم من يعتبر الإمام الحسين « خارجياً » ؛ لأنّه خرج على أمير المؤمنين يزيد بن معاوية!

وقد قدّمنا فيما سبق بأنّ فقيه « أهل السنّة والجماعة » عبد الله بن عمر قد بايع يزيد بن معاوية ، وحرَّم أن يخرج أحد من أتباعه على يزيد ، وقال : « نحن مع من غلب ».

ثانياً : نرى بأنّ « أهل السنّة والجماعة » على مرّ التاريخ من يوم عاشوراء إلى يوم الناس هذا ، يحتفلون بيوم عاشوراء ويجعلونه عيداً ، يخرجون فيه زكاة أموالهم ويوسعون فيه على عيالهم ، ويروون بأنّه يوم بركات ورحمات.

ولا يكفيهم كلّ ذلك ، فتراهم إلى اليوم يشنّعون على الشيعة ، وينتقدون بكاءهم على الحسين ، وفي بعض البلدان الإسلامية يمنعونهم من إقامة

ذكرى العزاء ، ويهجمون عليهم بالسلاح ، ويعملون فيهم ضرباً وتقتيلا بدعوى محاربة البدع.

وفي الحقيقة هم لا يحاربون البدع بقدر ما يمثلون دور الحكّام الأمويين والعباسيين ، الذين حاولوا جهدهم القضاء على ذكرى عاشوراء ، ووصل بهم الأمر إلى نبش قبر الحسين وإعفائه ومنع الناس من زيارته.

فهم إلى الآن يريدون القضاء على إحياء تلك الذكرى خوفاً من أن يعرف الناس ومن يجهلون حقيقة أهل البيت واقع الأُمور ، فتنكشف بذلك عورات أسيادهم وكبرائهم ، ويعرف الناس الحقّ من الباطل ، والمؤمن من الفاسق.

وبهذا يتبيَّن لنا مرّة أُخرى بأنّ الشيعة هم أهل السنّة النبويّة ؛ لأنّهم اتبعوا سنّة النبيّ ﷺ حتى في الحزن والبكاء علي أبي عبد الله الحسين ، وذلك بروايات ثابتة أنّه بكى على ولده الحسين عندما أعلمه جبريل بمقتله في كربلاء وذلك قبل الواقعة بخمسين عاماً.

ويتبيّن لنا أيضاً بأنّ « أهل السنّة والجماعة » يحتفلون بيوم عاشوراء ؛ لأنّهم اتبعوا سنّة يزيد بن معاوية وبني أُميّة في احتفالهم بذلك اليوم ؛ لأنّهم انتصروا فيه على الحسين ، وأخمدوا ثورته التي كانت تهدّد كيانهم ، وقطعوا بذلك دابر الشغب على حدّ زعمهم.

والتاريخ يحدّثنا بأنّ يزيد وبني أُميّة ، احتفلوا بذلك اليوم احتفالا كبيراً حتى وصل إليهم رأس الحسين وسبايا أهل البيت ، ففرحوا بذلك وشمتوا برسول الله ﷺ وقالوا في ذلك أشعاراً.

وتقرَّب إليهم علماء السوء من « أهل السنّة والجماعة » ، فوضعوا لهم

أحاديث في فضل ذلك اليوم ، وأنّ عاشوراء هو اليوم الذي تاب الله فيه على آدم ، وهو اليوم الذي رست فيه سفينة نوح على جبل الجودي ، وهو اليوم الذي كانت فيه النار برداً وسلاماً على إبراهيم ، وهو اليوم الذي خرج فيه يوسف من السجن وردّ فيه بصر يعقوب ، وهو اليوم الذي انتصر فيه موسى على فرعون ، وهو اليوم الذي نزلت فيه على عيسى مائدة من السماء.

وهذه الروايات كلّها يردّدها علماء « أهل السنّة والجماعة » وأئمتهم على المنابر حتى اليوم بمناسبة عاشوراء ، وهي روايات كلّها من وضع الدجّالين الذين تزيّوا بزي العلماء ، وتقرَّبوا إلى الحكّام بكلّ الوسائل ، فباعوا آخرتهم بدنياهم ، فما ربحت تجارتهم وهم في الآخرة من الخاسرين.

وقد أمعنوا في الكذب عندما رووا بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هاجر إلى المدينة فصادف دخوله إليها يوم عاشوراء ، فوجد يهود المدينة صياماً ، فسألهم عن السبب ، قالوا : هذا اليوم الذي انتصر فيه موسى على فرعون ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : نحن أولى بموسى منكم [1] ، ثمّ أمر المسلمين بصوم عاشوراء وتاسوعاء لمخالفة اليهود.

وهذا كذب مفضوح إذ إنّ اليهود يعيشون معنا ، ولم نسمع لهم بعيد يصومون فيه يسمونه عاشوراء.

وهل لنا أن نسأل ربنا عزّ وجلّ : كيف جعل هذا اليوم مباركاً على كلّ أنبيائه ورسله من آدم إلى عيسى إلاّ محمّد ، فقد كان عليه هذا اليوم مصيبة وعزاء وشؤماً ، إذ قُتل فيه ذريته وعترته ، وذُبحوا ذبح الغنم ، وأخذت بناته

---

١ ـ مسند أحمد ١ : ٣٣٦ ، سنن أبي داود ١ : ٥٤٦.

سبايا؟ والجواب : إنّه ﴿ لا يُسْأَلُ عَمّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [1].

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [2].

---

١ . الأنبياء : ٢٣.

٢ . آل عمران : ٦١.

٥ . أهل السنّة والجماعة والصلاة البتراء

بعدما قدّمنا في فصل سابق نزول الآية وتفسيرها من قبل الرسول نفسه ، وتعليمهم كيفيّة الصلاة الكاملة ، ونهيهم عن الصلاة البتراء التي لا يقبلها الله سبحانه ، ومع ذلك نجد إصراراً كبيراً من طرف « أهل السنّة والجماعة » على الصلاة البتراء لئلاّ يذكرون آل محمّد ضمن الصلاة ، وإذا ما ذكروهم غصباً تراهم يضيفون الصحابة معهم ، وإذا قلت أمام أحدهم : صلّى الله عليه وآله ، فإنّه يفهم على الفور بأنّك شيعي ، وذلك لأنّ الصلاة الكاملة على محمّد وآل محمّد أصبحت شعاراً للشيعة وحدهم.

وهذه حقيقة لا مرية فيها ، وقد اعتمدتها شخصياً في بداية البحث ، فكنت أعرف تشيّع الكاتب من قوله بعد ذكر محمّد : صلى الله عليه وآله وسلّم ، وعندما لا أجد إلاّ لفظة صلّى الله عليه وسلّم أعرف أنّه سنّي.

كما أفهم تشيّع الكاتب عندما يكتب « عليّ عليه السلام » ، ولكنّه عندما يكتب كرَّم الله وجهه أعرف بأنّه سنّي.

ونرى من خلال الصلاة الكاملة بأن الشيعة اقتدوا بالسنّة النبويّة الشريفة ، بينما خالف « أهل السنّة والجماعة » أوامر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقيموا لها وزناً ، فتراهم دائماً يصلّون الصلاة البتراء ، وإذا ما اضطروا إلى إضافة الآل فأنّهم عند ذلك يضيفون معهم الصحابة أجمعين بدون استثناء ، حتى لا يبقوا لأهل

البيت فضلا ولا خصوصية.

وهذا كلّه ناتج عن موقف الأمويين تجاه أهل البيت ، والعداوة التي كانوا يحملونها لهم ، حتى وصل بهم الأمر أن أبدلوا الصلاة عليهم بلعنهم على المنابر ، وحمل الناس على ذلك بوسائل الترهيب والترغيب.

فـ « أهل السنّة والجماعة » لم يجاروهم في السبّ واللعن لأهل البيت ، ولو فعلوا ذلك لافتضحوا عند المسلمين ، ولعُرفوا على حقيقتهم وتبرّأ منهم الناس ، فتركوا السبّ واللعن ، ولكنّهم أضمروا العداوة والبغضاء لأهل البيت ، وحاولوا بكلّ جهودهم إطفاء نورهم بأن رفعوا مكانة أعدائهم من الصحابة ، واختلقوا لهم فضائل خيالية لا تمت للحقّ بصلة.

والدليل على ذلك أنّك تجد « أهل السنّة والجماعة » حتى اليوم يقولون شيئاً في معاوية والصحابة الذين لعنوا أهل البيت طيلة ثمانين عاماً ، بل ويترضّون عليهم أجمعين ، وفي الوقت يكفِّرون أيّ مسلم ينتقص أحداً منهم (من الصحابة) ويكشف عن جرائمه ، فيفتون بقتله.

وقد حاول بعض الوضّاعين أن يضيف إلى الصلاة الكاملة ـ التي علمها رسول الله ﷺ إلى أصحابه ـ جزءاً آخر ، ظنّاً منه بأنّ ذلك سينقص من مكانة أهل البيت وقيمتهم ، فروى بأنّه قال : قولوا اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد وعلى أزواجه وذريته ، والباحث يفهم بأنّ هذا الجزء قد أُضيف لكي تلحق عائشة بركب أهل البيت.

ونحن نقول لهم : لو سلَّمنا جدلا بصحة الرواية ، وقبلنا أُمهات المؤمنين ضمنها ، فإنّ الصحابة لا دخل لهم فيها ، وأنا أتحدّى أن يأتي أحد المسلمين

بدليل من القرآن أو من السنّة في هذا المعنى ، فنجوم السماء أقرب إليه من ذلك.

والقرآن والسنّة أمرا كلّ الصحابة ، وكلّ من يأتي بعدهم من المسلمين إلى قيام الساعة بالصلاة على محمّد وآل محمّد ، وهذه وحدها مرتبة عظيمة تقصر عنها كلّ المراتب ، ومنقبة جليلة لا يلحقهم فيها لاحق.

فأبو بكر وعمر وعثمان ، وكلّ الصحابة أجمعين ، وكلّ المسلمين في العالم ، والذين يعدّون بمئات الملايين عندما يصلّون يقولون في تشهدهم : اللهّم صلّ على محمّد وآل محمّد! وإذا لم يقولوا ذلك فصلاتهم مردودة لا يقبلها الله سبحانه.

وهذا هوا المعنى بالضبط الذي قصده الإمام الشافعي عندما قال :

يكفيكم من عظيم الشأن أنّكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة له [1]

وقد اتهم الشافعي بالتشيّع من أجل قوله هذا ، فإنّ أذناب الأمويين والعباسيين يتهمون بالتشيّع كلّ من صلّى على محمّد وآل محمّد ، أو قال فيهم شعراً ، أو حدَّث بفضيلة من فضائلهم.

وعلى كلّ حال فالبحث في هذا المجال واسع ، قد يتكرّر في العديد من الكتب ، فلا بأس بالإعادة إذا كان فيها إفادة.

والمهم أنّنا عرفنا خلال هذا الفصل بأنّ الشيعة هم أهل السنّة النبويّة ، وصلاتهم كاملة ومقبولة حتى على رأي من خالفهم ، و « أهل السنّة

---

١ . راجع الصواعق المحرقة ٣ : ٤٣٥.

والجماعة » خالفوا في ذلك صريح السنّة النبويّة ، وصلاتهم بتراء غير مقبولة حتى على رأي أئمتهم وعلمائهم.

﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الكِتابَ وَالحِكْمَةَ وَآتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً ﴾ [1].

---

١ . النساء : ٥٤.

٦ . عصمة النبيّ وتأثيرها على « أهل السنّة والجماعة »

إنّ نظريّة العصمة مختلف فيها عند المسلمين ، وهي في الحقيقة العامل الوحيد الذي يفرض على المسلمين أن يتقبَّلوا أحكام النبيّ ﷺ بدون نقاش ولا جدال ، إذا ما اعتقدوا في أنّه لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى ، فلا يؤمنون بأنّ أقوال النبيّ وأحكامه إذا لم تكن قرآناً يتلى ، فهي مجرّد اجتهاد منه ، فإذا اعتقدوا هذا الاعتقاد ، وسلّموا بأنّ الأمر كلّه لله ، وليس النبيّ إلاّ واسطة للتبليغ والبيان فقط فهم شيعة ، وقد اشتهر كثير من الصحابة بهذا الاعتقاد ، وعلى رأس هؤلاء الإمام علي عليه السلام الذي ما كان يغيِّر من سنّة النبيّ قليلا ولا كثيراً باعتبارها من وحي الله ، فلا يجوز استعمال الرأي والاجتهاد مقابل أحكام الله سبحانه وتعالى.

وأمّا إذا اعتقدوا أنّ النبيّ غير معصوم في أقواله وأفعاله ، والعصمة لا تختصّ إلاّ بالقرآن الكريم وما يتلى من آياته ، وما عدا ذلك فهو كسائر البشر يخطئ ويصيب ، أمّا إذا قالوا بهذا فإنّهم « أهل السنّة والجماعة » الذين يجوّزون أن يجتهد الصحابة والعلماء مقابل أقوال وأحكام النبيّ ﷺ ، بما يتماشى والمصلحة العامة طبقاً للظروف التي تقتضيها الحال ، حسب رأي الحاكم في كلّ زمان.

وإنّه غنيّ عن البيان بأنّ مدرسة الخلفاء الراشدين (باستثناء الإمام علي) قد اجتهدوا بآرائهم مقابل السنّة النبويّة ، ثمّ ذهبوا شوطاً أبعد فاجتهدوا

مقابل النصوص القرآنية أيضاً ، وأصبحت آراؤهم فيما بعد أحكاماً عند « أهل السنّة والجماعة » ، يعملون بها ويفرضونها على المسلمين.

وقد تكلّمنا عن اجتهادات أبي بكر وعمر وعثمان في كتاب « مع الصادقين » ، وكذلك في كتاب « فاسألوا أهل الذكر » وقد نفرد لهم كتاباً خاصاً في المستقبل إن شاء الله تعالى.

وقد عرفنا أنّ « أهل السنّة والجماعة » يضيفون إلى المصدرين الأساسين للتشريع الإسلامي (القرآن والسنّة) مصادر أُخرى كثيرة ، من جملتها سنّة الشيخين (أبي بكر وعمر) واجتهاد الصحابي ، وهذا ناتج عن اعتقادهم بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن معصوماً ، وإنّما كان يجتهد برأيه ، وكان بعض الصحابة يصوِّب رأيه ويصلح خطأه.

وبهذا يتبيَّن لنا بأنّ « أهل السنّة والجماعة » عندما يقولون بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ليس معصوماً ، فهم يجوِّزون بذلك مخالفته وعصيانه من حيث يشعرون أو من حيث لا يشعرون ؛ لأنّ غير المعصوم غير واجب الطاعة شرعاً وعقلا ، وما دمنا نعتقد بخطئه فلا تلزمنا طاعته .. كيف نطيع الخطأ؟

كما يتبيَّن لنا في المقابل بأنّ الشيعة عندما يقولون بعصمة النبيّ المطلقة ، فهم يفرضون بذلك طاعته ؛ لأنّه معصوم عن الخطأ ، فلا تجوز مخالفته ومعصيته بأيّ حال من الأحوال ، ومن يخالفه أو يعصيه فقد خالف وعصى ربّه ، وإلى ذلك يشير القرآن الكريم في العديد من الآيات بقوله : ﴿ **وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ﴾ [1] ، وقوله : ﴿ **أَطِيعُوا**

---

١ . الحشر : ٧.

اللهَ وَالرَّسُولَ ﴾ [1] ، وقوله : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾ [2]. إلى آيات كثيرة تفرض على المسلمين طاعة النبيّ وعدم مخالفته باعتباره معصوماً ، ولا يبلغ إلاّ ما أمره به الله سبحانه.

وهذا يفرض بالضرورة أن يكون الشيعة هم أهل السنّة النبويّة لاعتقادهم بعصمتها ووجوب اتباعها ، كما يفرض أن يكون « أهل السنّة والجماعة » بعيدين عن السنّة النبويّة لاعتقادهم بخطئها وجواز مخالفتها.

﴿ كانَ الناسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الكِتابَ بِالحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ الناسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ البَيِّناتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراط مُسْتَقِيم ﴾ [3].

---

١ . آل عمران : ٣٢.

٢ . آل عمران : ٣١.

٣ . البقرة : ٢١٣.

مع الدكتور الموسوي و « التصحيح »

التقيتُ مجموعة من الشباب المثقّف في بيت أخ تربطني به وشائج القرابة والصبا في ضواحي باريس ، بمناسبة وليمة أقامها لمولد ابنه الذي رزقه الله بعد طول انتظار ، ودار الحديث بيننا عن الشيعة والسنّة ، وكان الجميع . وأغلبهم من الجزائريين المتحمّسين للثورة الإسلامية . ينتقدون الشيعة ويردّدون تلك الأساطير المعروفة ، واختلفوا فيما بينهم بين مؤيد منصف يقول بأنّ الشيعة إخوتنا في الدّين ، ومناهض له يصف الشيعة بكلّ ضلالة ويفضّل عليهم النصارى.

ولما تعمّقنا في البحث والاستدلال ، كان بعضهم يهزأ منّي ويقول بأنّني من المغرورين الذين بهرتهم الثورة الإيرانية ، وحاول صديقي إقناعهم بأنّني باحث كبير ، وأطراني أمام الحاضرين ، وقال بأنّني مؤلّف كتب عديدة في هذه المواضيع.

ولكن أحدهم قال بأنّ لديه الحجّة التي ليس بعدها حجّة ، وسكت الجميع ، وتساءلت عن هذه الحجّة ، فطلب منّي الانتظار بضع دقائق ، وذهب مُسرعاً إلى بيته المجاور ورجع يحمل بين يديه كتاب « الشيعة والتصحيح » للدكتور موسى الموسوي ، وضحكت عندما رأيت الكتاب وقلت : أهذه هي الحجّة التي ليس بعدها حجّة؟ التفت إلى الحاضرين وقال :

هذا من أكبر علماء الشيعة ، وهو مرجع من مراجعهم ، وله شهادة في

الاجتهاد وأبوه وجدّه من أكبر علمائهم ، ولكنّه عرف الحقّ ونبذ التشيع ، وأصبح من أهل السنّة والجماعة.

وأنا واثقٌ من أن الأخ (ويقصدني) لو يقرأ هذا الكتاب لما دافع عن الشيعة أبداً ، ولعرف خفاياهم وانحرافاتهم.

وضحكتُ مرّة أُخرى وقلت له : وحتّى تعرفَ أنّي قرأتُه قراءة باحث ، فسأعطيك أمام الحاضرين الحجّة التي ليس بعدها حجّة من الكتاب نفسه الذي جئت به!

قال مع الحاضرين بلهفة : هات نسمع منك.

قلت : أنا لا أتذكّر رقم الصفحة ، ولكن أعرف العنوان وأذكره جيّداً وهو : أقوال أئمة الشيعة في الخلفاء الراشدين.

قال : وما في ذلك؟

قلت : ابحث عنه واقرأه أمام الحاضرين وبعدها سأبين لك الحجّة.

وأخرج الفقرة وقرأها أمام الحاضرين ، وملخّصها أنّ الإمام جعفر الصادق عليه السلام كان يفتخر بانتسابه لأبي بكر « الصديق » ، فيقول : « أولدني أبو بكر مرّتين » والذين رووا هذه الروايات يروون أيضاً بأنّ الإمام الصادق كان يطعن في أبي بكر من جهة أُخرى.

ويعلّق الدكتور الموسوي على هذا بقوله : « فهل يُعقلُ أن يفتخر الإمام الصادق بجدّه من جهة ، ويطعن فيه جهة أُخرى؟ إن مثل هذا الكلام قد يصدر من السوقي الجاهل ، ولكنّه لا يصدر من إمام ».

وتساءل الجميع : ما الحجّة في هذا؟! وقالوا : إنه كلام معقول ومنطقي.

قلتُ : إنّ الدكتور الموسوي استنتج من قول الإمام الصادق : « أولدني أبو بكر مرّتين » بأنّه يفتخر بجدّه ، مع أنّه ليس في هذه العبارة ما يوحي بالمدح والثناء على أبي بكر ، ومع أنّ الصادق ليس هو حفيد مباشر لأبي بكر ، وإنّما لأنّ أمّه جدّها أبو بكر ، ومع العلم بأنّ الصادق ولد بعد وفاة أبي بكر بسبعين عاماً فلم يره أبداً.

قالوا : لم نفهم قصْدك من كلّ هذا؟!

قُلتُ : ما رأيكم في من يفتخر بجدّه المباشر والدُ أبيه ، ويقول بأنّه أعلم أهل زمانه ولم يعرف التاريخ مثله ، ثمّ يقول بأنّه درس وتأدّب على يديه ، فهل يُعقلُ أنْ يطعنَ فيه بعد ذلك ، وهل يقبلُ عاقلٌ أنْ يفتخر بشخص من جهة ثمّ يكفّره من جهة أخرى؟!

فقالوا جميعاً : لا يُعقلُ ولا يكون ذلك أبداً.

فقلتُ : إقرأ إذاً ما جاء فيه أوّل صفحة من هذا الكتاب الذي بين يديك ، فسترى بأنّ الدكتور الموسوي هو ذلك الرجل.

فقرأ : « ولدتُ وترعرعت في بيت الزعامة الكبرى للطائفة الشيعية ، ودرستُ وتأدّبتُ على يد أكبر زعيم وقائد ديني عرفه تاريخ التشيع منذ الغيبة الكبرى وحتى هذا اليوم ، وهو جدّنا الإمام الأكبر السيد أبو الحسن الموسوي الذي قيل فيه : « أنسى من قبله وأتعب من بعده ».

قلتُ : الحمدُ لله الذي أظهر الحجّة على لسان الموسوي نفسه ، وقد حكم على نفسه بنفسه إذ قال فيما قرأتم : هل يعقل أن يفتخر بجدّه من جهة ويطعن فيه من جهة أُخرى؟ وحكم بأنّ هذا لا يصدر إلاّ من السُّوقي الجاهل.

وإنّ الذي يصف جدّه بهذه الأوصاف العظيمة التي لم تتوفّر لغيره من أفذاذ العلماء ، ويدّعي بأنّه تأدّب على يديه وأخذ دروسه وعلومه منه ، لا يكفّره بعد ذلك ويطعن في عقيدته ، إلاّ إذا كان سوقياً جاهلا.

وأطرق الجميع رؤوسهم ، وابتهج صديقي صاحب البيت قائلا : ألم أقل لكم إنّ الأخ التيجاني باحث موضوعي ومنطقي؟

وفكّر صاحب الكتاب الذي كان يرعدُ ويزبد وقال : يا أخي ربّما عرف الحقّ الدكتور الموسوي بعدما كبر وتعلّم فسبحان الله ، طلب العلم من المهد إلى اللّحد!

وأجبتُ : لو كان الأمر كما تقول لوجب على الدكتور أن يتبرّأ من جدّه ، ومن أُستاذه أيضاً الذي أعطاه شهادة الاجتهاد ، لا أن يفتخر بهما ويحتجّ بشهادتهما ، وهو يكتب في نفس الوقت تكفيرهما من حيث لا يشعر.

ولو اردتُ أن أُناقشكم في كلّ المواضيع التي كتبها لأريتكم العجب العجاب.

وانتهى ذلك اللقاء بعد توضيحات وشروح عن واقع تلك الإشكالات ، وكانت له نتائج إيجابية بحمد الله إذ استبصر منهم ثلاثة بعد قراءة كُتبي.

وإنّي أنتهزُ هذه الفُرصة لأقدّم للقرّاء الكرام بعض الصفحات التي كتبتُها في هذا الموضوع على عجالة ؛ لأنّ كتاب « الشيعة والتصحيح » له تأثير في الأوساط التي يتواجد فيها الوهابيون ، وبما أنّ هؤلاء لهم من الأموال والنفوذ في بعض المناطق ، فقد يؤثّرون في بعض الشباب من المسلمين الذين لا يعرفون الشيعة ، فيخدعوهم بهذا الكتاب ، ويمنعونهم من الوصول إلى

الأبحاث المفيدة ، ومن ثمّ يقيمون أمامهم حاجزاً للوصول إلى الحقيقة المنشودة.

وهؤلاء المعترضون جعلوا حجّتهم على الشيعة كتاب « الشيعة والتصحيح » للدكتور موسى الموسوي الذي طبع بالملايين ، وَوُزّع مجّاناً في أوساط الشباب المثقّف من طرف سلطات معروفة ، عرف الخاصّ والعامُّ أهدافها ومراميها.

وقد ظنّ هؤلاء المساكين أنّهم فَنّدوا مذهب الشيعة الإمامية بطبع الكتاب ونشره ؛ لأنّ مؤلفه « آية الله » الموسوي وهو من الشيعة لتكون الحجّة من باب : وشهد شاهد من أهلها.

وغفل هؤلاء المساكين عن عدّة أُمور لم يحسبوا لها حساباً ، ولم يقدّروا نتائجها العكسيّة التي عادت عليهم بالوبال.

وإنّي شخصياً لا أكلّف نفسي شيئاً من الوقت للردّ على أكاذيب الدكتور موسى الموسوي التي ملأ بها كتابه ، وأعتقدُ أنّ في كتابي « مع الصادقين » ردّاً مقنعاً على مفترياته ، مع أنّه كتب قبل كتابه بوقت قصير ، ولم يكن مضمونه إلاّ إظهار معتقدات الشيعة التي ترتكز كلّها على القرآن الكريم ، والسنّة النبويّة الصحيحة ، وإجماع المسلمين بمن فيهم « أهل السنّة والجماعة » ، فلم نمرّ على عقيدة واحدة من عقائدهم إلاّ وأثبتناها في صحاح « أهل السنّة والجماعة ».

فتبيّن بذلك أنّ كلام الدكتور موسى الموسوي هراءٌ وافتراء لا يقوم على دليل علمي ولا منطق إسلامي ، وهو طعن على « أهل السنّة » قبل الشيعة.

وتبيّن أيضاً بأنّ الذين روّجوا له كتابه لا يعرفون من حقائق الإسلام شيئاً ، وكشفوا بذلك عن عوراتهم وجهلهم.

وكلّ ما انتقده مدّعي « التصحيح » من عقائد الشيعة ، وشنّع به عليهم موجود بحمد الله في صحاح « أهل السنّة والجماعة ».

فالعيبُ ليس على الشيعة ، وإنّما العيب على موسى الموسوي وعلى « أهل السنّة والجماعة » الذين لا يعرفون ما يوجد في صحاحهم ومسانيدهم.

فالقول بالإمامة والنصّ على اثني عشر خليفة كلّهم من قريش ، ليس هو من اختراعات الشيعة ، وهو موجود في صحاح « أهل السنّة والجماعة ».

والقول بالمهدي وأنّه من العترة الطّاهرة يملأ الأرض عدلا وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، ليس هو من اختراعات الشيعة إنّما هو موجود في صحاح « أهل السنّة والجماعة ».

والقول بأنّ الإمام علي بن أبي طالب هو وصيّ رسول الله ﷺ ليس من اختراعات الشيعة ، وهو موجود في صحاح « أهل السنّة والجماعة ».

والقول بالتقيّة والعمل بها ليس هو من اختراعات الشيعة ، وقد نزل بها القرآن ، وأثبتتها السنّة النبويّة ، وكلّ ذلك موجود في صحاح « أهل السنّة والجماعة ».

والقول بزواج المتعة وأنّها حلال ليس هو من اختراعات الشيعة ، وإنّما أحلّها الله ورسولُه وحرّمها عمر ، كما هو ثابتٌ في كتب وصحاح « أهل السنّة والجماعة ».

والقول بوجوب الخُمس في مكاسب الأرباح ليس هو من اختراعات الشيعة ، وإنّما أوجبه كتاب الله وسنّة رسوله يشهد بذلك صحاح « أهل السنّة والجماعة ».

أمّا زيارة مراقد الأئمة فليس مختصاً بالشيعة ، فأهل السنّة والجماعة يزورون مراقد الأولياء والصالحين ، بل ويقيمون لهم مراسم وأفراحاً موسميّة.

والقول بالبداء ، وأنّ الله يمحو ما يشاء ويثبت ، ليس هو من خيال الشيعة ، بل هو ثابتٌ في صحيح البخاري.

والقول بجمع الصَّلاتين في غير ضرورة ليس هو من اختراع الشيعة ، بل هو ما جاء في القرآن الكريم وفعله الرسول العظيم ، كما هو ثابتٌ في صحاح « أهل السنّة والجماعة ».

والقول بوجوب السجود على التُّراب وعلى الأرض ليس هو من اختراعات الشيعة ، بل هو فعل سيّد المرسلين وخاتم النبيّين ، يشهد بذلك صحاح « أهل السنّة والجماعة ».

وما عدا ذلك من الأقوال التي ذكرها الدكتور موسى الموسوي ، والتي لا يقصد من ورائها إلاّ التهويل والتهريج كدعاية تحريف القرآن ، فـ « أهل السنّة والجماعة » أولى بهذه التهمة من الشيعة ، كما أوضحنا ذلك في كتاب « مع الصادقين ».

والخُلاصة : إنّ كتاب « التصحيح » الذي ألّفه الدكتور الموسوي ، كلّه يتناقض مع كتاب الله وسنّة رسول الله ، وإجماع المسلمين ، وما أوجبه العقل السليم.

فكثير مِمّا أنكره الموسوي هو من ضروريات الدّين التي نزل بها الذكر الحكيم ، وأمر بها الرسول العظيم ، وأجمع عليها كلّ المسلمين ، والمنكر لها كافر بإجماع المسلمين.

فإن كان يقصد بـ « التصحيح » إبدال تلك العقائد وتلك الأحكام ، فقد كفر وخرج من ربقة الإسلام ، وعلى المسلمين كافة أن يقاوموه.

وإن كان يقصد بـ « التصحيح » إبدال عقائده الشخصية التي يُعاني من مركّباتها ، والتي يظهر منها أنّه لم يعرف من الشيعة شيئاً ، ولعلّه نقم عليهم إذ حمّلهم مسؤولية قتل والده الذي ذُبِحَ كالكبش (كما يقول هو في صفحة ٥ من كتابه) على يد مجرم في لبوس رجل الدّين.

فنشأ من صغره بتلك العقدة ناقماً على الشيعة بدون ذنب اقترفوه ، وحوَّل وجهه شطر « أهل السنّة والجماعة » وشاركهم في الحقد والبغض لأتباع أهل البيت ، بدون الانتماء إليهم ، فبقيَ مذبذباً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، فلم يعرف من الشيعة غير ما يردّده أعداؤهم من الأكاذيب ، ولم يعرف من « أهل السنّة والجماعة » غير صلاة الجمعة والجماعة (إن كان يحضرها).

فإذا كان هذا هو المقصود بالتصحيح ، فما عليه إلاّ تصحيح عقائده الفاسدة التي خالف بها إجماع الأُمّة.

وإذا كان الدكتور موسى الموسوي قد نشأ وترعرع حسب ما يدّعي (في الصفحة الخامسة من كتابه) ودرس وتأدّب على يد أكبر زعيم وقائد ديني عرفه تاريخ التشيّع منذ الغيبة الكبرى وحتى هذا اليوم ، وهو جدّه الإمام الأكبر السيد أبو الحسن الموسوي الذي قيل فيه : « أنسى من قبله وأتعب من

بعده » ، فلماذا لم يحفظ دروسه ، ولم يتأدّب بآدابه ، ولم يقتدِ بهديه وينهل من علمه ، بل نراه في كتابه يهزأ ويسخر من عقائد جدّه الإمام الأكبر والزعيم الديني الأوحد الذي عرفه تاريخ الشيعة؟!

فدلّ بذلك على أنّه عاقّ لوالديه ، بل تعدّى عقوقه إلى تكفير جدّه وأبويه ، وإذا كان الشيعة في نظر الموسوي كافرين فزعيمهم وقائدهم الأكبر إلى الكفر هو جدّه (حاشاه) أقرب.

وإنّه من العار الذي ليس بعده عار أن يجهل الحفيد موسى ما كتبه جدّه أبو الحسن الموسوي (رحمه الله) في كتابه وسيلة النَجاة ، ثمّ يدّعي بأنّه درس وتأدّب على يديه.

وإنّه من أكبر العار أن يعرف شابٌ تونسي يبعدُ عن النجف آلاف الكيلومترات كتاب وسيلة النجاة للإمام الأكبر أبي الحسن الموسوي الأصفهاني ، ويهتدي إلى حقائق أهل البيت من خلاله ، بينما لا يعرفه الحفيد الذي تربّى وترعرع في بيته وعلى يديه.

والذي كتبه الإمام الأكبر السيد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني (قدس سره) في وسيلة النجاة ، نقضَه حفيده الدكتور موسى الموسوي وسخر منه واعتبره خروجاً عن الإسلام.

والمنطق يقول : إنْ كانتْ عقيدة الإمام الأكبر والزعيم الديني الذي ما عرف تاريخ الشيعة مثله (كما يعتقد حفيده) عقيدة صحيحة وسليمة ، فعقيدة حفيده كفرٌ وضلال.

وإن كانت عقيدة الحفيد الدكتور موسى الموسوي هي السليمة

والصحيحة ، فعقيدة جدّه هي الكفر والضلال ، وفي هذه الحالة يجبُ عليه أن يتبرّأ منه ولا يفتخر بالانتماء إليه ، ولا بالرجوع إلى التربية بين يديه ، كما بدأ مقدّمة كتابه.

وبهذه الحجّة وبهذا المنطق أيضاً ، يُضربُ بالشهادة العليا التي نالها موسى الموسوي من آل كاشف الغطاء عرض الجدار :

أوّلا : لأنّ الصورة التي أخرجها في كتابه على أنّها شهادة عُليا في الفقه الإسلامي (الاجتهاد) ليست إلاّ إجازة في الروايات ، والتي يعطيها المراجع لأغلب الطلاّب ، وأنا شخصياً عندي منها إجازتان : إحداهما لآية الله العظمى الإمام الخوئي في النجف ، والثانية لآية الله العظمى المرعشي النجفي في قم.

فليست إجازة الرواية شهادة عليا في الفقه الإسلامي ، كما يدّعي الدكتور موسى الموسوي للتمويه على العامة الذين لا يعرفون تنظيم ومراحل الدّراسة في الحوزات العلمية.

ثانياً : لأنّ حفيد الإمام الأكبر الذي يدّعي التصحيح قد خان الأمانة التي ائتمنه عليها أُستاذه ومعلّمه الذي يدّعي الموسوي أنّه وسمه برتبة الاجتهاد ، إذ يقول المرحوم المرجع الديني الأعلى زعيم الحوزة العلمية في النجف الأشرف الشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء في تلك الإجازة التي أخرج الموسوي صورة منها في كتابه : « وقد أجزتُ له لأهليّته أن يروي عنّي ما صحّتْ لي روايته من مشائخي العظام وأساتذتي الكرام ... ».

وقد رأينا الموسوي يفنّد ويسخر من كلّ ما رواه المرجع الديني الأعلى زعيم الحوزة العلمية آل كاشف الغطاء عن مشائخه العظام وأساتذته الكرام

في كتابه « أصل الشيعة وأُصولها » والذي ذكر فيه كلّ معتقدات الشيعة وأحكامهم ، فأين كتاب « الشيعة والتصحيح » الذي ألّفه التلميذ الخائن من كتاب « أصل الشيعة وأُصولها » الذي ألّفه المرجع الأعلى كاشف الغطاء؟!

فإذا كان كاشف الغطاء هو المرجع الدّيني الأعلى ، وزعيم الحوزة العلمية في النجف الأشرف ، كما يعترف الموسوي في من كتابه ، وإذا كان الموسوي يفتخر علينا بالشهادة العليا التي نالها من حضرته قبل ثلاثين عاماً ، فلماذا يسخر . الموسوي التلميذ الصغير . من معتقدات أُستاذه العظيم الذي علّمه وأعطاه شهادة عليا على حدّ زعمه؟

فإن كان المرجع الديني الأعلى ، وزعيم الحوزة العلمية الشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء على حقّ ومعتقداته صحيحه ، فالموسوي على باطل ومعتقداته كلّها فاسدة.

وإن كان المرجع الدّيني الأعلى على باطل ومعتقداته غير صحيحة ، فيسخر منها الموسوي ويُفندها ، فيلزمه في هذه الحالة أن لا يكذب على الناس ويموّه بأنّ شهادته العليا في الفقه الإسلامي (الاجتهاد) قد حصل عليها من سماحته.

وإذا كانت معتقدات موسى الموسوي هي الصحيحة كما يدّعي هو في كتابه ، فقد كفّر جدّه السيد أبا الحسن الموسوي الأصفهاني الذي يقول عنه هو نفسه بأنّه أكبر زعيم وقائد ديني عرفه تاريخ التشيع منذ الغيبة الكبرى وحتّى هذا اليوم.

كما كفّر أُستاذه ومانحه الشهادة العليا كاشف الغطاء ، وكفّر ملايين الشيعة

من نشأتهم بعد السقيفة إلى يومنا هذا.

وإنّي كما عاهدتُ ربّي أن أتبيّن في الأمر قبل الحكم عليه ، عندما قرأتُ كتاب موسى الموسوي « الشيعة والتصحيح » أقبلت عليه بكلّ جوارحي علّني أُدرك فيه ما فاتني وأكمل ما ينقصني ، فإذا بي لا أجدُ فيه إلاّ الأكاذيب والتناقضات ، وإنكار ما هو ثابت بنصّ القرآن ، والاستهزاء بسنّة النبيّ ومخالفة إجماع المسلمين.

وأدركت أنّ الموسوي لم يكلّف نفسه قراءة صحيح البخاري فقط ، والذي هو أصحُّ الكتب عند « أهل السنّة والجماعة » ، والذي يريد الموسوي حسب « تصحيحه » أن ينضمّ إليهم الشيعة ويتركوا أوامر الله ورسوله ، ولو قرأ هذا العالم الفذّ!! الذي حصل على الشهادة العليا في الفقه الإسلامي « الاجتهاد » ، وعمره على ما يبدو عشرون عاماً. ما شاء الله يؤتي الحكمة مَن يشاء. لأنّه حصل بعدها على شهادة الدكتوراه في التشريع الإسلامي من جامعة طهران عام ١٩٥٥ ، ولا تنسَ أنّه ولد في النجف الأشرف عام ١٩٣٠ ، كما حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة باريس « السوربون » عام ١٩٥٩.

أقول : لو كلّف نفسه قراءة صحيح البخاري فقط ، وهو كتاب موثوق عند « أهل السنّة والجماعة » ، لما وقع في هذه الورطة التي سوف لا يجد منها مخرجاً إلاّ بالتّوبة النصوحة والرجوع إلى الله ، وإلاّ سوف لن تنفعه الشهادات العليا ، ولا الألقاب الخلاّبة ، ولا الأموال المبذولة التي تُصرف لتفريق المسلمين.

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَها ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ * لِيَمِيزَ اللهُ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلى بَعْض فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ ﴾ [1].

وعلى كلّ حال ، فكتابه مليءٌ بالتناقُضات التي يتعثّرُ فيها كلّ باحث ، وإذا كان الموسوي يرى في نفسه الكفاءة لتصحيح مذهب الشيعة في عقائدهم وأحكامهم ، فأنا أدعوه لمقابلة تلفزيونيّة وندوة علميّة يحضرها مَن يشاء من الباحثين والمحقّقين ؛ ليعرف الناس بعدها من هو المحتاج إلى التصحيح ، وهو ما يدعو له القرآن الكريم وما وصل إليه الفكر الحرّ في أرقى المجتمعات ، حتى يتبيّن المسلمون أمرهم ، فلا يُكفّروا قوماً بجهالة ويصبحوا بعد ذلك نادمين.

﴿ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ﴾ [2].

بقيَ شيء واحد لابدّ لنا أن نُنصفَ فيه الدكتور الموسوي ، وهو ما ذكره في « تصحيحه » في ثلاثة عناوين رئيسية :

١ ـ ضرب القامات في يوم عاشوراء [3].

---

١ ـ الأنفال : ٣٦ ـ ٣٧.

٢ ـ البقرة : ١١١.

٣ ـ إن الشيعة يمثّلون ما بين الربع إلى الثلث من عدد المسلمين في العالم ، فإذا قلنا : إنّ عدد المسلمين الآن المليارد والنصف ، فإن القدر المتيقّن يكون بالنسبة إلى عدد الشيعة أربعمائة مليون نفر.

٢ ـ الشهادة الثالثة (علي ولي الله).

٣ ـ الإرهاب.

أمّا ضرب القامات والسّلاسل والزناجيل ، فإنّه ليس من عقائد الشيعة ولا من الدّين وإنّما هو من أعمال العوام ، ولا يختصُّ بالشيعة وحدهم ، فهناك من أهل السنّة والجماعة ، ومن الطريقة العيساوية المعروفة في كلّ شمال إفريقيا مَن يفعل أكثر من الشيعة ، ولا يقصدون بها حزناً على الحسين ، ولا على مصاب أهل البيت عليهم السلام .

ونحن نُوافقُ الدكتور على تصحيحه ، ونعمل معه لرفع هذه المظاهر عن كلّ المسلمين ، مادام هناك من علماء الشيعة المخلصين مَن يحرّم ذلك ويسعى لإبطاله كما اعترف بذلك الموسوي نفسه.

أمّا الشهادة الثالثة (أشهد أنّ علياً ولي الله) ، فإن الموسوي نفسه يعرف

وهنا نتساءل : كم عدد الشيعة في العالم الذين يخرجون الدماء من رؤوسهم وأبدانهم؟ هل عشرة آلاف؟ أو خمسون ألف؟ أو حتى مائة الف؟ وكم تكون نسبة المائة ألف بالقياس إلى الأربعمائة مليون نسمة؟!

فهل يحقّ أن ننسب إخراج الدماء من الرؤوس والأبدان إلى الشيعة ، مع أنّه لا يفعله منهم الواحد من العشرة آلاف؟!

وهنا لا نريد أن نطعن بهذا أو أحد الشعائر الأُخرى ، ولكن أردنا أن نبيّن النسبة أوّلا ، وأنّ الفقهاء العظام تعاملوا مع هذه الظاهرة كسائر معاملتهم مع القضايا الخارجية ، من عرضها على الكتاب والسنّة ، وأنّ الأصل في الأفعال الإباحة ، ما لم يرد نصّ أو دليل يحرّمه ، والفقهاء قيّدوا الحلّية بعدم الضرر المعتدّ به ، وإلاّ حرم ، ويرجع في ذلك إلى العرف في تشخيص الضرر المعتدّ به.

وكما هو واضح ومعلوم ، فإنّ كلّ مباح إذا قرن معه قصد القربة إلى الله تعالى وكانت النية خالصة ، فإنّه سيكون مستحباً ، ويثاب فاعله ، ويدخل ضمن تعظيم الشعائر.

جيّداً بأنّ كلّ علماء الشيعة يقولون بأنّها ليست جزءاً من الأذان ، بل إذا جيء بها بنية الوجوب أو بنية أنها جزءٌ من الأذان أو الإقامة بطل الأذان والإقامة ، والموسوي يعرف جيّداً هذه الحقيقة ، ولكنّه يروم التهريج بأيّة مفردة تخدم هدفه المريب.

أمّا الإرهاب فنحن نرفضه رفضاً تاماً كما يرفضه الدكتور الموسوي ، ولكن كان على الدكتور الموسوي أن لا يلصق هذه التهمة الشنيعة بالشيعة ، فموجة الإرهاب التي عُرِفَتْ في السنوات الأخيرة هي نتيجة حتمية للصراع القائم بين الشرق والغرب ، بين الشمال والجنوب ، بين المستكبرين والمستضعفين ، بين الغاصبين والمغصوبين.

ولماذا يربط الدكتور الموسوي أعمال الحشّاشين بالشيعة؟ والتاريخ يشهدُ أنّ الشيعة استُهدِفَتْ على مرّ التاريخ من كلّ الفرق ، ومن كلّ الحكومات والمستعمرين ، ومع ذلك كانوا يرفضون الإرهاب بكلّ أشكاله وألوانه.

ولماذا لا يتكلّم الموسوي عن إرهاب معاوية ، وما قام به من اغتيالات في صفوف المسلمين حتى اغتال الإمام الحسن بالسمّ ، وكان يغتال معارضيه من المؤمنين الصادقين بالسمّ ثمّ يقول : « إن لله جنوداً من عسل » [1].

---

١ ـ المصنّف للصنعاني ٥ : ٤٦ ، الثقات لابن حيان ٢ : ٢٩٨ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ٣٥.

وهل الحركات الإسلامية في العالم ، والتي اتّصفتْ بالإرهاب في فلسطين ، وفي مصر والسُّودان ، وفي تونس والجزائر وفي أفغانستان وغيرها في بلاد الغرب مثل الباسك والكورس وإيرلندا وغيرها من بلاد العالم ، هل هؤلاء من الشيعة؟

وإذا كان الدكتور الموسوي يقصد بالإرهاب هو خطف الرهائن وتحويل الطائرات ونسفها ، فإنّ المناضلين من الشعب الفلسطيني الذين شرّدتهم إسرائيل وطردتهم من بيوتهم ، هم الذين اختطفوا الرهائن في ملعب مونيخ إبّان الألعاب الأولمبية لسنة ٧٢ ، وقتلوا بعض المشاركين من الإسرائيليين ، وحوّلوا بعض الطائرات ونسفوها ، كلّ ذلك ليوقظوا ضمير العالم ، ويعرّفوا بقضيّتهم ومظلمتهم التاريخية التي لم تعرف البشرية مثلها.

ويشهد الموسوي بأنّ هؤلاء ليسوا من الشيعة ، وإذا كان الدكتور الموسوي يتأثّر بوكالات الأنباء الأجنبية التي تحاول جهدها إلصاق هذه التهمة بالشيعة من أجل المواقف السياسيّة والعداء المفرط للثورة الإسلامية ، فإنّ هذه الأوساط تضع في قائمة الإرهاب الدولي كلاًّ من ليبيا وسوريا والعراق على رأس القائمة ، وكلّ هؤلاء ليسوا من الشيعة ضرورةً.

فلماذا يخصّص الدكتور الموسوي الشيعة بالإرهاب في كتابه » الشيعة والتصحيح"؟ وهو نفسه يقول في صفحة ١٢٢ بأنّ الدولة الشيعية الإيرانية لا ولن تستطيع أن تتحدّث باسم الشيعة جميعاً ، بل وحتى باسم الشيعة في إيران.

وإذا كان الأمر كذلك فعلى الدكتور تصحيح مفاهيمه.

وهكذا وبهذا نكون قد أنصفنا الدكتور الموسوي ، وبيّنا الحقَّ من الباطل والصحيح من السقيم.

وأثبتنا للقرّاء الكرام بأنّ عقائد الشيعة الإمامية كلّها صحيحة وسليمة ؛ لأنّها وليدة القرآن الكريم والسنّة النبويّة.

وأنّ ما يحاوله المغرضون والمشاغبون ، أعداء الله ورسوله وأعداء الإسلام من اتهامات مُزيّفة وإشاعات باطلة ؛ للطعن بعقائد المتمَسّكين بالعترة الطّاهرة ؛ سيبوءُ بالفشل ويذهب جفاء ، قال تعالى :

﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً وَأَمّا ما يَنْفَعُ الناسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثالَ ﴾ [1].

ونسأله سبحانه وتعالى أن يهدينا جميعاً ، ويوفّقنا لما يحبّ ويرضى ، ويلهمنا رشدنا ، ويرفع مقته وغضبه عنّا ، ويفرّج كربتنا بحضور الحجّة المنتظر ، ويعجّل لنا ظهوره ، إنّهم يرونه بعيداً ونراه قريباً.

وآخر دعوانا الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وأفضل الصلاة وأزكى التسليم على المبعوث رحمة للعالمين ، سيّدنا ومولانا محمّد وعلى آله الطيّبين الطّاهرين.

المذنب الذي لا يرجو إلاّ رحمة ربّه وشفاعة رسوله

محمّد التيجاني السماوي

---

١ ـ الرعد : ١٧.

مصادر التحقيق

١ ـ أجوبة الحافظ ابن حجر عن أحاديث المصابيح (المطبوع مع كتاب مشكاة المصابيح) ، الطبعة الثالثة ١٩٨٥ ، طبعة المكتب الإسلامي ، تحقيق الشيخ الألباني.

٢ ـ أجوبة مسائل جارالله ـ عبدالحسين شرف الدين ، الطبعة الثانية ١٣٧٣ ، مطبعة العرفان.

٣ ـ الاحتجاج ـ أحمد بن علي الطبرسي ، منشورات دار النعمان.

٤ ـ الإحكام في أُصول الأحكام ـ علي بن محمّد الآمدي ، الطبعة الثالثة ١٤١٨ ، دار الكتاب العربي.

٥ ـ أحكام القرآن ـ أحمد بن عليّ الجصاص ، الطبعة الأُولى ١٤١٥ ، دار الكتب العلمية.

٦ ـ أحمد بن حنبل السيرة والمذهب ـ سعيد أبو حبيب ، الطبعة الأُولى ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨ م ، دار ابن كثير ـ دمشق.

٧ ـ إحياء علوم الدين ـ أبو حامد الغزالي ، الطبعة الأُولى ١٤١٢ ، دار الهادي.

٨ ـ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ـ الشيخ المفيد ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث.

٩ ـ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ـ محمّد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م ، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

١٠ ـ أسنى المطالب في نجاة أبي طالب ـ أحمد زيني دحلان ، إعداد وتقديم صالح الورداني ، مطبعة الهدف.

١١ ـ الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر العسقلاني ، الطبعة الأُولى ١٤١٥ ، دار الكتب العلمية.

١٢ ـ أُصول الفقه ـ محمّد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة.

١٣ ـ أضواء على السنّة المحمّدية ـ محمود أبو رية ، دار الكتاب الاسلامي.

١٤ ـ اعلام الموقّعين عن ربّ العالمين ـ ابن قيم الجوزية ، الطبعة الأُولى ١٣٧٤ ، دار الفكر.

١٥ ـ أعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين ، طبع عام ١٤٠٣ ، دار التعارف للمطبوعات.

١٦ ـ الأمالي ـ الشيخ الصدوق ، الطبعة الأُولى ١٤١٧ ، مؤسسة البعثة.

١٧ ـ الأمالي ـ الشيخ المفيد ، نشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم.

١٨ ـ الأمالي ـ محمّد بن الحسن الطوسي ، الطبعة الأُولى ١٤١٤ ، دار الثقافة.

١٩ ـ الإمام الصادق حياته وعصره ـ محمّد أبو زهرة ، طبع عام ١٩٩٣ ، دار الفكر العربي.

٢٠ ـ الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ـ أسد حيدر ، طبع عام ١٤١٣ ، مكتبة الصدر.

٢١ ـ بحار الأنوار ـ محمّد باقر المجلسي ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ ، مؤسسة الوفاء.

٢٢ ـ بحر الدم ـ يوسف بن المبرد ، الطبعة الأُولى ١٤١٣ ، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢٣ ـ البداية والنهاية ـ إسماعيل بن كثير الدمشقي ، الطبعة الأُولى ١٤٠٨ ، دار احياء التراث العربي.

٢٤ ـ بصائر الدرجات ـ محمّد بن الحسن الصفّار ، طبع عام ١٣٦٢ ش ، مؤسسة الأعلمي.

٢٥ ـ بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ـ نورالدين الهيثمي ، دار الطلائع.
٢٦ ـ تاريخ الإسلام ـ شمس الدين الذهبي ، الطبعة الثالثة ١٤١٩ ، دار الكتاب العربي.
٢٧ ـ تاريخ الأُمم والملوك ـ ابن جرير الطبري ، مؤسسة الأعلمي.
٢٨ ـ تاريخ بغداد ـ أحمد بن عليّ الخطيب البغدادي ، الطبعة الأُولى ١٤١٧ ، دار الكتب العلمية.
٢٩ ـ تاريخ الخلفاء ـ جلال الدين السيوطي ، طبع عام ١٤١١ ، منشورات الشريف الرضي.
٣٠ ـ تاريخ الخلفاء ـ جلال الدين السيوطي ، الطبعة الثالثة ١٣٨٣ هـ ، مطبعة المدني.
٣١ ـ تاريخ مدينة دمشق ـ ابن عساكر ، طبع عام ١٤١٥ ، دار الفكر.
٣٢ ـ تاريخ المذاهب الإسلامية ـ محمّد أبو زهرة ، طبع عام ١٩٩٦ ، دار الفكر العربي.
٣٣ ـ تاريخ اليعقوبي ـ أحمد بن إسحاق اليعقوبي ، طبع عام ١٤١٩ ، دار الكتب العلمية.
٣٤ ـ تأويل مختلف الحديث ـ ابن قتيبة ، دار الكتب العلمية.
٣٥ ـ تحفه اثنا عشرية ـ عبدالعزيز الدهلوي ، طبع عام ١٤٠٨ ، مكتبة الحقيقة.
٣٦ ـ تذكرة الحفّاظ ـ شمس الدين الذهبي ، مكتبة الحرم المكي.
٣٧ ـ تذكرة الخواص ـ سبط ابن الجوزي ، مؤسسة أهل البيت ، طبعة سنة ١٤٠١ هـ ـ بيروت.
٣٨ ـ تصحيح الاعتقاد ـ الشيخ المفيد ، المؤتمر العالمي بمناسبة ذكرى ألفية الشيخ المفيد.
٣٩ ـ تفسير غرائب القرآن (بهامش تفسير الطبري) ـ نظام الدين

النيسابوري ، طبع عام ١٣٢٣ ، المطبعة الأميرية.

٤٠ ـ تفسير القرآن العظيم ـ إسماعيل بن كثير الدمشقي ، طبع عام ١٤١٢ ، دار المعرفة.

٤١ ـ تفسير القرآن العظيم ـ إسماعيل بن كثير الدمشقي ، الطبعة الخامسة ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م ، جمعية إحياء التراث الإسلامي.

٤٢ ـ التفسير الكبير ـ الفخر الرازي ، الطبعة الأُولى ١٤١٥ ، دار احياء التراث العربي.

٤٣ ـ تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل ـ أبو بكر الرازي ، الطبعة الأُولى سنة ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠٢ م.

٤٤ ـ تلخيص الشافي ـ محمّد بن الحسن الطوسي ، الطبعة الثالثة ١٣٩٤ ، منشورات العزيزي.

٤٥ ـ تلخيص المستدرك المطبوع بهامش المستدرك ـ شمس الدين الذهبي ، طبعة سنة ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠٢ م ، تحقيق محمود مطرجي ، دار الفكر ـ بيروت.

٤٦ ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد ـ ابن عبدالبر القرطبي ، الطبعة الأُولى ١٤١٩ ، دار الكتب العلمية.

٤٧ ـ تنوير الحوالك شرح موطّأ مالك ـ جلال الدين السيوطي ، ت٩١١ هـ ، الطبعة الأُولى ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م ، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٤٨ ـ تهذيب التهذيب ـ ابن حجر العسقلاني ، الطبعة الأُولى ١٤٠٤ ، دار الفكر.

٤٩ ـ تهذيب الكمال ـ يوسف المزي ، الطبعة الثانية ١٤٠٩ ، مؤسسة الرسالة.

٥٠ ـ تهنئة الصديق المحبوب ـ حسن بن عليّ السقّاف ، الطبعة الأُولى ١٤١٤ ، دار الإمام النووي.

٥١ ـ الثقات ـ محمّد بن حبّان التميمي ، الطبعة الأُولى ١٣٩٣ ، حيدرآباد الدكن.

٥٢ ـ جامع بيان العلم وفضله ـ ابن عبدالبر ، الطبعة الأُولى ١٤١٥ ، مؤسسة

الكتب الثقافية.
٥٣ ـ جامع البيان ـ محمّد بن جرير الطبري ، طبع ١٤١٥ ، دار الفكر.
٥٤ ـ الجامع الصغير ـ جلال الدين السيوطي ، الطبعة الأُولى ١٤٠١ ، دار الفكر.
٥٥ ـ الجامع لأحكام القرآن ـ محمّد بن أحمد القرطبي ، مؤسسة التاريخ العربي ، ١٤٠٥.
٥٦ ـ حجة الله البالغة ـ شاه ولي الله الدهلوي ، الطبعة الأُولى ١٤١٥ ، دار الكتب العلمية.
٥٧ ـ الحديث والمحدّثون ـ محمّد أبو زهرة ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٤.
٥٨ ـ الدر المنثور ـ جلال الدين السيوطي ، الطبعة الأُولى ١٣٦٥ ، دار المعرفة.
٥٩ ـ دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه ـ ابن الجوزي ، طبعة الكليات الأزهرية ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م.
٦٠ ـ دلائل النبوة ـ أحمد بن الحسين البيهقي ، الطبعة الأُولى ١٤٠٥ ، دار الكتب العلمية.
٦١ ـ ذخائر العقبى ـ أحمد بن عبدالله الطبري ، مكتبة القدسي.
٦٢ ـ ذيل تاريخ بغداد ـ ابن النجّار ، الطبعة الأُولى ١٤١٧ ، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٦٣ ـ رسائل أبي بكر الخوارزمي ، تحقيق نسيب الخازن ، منشورات دار مكتبة الحياة.
٦٤ ـ رسائل الجاحظ ـ عمرو بن بحر الجاحظ ، الطبعة الثالثة ١٩٩٥ ، دار ومكتبة الهلال.
٦٥ ـ رشفة الصادي ـ أبو بكر الحضرمي ، الطبعة الأُولى ١٤١٨ ، دار الكتب العلمية.
٦٦ ـ روض الجنان وروح الجنان ـ أبو الفتوح الرازي ، المكتبة الإسلامية ،

.١٣٩٨

٦٧ ـ روضة الواعظين ـ محمّد بن الفتال النيسابوري ، منشورات الشريف الرضي.

٦٨ ـ زاد المسير في علم التفسير ـ ابن الجوزي ، الطبعة الأُولى ١٤٠٧ ، دار الفكر.

٦٩ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة ـ محمّد ناصر الدين الألباني ـ طبعة سنة ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

٧٠ ـ سنن ابن ماجة ـ محمّد بن يزيد القزويني ، دار الفكر.

٧١ ـ سنن ابن ماجة وبهامشه كفاية الحاجة ، لأبي عبد الله محمّد بن يزيد القزويني ، طبعة سنة ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م ، دار الفكر ـ بيروت.

٧٢ ـ سنن أبي داود ـ سليمان بن شعيب السجستاني ، الطبعة الأُولى ١٤١٠ ، دار الفكر.

٧٣ ـ سنن الدارمي ـ عبدالله بن بهرام الدارمي ، مطبعة الاعتدال.

٧٤ ـ السنن الكبرى ـ أحمد بن الحسين البيهقي ، دار الفكر.

٧٥ ـ السنن الكبرى ـ أحمد بن شعيب النسائي ، الطبعة الأُولى ١٤١١ ، دار الكتب العلمية.

٧٦ ـ سنن النسائي ـ أحمد بن شعيب النسائي ، الطبعة الأُولى ١٣٤٨ ، دار الفكر.

٧٧ ـ السنّة ـ ابن أبي عاصم ، الطبعة الثالثة ١٤١٣ ، المكتب الإسلامي.

٧٨ ـ السنّة ـ أبو بكر أحمد بن محمّد الخلال ، الطبعة الثانية ١٩٩٤ ، دار الراية.

٧٩ ـ سير أعلام النبلاء ـ الذهبي ، الطبعة التاسعة ١٤١٣ ، مؤسسة الرسالة.

٨٠ ـ السيرة الحلبية ـ علي بن إبراهيم الحلبي ، الطبعة الأُولى ١٤٢٢ ، دار الكتب العلمية.

٨١ ـ السيرة النبويّة ـ ابن كثير الدمشقي ، الطبعة الأُولى ١٣٩٦ ، دار المعرفة.

٨٢ ـ سعد بن عبادة ، نشر مركز المصطفى ـ سي دي ، برنامج المعجم العقائدي.

٨٣ ـ الشافي في الإمامة ـ السيّد المرتضى عليّ بن الحسين ، طبع ١٤١٠ ، مؤسسة الصادق.

٨٤ ـ شرح أُصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة ـ هبة الله اللالكائي ، الطبعة الخامسة ١٤١٨ ، دار طيبة.

٨٥ ـ شرح سنن الترمذي ـ ابن العربي ، طبعة بيروت.

٨٦ ـ شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ، در إحياء الكتب العربية.

٨٧ ـ شرح نهج البلاغة ـ محمّد عبده ، دار المعرفة.

٨٨ ـ شواهد التنزيل ـ عبيدالله بن أحمد الحسكاني ، الطبعة الأُولى ١٤١١ ، مجمع إحياء الثقافة الاسلامية.

٨٩ ـ الصارم المسلول على شاتم الرسول ـ ابن تيميّة ، طبع ١٤١٥ ، المكتبة العصرية.

٩٠ ـ الصحابة في نظر الشيعة الإمامية ـ أسد حيدر ، الطبعة الثانية ١٤٠٢ ، طهران.

٩١ ـ صحيح ابن حبّان ـ علاء الدين عليّ بن بلبان ، الطبعة الثانية ١٤١٤ ، مؤسسة الرسالة.

٩٢ ـ صحيح البخاري ـ محمّد بن اسماعيل البخاري ، طبع عام ١٤٠١ ، دار الفكر.

٩٣ ـ صحيح الجامع الصغير ـ محمّد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثالثة ١٤٢١ ، المكتب الإسلامي.

٩٤ ـ صحيح مسلم بشرح النووي ـ الطبعة الثانية ١٤٠٧ ، دار الكتاب العربي.

٩٥ ـ صحيح مسلم ـ مسلم بن الحجّاج النيسابوري ، دار الفكر.

٩٦ ـ الصواعق الإلهية في الردّ على الوهابية ـ سليمان بن عبد الوهاب ، الطبعة الأُولى ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م ، مكتبة حراء.

٩٧ ـ الصواعق المحرقة ـ ابن حجر الهيتمي ، الطبعة الأُولى ١٤١٧ ، مؤسسة الرسالة.

٩٨ ـ الصحاح ـ إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور ، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ ، دار العلم للملايين ـ بيروت.

٩٩ ـ ضحى الإسلام ـ أحمد أمين ، دار الكتاب العربي.

١٠٠ ـ الضعفاء الكبير ـ محمّد بن عمرو العقيلي ، الطبعة الثانية ١٤١٨ ، دار الكتب العليمة.

١٠١ ـ طبقات الحنابلة ـ أبو الحسن محمّد بن أبي يعلى ، دار المعرفة.

١٠٢ ـ الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ، دار صادر.

١٠٣ ـ طبقات المعتزلة ـ أحمد بن يحيى بن المرتضى ، الطبعة الثانية ١٤٠٩ ، دار المنتظر.

١٠٤ ـ ظهر الإسلام ـ أحمد أمين ، الطبعة السابعة ١٩٩٩ ، مكتبة النهضة المصرية.

١٠٥ ـ عبقرية خالد ـ عباس محمود العقاد ، طبع عام ١٩٩٦ ، نهضة مصر.

١٠٦ ـ العقد الفريد ـ أحمد بن محمّد بن عبد ربه الأندلسي ، طبع ١٤١٧ ، دار الكتب العلمية.

١٠٧ ـ الغارات ـ إبراهيم بن محمّد الثقفي ، مطبعة بهمن.

١٠٨ ـ الفتاوى الواضحة ـ السيد محمّد باقر الصدر ، مطبعة الآداب في النجف الأشرف.

١٠٩ ـ فتح الباري ـ ابن حجر العسقلاني ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة للطباعة

والنشر ، بيروت ـ لبنان.

١١٠ ـ فتح المعين ـ الميباري الهندي ، الطبعة الأُولى ١٤١٨ هـ ، دار الفكر ـ بيروت.

١١١ ـ الفتوح ـ أحمد بن أعثم الكوفي ، الطبعة الأُولى ١٤٠٦ ، دار الكتب العلمية.

١١٢ ـ الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة ـ ابن الصباغ المالكي ، انتشارات أعلمي طهران ، الطبعة الأُولى ١٣٧٥ هـ ش.

١١٣ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير ـ محمّد عبدالرؤوف المناوي ، الطبعة الأُولى ١٤١٥ ، دار الكتب العلمية.

١١٤ ـ قراءة في كتب العقائد ، المذهب الحنبلي نموذجاً ـ حسن فرحان المالكي ، الطبعة الأُولى ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م ، مركز الدراسات الإسلامية.

١١٥ ـ الكافي ـ محمّد بن يعقوب الكليني ، دار الكتب الاسلامية.

١١٦ ـ الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ، الطبعة السادسة سنة ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م ، دار صادر ـ بيروت.

١١٧ ـ الكبائر ـ شمس الدين الذهبي ، دار المعرفة.

١١٨ ـ كتاب الأُمّ ـ الشافعي ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ ، دار الفكر.

١١٩ ـ كتاب العلم ـ أبو خيثمة النسائي ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ ، المكتب الاسلامي.

١٢٠ ـ كشف الخفاء ومزيل الالباس ـ إسماعيل بن محمّد العجلوني ، الطبعة الثانية ١٤٠٨ ، دار الكتب العلمية.

١٢١ ـ كفاية الأثر ـ الخزاز القمي ، طبع عام ١٤٠١ ، انتشارات بيدار.

١٢٢ ـ الكفاية في علم الرواية ـ الخطيب البغدادي ، الطبعة الأُولى ١٤٠٥ ، دار الكتاب العربي.

١٢٣ ـ كنز العمال ـ المتقي الهندي ، مؤسسة الرسالة.

١٢٤ ـ لسان العرب ـ ابن منظور ، الطبعة الأُولى ١٤٠٥ ، دار إحياء التراث العربي.

١٢٥ ـ لسان الميزان ـ ابن حجر العسقلاني ـ الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

١٢٦ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ نورالدين الهيثمي ، طبع عام ١٤٠٨ ، دار الكتب العلمية.

١٢٧ ـ المحصول في علم أُصول الفقه ـ فخر الدين الرازي ، الطبعة الثانية ١٤١٢ ، مؤسسة الرسالة.

١٢٨ ـ المحلّى ـ ابن حزم الأندلسي ، دار الفكر ، تحقيق أحمد محمّد شاكر.

١٢٩ ـ مختصر التحفة الاثنى عشرية ـ محمود شكري الآلوسي ، طبع عام ١٣٩٩ ، مكتبة ايشيق.

١٣٠ ـ المختصر في أخبار البشر ـ أبو الفداء إسماعيل بن عليّ ، الطبعة الأُولى ١٤١٧ ، دار الكتب العلمية.

١٣١ ـ مروج الذهب ـ عليّ بن الحسين المسعودي ، طبع عام ١٤٠٩ ، مؤسسة دار الهجرة.

١٣٢ ـ المستدرك على الصحيحين ـ الحاكم النيسابوري ، طبع ١٤٠٦ ، دار المعرفة.

١٣٣ ـ المستصفى في علم الأُصول ـ أبو حامد الغزالي ، طبع عام ١٤١٧ ، دار الكتب العلمية.

١٣٤ ـ مسند ابن الجعد ـ علي بن الجعد الجوهري ، دار الكتب العلمية.

١٣٥ ـ مسند أبي يعلى ـ أحمد بن عليّ التميمي ، دار المأمون للتراث.

١٣٦ ـ مسند أحمد بن حنبل بتحقيق أحمد محمّد شاكر ، الطبعة الأُولى ١٤١٤ ـ ١٩٩٤ م ، دار الجيل.

١٣٧ ـ المسند ـ أحمد بن حنبل ، دار صادر.
١٣٨ ـ المصنّف ـ عبدالرزاق الصنعاني ، الناشر المجلس العلمي.
١٣٩ ـ المصنّف لابن أبي شيبة الكوفي ، الطبعة الأُولى ١٤٠٩ ، دار الفكر.
١٤٠ ـ معالم المدرستين ـ مرتضى العسكري ، طبع عام ١٤١٠ ، مؤسسة النعمان.
١٤١ ـ المعجم الأوسط ـ سليمان بن أحمد الطبراني ، دار الحرمين.
١٤٢ ـ معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ، دار إحياء التراث العربي.
١٤٣ ـ المعجم الصغير ـ سليمان بن أحمد الطبراني ، دار الكتب العلمية.
١٤٤ ـ المعجم الكبير ـ سليمان بن أحمد الطبراني ، مكتبة ابن تيميّة.
١٤٥ ـ معرفة الثقات ـ أحمد بن عبدالله العجلي ، الطبعة الأُولى ١٤٠٥ ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة.
١٤٦ ـ المعيار والموازنة ـ أبو جعفر الإسكافي ، تحقيق الشيخ محمّد باقر المحمودي.
١٤٧ ـ مقاتل الطالبيين ـ أبو الفرج الأصفهاني ، طبع عام ١٤١٤ ، منشورات الشريف الرضي.
١٤٨ ـ مقالات الإسلاميين ـ أبو الحسن الأشعري ، طبع عام ١٤٠٠ ، تصحيح : هلموت ريتر.
١٤٩ ـ مقدّمة ابن خلدون ـ عبدالرحمن بن محمّد بن خلدون ، الطبعة الثانية ١٤١٦ ، المكتبة العصرية.
١٥٠ ـ الملل والنحل ـ محمّد بن عبدالكريم الشهرستاني ، دار المعرفة.
١٥١ ـ مناقب آل أبي طالب ـ ابن شهرآشوب ، طبع عام ١٣٧٦ ، المطبعة الحيدرية.
١٥٢ ـ المناقب ـ الموفق بن أحمد الخوارزمي ، الطبعة الثانية ١٤١١ ، مؤسسة

النشر الإسلامي.

١٥٣ ـ المنتظم ـ عبد الرحمن بن الجوزي ، طبعة سنة ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م ـ نشر دار الكتب العلمية.

١٥٤ ـ منهاج السنّة ـ ابن تيميّة ، تحقيق محمّد رشاد سالم ، دار الفكر.

١٥٥ ـ الموطأ ـ مالك بن أنس ، الطبعة الأُولى ١٤٠٦ ، دار احياء التراث العربي.

١٥٦ ـ منية المريد ـ الشهيد الثاني ، الطبعة الأُولى ١٤٠٩ هـ ـ ١٣٦٨ ش ، مكتب الإعلام الإسلامي.

١٥٧ ـ النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية ـ محمّد بن عقيل العلوي ، الطبعة الأُولى ١٤١٢ ، دار الثقافة.

١٥٨ ـ نصب الراية ـ جمال الدين الزيلعي ، الطبعة الأُولى ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م ، دار الحديث ـ القاهرة.

١٥٩ ـ نظرية الإمامة لدى الشيعة ـ أحمد محمود صبحي ، طبع عام ١٤١١ ، دار النهضة العربية.

١٦٠ ـ نظم درر السمطين ـ محمّد بن يوسف الزرندي ، الطبعة الأُولى ١٣٧٧ ، مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

١٦١ ـ نظم المتناثر من الحديث المتواتر ـ الكناني ، الطبعة الثانية ، دار الكتب السلفية.

١٦٢ ـ نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار ـ السيّد علي الميلاني ، الطبعة الأُولى عام ١٤١٤ ، مطبعة مهر.

١٦٣ ـ نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار ، مؤمن الشبلنجي ، طبعة دار الفكر ، الطبعة المصورة على الطبعة المصرية لسنة ١٩٤٨ م.

١٦٤ ـ نيل الأوطار من أحاديث سيّد الأخيار ـ محمّد الشوكاني ، دار الجيل.

١٦٥ ـ وفيات الأعيان ـ أحمد محمّد بن إبراهيم بن خلكان ، الطبعة الأُولى

١٤١٩ هـ. ١٩٩٨ م ، دار الكتب العلمية. بيروت.

١٦٦. اليقين في امرة أمير المؤمنين. السيّد ابن طاووس ، الطبعة الأُولى ١٤١٣ ، مؤسسة دار الكتاب.

١٦٧. ينابيع المودّة. سليمان بن إبراهيم القندوزي. الطبعة الأُولى ١٤١٦ ، دار اسوة.